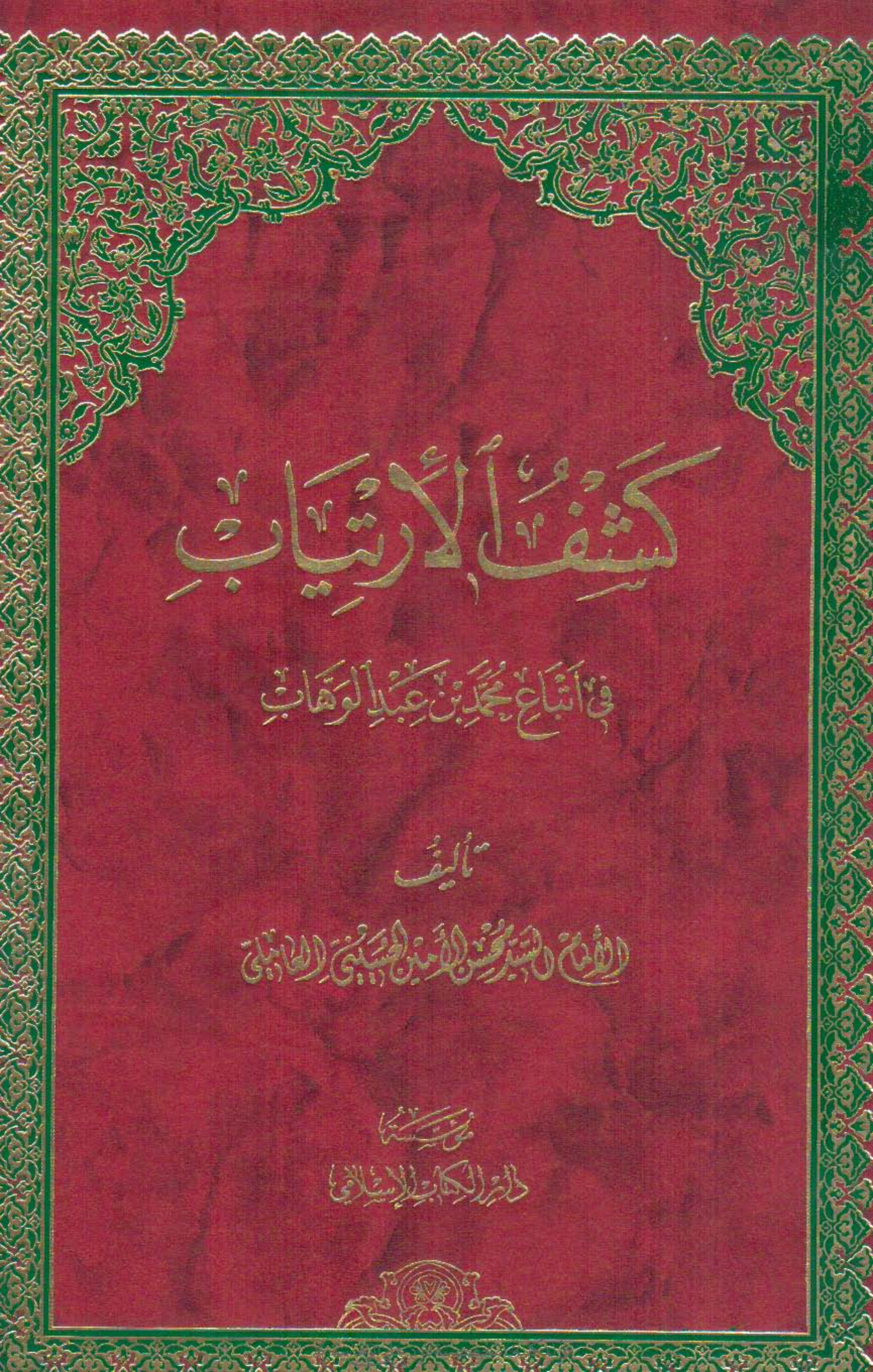

كشف الارتياب
في اتباع محمد بن عبد الوهاب
تأليف
الإمام السيد محسن الأمين الحسيني العاملي
مؤسسة
دار الكتاب الإسلامي

كشف الارتياب

في اتباع محمد بن عبد الوهاب


بسم الله الرحمن الرحيم

كشف الارتياب

في اتباع محمد بن عبد الوهاب

يتضمن تاريخ الوهابية وحروبهم
وأعمالهم من ابتداء ظهورهم إلى اليوم.
وذكر فوائد مهمة يتوقف عليها رد
معتقداتهم وتفصيل شبههم واعتقاداتهم
كلها وردها مما لم يسبق له نظير إلى اليوم.

تأليف
الإمام السيد محسن الأمين الحسيني العاملي

مؤسسة دار الكتاب الإسلامي



الكتاب:.. كشف الارتياب

المؤلف : .... العلامة السيد محسن الامين (ره)

الناشر:...................................... مؤسسة دار الكتاب الاسلامي

الطبعة : .... الثانية ١٤٢٨هـ.ق / ٢٠٠٧م

المطبعة : .... مطبعة ستار

عدد المطبوع : .... (٢٠٠٠) نسخه

الترقيم الدولي : ٩٧٨٩٦٤٤٦٥١٧٢٤

EAN: 9789644651724

قم ـ ميدان المعلم ـ شارع رقم ٢٢ ـ رقم المبنى ٢٦

تليفون: ٧٧٤٤٩٧٠ ـ ٧٧٣٠٩٩٤

فاكس: ٧٨٣٧٣٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حينما كتب والدي كتابه (اعيان الشيعة) قدّم له بمقدمات جعل منها رد ما رمي به الشيعة من اباطيل، وقد شغلت تلك الردود حيزاً كبيراً من الجزء الاول، ومع ذلك لم تستوعب رد كل ما قيل عن الشيعة زوراً وبهتاناً.

وقبل صدور الجزء الاول من (اعيان الشيعة) ببضع سنين كان الوهابيون قد ظهروا مجدداً باعلان تكفير المسلمين، كل المسلمين واعتبارهم من المشركين، وخصوا الشيعة منهم بكثير من البذاءات والتهجمات، فانبرى الوالد لكشف اباطيلهم وتفسير اضاليلهم، فكان من ذلك كتاب (كشف الارتياب) الذي هو بمثابة رد باسم المسلمين اجمعين على شبهات الوهابيين وتبيان ما استحوذ على نفوسهم من الانحراف عن جادة الصواب، وايغال في الباطل.

وقد طبع عدة طبعات، ولا يزال يطبع، وترجم الى غير اللغة العربية، فعم العالم الاسلامي.

واذا كان كتاب (كشف الارتياب) قد صدر قبل صدور (اعيان الشيعة)، فان للوالد كتاباً آخر صدر خلال تتابع صدور اجزاء (اعيان الشيعة)، هو كتاب (نقض الوشيعة) الذي نقض به افتراءات موسى جار الله في كتابه (الوشيعة).

ولما كان هذان الكتابان من صميم ما اشتملت عليه مقدمات (اعيان الشيعة)، فقد رأينا ضمهما الى مجلدات الكتاب باسم (ملاحق اعيان الشيعة)، ليكون في يد القارىء مجموع ما صدر في هذا الموضوع، ويكون في سجل التاريخ صفحات مشرقة متكاملة من النضال في سبيل الحق ودفع الباطل.

ولقد كانت خاتمة مجلدات (اعيان الشيعة)، سيرة المؤلف التي كتبها بنفسه وما أضيف اليها مما كتبه الكاتبون بعد وفاته.

وبعد طبع الكتاب صدرت دراسات جامعية عديدة عن المؤلف نال اصحابها درجات علمية، وليست هذه الدراسات الآن كلها في ايدينا، لذلك اقتصرنا على ما وصل الينا منها فاقتطفنا منه بعض الفصول وضممناها الى الملاحق، لتكامل مواضيعها.

ومن الله نسأل التسديد والتوفيق

حسن الامين

بيروت ـ ٢٠ شوال ١٤١٠

١٥ ايار ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وخيار اصحابه وسلم (وبعد) فلما ضعفت شوكة ملوك الإسلام وكان من نتائج ذلك استيلاء الوهابيين من اعراب نجد على الحجاز والحرمين الشريفين وهدم مزارات المسلمين ومنها قبة ائمة اهل البيت عليهم السلام وضريحهم بالبقيع وقباب ابوي النبي (ص) عبد الله وآمنة واجداده واعمامه واصحابه وامهات المؤمنين وحواء ام البشر والعلماء والصالحين وقباب مواليد النبي (ص) وجملة من آله واصحابه وكل مكان يزار ويتبرك به في الحجاز وتشويه محاسن تلك المشاهد والمشاعر التي يحن اليها قلب كل مسلم في جميع انحاء المعمورة بما لأهلها من المكانة العظيمة عند الله تعالى وعند عامة المسلمين من كل نحلة ومذهب والخدمة الجليلة لإحياء الدين وتشييد الإسلام وجعل قبور عظماء المسلمين وائمة الدين بعد تسويتها بالارض معرضا لدوس الأقدام ووقوع القذرات وروث الدواب والكلاب ووطئها بارجلها وربضها فوقها وغير ذلك من انواع الإهانات فساؤوا بذلك عامة المسلمين واحرقوا قلوب المؤمنين وأساؤوا الى الله تعالى والى نبيه (ص) بإساءتهم الى اوليائه واهل بيت نبيه واصحابه ولحمته استنادا الى شبهات واهية وامور ضعيفة سخيفة. جئت بهذه الرسالة مبيناً ضعف شبهاتهم بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة والعقل واجماع المسلمين وسيرة السلف، فقد عمت البلية منهم على المسلمين في الدنيا والدين وسميتها: (كشف الارتياب. في أتباع محمد بن عبد الوهاب) وبالله التوفيق وعليه نتوكل وبه نستعين. وهي مرتبة على ثلاث مقدمات وثلاثة ابواب وخاتمة.

«المقدمة الاولى»

في تاريخ الوهابية وفيها فصول

الفصل الأول

الى من ينسب مذهب الوهابية ومتى ظهر وكيف ظهر ومن اتبعه بعد ظهوره ومن هو اول من بذر بذور هذا المذهب؟

ينسب مذهب الوهابية الى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد ابن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس ابن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي (وفي خلاصة الكلام) في امراء البلد الحرام للشيخ احمد بن زيني دحلان: ولد محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١١ وتوفي سنة ١٢٠٧ (١) فيكون عمره ستا وتسعين سنة (٢) واخذ في اول امره عن كثير من علماء مكة والمدينة وكانوا يتفرسون فيه الضلال والإضلال وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين وكان يتفرس فيه ذلك ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا اخوه سليمان بن عبد الوهاب انكر عليه ما احدثه والف كتابا في الرد عليه. وكان في اول امره مولعا بمطالعة اخبار مدعي النبوة كمسيلمة وسجاح والاسود العنسي وطليحة الأسدي وامثالهم. وخلف محمد بن عبد الوهاب بعده اربعة اولاد وهم عبد الله وحسن وحسين وعلي فقام بالدعوة عبد الله اكبرهم ولما مات خلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا في امرهم فقتله ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣ وقبض على عبد الرحمن وارسله الى مصر فمات بها وخلف حسن عبد الرحمن وولي قضاء مكة ايام استيلاء الوهابيين عليها وعمر عبد الرحمن حتى قارب المائة وخلف عبد اللطيف وخلف كل من حسين وعلي اولاداً كثيرة ولم يزل نسلهم باقيا بالدرعية الى الان يسمونهم اولاد الشيخ. وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود ثم ولده عبد

---

(١) يأتي في كلام الألوسي ١٢٠٦.

(٢) الذي في النسخة اثنتين وتسعين سنة لكنه لا يوافق تاريخ الولادة والوفاة.

العزيز ثم ولده سعود انتهى ملخصا . وسعود بن عبد العزيز هو الذي غزا العراق والحجاز ومنع المسلمين من الحج فانقطع الحج في زمانه عدة سنين كما سيأتي .

وقال ملطبرون في جغرافيته المترجمة من رفاعة بك ناظر مدرسة الألسن وقلم الترجمة بمصر المطبوعة بمصر: اصل المذهب الوهابي ان العرب سيما اهل اليمن تحدثوا بأن زاعيا فقيرا اسمه سليمان رأى في منامه كأن شعلة نار خرجت منه وانتشرت في الأرض وصارت تحرق من قابلها فقصها على معبر فعبرها بأن ولدا له يحدث دولة قوية فتحققت الرؤيا في حفيده محمد بن عبد الوهاب فلما كبر محمد صار محترما عند اهل بلده بسبب هذه الرؤيا التي لا يعلم انها كانت ام لا فأول امره بين مذهبه سرا فاتبعه جماعة ثم سافر الى الشام فلم يتبعه احد فرجع الى بلاد العرب بعد ان غاب عنها ثلاث سنين وجاء الى بلاد نجد وأظهر هذا المذهب فتبعه عليه سعود (١) وكان شهماً حازماً وتقوى كل منهما بالاخر فقوى سعود امارته من طريق الدين باتباعه محمد بن عبد الوهاب على مذهبه وقوى ابن عبد الوهاب دعوته من طريق السيف باتباع سعود له وانتصاره به فكان سعود الامير الحاكم وابن عبد الوهاب الرئيس الديني وصارت ذرية كل منهما تتولى مرتبة سلفها وبعد ان صار سعود حاكما على قبيلته تغلب على قبيلتين من اليمن ودان بهذا المذهب قبائل كثيرة من العرب وجميع اعراب نجد واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم وهي في الجنوب الشرقي من البصرة وبعد خمس عشرة سنة اتسعت ولاية سعود وهو يطمع في الزيادة وكان يأخذ ممن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض بل والأنفس فيأخذ عشر الناس بالقرعة فجمع اموالا عظيمة وصار جيشه يربو على مائة وعشرين الف مقاتل انتهى .

وفي خلاصة الكلام كان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٤٣ واشتهر امره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائفة بنجد وقرأها فقام بنصره محمد بن سعود امير الدرعية فحمل اهلها على متابعته فتابعوه وما زال يطيعه كثير من احياء العرب حتى قوي امره فخافته البادية وكان يقول لهم انما ادعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله .

---

(١) الصواب ان اول من تبعه محمد بن سعود كما مر عن خلاصة الكلام .

وعن كتاب تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي أن ابن عبد الوهاب نشأ في بلد العيينة من بلاد نجد فقرأ على ابيه الفقه على مذهب احمد بن حنبل وكان من صغره يتكلم بكلمات لا يعرفها المسلمون وينكر عليهم اكثر الذي اتفقوا على فعله لكنه لم يساعده على ذلك احد فسافر من العيينة الى مكة المشرفة ثم الى المدينة فأخذ عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف وشدد النكير على الإستغاثة بالنبي (ص) عند قبره ثم رحل الى نجد ثم الى البصرة يريد الشام فلما ورد البصرة اقام فيها مدة واخذ فيها عن الشيخ محمد المجموعي وانكر على اهلها اشياء كثيرة فأخرجوه منها فخرج هاربا ثم جاء بعد عدة تحولات الى بلد حريملة من نجد وكان ابوه بها فلازمه وقرأ عليه واظهر الإنكار على مسلمي نجد في عقائدهم فنهاه ابوه فلم ينته حتى وقع بينهما نزاع ووقع بينه وبين المسلمين في حريملة جدال كثير فاقام على ذلك سنتين حتى توفي ابوه سنة ١١٥٣ فاجترأ على اظهار عقائده والإنكار على المسلمين فيما اطبقوا عليه وتبعه حثالة من الناس الى ان غص اهل البلد من مقالاته وهموا بقتله فانتقل من حريملة الى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن احمد بن معمر فاطمعه ابن عبد الوهاب في ملك نجد فساعده عثمان واعلن النكير على المسلمين فتبعه بعض اهل العيينة وهدم قبة زيد بن الخطاب التي عند الجبيلة فعظم امره وبلغ خبره سليمان بن محمد بن عزيز الحميدي صاحب الأحساء والقطيف وتوابعها فارسل سليمان كتابا الى عثمان يأمره فيه بقتله ويهدده على المخالفة فلم تسعه مخالفته فأرسل اليه وامره بالخروج عن مملكته فقال له ان نصرتني ملكت نجدا فلم يسمع منه وخرج الى الدرعية سنة ١١٦٠ (وهي بلاد مسيلمة الكذاب) وصاحبها يومئذ محمد ابن سعود من قبيلة عنيزة فتوسل بامرأة الحاكم اليه واطعمه في ملك بلاد نجد فتبعه وبايعه على قتال المسلمين فكتب الى اهل نجد ورؤسائهم وقضاتهم يطلب الطاعة فاطاعه بعضهم وبعضهم لم يحفل به فأمر اهل الدرعية بالقتال فأجابوه وقاتلوا معه اهل نجد والأحساء مرارا كثيرة حتى دخل بعضهم في طاعته طوعا او كرها وصارت امارة نجد جميعها لآل سعود بالقهر والغلبة ومات ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ ثم مات محمد بن سعود فخلفه ولده عبد العزيز وقام بنصرة هذا المذهب وقاتل عليه وبلغت سراياه وعماله اقصى بلاد نجد ثم مات عبد العزيز فخلفه ولده سعود وكان اشد من ابيه في التوهب منع المسلمين عن الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم ثم

مات سعود وخلفه ابنه عبد الله انتهى.

وفي خلاصة الكلام ان الوهابيين ارسلوا في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن زيد المتوفى سنة ١١٦٥ ثلاثين من علمائهم فأمر الشريف ان يناظرهم علماء الحرمين فناظروهم فوجدوا عقائدهم فاسدة وكتب قاضي الشرع حجة بكفرهم وسجنهم فسجن بعضهم وفر الباقون. ثم في دولة الشريف احمد المتوفى سنة ١١٩٥ ارسل امير الدرعية بعض علمائه فناظرهم علماء مكة واثبتوا كفرهم فلم يأذن لهم في الحج انتهى ملخصا.

وهذا المذهب وان كان ظهوره وانتشاره في زمن محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الا ان بذره قد بذر قبل ذلك من زمن احمد بن تيمية في القرن السابع وتلميذه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي ومن نسج على منوالهم. وقد عثرنا فيه على رسالة لمحمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني المولود سنة ١٠٥٩ والمتوفى سنة ١١٨٢ كما عن كتاب البدر الطالع للشوكاني سماها تطهير الإعتقاد عن ادران الإلحاد وسيأتي النقل عنها في محاله وهذا الرجل كان معاصراً لابن عبد الوهاب. وعن كتاب ابجد العلوم للصديق حسن خان القنوجي كان المولى العلامة السيد محمد بن اسماعيل الأمير بلغه من احوال النجدي ما سره فقال قصيدته المشهورة:

سلام على نجد ومن حل في نجد   وان كان تسليمي على البعد لا يجدي (١)

ثم لما تحقق الأحوال من بعض من وصل الى اليمن وجد الأمر غير خال من الادغال وقال:

رجعت عن القول الذي قلت في نجد   فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

(انتهى) وعن محمد بن اسماعيل المذكور انه قال في شرح القصيدة المذكورة المسمى بمحو الحوبة في شرح ابيات التوبة لما بلغت هذه الأبيات نجدا يعني الأبيات الأولى

---

(١) وهي التي يقول فيها كما اورده في تطهير الإعتقاد:

اعادوا بها معنى سواع ومثله   يغوث وودا ليس ذلك من ودي

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها   كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم نحروا في سوحها من نحيرة   أهلت لغير الله جهلا على عمد

وكم طائف حول القبور مقبلا   ويلتمس الأركان منهن بالأيدي

وصل الينا بعد اعوام رجل عالم يسمى الشيخ مربد بن احمد التميمي وذلك في صفر سنة ١١٧٠ وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه ثم عاد الى وطنه في شوال من تلك السنة وكان من تلاميذ ابن عبد الوهاب الذي وجهنا اليه الأبيات وكان تقدمه في الوصول الينا الشيخ الفاضل عبد الرحمن النجدي ووصف لنا من حال ابن عبد الوهاب اشياء انكرناها عليه من سفك الدماء ونهب الأموال وتجاريه على قتل النفوس ولو بالإغتيال وتكفيره الامة المحمدية في جميع الاقطار فبقي معنا تردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مربد وله نباهة ومعه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفير اهل الإيمان وقتلهم ونهبهم وحقق لنا احواله وافعاله فعرفنا احواله احوال رجل عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن النظر ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه بل طالع بعض مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وقلدهما من غير اتقان مع انهما يحرمان التقليد انتهى وهذا يدل على ان محمد بن اسماعيل المذكور رجع عن مغالاته في التوهب ولعل رجوعه كان بعد تأليفه رسالة تطهير الإعتقاد لان تلك الرسالة لا تقصر عن كتب ابن عبد الوهاب في المغالاة كما ستعرف.

وقد تبع هذا المذهب من بعد ظهوره الى اليوم بعض من ينسب الى العلم من اهل السنة من غير النجديين حسنه في نظرهم ظهوره بمظهر ترك البدع مع ما يرونه من كثرة البدع لكن الإفراط آفة تفسد اكثر مما تصلح (وكل يدعي وصلا بليلى) والبعض منهم لم يصل في تضليل المسلمين الى حد التكفير واستحلال الدم والمال كالألوسي صاحب تاريخ نجد فيما حكي عنه حيث قال بعد ذكر سعود بن عبد العزيز: انه قاد الجيوش واذعنت له صناديد العرب ورؤسائهم بيد انه منع الناس عن الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم وشدد في بعض الاحكام وحملوا اكثر الامور على ظواهرها كما غالى الناس في قدحهم والإنصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذي ذهب اليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنعهم الحج ولا التساهل الذي عليه عامة اهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله وبناء الابنية المزخرفة على قبور الصالحين والنذر لهم وغير ذلك مما نهى عنه الشارع والحاصل ان الافراط والتفريط في الدين ليس مما يليق بشأن المسلمين بل الاحرى بهم اتباع ما عليه السلف الصالح وتكفير بعضهم لبعض مستوجب للمقت والغضب (انتهى) فتراه قد

انصف بعض الانصاف في لوم الوهابيين على تكفير من خالفهم ومنع النـاس عن الحج والخروج على السلطان وتسمية الغارة على المسلمين جهاداً في سبيل الله ولكنه حـاد عن الانصاف في جعله الحلف بغير الله والبناء على قبور الصـالحين ممـا نهى عنـه الشـارع لما ستعرف من ان النهي منه غير واقع وجعله النذر للصالحين لما ستعرف ايضـاً من انـه لا ينذر احد لهم بل لله ويهدي الثواب اليهم وربما يكون كثير من غير النجديين ممن ينسب الى العلم ويميل الى الوهابيين لا يصل في المغالاة الى حد التكفير واستحلال المال والـدم والله العالم باسرار عباده.

الفصل الثاني

(في حروب الشريف غالب امير مكة المكرمة مع الوهابيين)
(واستيلائهم على الحجاز في زمانه وما فعلوه في الحجاز)
(والعراق وانقطاع الحج والزيارة في ايامهم)

في خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام لاحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية ان الشريف غالباً غزا الوهابية ما ينوف عن خمسين غزوة من سنة ١٢٠٥ الى سنة ١٢٢٠ فأرسل عليهم في سنة ١٢٠٥ ستمائة مقاتل مع اخيه عبد العزيز مع قبائل كثيرة حتى وصل الى عريق الدسم وملك عدة من قرى نجد وحاصر عنيزة قرية بسام ثم رجع (وفي سنة ١٢٠٦) جهز جيشاً بإمرة المذكور لقتال القبائل التي دخلت في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود (١) فوصل به الى تربة ثم الى رينة ثم الى بيشة فاطاعته كلها ثم عاد الى مكة (وفي سنة ١٢٠٨) غزا الوهابيين بجيش من العربان بإمرة عثمان المضايفي فصبح ابن قيحان بموضع يقال له عقيلان وحصلت ملحمة عظيمة انتصر فيها عثمان واخذ جميع ابل ابن قيحان ثم هزمه ابن قيحان ولم ينتزع منه الابل (وفي سنة ١٢٠٩) جهز جيشاً بامرة اخيه عبد المعين لغزو هادي بن قرملة وكان ممن توهب فنذر به وهرب فقصد ابن قطنان من اتباع ابن سعود فحصره في قصره وقبض عليه وارسله الى الشريف غالب فسأله العفو فعفا عنه واطلقه فلما وصل الى بلده غدر واظهر العصيان فدس اليه من قتله وقصد مواضع فيها من اتباع ابن سعود فقتل منهم ثم رجع الى مكة (وفي سنة ١٢١٠) جهز جيشاً بامرة السيد ناصر فغزا جماعة من الوهابية فقتل ونهب وعاد سالماً (ثم) جهز جيشاً بامرة السيد فهيد بن عبد الله وغزا جماعة من الوهابية وقبض على ثلاثة جواسيس ارسلهم هادي بن قرملة فقتل اثنين واخبره الثالث بموضع القوم مخافة القتل فعفا عنه وجد في السير وفي اليوم الثاني وصل الى محل هادي بن قرملة فقتل من اصحابه نحو المائة وانهزم الباقون ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان بامرة

---

(١) وهو الذي تأمر بعد موت ابيه محمد بن سعود الذي هو اول من اتبع محمد بن عبد الوهاب.

ابن قيحان وهو ممن توهب فقتل منهم ونهب وصادف ابن شذير من شيوخ قحطان غازيا فقتل من اصحابه خمسة واربعين واخذ ابن شذير وابله وخمسة من الخيل وعشرين من جياد الركاب (ثم) جهز جيشاً بامرة اخيه عبد المعين فارسل الجواسيس فوجد من يريده من العربان قد ترفع وابعد لما سمعوا به فابقى جماعة في تربة ورجع ثم جهز جيشاً كثيفا بامرة السيد ناصر حتى أتى الشماس فدهمهم جيش الوهابيين فجرت ملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير ورجع السيد ناصر الى مكة (وفي سنة ١٢١١) (١) جهز جيشاً بامرة السيد فهيد فارسل سرية الى الخرمة فقتلت منهم ثم أغار على قوم من حرب توهبوا ثم ارتحل الى روغ النعام فدهمهم الحجيلاني امير الخرج بجند كثير فوقعت ملحمة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين ثم غزا هادي بن قرملة بموضع يقال له البقرة نقتل منهم واخذ فرس ابن قرملة وابله ثم رجع الى مكة (فجهز) له الشريف غالب جيشاً وامره بالرجوع فملك رينة ونهبها واحرق دورها ثم اتى الجنينة وارسل الجواسيس الى قوم سماهم فاخبر بارتحالهم فعاد الى مكة (وفي سنة ١٢١٢) جهز جيشاً بإمرة السيد فهيد على قوم من حرب في عريق الدسم توهبوا فغنم وعاد سالماً (ثم) جهز جيشاً بأمرة السيد مبارك فأغار على قوم من حرب توهبوا بموضع يقال له العلم فغنم مواشيهم وصادف في طريقه خمسة واربعين من الوهابية فقتلهم واراد الرجوع فمنعه الشريف غالب وامده بجيش بأمرة السيد سعد فاجتمعا على صلبة وارتحلوا واقاموا على مران وبثوا الجواسيس فبلغهم ان الوهابي جمع لهم ما لا طاقة لهم به فأرادوا الرجوع فمنعهم الشريف غالب وخرج بنفسه في جيش عظيم حتى وصل مران واجتمع بهما ثم أغار على قوم من قحطان واخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة في القنصلية وقتل منهم مقتلة عظيمة وفرّ

---

(١) في رسالة الفواكه العذاب لأحمد بن ناصر النجدي احدى رسائل الهدية السنية الخمس المطبوعة بمطبعة المنار بمصر ان الشريف غالباً في سنة ١٢١١ طلب من عبد العزيز بن سعود ارسال عالم لمناظرة علماء الحرم فأرسل صاحب الرسالة وذكر صورة المناظرة وانه اذعن له علماء الحرم ولم يشر اليها في خلاصة الكلام بل اشار الى وقوع مناظرة قبل ذلك في دولتي الشريفين مسعود ومساعد كما مر وانى لنا بتصديق اقرار علماء الحرم له بصحة معتقده وأنه غلبهم بشبهاته التي بان ضعفها وفسادها مما اوردناه في هذا الكتاب نعم يجوز ان تكون وقعت هذه المناظرة فلم يقنع ذلك النجدي بل بقي على اصراره وعناده .

ابن قرملة منهزما ثم عاد الى رينة وحاربها وقطع نخلها فطلب أهلها الصلح فعفا عنهم وارتحل الى بيشة فأقر بها جماعة اطاعوه وفر آخرون فاحرق دورهم وارتحل الى الخرمة فأبادها وجاءه خبر بقدوم الوهابيين في جمع عظيم فاتهم المخبر وبعد يومين اقبلوا في جموعهم والتحم القتال فقتل من الفريقين ما ينوف عن الفين ومن الاشراف نيف واربعون وكانت الغلبة للوهابية ثم رجع الى مكة.

صلح الشريف غالب مع الوهابية

(وفي سنة ١٢١٣ في جمادى الأولى) انعقد الصلح بين الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات وجعلوا حدوداً للاراضي والقبائل التي تحت طاعة الشريف وطاعة ابن سعود واخذت العهود والمواثيق بينهم على ترك الحرب وان يحج الوهابيون ونودي بالأمان وحج من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شرذمة منهم ولم يحج اميرهم لأن سليمان باشا والي بغداد جهز عليه جيشاً بأمارة علي بك كتخدا فحاصرهم لكنهم دسوا دسائس افسدوا بها اهل العسكر وفر اميره هاربا (وفي سنة ١٢١٤) حج سعود بن عبد العزيز ومعه اناس كثير واجتمع بالشريف غالب في خيمة ضربت لهما بالابطح (وفي سنة ١٢١٥) حج سعود ايضا ومعه جند يزيد على عشرين الفا وارسل قبل قدومه هدية للشريف غالب مع حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون من الخيل وعشر من النوق العمانيات فقبلها الشريف وكافأهم عليها وكان قد احترس قبل قدومهم خوفاً من غدرهم فبنى سور الطائف والابراج التي في اطراف مكة ومداخلها وطلب كثيراً من القبائل وترس جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود مكة بجيشه قبل الوقوف بل نزل بعرفة (وفي الثاني عشر من ذي الحجة) وقع خصام بين عرب الشريف وقوم سعود ادى الى القتال بالرصاص فمنع الشريف عربه وكف القتال ونزل الناس من منى قبل الزوال ثم رحل سعود الى بلاده.

غزو الوهابية العراق سنة ١٢١٦ ـ ١٢٢٥ واعادتهم فاجعة كربلا

يقول المؤلف (وفي سنة ١٢١٦) جهز سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيما من اعراب نجد وغزا به العراق وحاصر كربلا ثم دخلها عنوة

واعمل في اهلها السيف ولم ينج منهم الا من فر هارباً او اختفى في مخبأ او تحت حطب ونحوه ولم يعثروا عليه وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله (ص) السبط الشهيد ونهبها وهدم قبر الحسين (ع) واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف ونهب جميع ما في المشهد من الذخائر ولم يرع لرسول الله (ص) ولا لذريته حرمة واعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلا ويوم الحرة واعمال بني امية والمتوكل العباسي ويقول اهل العراق ـ وهم اعلم بما جرى في بلادهم : انه ربط خيله في الصحن الشريف وطبخ القهوة ودقها في الحضرة الشريفة. وقال العلامة السيد جواد العاملي ـ صاحب مفتاح الكرامة وفي عصره كان غزوهم للعراق : ان سعوداً الوهابي الخارج في ارض نجد اخترع ما اخترع في الدين واباح دماء المسلمين وتخريب قبور الأئمة المعصومين فاغار في السنة المذكورة على مشهد الحسين (ع) وقتل الرجال والأطفال واخذ الأموال وعاث في الحضرة المقدسة فافسد بنيانها وهدم اركانها.

(قال) وفي الليلة التاسعة من شهر صفر سنة ١٢٢١ قبل الصبح هجم علينا سعود الوهابي في النجف ونحن في غفلة حتى ان بعض اصحابه صعد السور وكادوا يأخذون البلد فظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً.

(قال) وفي جمادى الاخرة سنة ١٢٢٢ جاء الخارجي الذي اسمه سعود الى العراق بنحو من عشرين الف مقاتل او ازيد فجاءت النذر بأنه يريد ان يدهمنا في النجف الأشرف غيلة فتحذرنا منه وخرجنا جميعاً الى سور البلد فأتانا ليلا فرآنا على حذر قد احطنا بالسور بالبنادق والأطواب فمضى الى الحلة فرآهم كذلك ثم مضى الى مشهد الحسين (ع) على حين غفلة نهارا فحاصرهم حصارا شديدا فثبتوا له خلف السور وقتل منهم وقتلوا منه ورجع خائباً وعاث في العراق وقتل من قتل وقد استولى على مكة المشرفة والمدينة المنورة وتعطل الحج ثلاث سنين.

(قال) وفي سنة ١٢٢٥ احاطت الأعراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين (ع) وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوار الحسين (ع) بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان وقتلوا منهم جما غفيرا واكثر القتلى من العجم وربما قيل انهم مائة وخمسون وبقي جملة من الزوار في الحلة ما قدروا ان يأتوا الى النجف فبعضهم صام

في الحلة وبعضهم ذهب الى الحسكة والنجف كأنها في حصار والأعراب ممتدة من الكوفة الى فوق مشهد الحسين (ع) بفرسخين او اكثر انتهى .

انتقاض الصلح بين الوهابية والشريف غالب

في خلاصة الكلام ان سعودا ما زال يدس الدسائس بعد الصلح ويكاتب مشائخ الاعراب سرا كشيخ محايل وشيخ بارق فصارا يفسدان القبائل حتى انتقض الصلح وتوهب جميع قبائل الحجاز فارسل الشريف الى وزيره بالقنفذة ان يذهب لقتال شيخ محايل ففعل وحصل بينهما قتال شديد فهزمهم الوزير وملك ما في واديهم واحرق ديارهم وعاد الى القنفذة ثم بلغه انهم رجعوا وتجمعوا وصاروا يراسلون اهل تلك الأطراف ويتهددون من لم يطعهم فاخبر بذلك الشريف فجهز جيشا عظيما بإمرة السيد منديل فغزا بني كنانة وقتل منهم مقتلة وجاء الخبران اهل حلى توهبوا فجهز الشريف غالب عليهم جيشا بإمرة السيد ناصر بن سليمان فقتل منهم كثيرا وغنم ثم رجعوا الى مكة ومعهم بعض اهل حلى تائبين وطلبوا من الشريف ان يرسل معهم جيشا ففعل وأمر عليهم السيد منديل فبنى على حلى سوراً وجعل فيها كثيراً من الذخائر خوف هجوم العدو وبعد ثمانية اشهر بلغه اقبال الوهابيين بإمرة رجل اسمه حشر وكان فاجرا ختالا وارسلوا الى شيخ حلى فاستمالوه على أنهم متى خرجوا لقتالنا تمنعهم من الدخول فاخرج السيد منديل بعض رجاله لقتالهم وبقي هو في البلد في خمسين مقاتلا فنشب القتال وقتل من الفريقين جماعة وانهزم الوهابيون خديعة وجعلوا لهم كميناً فخرج على جماعة الشريف وحجز بين الفريقين حر النهار واظهر اهل حلى الخيانة فاضطر الشريف منديل الى الخروج والرجوع الى مكة (وبلغ) الشريف غالباً ان عربانا بساحل اليمن توهبوا فأرسل عليهم غزيه بإمرة السيد سعد القتادي فأغار على دمينة وغامد الفرعاء وقتل فيهم ونهب وأسر تسعة عشر رجلا (وكان) وزير القنفذة ابو بكر بن عثمان اذاقهم الويل في قتاله لهم فاحتالوا على قتله بأن اظهرت له الطاعة ثلاث قبائل وكاتبوه ان يأتيهم ليحاربوا معه الوهابيين واضمروا القبض عليه اذا أتاهم فاقبل اليهم بمن معه من الجند فبادروه بالقتال فاظهره الله عليهم وقتل كثيرا منهم ونهب ثم اجتمع بعسكر السيد سعد وبلغه ان الوهابيين اقبلوا بجنود كثيرة وافترقوا فرقتين فتوجه في اثرهم فاقبلت فرقة

تقاتل السيد سعدا فلما اشرفوا عليه عرفوا عجزهم فتركوه واقبلت فرقة على القنفذة فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان فاثخن فيهم القتل والنهب ولم يسلم منهم الا القليل.

(وفي اوائل سنة ١٢١٧) جمع معدى بن شار شيخ محائل اثني عشر الفاً وقصدوا القنفذة على حين غفلة فخرج اليهم الوزير في سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل فقتل منهم نحو الاربعمائة وجرح مائتين وأسر مائتين وهرب الباقون واخذ سلاحهم ومواشيهم وهذه الوقائع كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر بافسادهم القبائل حتى افسدوا جميع اقليم اليمن وغيرهم (ولما) علم سعود ان اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك الشريف ارسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطالبهما بالوفاء بالعهد فارسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وان هذه الشوائع اكاذيب من العربان لأجل نقض الصلح فأرسل الشريف رسولا الى زهران ليعرف الحقيقة فأخبره ان ما بلغه حق فأرسل الى الدرعية زوج اخته عثمان بن عبد الرحمن المضايفي والشريف عبد المحسن وابن حميد شيخ المقطة وغيرهم لتجديد الصلح فوصلوا الدرعية واعطوا الكتب لعبد العزيز فرحب بهم وغدر المضايفي فطلب من عبد العزيز ان يخلي له المجلس ففعل وطلب منه الإمارة ليملكه مكة وذكر له اسماء شيوخ القبائل التي يريد التأمر عليها فكتب لهم كتباً انه قد اقامه اميراً عليهم وامره على الطائف وما حولها وكتب مع الوفد جوابا للشريف بمداهنة ظاهرية وهم لا علم لهم بما جرى بينه وبين المضايفي الا انهم لما خرجوا من الدرعية انكروا على المضايفي مدحه لمذهب الوهابية فلما وصلوا العبيلاء وبينه وبين الطائف يوم وللمضايفي فيه حصن على جبل فبقى فيه وقال لهم اجيء في اثركم ودخل الحصن ونصب بيرقاً ودق الزير وارسل الكتب لشيوخ القبائل القريبة منه فأطاعوه وكان في الطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن اخيه الشريف غالب فأرسل اليه المضايفي كتابا يدعوه فيه الي التوهب واول من اطاعه من القبائل الطفحة ثم النفعة والعصمة فغزا بهم على الزوران فأطاعوه بعد قتال ثم غزا عوفا فكسروه ثم خرج على العرج فهزمهم واحرق دورهم ونهب مواشيهم فجمع الشريف غالب ما ينوف عن ثلاثة آلاف وارسلهم الى الطائف.

هجوم الوهابيين على الطائف سنة ١٢١٧

وخرج المضايفي من حصنه قاصداً الطائف فخرج اليه الشريف عبد المعين فاقتتلوا بوادي العرج تمام النهار فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من اصحاب المضايفي نحو الستين ولولا تحصنهم بالجبل ما سلم منهم احد واخذ ما معهم من ابل وذخائر وعاد الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف ثلاث عشر ثم خرج اليهم الشريف غالب بنفسه قاصدا العبيلاء والتقى بأخيه عبد المعين واحاطوا بالحصن ورموا عليه بالقنابر والمدافع فلم يقدروا عليه فرجعوا الى الطائف ثم عادوا ثانياً فامتنع عليهم فعادوا الى الطائف ثم خرج المضايفي ومن معه فاحاطوا بالطائف وجاءه مدداً امير بيشة سالم بن شكبان في عدد كثير ووقع القتال طول النهار وفي المساء تباعدوا عن السور وفي الصباح عادوا وتقاتلوا طول النهار وفي المساء عادوا الى خيامهم بعدما قتل كثير منهم وفي تلك الليلة تفرق عن الشريف من معه من الاعراب وعالجهم على البقاء فامتنعوا وظهر خلل في السور والابراج وارتحل جماعة من الاشراف الى مكة وفي الغد اخبر الشريف بذلك وقيل له ان المضايفي وابن شكبان يريدان التوجه بمن معهم الى مكة فارسل من يكشف الخبر فأخبره انه رآهم نازلين من ريع التهارة فتحقق عنده الخبر فأعطى العسكر ومن بقي معه من البوادي لكل واحد عشرة مشاخصة وحرضهم على القتال وتوجه هو الى مكة عن طريق المثناة فوقع الفشل فيمن بالطائف وخرج رجل يسمى دخيل الله ابن حريب فلحق بالوهابيين واخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا الى الطائف وتقدمهم رجل من كبارهم يسمى عبد الله البويحيت مع دخيل الله وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وهو من اعز اهل البلد واغناهم فاتفق معه على مبلغ من المال يدفعه لسلامة اهل البلد فخرج عبد الله ليأتيهم بالامان فرماه بعض اهل الطائف برصاصة من منارة فقتله فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور ولم يوجد من يقدر على منعهم.

دخول الوهابيين الطائف عنوة سنة ١٢١٧ وفظائعهم فيها

فدخلوا البلد عنوة (١) في ذي القعدة سنة ١٢١٧ وقتلوا الناس قتلا عاماً حتى الاطفال وكانوا يذبحون الطفل الرضيع على صدر امه وكان جماعة من اهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فأدركتهم الخيل وقتلت اكثرهم وفتشوا على من توارى في البيوت وقتلوه وقتلوا من في المساجد وهم في الصلاة ودخل نيف وعشرون رجلا الى بيت الفتنى ومائتا رجل الى بيت الفعر وامتنعوا عن التسليم وقاتلوا ثلاثة ايام فراسلهم ابن شكبان بالامان وقال انتم في وجه ابن شكبان وعثمان واعطوهم العهود فكفوا عن القتال فأرسلوا جماعة اخذوا منهم السلاح وقالوا لا يجوز للمشركين حمله ثم امروهم بالخروج لمقابلة الامير فأمر بقتلهم فقتلوا جميعاً بقوز يسمى دقاق اللوز وكان في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين مترسين يرمون بالرصاص فأخرجوهم بالامان على النفس دون المال فسلبوهم واخرجوهم الى وادي وج وتركوهم فيه مكشوفي السوأتين ومعهم النساء حتى رموا عليهم اطماراً بالية ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوماً على التوهب فصاروا يتكففون الناس فيعطى السائل الحفنة من الذرة يقضمها وصارت الاعراب تدخل كل يوم الى الطائف وتنقل المنهوبات الى الخارج حتى صارت كامثال الجبال فأعطوا خمسها للامير واقتسموا الباقي ونشروا المصاحف وكتب الحديث والفقه والنحو في الازقة واخبروا ان الاموال مدفونة في المخابي فحفروا في موضع فوجدوا فيه مالا فعندها حفروا جميع بيوت البلد حتى بيوت الخلاء والبالوعات ثم ارتحل ابن شكبان وبقي عثمان اميراً على الطائف وكتبوا الى سعود يخبرونه بذلك فسر به سروراً عظيما وكان مبرزاً بالدهناء مسير سبعة ايام عن الدرعية يريد غزو العراق .

قصد الوهابية مكة سنة ١٢١٧

فسار مسرعاً الى الحجاز والتقى بابن شكبان واصحابه فأعادهم معه فلما وصلوا

---

(١) اما الجبرتي فانه قال : في اواخر سنة ١٢١٧ اغار الوهابيون على الحجاز فلما قاربوا الطائف خرج اليهم الشريف غالب فهزموه فرجع الى الطائف واحرق داره وهرب الى مكة فحاربوا الطائف ثلاثة ايام حتى دخلوها عنوة وقتلوا الرجال واسروا النساء والاطفال وهذا دأبهم مع من يحاربهم وهدم المضايفي قبة ابن عباس بالطائف الغريبة الشكل والوصف .

العييناء قرية على ثلاث مراحل من مكة وبلغ خبرهم اهل مكة والحجاج الـذين بها من الافاق خافوا واضطربوا سيما لما سمعوا بما جرى على الطائف وكـان ممن حج فيهـا امـام مسكت سلطان بن سعيد ونقيب المكلى وجاء امير الحاج الشامي عبد الله بـاشـا العظم وامير الحاج المصري عثمان بك قـرجي ومعهما العسـاكـر الكثيرة وشـاع يـوم الترويـة ان سعوداً نزل عرفة فخاف الناس ثم ظهر كذب ذلك فلم يأت سعود في وقت الحج لكثـرة الحجاج كثرة لم يسبق مثلها وبعد تمام الحج نـادى منـادي الشريف ان يخرج النـاس الى الجهاد فخرج شريف باشا والي جدة بعساكره فتقهقر سعود يـومين وجمع الشريف امـراء الحجوج وطلب منهم محاربة الوهابية فلم يوافقوه معتلين بعدم الـذخـائر فتعهـد لهم بها مجاناً فلم يقبلوا وقالوا نكاتبه فان رجع والا نحاربه فكاتبوه فأجابهم بالتهديد فاضطربت آراؤهم فطلب الشريف ثانياً منهم محاربته وقال في ركوبنا عليه نامـوس للـدولـة وتكفل بكل ما يحتاجونه فلم يقبلوا واعادوا الرسل ثانيـاً فأجـابهم كـالاول وتهدد من اقـام منهم بمكة فوق ثلاثة ايام فعزموا على الرحيل واعاد الشريف عليهم القول فلم يقبلوا فاجتمع اعيان مكة وذهبوا الى امير الحاج الشـامي طـالبين منـه البقـاء عشرة ايـام فأبى وسـافـر خامس المحرم سنة ١٢١٨ وفي اليوم الثاني سـافـر امير الحاج المصري ثم تـوجـه شريف باشا الى جدة وبقي الشريف غالـب وحده فتوجه هو ايضاً الى جـدة (وقـال الجبرتي) ان الشريف غالباً طلب من والي جدة وامراء الحاج الشامي والمصري البقاء معه اياماً لينقل ماله ومتاعه الى جدة فأجابوه بعد ان بذل لهم مالا فبقوا معه اثني عشر يـومـاً ثم ارتحلـوا وارتحل بعد ان احرق داره بمكة انتهى.

فأرسل اخوه الشريف عبد المعين كتابـاً الى سعـود بطلب الأمـان لأهل مكـة وبـذل الطاعة وان يكون هو عـاملـه فيهـا وذهب مع الـرسـول جماعـة من افـاضل أهل مكـة فاجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكـة فقـال لهم انما جئتكم لتعبـدوا الله وحده وتهدموا الاصنام ولا تشركوا فقال بعض علمائهم والله ما عبدنـا غير الله فمـد يـده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه فسر بذلك وامر كاتبه فكتب لهم كتاب الامـان في كـاغـد لا يـزيـد عن خمس اصابع فيه بعد البسملة. من سعود بن عبد العزيز الى كافة اهل مكة والعلماء والاغوات

وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى (١) أما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بامنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون﴾ فأنتم في وجه الله ووجه امير المسلمين سعود بن عبد العزيز واميركم عبد المعين بن مساعد فأسمعوا له واطيعوا ما اطاع الله والسلام فقرأه مفتي المالكية على الناس بعد صلاة الجمعة .

استيلاء الوهابية على مكة بدون حرب سنة ١٢١٨

وفي ثامن المحرم وصل سعود (٢) محرما فطاف وسعى ونحر من الإبل نحو المائة ونزل في بستان الشريف الذي في المحصب وفي اليوم الثاني لوصوله نادى مناديه باجتماع الناس غدا ضحوة النهار فاجتمعوا وصعد على اعلى درج الصفا والمفتي عن يمينه والقاضي عن شماله فحمد الله واثنى عليه وقال الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وانجز وعده واعز جنده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده وسكت (ثم قال) يا أهل مكة انتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكنى حرمه وانتم في خير بقعة اعلموا ان مكة حرام ما فيها لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من اضعف العرب ولما اراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم ولم نزل ندعو الناس للإسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما اسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه الكعبة . وقد كنت في هذا العام غازياً نحو العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا

---

(١) لم يكتب اليهم السلام عليكم لانه لا يراهم مسلمين .

(٢) الذي في تاريخ الجبرتي ان الواصل مع عسكر الوهابيين الى مكة هو عبد العزيز بن سعود وان دخولهم اليها كان يوم عاشوراء سنة ١٢١٨ بعد ارتحال الحاج والشريف غالب بيومين قال فولى الشريف عبد المعين اميرا على مكة والشيخ عقيلا قاضياً (انتهى) وفي رسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ان دخولهم مكة كان يوم السبت نصف النهار ثامن المحرم سنة ١٣١٨ وهو الصواب لأنه كان معهم.

عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للإسلام وانقذكم من الشرك وانا ادعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه واطلب منكم ان تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة ثم جلس فبايعه الشريف عبد المعين ثم المفتي ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم (ثم قال) انتظروني بعد صلاة العصر بين الركن والمقام لأبين لكم الدين وشرائط الإسلام ثم انصرف (فلما) كان العصر اجتمعوا فصعد على ظهر زمزم ومعه المفتي فجعل يعلمه وهو يعلم الناس ويقول: اعلموا ايها الناس ان الأمير سعوداً يقول لكم ان الخمر والزنا حرام (الى آخر ما قال) مما لا يجهله أحد (ثم قال) لهم في غد اهدموا القبب والأصنام حتى لا يكون لكم معبود غير الله.

هدم الوهابية القبور والقبب بمكة وحملهم الناس على معتقداتهم سنة ١٢١٨

(وفي الصباح) بادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس بالمساحي فهدموا اولا ما في المعلى من القبب وهي كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي (ص) ومولد ابي بكر وعلي وقبة السيدة خديجة (وفي تاريخ الجبرتي) انهم هدموا ايضاً قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي هي اعلى من الكعبة انتهى وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين فهدموها وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون ويبالغون في شتم القبور ويقولون ان هي الا اسماء سميتموها حتى قيل ان بعضهم بال على قبر السيد المحجوب (واما) اهل مكة فمشوا معهم خوفا فما مضى ثلاثة ايام الا ومحو تلك الاثار (ثم) نادوا بابطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد وان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء من شاء وان يصلي الجمعة المفتي (ثم) امر بإحراق النارجيلات وآلات اللهو بعد كتابة اسماء اصحابها عليها ليعرف من اطاعه ووكل بذلك جماعة من قومه ومنع شرب التتن والتنباك وحمل الناس على ترك الإستغاثة بالمخلوقين وبناء القباب على القبور وتقبيل الأعتاب وغير ذلك مما يرونه بدعة او شركا (وكان) ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع المؤذنين يؤذنون الأذان الأول ويصلون على النبي (ص) ويقولون يا ارحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك اكبر ومنعهم منه (ثم) امر علماء مكة ان يدرسوا عقيدة محمد بن عبد

الوهاب المسماة كشف الشبهات فلم تسعهم المخالفة ثم طلب قبائل العرب الذين حول مكة فبايعوه واخذ منهم اموالا كثيرة زعم انها نكال ووضع في القلعة مأتين من بيشة وامر عليهم فهيدا اخا سالم بن شكبان.

محاصرة الوهابية جدة ورجوعهم عنها

(وارسل) كتابا لأهل جدة يطلب دخولهم في طاعته فأجابوه بأنا رعية الشريف فطاعتنا من طاعته وان اطعناك هل تطلب منا شيئا من المال فأرسل يطلب منهم مائتي الف ريال وستين الف مشخص ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه من يقبض ذلك ثم توجه بجيوشه الى جدة فاستعد له الشريف غالب بالمدافع والقلل فجعلوا يحملون على السور وتشتتهم المدافع فينهزمون حتى قتل منهم خلق كثير فبقوا ثمانية ايام وجعل سعود يشتم عثمان المضايفي لأنه هو الذي اشار بمنازلة جدة ثم ارتحلوا الى بلادهم ولم يدخلوا مكة (وقال) الجبرتي في سنة ١٢١٨ جاءت كتب الى مصر من الشريف غالب وشريف باشا ان الوهابيين جلوا عن جدة ومكة لأنه بلغهم ان العجم زحفوا على بلادهم الدرعية وملكوا بعضها (انتهى) فغزا الشريف غالب اهل الوادي فقتل وأسر وفر اميرها ثم عاد الى جدة. وفي ايام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرق وتنهب في كل ناحية وليس عنده من الجند ما يدفعهم به.

دخول الشريف غالب مكة وخروج الوهابيين منها (سنة ١٢١٨)

(ثم) ان الشريف غالبا عزم على دخول مكة واخراج من فيها من الوهابيين فتوجه من جدة ومعه شريف باشا والي جدة وكثير من العسكر وثلاثة مدافع منها مدفع كبير اهداه له امام مسكت فنزل بالزاهر وارسل العسكر والعبيد فاحاطوا بقلعة جياد وفيها الجند الذي خلفه سعود ودخل الشريف مكة ومعه شريف باشا ولم ينازعه الشريف عبد المعين وبقي الذين في القلعة محصورين ثم هربوا ليلا (واقبلت) هذيل لمبايعة الشريف وطلبوا الأمان لثقيف فلم يعطهم الأمان حتى يفارقوا المضايفي فأظهرت ثقيف ذلك ثم نكثت.. وجهز الشريف عسكراً لمحافظة الزيماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف فأحاطوا بها مع ثقيف وحاصروا عثمان اكثر من شهر وضيقوا عليه فأمده سعود بالجنود فارتحل

المحاصرون الى قرن ثم عادوا الى مكة ثم ارسل الشريف جندا الى قرن فجاءهم جند كثير من قبل عثمان فعادوا الى مكة ودخلت ثقيف في طاعة عثمان فجهز الشريف عليهم عسكراً فقتل منهم واخذ حلتهم ومواشيهم ثم توجه المضايفي وابن شكبان لقتال هذيل الشام فقتلوا من هذيل وسلبوا النساء ثم ارسلوا الى بني مسعود وهم في جبلهم ليتوهبوا فلم يقبلوا ووقع القتال فقتل بنو مسعود من الوهابية نحو السبعمائة ثم صعد الوهابية الجبل وقتلوا من ادركوه ثم نزلوا ونادوا بالامان فعاد اليهم من بقي من بني مسعود فأخذ منهم ابن شكبان غرامة شيئاً كثيراً. ثم غزا المضايفي الاشراف بني عمر واهل اللفاع وقامت الحرب بينهم حتى قتل من الاشراف ستة وعشرون ونهبوهم وسلبوا نساءهم حتى جردوها من الثياب فطلبوا الامان وتوهبوا ثم اقبل المضايفي وابن شكبان لحصار مكة فلما وصلوا السيل نهبوا كل ما في طريقهم من المواشي واقتسموه وكان امير الحاج الشامي سليمان باشا مملوك احمد باشا الجزار فطلب منه الشريف غالب ابقاء طائفة من العسكر لحماية البلد الحرام ويقوم الشريف بلوازمهم فأبى ثم قبل بواسطة امين الصرة ان يبقي مائة وخمسين مع مائة وخمسين جملا بما عليها من لوازم القتال.

محاصرة الوهابية جدة ثانياً ورجوعهم عنها

ثم دخلت سنة ١٢١٩ وفيها في المحرم اقبل ابن شكبان والمضايفي باثني عشر الف مقاتل لحصار جدة فأراد الشريف غالب تحصين مكة لعلمه بعدم قدرتهم على جدة فنادى بالنفير العام فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح وبقوا هناك سبع ليال اما الذين حاصروا جدة فبقوا ثلاثة ايام يحملون عليها حملة واحدة فيفرقهم المدفع ويقتل منهم فينهزمون الى خيامهم حتى قتل الكثير منهم وامتلأت الحفر والقنوات من جيفهم وكانوا يدفنون العشرة والعشرين في محل واحد فلما رأوا ذلك ارتحلوا وقتل عثمان في طريقه حياً من الاعراب واخذوا ابلا للشريف غالب فجهز الشريف جيشاً الى الليث من طريق البر بقيادة بعض الاشراف مع مائة من خيل الاتراك بقيادة حسين آغا وجيشاً من طريق البحر معه عشرة من الداوات الكبار مشحونة بالذخائر والمدافع الكبار بقيادة مفرح آغا عتيق الوزير ريحان فوصل جيش البحر الى الليث واطاعه اهله بغير قتال وتلاه جيش البر وبعد ثلاثة ايام هجم عليهم اربعة الاف من

الوهابية فكانت ملحمة عظيمة انجلت عن انهزام الوهابية وقتل كثير منهم واستشهد الشريف حسن امير الجيش البري وجمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وارسلها الى الشريف فعلقت خارج مكة وهرع الناس للنظر اليها ثم جهز الشريف جيشاً الى الليث فلم يجدوا فيها احداً ثم جهز جيشاً آخر فيه من الاتراك نحو مأتين وخمسين فارساً وامرهم ان يقيموا بالمدرة مرابطين فبقوا فيها ثلاثة اشهر وتغير الهواء على الاتراك فمرضوا ورجع الكثير الى مكة ولم يبق الا اربعون فهجم عليهم المضايفي بغتة باربعة آلاف مقاتل ونصر الله الاربعين على الاربعة آلاف فهزموهم وقتلوا فيهم قتلا ذريعاً حتى وصلوا الى الزيماء هاربين وارسل الشريف خلفهم مائتين من الخيل فلم تلحقهم وانعم الشريف على اولئك الاربعين (وجاءت الاخبار) ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس فتنهب اذا سنحت لها الفرصة من بادية الحرم فأرسل الشريف سرية فيها اربعة عشر فارسا وعشرون رامياً فوصلوا الى المغمس فلم يجدوا احداً فلما اقبلوا على سولة رأوا ما ينوف عن خمسمائة فوقع الحرب بينهم وانتصر ذلك العدد القليل على الوهابية فأفنوا الكثير منهم وهزموهم هزيمة قبيحة وغنموا منهم وعادوا الى مكة ومعهم الرؤوس على الرماح .

استيلاء الوهابية على ينبع سنة ١٢١٩ واخراجهم منها

ثم أن بداي شيخ حرب وقومه توهبوا وحاصر هو وابن جبارة شيخ جهينة ينبع وارسلا ابراهيم الرويتي الى وزيرها محمد الحجري فخدعه وخوفه وصعب عليه الامور ولم يكن عنده دراية بالحرب فطلب الامان ولولا ذلك لم يقدروا عليه فدخلوا ينبع وقتلوا اهلها وتوجه وزيرها الى جدة في البحر ثم اتى مكة ورمي عند الشريف بالخيانة فصلبه وتوجه الشريف الى جدة وجهز عشر داوات كبارا بالذخائر والعساكر نصفها من عسكره ونصفها من الترك وفي ايام اقامته بجدة وصلها ابراهيم الرويتي فوجد معه اوراقاً من بداي يفسد بها الرعية فأمر بصلبه فصلب ثلاثة ايام واستولى الجند المرسل الى ينبع عليها بعد قتال ثلاثة ايام وقتلوا اصحاب ابن بداي قتلا ذريعاً .

محاصرة الشريف غالب الطائف وحروبه مع الوهابية

ثم توجه الشريف غالب بعسكر عظيم وحاصر المضايفي في الطائف عشرة ايام ثم عاد الى مكة وجاء عبد الوهاب ابو نقطة من قواد الوهابية الى ارض اليمن حتى وصل الليث بجند كثير فخرج الشريف بجنوده الى قتاله حتى اتي السعدية فوجد فيها جنود الوهابية والتحم القتال فكان النصر اولا للشريف ثم انتصر الوهابية وقتل من الفريقين نحو الالفين لكن القتلى من الوهابية اكثر ثم انهزموا ولحقتهم خيل الشريف ثم عادوا الى مكة ووصل المضايفي وابن شكبان الى الزيما بجنود كثيرة ثم اتوا عرفة ودخل في دينهم بعض قريش وهذيل وقتلوا من لم يطعهم او اسروه وهدموا عين زبيدة فقل الماء بمكة ثم انتقل كثير منهم الى وادي مر وجعلوا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة .

وجاء الحاج الشامي والمصري من طريق جدة وحج الناس ولم يحج احد من الحجاز بسبب هذه الفتنة .

محاصرة الوهابية مكة سنة ١٢١٩

وقام الاعراب بمحاصرة مكة من جميع الجهات وكلم الشريف امير الحاج الشامي ابراهيم باشا والي الشام ان يخرج لقتال الوهابية فأبى فطلب منه جمالا وعسكراً لاحضار القوت والذخيرة من جدة فوعد ثم اخلف (وجاء) ليلة خمسة فوارس وهو مقيم بالزاهر فصاحوا في اطراف العسكر وكبروا فخاف خوفاً شديداً وكاتب المضايفي وصار يأتيه بعض الوهابية فيكرمهم ثم سافر فجر العشرين من ذي الحجة واخذ معه العسكر الذي كان ابقاه امير الحاج الشامي في السنة الماضية ولم يأذن له المضايفي في الرحيل حتى دفع له مأتي كيس فسكن الشريف روع اهل البلد وقام بحفظه بمن معه من الاعوان وترسه من الجوانب الاربعة .

اشتداد الغلاء بمكة عام ١٢١٩

واشتد الغلاء والجوع لانقطاع الطرق وابتدأ من اواخر ذي الحجة سنة ١٩ واستمر الى ذي القعدة سنة ٢٠ فبلغت كيلة القمح والرز مشخصين والزبيب ثلاث ريالات ورطل السكر والشحم والزيت ريالين والبن واللحم والتمر ريالا والسمن ريالا ونصفا وباع

اهل مكة جميع ما يملكونه بابخس الاثمان ثم عدمت الأقوات بالكلية واكل الناس الأدوية كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحمر وشربوا الدم واكلوا الجلود والسنانير والكلاب وكل حيوان (وكاتب) جملة من الناس المضايفي وانسل بعضهم اليه ليلا وكاتبه بعض شيوخ العبيد الذين بيدهم القلعة فبلغ ذلك الشريف فسجن جماعة وقتل ببعض شيوخ العبيد ودخل كثير من الأشراف في طاعة الوهابي.

تشديد الوهابية الحصار على مكة

وفي المحرم سنة ١٢٢٠ ارتحل الوهابيون الذين بالوادي الى اطراف مكة فقاتلهم العبيد الذين في الأبراج حول مكة من الظهر الى الغروب وقتل من الوهابيين سبعة فتوجه الوهابيون الى الحسينية واخذوا مواشيها وقتلوا من اهلها احد عشر رجلا وتوجهوا الى العابدية لأنه بلغهم ان العبيد تركوا الأبراج وجاؤوا الى مكة لطلب الزاد فبلغ ذلك الشريف فاعادهم في الحال وامدهم بمثلهم فسبقوا الوهابيين اليها ثم ارتحل المضايفي وابن شكبان بعدما بنوا حصناً بالمدرة وتركوا فيه حامية وكان قد بايعهم اكثر العربان الذين باطراف مكة فامروهم بقطع الجلب عن مكة فاجتهد الشريف في جمع الجمال وارسلها الى جدة لتأتي بالأقوات ومعها مائة فارس وعدد غيرهم وخرج معهم كثير من اهل مكة فرارا من الجوع حتى بلغ كراء الجمل سبعين قرشاً الى ثمانين وبلغ الشريف خروج بعض الوهابية عليهم فأمدهم بمائة فارس وجاء الخبر أن الذاهبين أولا خرج عليهم ثلاثة فرسان كانوا جواسيس ثم ظهر نحو عشرين فقتلوا بعضهم وفر الباقون ولما بلغوا المنتجى وهو جبل وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم الى جدة ووردت اغنام الى جدة فنهبها الوهابيون ثم رجعت القافلة الى مكة وبلغ كراء البعير ثلاثين ريالا ثم اعاد الشريف القافلة الى جدة مخفورة فذهبت وعادت سالمة ثم اعادها ثالثاً ورابعاً وخرج معها في المرة الرابعة من اهل مكة نحو ثلاثة الاف ثم انقطع الطريق بالكلية واحاطت الوهابية بمكة من جميع جوانبها فبقوا على ذلك شعبان ورمضان ثم ارسل الشريف جيشا على قوم من لحيان توهبوا فقتل منهم ثلاثة واخذ خمسين بعيرا وفر الباقون (ثم) جهز جيشاً على المناعمة والمطارفة فولوا هاربين وغنموا منهم ثم جهز جيشاً مكمل العدة ومعهم مدفع كبير على حصن المدرة وفيه جماعة من

الوهابية فاحاطوا به ورموه بالقنابل وجاء مدد لمن فيه فطردهم عسكر الشريف وارسل لهم الشريف مدفعاً آخر وجاء قوم يريدون دخول الحصن فقاتلهم العسكر فانهزموا ثم هجموا على الحصن ووصل الترك الى بابه فوجدوا عليه عشرة فقتلوا ستة وفر اربعة وامدهم الشريف بمأتين مع مدفع ثم بلغهم ان المضايفي امد اهل الحصن بثلاثة آلاف فعملوا متاريس فلما اقبلوا رموهم بالمدفع وقاتلوهم الى آخر النهار فقتل من جيش المضايفي نحو الخمسين ولم يقتل احد من جيش الشريف وفي الليل اشار عليهم بعض من خالطه الخوف بالعود الى مكة فعادوا فأدركتهم خيل الوهابية قبل دخول مكة ففر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف عشرة ومن الوهابية جماعة من المشهورين وغنم عسكر الشريف منهم خيلا .

ثم وصل سالم بن شكبان الطائف بخمسمائة واستقبله المضايفي وخيموا قرب جبال بني سفيان وارسلوا اليهم وتهددوهم فاطاعوهم خوفا وجاءت مشائخهم الى المضايفي وابن شكبان فطوقوهم بالحديد ووضعوا على كل سفياني عشرين ريالا واخذوا سلاحهم فلما سمعت هذيل طلبت الأمان وحملت ما طلبوه من المال فقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا اهل مكة المشركين وانزلوا من جبالكم واسكنوا تهامة وامنعوا القوت عن مكة فبلغ ذلك الشريف فأمر ببناء ابراج في الحسينية ثم ارتحل ابن شكبان والمضايفي (وبلغ) الشريف ان الوهابية تريد اخذ القافلة الواردة من جدة فجهز جيشاً لحمايتها واصبح الجيش بالركابي فما ملؤا القرب حتى جاءهم الوهابية ووقع القتال على ظهور الخيل وصعد ثلاثون من عبيد الشريف على جبل وجعلوا يرمون بالبنادق فقتلوا عدة وانهزم الوهابيون وقتل اميرهم وقتل منهم جماعة مع ثمان من الخيل ونهبت بعض خيلهم ثم احاط جماعة منهم بالعبيد الذين في الجبل ووقع بينهم القتال فقتل من الوهابيين سبعون ومن العبيد خمسة وعشرون وسلمت القافلة ثم جمع سعود امراءه منهم عبد الوهاب ابو نقطة امير عسير وسالم ابن شكبان ا. . بيشة وعثمان المضايفي امير الطائف وغيرهم وامرهم بحصار مكة من جميع الجهات ومنع الأقوات عنها .

فجاء المضايفي بخمسة آلاف وخيم في المضيق وارسل عشرين فارسا يركضون فكبروا وطلبوا البراز فطلبتهم خيل الشريف ففررا .

محاصرة الوهابيين جدة وقطعهم الطرقات عنها وعن مكة (واشتداد الغلاء سنة ١٢٢٠)

ثم قصد جدة واحاطوا بالسور ومعهم السلالم والمعاول فابعدتهم حامية السور بالبندق والمدفع وقتلوا كثيرا منهم فانهزموا ثم ارتحلوا الى المدرة وطلب المضايفي باقي العربان ورتبهم لقطع الطرقات طريق جدة واليمن ووادي نعمان وحصن المدرة وانتقل هو واصحابه الى طريق جدة يقتلون ويأسرون من يمر بهم من الحجاج وغيرهم وينادونهم يا مشركون ثم امر اربعين من هذيل ان يكونوا بين مكة والحسينية يقطعون الطريق فأخذوا اربعة من اصحاب الشريف ومنعوا الناس من الإعتمار من التنعيم وقتلوا بعض المعتمرين عند الزاهر ثم ارتحل المضايفي من طريق جدة الى الحسينية فجهز الشريف جماعة فالتقوا بهم باسفل مكة ووقع القتال فانهزم الوهابيون وقتل منهم جماعة وقتل من جماعة الشريف السيد فواز الحسيني امير المدينة وعاد اصحاب المضايفي الى الحسينية فحاربوا من فيها يومين وملكوها وارسل المضايفي يبشر سعوداً بذلك وجاء ابن شكبان بزهاء خمسة آلاف وابو نقطة بنحو عشرة آلاف فتكاملوا في الحسينية ثلاثين الفا فاشتد الكرب على اهل مكة وزاد الغلاء حتى بلغت الكيلة من القمح والرز مشخصين ومن الزبيب ثلاث ريالات ورطل السكر والشحم والزيت ريالين والسمن والعسل ريالين ونصفا والتمر والبن ريالا واللحم نصف ريال والتنباك ستة ريالات ونصفا ونفدت النقود فاشتروا بالأثاث والحلي وباعوا ما قيمته مائة بعشرة واشتروا ما قيمته عشرة بمائة واكلوا الجلود البالية والمطاط بعد حرقها بالنار والسنانير والكلاب وكل حيوان وشربوا الدم واكلوا نباتا يسمى الأخريط فاثر فيهم ورماً ثم يموتون وفنيت الأقوات فأكل الناس العقاقير والأدوية كما فعلوا سنة ١٢١٩ ومات كثير بالجوع وبعضهم مات وهو يمشي وترى الأطفال موتى في كل زقاق فهرع الناس الى الحسينية من الطرق الصعبة خوفاً من السطوة بهم فمنهم قتل ومنهم مات جوعاً ومنهم وصل محمولا ولم يبق بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول عند الصلاة في المسجد الحرام واغلقت الحوانيت.

صلح الوهابية مع الشريف غالب سنة ١٢٢٠

وجاء من الحسينية عبد الرحمن بن نامي احد علماء الوهابية وتذاكر مع الشريف في

الصلح على ان يأذن لهم في الحج ثم يرجعوا لبلادهم ويدخل الناس في الطاعة ويكون حكم مكة للشريف وشرط عليهم اعادة الحسينية وغرامة ما ذهب فيها من نفوس واموال وغير ذلك مما رأى فيه الصلاح والرفق باهل مكة وان يخبروا سعودا بالصلح وينتظروا الجواب فدخلوا مكة وعاد اليها اهلها وتنازلت الاسعار وحج الوهابية وجعلوا يركضون في الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ووصل الحاج الشامي واميره عبد الله باشا ومعه قوة زائدة عن العادة نحو الف وخمسمائة خيال وقال سعود (١) لاميري الحاج الشامي والمصري ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها يعني المحمل فقالوا جرت العادة بذلك علامة لاجتماع الحجاج فتوعدهم بتكسيرها ان جاؤوا بها ثانيةً وشرط ان لا يأتوا بالطبل والزمر واقام الوهابيون الى حادي عشر المحرم سنة ١٢٢١ ثم ارتحلوا واصيبوا مدة مقامهم بمكة بالجدري فمات كثير منهم حتى صاروا يدفنون في الحفرة الواحدة جماعة وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة يؤجرون انفسهم لأهل مكة للاحتطاب وحمل القمائم ونزح المراحيض وغير ذلك (وفي افتتاح هذه السنة) وجه الشريف عماله على الأقطار فارسل وزيرا الى ينبع وارسل مأتين من الأتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة ورتب امورها وامر بإصلاح السور وعمارة الخندق وبناء برج على باب البوغاز المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسى ان قصده عنوة (ثم) وصل من الدرعية عشرون رجلا فيهم حمد بن ناصر احد علمائهم وكان الشريف بجدة فاعطوه كتبا من سعود فيها اتمام امر الصلح ونزل حمد الى مسجد عكاش وجمع الناس وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر فيها المسلمين وقبل الشريف بمنع جميع الأمور التي يعتقد الوهابية منعها مرغما على ذلك فأمر بهدم القباب وترك شرب التنباك وعدم بيعه وبدخول الناس المسجد عند سماع الأذان لصلاة الجماعة وبتدريس رسائل ابن عبد الوهاب وترك تكرير الجماعة في المسجد الحرام والاقتصار على الأذان في المنائر وترك التسليم والتذكير والترحيم وابطل ضرب نوبته ونوبة والي جدة

---

(١) وقال الجبرتي ان سعوداً في سنة ١٣٢٢ توعد بحرق المحمل ان جيء به ثانياً وصاحب خلاصة الكلام قال ان ذلك كان سنة ٢٠ كما سمعت مع انه لم يظهر من كلامه ان سعودا حج تلك السنة بل ظاهره انه لم يحج.

فتوجـه حمد بن نـاصر الى الـدرعيـة يخبرهم بـذلك وارسل الشريف معـه رسـولا فـرجع بالجواب والشريف باق بجدة فاعاد الجواب لهم وفي مدة غيابه في جـدة وقعت فتنـة بين الاتراك والعبيد فحضر الى مكة واطفأها وعاقب من كان سببها فلما بلغ خبرها المضايفي فـرح وذهب من الطـائف الى الـدرعيـة ليخبر سعـودا بـذلك ويشنع على الشريف فلم يصادف قبولا عند سعود فرجع وامر العربان بقطع الطرق مشاقة للشريف وكان سعـود اعطاه امارة العربان فارتفعت الاسعار بمكـة لانقطـاع الطـرق فـاخبر الشريف سعـودا بذلك فارسل الى عثمان ومنعه فعاد الأمن وتراخت الأسعار ثم امر الشريف ببنـاء حصن على رأس جبل الهندي وحصنه بالرجـال والـذخـائر وكـان مـدة استيـلائهم على مكـة يصانعهم ويهدي لهم الأموال الجزيلة وكانت هـدايـاه تصل الى اكثـر امـرائهم وعلمائهم واعوانهم محافظة على نفسه وعلى اهل مكة وكـان سعـود وكثير من امـرائهم يحجـون كل سنة بجنود كثيرة فيكرمهم الشريف ويهيء لهم الضيافات الكثيرة ومع ذلك كان يكاتب الدولة العثمانية سراً ويحثهم على تعجيل تجهيز العساكر لانقاذ الحرمين من الوهابية .

وفي خلاصة الكلام في هذه السنة كان امير الحاج الشامي عبـد الله بـاشـا فلما وصل منزل هدية جاءه من الوهـابي لا تأت الا على مـا شرطنـا عليك في العـام الماضي فـرجع الحاج من هدية ولم يحجوا اما المحمل المصري فأمر سعود بإحراقـه ونـادى منـاديـه بعـد انقضـاء الحج ان لا يأتي الى الحرمين بعـد هـذا العـام من يكـون حليق الـذقن وتـلا في المناداة : ﴿يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجـد الحرام بعـد عـامهم هذا﴾ فانقطع مجيء الحاج الشامي والمصري من هذا العام (١) .

نهب الوهابية ذخائر الحجرة النبوية وهدم القباب بالمدينة المنورة سنة ١٢٢١

وفيها اخذ الوهابي كلما في الحجرة النبوية من الأموال والجواهـر وطـرد قـاضيي مكـة والمدينة واقام لقضاء مكة الشيخ عبد الحفيظ ولقضاء المدينة بعض علمائها ومنعوا الناس

---

(١) هذا يدل على انه منع غير الوهابيين من الحج مطلقا ويدل عليه كلام بعض المؤرخين لأنه يرى ان جميع من ليس وهابيا مشركون وممن صرح بأن سعودا منع الناس عن الحج محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد على ماحكي عنه وهو غير متهم في حق الوهابيين .

من زيارة النبي (ص).

وقال الجبرتي لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة هدموا القباب التي فيها وفي ينبع ومنها قبة ائمة البقيع بالمدينة لكنهم لم يهدموا قبة النبي (ص) وحملوا الناس على ما حملوهم عليه بمكة واخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها حتى انهم ملؤا اربع سحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك اربع شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة ماس تضيء في الظلام ونحو مائة سيف لا تقوم قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها ماس وياقوت ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك ونصلها من الحديد الموصوف وعليها اسماء الملوك والخلفاء السالفين وطرد الوهابية اغوات الحرم والقاضي الذي كان قد توجه لقضاء المدينة واسمه سعد بك وخدام الحرم المكي وقاضي مكة فتوجه مع الشاميين.

وقال الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٢ في هذه السنة اخبر الحجاج المصريون انهم منعوا من زيارة المدينة المنورة.

انقطاع الحج من مصر والشام والعراق

قال العلامة السيد جواد العاملي في حوادث سنة ١٢٢٢ انه تعطل الحج ثلاث سنين كما مر فيكون ابتداء انقطاعه من العراق سنة ١٢٢٠ وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٣ ان منها انقطاع الحج الشامي والمصري (اقول) وكان ابتداء انقطاع الحج من الشام في سنة ١٢٢١ ومن مصر في سنة ١٢٢٢ كما مر فيظهر ان الحج انقطع من العراق اربع سنين ومن الشام ثلاث سنين ومن مصر سنتين ولا يعلم هل انقطع بعد ذلك او لا.

هجوم الوهابيين على سورية سنة ١٢٢٥

عن تاريخ الأمير حيدر الشهابي انه في هذه السنة هجم عبد الله بن سعود الوهابي على بلاد حوران فنهب الأموال واحرق الغلال وقتل الأنفس البريئة وسبى النساء وقتل الأطفال وهدم المنازل وعاث في الأرض فساداً حتى قيل انه اتلف في تلك البلاد ما قيمته ثلاثة آلاف الف درهم.

وفي خلاصة الكلام انه في هذه السنة ارسل الوهابيون جيشا الى ناحية الشام فتوجه يوسف باشا المعدني الى جهة المزيريب وحصن قلعتها واستعد لهم بجيش وحاربوهم وطردوهم.

الفصل الثالث

في محاربة محمد علي باشا للوهابيين

ونقل ذلك من تاريخ الجبرتي وخلاصة الكلام في امـراء البلـد الحرام لأحمد بن زيني دحلان.

في سنة ١٢١٨ ارسلت الدولة العثمانية الى محمد علي باشا والي مصر ان يـرسل اربعـة آلاف عسكري الى الحجاز لمحاربة الوهابية وانهم ارسلوا من جهة بغداد اربع بشوات مع العساكر وارسلوا الى احمد باشا الجزار والي عكا بـالتـوجـه لمحـاربتهم وفي سنتي ١٢٢٢ و٢٣ ارسلت تحثه فاعتذر بان هذا الامر لا يتم بالعجلة ويحتاج الى الاستعـداد وفي سنـة ١٢٢٤ ارسلت له بذلك وان يوسف باشـا المعـدني تعين للسفـر الى الحرمين عن طـريق الشام وسليمان باشا والي بغداد تعين للسفر من ناحيتـه على الـدرعيـة وفي سنـة ١٢٢٥ حضر عيسى اغا من قبل الدولة العثمانية الى الاسكندريـة ومعـه مهمات وآلات مـراكب ولوازم حرب لسفر الحجاز ومحاربة الوهابية وفي سنة ١٢٢٦ اهتم محمد علي بـاشـا بأمـر الحجاز وارسال العساكر اليه فسافر الى السويس وحجـز المراكب وكـان عمل قبل ذلك مراكب بالسويس لهذا الغـرض وامـر بعمل مـراكب كبـار لحمل الخيـول ثم قلـد ابنـه طوسون باشا ساري عسكر الحجاز وعسكروا خارج مصر (١) ثم سافر طوسون في شهر رمضان من هذه السنة مع قسم من العسكر عن طريق البحر ومعه رئيس التجار السيد محمد المحروقي واوصـاه ابـوه بـالأخـذ بـرأيـه ومن العلماء الشيخ المهـدي والسيـد احمد الطحطاوي وسافـر القسم الاخـر من العسكـر عن طـريق البر وكـان الشريف غـالب يراسل محمد علي باشا ويعده معاونة عساكره والمذكور ايضا يراسله فلما وصلت العساكر البحرية الى ينبع البحر لم يعطـوهم مـاء ومنعهم المرابطـون عنـد العين ورمـوا عليهم من القلعة بالمدافع والرصاص فاحاطوا بها وضربوا عليها بالقنابل وصعدوا اليها بالسلام غير

(١) وبهذه الواسطة احتال على امراء المماليك المصرية وقتلهم فإنه عمل موكباً عظيما لتجهيز العساكر وخروجها الى الحجـاز حضره امراء المماليك وكان قد اسر الى بعض امرائه بقتلهم فلما توسطوا الموكب اغلقوا الأبواب امامهم ووراءهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من لم يحضر فبقي شريدا وصفت له مملكة مصر بقتلهم لأنهم كانوا امراءها و ينازعونه الملك.

مبالين بالرصاص النازل عليهم فملكوها وقتلوا من بها سوى سبعة هربوا على خيولهم منهم وزير الشريف ونهبت ينبع وسبيت نساؤها على رواية الجبرتي وارسل بعض الرؤوس الى مصر ووصلت العساكر البرية الى المويلح ثم اجتمعت بعساكر البحر واخذوا ينبع البر بلا قتال وأتتهم العربان افواجا فخلع عليهم طوسون ثم ملكوا قرية السويق قرية ابن جبارة وفر هاربا (واجتمع) جماعة من كبار الوهابية فيهم عبد الله ابن سعود والمضايفي في نحو من سبعة آلاف فارس عدى الرجالة وقصدوا تبييت العسكر فنذر بهم وخرج اليهم شديد شيخ الحويطات بفرسانه وطائفة من العسكر فوافاهم قبل شروق الشمس ووقع القتال والوهابية ينادون هاه يا مشركون فانهزمت الوهابية وغنموا منهم سبعين هجيناً وكانت الحرب بقدر ساعتين ثم انتقل العسكر الى الصفراء والجديدة واجتمع مع الوهابية كثير من قبائل العرب فوقع القتال ثالث عشر ذي القعدة ووجد العسكر المصري متاريس فحاربوا عليها حتى اخذوها وصعدوا الى الجبال فهالهم كثرة جيش الوهابية وسارت الخيل في مضيق الجبال وبقيت الحرب في اعاليها يوما وليلة فلما شعر السفلانيون الا والذين في الأعالي هابطون منهزمين فانهزموا جميعا وتركوا خيامهم واثقالهم وساروا طالبين السفن التي كانوا اعدوها بساحل البريك احتياطا ووقع في قلوبهم الرعب وظنوا ان الوهابيين في اثرهم والحال انهم لم يتبعوهم فازدحموا على السفن وذهب كثير منهم مشاة الى ينبع البحر ورجع طوسون وخاصته والخيالة الى ينبع البحر فبقوا فيها خمسة وعشرين يوما وبعد الأذن من محمد علي باشا حضر طوسون ومن معه الى مصر ومعهم العلماء والمحروقي في اوائل سنة ١٢٢٧ فسخط محمد علي باشا على العسكر وطرد الذين جاؤوا بغير اذن ولم يثنه ما وقع عن عزمه وشرع في تجهيز جيش آخر فبعث عسكرا من طريق البحر مع خزنداره الملقب بونابرته وامره ان يكون هو وطوسون في ينبع لمحافظتها وارسل عسكرا مع صالح اغا الى ينبع عن طريق البر وسافر عدة من عسكر المغاربة والعثمانيين الى ينبع وجاءت عساكر كثيرة من الاتراك وعينت للسفر وقام هو بلوازمهم وصار يوالي ارسال العساكر برا وبحرا واظهر العزم على السفر بنفسه الى الحجاز فاجتمعت العساكر في ينبع ومعهم صناديق الأموال فأخذوا في تألف العربان واستمالتهم بالمال واستولت عساكر الأتراك على عقبة الصفراء والجديدة بدون حرب بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب وتدبير شريف مكة الذي كان يكاتبهم سرا ويكاتبونه

ويعملون بتدبيره ولم يجدوا بها احدا من الوهابيين ثم وصلت عساكر الأتراك الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها ثم ان كبراء العرب الذين استمالوهم ومنهم شيخ الحويطات اخبروا ان الهزيمة السابقة كانت من مقاتلة عرب حرب والصفراء المتوهبين وانهم مجهودون والوهابية لا يعطونهم شيئاً ويقولون قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلت لهم الأموال صاروا معكم وملكوكم البلاد فارسل محمد علي بعض امرائه ومعه صناديق الأموال والكسوة واشاع الخروج بنفسه واستمر على ارسال النجدات وهو معسكر خارج باب النصر دائب على تعليم العساكر يومي الاثنين والخميس فوصل الأمير ينبع البر وذهب شيخ الحويطات وجماعة الى شيخ حرب ولم يزالوا به حتى وافقهم وجاؤوا به اليه فأكرمه وخلع عليه وعلى شيوخ العربان فالبسهم الفرو والكسوة وشالات الكشمير وصب عليهم الأموال واعطى شيخ حرب مائة الف ريال فرانسة فرقها على عشيرته وخصه بثمانية عشر الف ريال ورتب لهم العلوفات والمؤن ونقودا في كل شهر فادخلوهم المدينة المنورة فأخرجوا من فيها من الوهابية واستولوا على قلعتها ونزل متولي القلعة من قبل الوهابية واسمه مضيان او ابن مضيان على حكمهم فأرسلوه الى مصر فارسله محمد علي الى اسلامبول فقتلوه وعلقوه على باب السراية وجاء جماعة الى مصر معهم مفاتيح المدينة فزينت مصر وارسل محمد علي المفاتيح الى اسلامبول وارسل البشائر الى كافة بلاد الإسلام (وحج) سعود في هذا العام ثم رجع الى بلاده مسرعا وكاتب الشريف العساكر الذين في ينبع فحضرت منهم طائفة الى جدة من طريق البحر في المحرم سنة ١٢٢٨ وملكوها بدون قتال وكان في قلعة مكة جماعة من الوهابية يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول العساكر الى جدة هربوا ليلا وتوجه بعض عسكر جدة الى مكة فاكرمهم الشريف ولما بلغ ذلك وهابية الطائف استولى عليهم الرعب فهربوا مع اميرهم المضايفي ووصلت البشائر الى مصر فزينت خمسة ايام وارسل محمد علي بشيراً الى اسلامبول اسمه لطيف اغا فتلقاه اعيان الدولة في موكب عظيم ومعه مفاتيح زعموا انها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف وقد وضعوها على صفائح الذهب والفضة امامها البخور في مجامر الذهب والفضة وخلفها الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع وانعم عليه السلطان وكبراء الدولة وسمي لطيف باشا وانعمت الدولة على محمد علي واهدته خنجرين وسيفا مجوهرة وعدة اطواخ بالباشوية لمن يريده وسأل الشريف مفتي المالكية

الشيخ عبد الملك القلعي هل جعلتم تاريخا لانقضاء مدة الوهابية فقال (قطع دابر الخوارج) ١٢٢٧ وارسل محمد علي باشا ولده اسماعيل باشا الى اسلامبول بالبشارة فاكرمته الدولة ثم عاد الى مصر وبعد استقرار العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية القريبين من الطائف حتى قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جموعهم .

القبض على المضايفي

ثم قبضوا على المضايفي بناحية الطائف وكان قد جرد على الطائف فبرز اليه الشريف غالب مع عساكر الأتراك والعربان ووقعت الحرب واصيب جواده واصابته جراحة فنزل الى الأرض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه وارتفعت الحرب بنزوله ثم خرج عنهم وسار نحو اربع ساعات فصادفه جند الشريف فقبضوا عليه فجعل الشريف في عنقه زنجيرا وكان المضايفي زوج اخت الشريف فاستاء منه وانضم الى الوهابيين فكان اعظم اعوانهم وهو الذي كان يحارب لهم ويجمع قبائل العرب ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا وهو الذي فتح الطائف وهو المحارب مع عرب حرب بناحية الصفراء الذي هزم عساكر طوسون وشتتهم كما مر وكان فصيحاً متأنيا في الكلام عليه آثار الإمارة ومعرفة مواقع الكلام ثم ارسلوه الى جدة ومنها الى مصر والزنجير في عنقه (وجاءت) البشارة الى محمد علي بالقبض على المضايفي وقد تهيأ للسفر الى الحجاز فوصل جدة في اواخر شوال سنة ١٢٢٨ وكانوا ارسلوا المضايفي فلم يره وبعد وصول المضايفي الى مصر بثلاثة ايام ارسلوه مع ابن مضيان الى اسلامبول فطافوا بهما فيها ثم قتلوهما .

ولما وصل محمد علي باشا الى جدة واجتمع بولده طوسون حضر الشريف غالب لمقابلته وجاءته رسل سعود الوهابي فقالوا الامير سعود يطلب الإفراج عن المضايفي ويفتديه بمائة الف ريال فرانسية ويريد الصلح فقال اما المضايفي فارسل الى اسلامبول واما الصلح فلا نأباه بشرط دفع كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الحرب الى اليوم وارجاع كل ما اخذه من ذخائر الحجرة النبوية ودفع ثمن ما استهلك منها وان يأتي الي لأتعاهد معه ويتم صلحنا وان ابى فنحن ذاهبون اليه فقالوا اكتب له كتابا فقال لا اكتب لأنه لم يرسل معكم كتابا فكما جئتم بمجرد الكلام فعودوا به فلما ارادوا الانصراف جمع العساكر ونصبوا ميدان الحرب والرمي من البنادق والمدافع ليرى الرسل ذلك .

ثم توجه محمد علي الى مكة فاحتفل به الشريف غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته

وإكرامه مع شدة التحذر منه وانزله وولده طوسون كلا في دار كان الباشا يعظم الشريف غاية التعظيم ويقبل يده وتعاهد معه في جوف الكعبة على الوفاء وعدم الخيانة من الطرفين ومن تحذره منه ان حسن له توجه العساكر من جدة الى الطائف بدون دخول مكة لئلا يحصل ضيق في الماء لكثرة الحاج ففعل ولم يكن مع الباشا في مكة من العساكر الا قليل وكان عند الشريف عساكر مُوظفون نحو الألفين متفرقين قلقات في اطراف مكة ومن العبيد نحو الألف في القلاع ولكن اذا جاء القدر لم ينفع الحذر.

القبض على الشريف غالب

وكان محمد علي باشا مأمورا من السلطنة بالقبض على الشريف غالب فتحير في ذلك لتحذر الشريف منه ولما بينهما من العهود فرأى ان يقبض عليه ابنه طوسون تخلصا من خلف العهد بزعمه فأظهر ان بينه وبين ابنه منافرة وذهب ابنه لجدة مظهرا انه مغاضب لابيه وكتب الى الشريف ان يشفع له عنده ففعل فكتب الشريف اليه بالحضور فحضر وذهب الشريف للسلام عليه وليأخذه الى ابيه فلما وصل الى بيت طوسون وجد اكثر العساكر مجتمعة فلم ينكر ذلك لظنه انهم جاؤوا للسلام فدخل على طوسون وتفرق اتباعه في الدهليز وقبل طوسون يده وعظمه ومنع الناس من الدخول على العادة ثم دخل عابدين بك من كبار العسكر فقبل يد الشريف وقبض على الجنبية ليأخذها من وسطه وقال انت مطلوب للدولة فلم يجد بداً من التسليم فقال سمعاً وطاعة اقضي اشغالي في ثلاثة ايام ثم اتوجه فقال لا سبيل الى ذلك وادخلوه الى بيت آخر ولا يعلم احد بشيء وذلك في اواخر ذي القعدة من سنة ١٢٢٨ ومكة مملوءة بالحجاج وارسل طوسون الى ابيه يعلمه بذلك فاستشار الشيخ احمد تركي الذي كانت هذه الحيلة بتدبيره وهو مطوف ذو عقل ودهاء وكان من المختصين بالشريف ويعتمد عليه في المهمات ويبعثه الى دار السلطنة فلما قدم محمد علي الحجاز جعله ملازماً له فوجده محمد علي ذا خبرة ودراية فقربه وصار يستشيره ولما رجع الى مصر امر نائبه بمكة باستشارته فقال ان الشريف له ثلاثة اولاد كبار فيخشى ان يحدثوا فتنة والقلاع بايدي عبيدهم وعندهم عساكر موظفة فلا بد من الاحتيال للقبض عليهم فذهب الشيخ احمد الى الشريف غالب وقبل يده وقال افندينا يسلم عليكم ويقول لا تهتموا والقصد ان تقابلوا مولانا

السلطان وترجعوا الى ملككم ويكون مدة غيابكم احد اولادكم نائبا عنكم فاطلبوهم واخبروهم بالحقيقة ليطمئنوا فصدقه وامر بكتابة ورقة لهم ليحضروا وختمها فحضروا وقبض عليهم وقيل بل ارادوا الحرب لما علموا فتهددهم الباشا وارسل اليهم الشريف فمنعهم عن ذلك وخدعهم الشيخ احمد تركي فقال ليس على ابيكم بأس انما هو مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة والباشا يريد ان يولي كبيركم نيابة عن ابيه حتى يرجع فانخدعوا وقاموا معه والله اعلم واشار الشيخ احمد بتوليه الشريف يحيى ابن اخي الشريف غالب امارة مكة قبل شيوع الخبر فاحضروه والبسه محمد علي فرو سمور وشالا ثميناً واحضر له صندوقاً من المال واركبوه على فرس مرخت ومشت القواسة بين يديه حتى اوصلوه الى داره وعندها علمت الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفاً من فتنة فلم يحصل شيء وفي الليل ارسلوا الشريف غالباً واولاده مع اربعة عبيد طواشية الى جدة ومعهم عسكر فأخذ العسكر ما في جيوبه ثم ارسلوا الى مصر فوصولها في المحرم سنة ١٢٢٩ وضربوا لوصولهم عدة مدافع ودخل الشريف مصر بالاجلال والاكرام لكن منعت الناس من السلام عليه الا خواص الباشا ثم ارسلوا حريمه الى مصر واستولى الباشا على جميع موجودات الشريف فأخذ ما لا يحصيه الا الله واخرج حرمه وجواريه من داره بما عليهن من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً وفي خلاصة الكلام ان العساكر نهبت داره التي بجياد واخذوا منها اموالا كثيرة واخرجوا اهله منها بصورة شنيعة وحضر مرسوم من اسلامبول بارجاع ما اخذ من الشريف فصالحوه عنه بخمسمائة كيس وكان اكثر من ذلك بكثير وفي شعبان من هذه السنة ارسلوه مع اولاده وحريمه الى سالونيك فأقام بها منفياً الى ان توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٣١ وكان من دهاة العالم وكانت امارته نحوا من سبع وعشرين سنة .

مداومة محمد علي باشا على حرب الوهابية

ثم استحضر الباشا من مصر سبعة الاف عسكري وسبعة الاف كيس وكان بناحية تربة امرأة مشهورة بالشجاعة تسمى غالية هي الاميرة على العرب واجتمع عندها كثير من امراء الوهابية وجنودهم فأرسل اليها الباشا عسكراً سنة ١٢٢٩ فهزمته شر هزيمة ثم ارسل اليها ابنه طوسون فحاربتهم ثمانية ايام ورجعوا منهزمين ونفرت العرب من الباشا

بما صنعه مع الشريف غالب وانضم كثير من الاشراف الى الخصم ووقع الغلاء بالحرمين .

وفيها في ربيع الثاني مات سعود امير الوهابية في الدرعية وتولى مكانه ابنه عبد الله (وفيه) ارسل الباشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة براً وبحراً فاستولوا عليها وهرب من فيها من الوهابية ولم يجدوا فيها غير اهلها فقتلوهم فتجمعت قبائل عسير مع طامي ابي نقطة وحاصروا القنفذة ومنعوا عنها الماء فانهزمت العساكر وقتل كثير منهم فأرسل الباشا اليهم نجدة فهزموها .

وفي جمادى الثانية توجه بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية والعساكر والذخائر والاموال تأتيه من مصر وبلغت العشور بميناء جدة اربعة وعشرين لكا وجعل يستميل الناس بالمال وصالح الاشراف ومشائخ العربان الذين فروا منه ثم توجه من الطائف الى كلاخ ووجه العساكر الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون الى المدينة ثم عاد هو الى مكة الى ان حج .

وفي افتتاح سنة ١٢٣٠ عاد الى الطائف ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر له فيها عليهم واستولى على تربة وبيشة ورينة وقتل الكثير من الوهابيين وتوجه الى قنفذة من بلاد عسير فملكها وقبض على طامي ابي نقطة فان الشريف راجحاً بذل لابن اخي طامي مالا جزيلا ليقبض على عمه فصنع وليمة ودعاه اليها فقبض عليه فارسلوه الى مصر مغلولا ثم الى اسلامبول فقتل .

ولم يزل محمد علي باشا يجول في بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء في كل موضع يستولي عليه الى جمادى الاولى ثم عاد الى مكة ورتب بها الارزاق للاشراف وغيرهم وجدد دفاتر الجراية لاهل مكة وكانت انقطعت في زمن الوهابية وابطل ما استولى عليه الاغنياء منها بالفراغات ورتبها ترتيباً جديداً ثم اقام حسن باشا الارنؤطي نائباً عنه بمكة وتوجه الى مصر فوصلها في رجب .

الصلح بين طوسون باشا والوهابية سنة ١٢٣٠ ووفاة طوسون

وفي شعبان من هذه السنة تصالح طوسون وعبد الله بن سعود وترك عبد الله الحرب واذعن للطاعة وجاء من الوهابية نحو عشرين شخصاً الى طوسون فأرسل اثنين منهم الى

ابيه بمصر فلم يعجبه الصلح ثم حضر طوسون الى مصر في ذي القعدة وفي سنة ١٢٣١ توفي بالطاعون وعمره نحو عشرين سنة وولد له في غيابه مولود اسمه عباس وهو الذي ولي مصر بعد عمه ابراهيم باشا .

وبقي امر محمد علي باشا نافذاً بالحجاز وعساكره في كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ احمد تركي والشريف شنبر ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر الى الحجاز.

وفي اوائل سنة ١٢٣٢ ارسل ولده ابراهيم باشا الى الحجاز لاكمال محاربة الوهابيين والاستيلاء على الدرعية فتوجه بعساكر واموال وذخائر كثيرة حتى دخل مكة ثم خرج منها بالعساكر قاصداً الدرعية وجعل يملك كل ارض وصلها بلا معارض حتى وصل الى موضع يسمى الموتان ووقع بينه وبين الوهابية حرب شديدة وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر منهم وغنم خياماً ومدفعين (وفي سنة ١٢٣٣) امده ابوه بعساكر اتراك ومغاربة وملك بلداً من بلاد الوهابية وقبض على اميرها ويسمىٰ عتيبة ثم استولى على الشقراء وكان بها عبد الله بن سعود فخرج هارباً الى الدرعية ليلا وبينها وبين الشقراء يومان ثم استولى ابراهيم باشا على بلد كبير من بلادهم ولم يبق بينه وبين الدرعية الا ثمان عشرة ساعة ثم زحف على الدرعية فملك جانباً منها وحاصر الوهابيين واحاط بهم ثم غاب عن معسكره لامر اقتضى ذلك فاغتنموا فرصة غيابه وكبسوا العسكر وقتلوا منه عدداً وافراً واحرقوا الجبخانة ولما بلغ الخبر اباه امده بالعساكر براً وبحراً مع قائد اسمه خليل باشا ولم يزل يتابع ارسال الذخائر والاموال حتى انها بلغت اجرة الذخيرة مرة من ينبع الى المدينة على جمال العرب خاصة خمسة واربعين الف ريال لكل بعير ستة ريالات ومن المدينة الى الدرعية مائة واربعين الف ريال هذا في مرة واحدة ومثله مستمر. ولم يزل ابراهيم باشا يغير على اطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصله المدد ازدادت قوته وحصل له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وكسر الوهابية وقبض على اميرهم عبد الله بن سعود وكثير من اقربائه وعشيرته واخرب الدرعية فسكن من بقي من اهلها الرياض ولما بلغ ذلك محمد علي باشا بمصر فرح فرحاً شديداً وضرب لذلك نحو الف مدفع وبلغ عدد المدافع التي ضربت ايام الزينة ثمانين الف مدفع .

وفي اول سنة ١٢٣٤ ارسل ابراهيم باشا عبد الله بن سعود وكثيراً ممن قبض عليهم الى

مصر فدخلها وهو راكب على هجين وامامه العسكر وخرج الناس للتفرج وضربوا عند دخوله المدافع فلما ادخل على محمد علي باشا قابله بالبشاشة وقام له واجلسه الى جانبه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال كيف رأيت ابراهيم باشا فقال ما قصر ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى قال انا (انش) اشفع فيك عند السلطان فقال المقدر يكون فخلع عليه وكان معه صندوق صغير مصفح فسأله ما فيه فقال فيه ما اخذه ابي من الحجرة اصحبه معي الى السلطان فاذا فيه ثلاثة مصاحف متقنة وثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الذي اخذه ابوك من الحجرة اشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته فانه لم يستأصل كل ما في الحجرة لنفسه بل اخذ منه كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة فقال صحيح وجدنا عند الشريف غالب اشياء من ذلك ثم ارسله في تاسع عشر المحرم مع اتباعه مخفوراً الى اسلامبول فطافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه في نواح متفرقة (وفيها) ارسل محمد علي ابن اخته خليل باشا بعساكر الى الحجاز فتوجه الى يمن الحجاز واستولى عليه صلحاً ثم صار محافظاً لمكة وفيها في رجب وصل من اسرى الوهابية نحو اربعمائة الى مصر ارسلهم ابراهيم باشا بحريمهم واولادهم ومعهم اولاد عبد الله بن سعود وبعد ان حج ابراهيم باشا توجه الى مصر فوصلها في صفر سنة ١٢٣٥ واحضر معه من رؤساء الوهابية فشهروهم وقتلوهم واستقر ملك محمد علي باشا على مصر والحجاز ونجد (١)

---

(١) وحارب السودان واستولى على كثير من بلادها وحصل اختلاف بينه وبين السلطان محمود سنة ١٢٤٧ ثم ارسل ولده ابراهيم باشا الى الشام فحصل قتال تملك بعده الشام وزحف بعساكره على بلاد الدولة العثمانية من ناحية حلب وجهزت اليه العساكر فكسرها فاستغاثت بدول الغرب فتهددوا باشهار الحرب ان لم يرجع فرجع مرغماً وتوفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واستقرت الحال على خروج محمد علي باشا من الشام والحجاز وارجاعهما الى الدولة العثمانية وان تكون مصر وتوابعها امارة لمحمد علي وذريته باسم (خديوي) اي نائب الملك ويدفع كل سنة للدولة عشرين الف ليرة عثمانية وتقيم من قبلها معتمداً في مصر وتعين هي القضاة وينجدها الخديوي بالعساكر عند اللزوم ولا يزيد عسكره في مصر عن عشرين الفاً وفي سنة ١٢٦٤ تخلى محمد علي عن ملك مصر لولده ابراهيم باشا لمرض اصابه فبقي احد عشر شهراً ثم توفي عن سبع وتسعين سنة وكان من اهل قولة من بلاد الترك وكان في اول مرة جندياً ثم ترقى به الحال الى ما سمعت ولم يزل الملك في ذريته باسم خديوي الى ان احتلت الدولة الانكليزية مصر سنة ١٢٩٩ فبقي الحال على ذلك وليس للخديوي من الحكم الا الاسم فلما كانت الحرب العامة كان الخديوي في مصر عباس حلمي باشا فصار في جانب الدولة العثمانية فضبطت الانكليز املاكه وا قامت حسين كامل باشا من العائلة الخديوية سلطاناً على مصر واعلنت ـ

وكان قد هرب كثير من كبار الوهابية من ابراهيم باشا حين ملك الدرعية فلما ارتحل عنها رجعوا اليها منهم عمر بن عبد العزيز وتركي ابن اخي عبد العزيز ومشاري بن سعود وكان قبض عليه ابراهيم باشا فهرب من الحمراء فعمروا الدرعية ورجع اكثر اهلها وقدموا عليهم مشاريا المذكور فجهز محمد علي عسكراً له بإمرة حسين بك فقبضوا على مشاري وارسلوه الى مصر فمات في الطريق وتحصن الباقون في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية اربع ساعات فحاصرهم حسين بك ثلاثاً فطلبوا الامان فأمنهم وخرجوا الا تركياً فهرب من القلعة ليلا فقيدهم وارسلهم الى مصر سنة ١٢٣٦ ثم ملك تركي الرياض بعد سنين وثار عليه رجل من آل سعود اسمه مشاري فقتل تركياً وكان لتركي ولد اسمه فيصل كان عند قتل ابيه في الغزو فلما بلغه جاء برجال الغزو وقتل مشارياً واستقل بالملك واستفحل أمره واشهر الدعوة التي كان عليها اسلافه فجهز محمد علي العساكر لقتاله مع خورشيد باشا فتوجه من المدينة سنة ١٢٥٣ ومعه خالد بك ابن سعود وهو من اسرى سنة ١٢٣٣ كبر وتربى بمصر فاستحسن محمد علي ان يؤمره في نجد فلما وصل خورشيد الى نجد حصل بينه وبين فيصل وقائع كثيرة الى ان قبض على فيصل وارسله الى مصر سنة ١٢٥٤ واقام خالداً اميراً في الرياض ورجع فاستمر خالد في الإمارة سنتين ثم ظهر لاهل نجد عدم سلوكه الطريقة التي يرتضونها فثار عليه عبد الله بن ثنيان مع النجديين وارادوا الفتك به فهرب الى مكة ثم مات وصار امر نجد لابن ثنيان فلما بلغ ذلك فيصلا وهو محبوس بمصر قال لعباس باشا ابن طوسون باشا وكان يجتمع به لو وصلت الى نجد لانتزعتها من ابن ثنيان وصرت خادماً لافندينا فاحتال عباس لاخراجه ليلا من القلعة فهرب بمن معه حتى وصلوا جبل شمر مقر امارة بن رشيد فأكرمهم وتوجهوا الى القصيم فانضاف اليهم كثير منهم فقصدوا ابن ثنيان في الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقاً في الحبس سنة ١٢٥٨ واستقل فيصل بالملك وفي سنة ١٢٦٢ صدر الامر من الدولة

ـ انفصالها عن الدولة العثمانية وضربت الدراهم والدنانير باسمه بعدما كانت تضرب باسم السلطان العثماني ثم مات حسين كامل باشا فعرضت سلطنة مصر على عمر طوسون باشا فلم يقبل فاقيم في السلطنة السلطان فؤاد بن اسماعيل باشا ثم لقب بالملك فؤاد وهو ملكها اليوم وجعلت مصر مملكة مع بقاء الاحتلال الانكليزي.

العثمانية بتجهيز العساكر لمحاربة فيصل بن تركي امير الرياض لانه استفحل امره ويخشى ان يقع منه ما وقع من اسلافه وان يكون ذلك برأي الشريف محمد بن عون امير مكة المكرمة فتوجه الشريف مع العساكر من المدينة حتى وصل جبل شمر فسار معه اميره ابن رشيد بكثير من القبائل ولما وصلوا القصيم اطاعهم اهله فخاف فيصل خوفاً شديداً فأرسل لاهل القصيم ان يتوسطوا في الصلح على تأدية عشرة آلاف ريال في كل سنة فتم الصلح ورجع الشريف بالعساكر واستمر فيصل يدفع ذلك حتى مات سنة ١٢٨٢ فقام بعده ابنه عبد الله فنازعه اخوته وانتزعوا الامر منه واقاموا اخاه سعوداً ثم توفي فعادت الإمرة اليه الى سنة ١٣٠٠ ولكن ملكه ضعف لان الدولة العثمانية انتزعت منه الحسا والقطيف وخرج عن طاعته اهل القصيم واطاعوا الدولة العثمانية وادوا لها الخراج واميرهم منهم وخرج عن طاعته ابن رشيد امير جبل شمر وقوي ملكه واطاع الدولة العمانية وادى لها الخراج على قول صاحب خلاصة الكلام والذي نعلمه انه لم يكن يؤدي لها خراجاً وانما يهدي لها الخيل الجياد وغيرها وهي دائماً في جانبه دون ابن سعود بل كان الشائع في ذلك العصر ان ابن سعود في جانب الانكليز.

الفصل الرابع

فيما آل اليه امر نجد وما فعله الوهابيون في الحجاز والعراق والشام في هذا الزمان

بعدما تقلص حكم محمد علي باشا عن بلاد نجد صار فيها امارتان احداهما لآل سعود مقرها القصيم وعاصمتها الرياض والاخرى لآل رشيد وعاصمتها حائل في جبل شمر وهو المعروف في القديم بجبل طيء وقوت الدولة العثمانية جانب امارة آل الرشيد وصارت هي صاحبة الحول والطول في نجد وبخفارتها يسير الحاج العراقي والنجدي عن طريق حائل بخاوة (خفارة) قدرها ثلاثون ريال فرانسة عن العربي وضعفها عن العجمي وليس للدولة العثمانية على نجد حكم سوى انها في جانب آل الرشيد ومع ذلك فرعايا ابن رشيد كلهم او جلهم على المذهب الوهابي بل لعل آل رشيد كانوا ايضاً على هذا المذهب وفي عهد السلطان عبد الحميد انشأت الدولة العثمانية متصرفية في اطراف نجد غير متصرفية القطيف فكان نصيبها الفشل وحاصر النجديون العساكر المرسلة لحمايتها فعادوا بأسوأ حال والغيت تلك المتصرفية ثم ان ابن رشيد غلب آل سعود على أمرهم واخرج الامير عبد الرحمن الفيصل آل سعود والد سلطان نجد الحالي وولده عبد العزيز واقرباءهم من الرياض عاصمة امارتهم فاقاموا عند ابن صباح صاحب الكويت التي باطراف العراق على بحر فارس ثم ان عبد العزيز استنفر زهاء ثلاثين رجلا من قومه فركب كل منهم ذلولا وخرجوا من الكويت الى نجد يستنفرون من مروا به من عشائرها في طريقهم فحارب ابن رشيد واستعاد امارة آبائه منه ثم هجم في ايام الحرب الكبرى على عشائر شمر في جبلهم وازال أمارتهم وكانت قد ضعفت بعد موت الامير محمد بن رشيد باختلافهم وقتل بعضهم بعضاً واخذ ابن سعود آخر امير منهم وهو الامير محمد بن طلال وما بقي من آل رشيد اسراء وابقاهم عنده وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٤٦ حاول الامير محمد بن طلال قتل الامير سعود بن عبد العزيز على ما يقال فتسلق داره هو واتباعه وعبيده فأخطأ مكانه فأمر سعود بقتلهم فقتلوا وهم عشرون شخصاً وما زال عبد العزيز سلطان نجد الحالي يتقوى شيئاً فشيئاً بذكائه ودهائه وعزمه وثباته ومساعدة التقادير له وفي اواخر عهد الاتحاديين استولى على متصرفية القطيف العثمانية على خليج فارس التي كانت لاجداده قبل وقبض على منصور باشا احد كبراء القطيف لموالاته الدولة العثمانية ثم قتله خفية وسكتت الدولة العثمانية عنه لانشغالها

بالفتن والحروب وصالحته كما صالحت امام اليمن وعقدت معه اتفاقاً اعترفت له فيه بامارة نجد له ولذريته واستقلالها.

ولما نشبت الحرب العامة ودخلت فيها الدولة العثمانية سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م بقي ابن سعود على الحياد وتعاهد مع الانكليز واستمالت الدولة الانكليزية اليها الشريف حسين بن علي امير مكة ووعدته ومنته استقلال بلاد العرب وتعاهدت معه على ذلك كما تعاهدت مع الفرنساويين في الوقت نفسه على اقتسام بلاد العرب فساعدها الشريف حسين ورجال العرب مساعدة تذكر ولما وضعت الحرب العامة اوزارها سنة ١٣٣٧هـ ١٩١٩م ودخلت جيوش الحلفاء سورية وبينها الجيوش العربية بقيادة الأمير فيصل أحد أنجال الملك حسين بن علي ثم كان الى الجيوش البريطانية والعربية احتلال المدن الأربع دمشق وحلب وحمص وحماه وتوابعها ومنها حوران والتصرف الإداري فيها بيد الحكومة العربية والى الجيوش الافرنسية احتلال بيروت ولبنان وطرابلس وجبل عامل والاردن وتوابع ذلك والى الجنود البريطانية احتلال فلسطين وشرق الاردن وبعض حوران واعلن استقلال الحجاز ونودي بالشريف حسين ملكا عليه باسم ملك العرب ووافقت على ذلك الدول الكبرى وخطب باسمه على المنابر حتى في مدن سوريا وفلسطين ثم بويع بالخلافة في الحجاز واكثر تلك المدن.

واعلن استقلال نجد تحت سلطنة الأمير عبد العزيز آل سعود باسم سلطان نجد ووافقت على ذلك الدول العظمى وفي مقدمتها بريطانيا ومنحته راتباً لا يقل عن اربعين الف ليرة انكليزية وبلغ مجموع ما دفعته له من ابتداء سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٢٣ ميلادية زهاء خمسمائة الف واثنين واربعين الف جنيه انكُليزي وكان ذلك اولا للمساعدة في الحرب ضد تركيا وبعد الحرب ليمتنع عن القيام ضد الحجاز والكويت والعراق وليساعد في صيانة طرق الحجاج في ارضه وليسترشد برغائب بريطانيا في سياسته الخارجية ويساعدها على ترويج سياستها الخاصة التي ترمي الى ايجاد احوال سلمية في بلاد العرب صرح بذلك وزير المستعمرات مستر امري وتناقلته صحف العالم ونقلناه بحروفه وتعاهدت معه على ان امارة نجد وملحقاتها له ولأولاده بشرط ان يكون الأمير اللاحق مختاراً من السابق ولا يكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة وان تساعده وذريته على اي دولة اجنبية تعتدي على بلادهم اذا كان

الاعتداء بدون علمها ولا اعطائها الوقت الكافي لمراجعته في ازالة الخلاف المسبب للاعتداء وان لا يعقد اتفاقا ولا معاهدة مع اي حكومة او دولة اجنبية ويعد بعدم مفاوضة احد في ذلك ويلتزم اعلام الحكومة البريطانية بكل تجاوز او تعد على بلاده ويلتزم ان لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى عن شيء من اراضي بلاده ولا يمنح امتيازا لدولة اجنبية او احد رعاياها بدون رضا بريطانيا وبأن يتبع في ذلك نصائحها وبابقاء الطرق الموصلة الى البلاد المقدسة مفتوحة والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها وعدم الاعتداء على حكومات جيرانه في البحرين والكويت وقطر وعمان والمشائخ الذين تحت الحماية البريطانية ونقلنا ذلك من مجموع مقالات صاحب المنار (الوهابية والحجاز).

واقيم الأمير عبد الله نجل الملك حسين اميرا على شرق الأردن واطلق على امارته امارة الشرق العربي وجعلت تلك الأمارة له ولذريته.

وبقيت الجنود البريطانية في المدن الاربع سنة كاملة ثم خرجت منها واستقلت بها الحكومة العربية تحت امارة الأمير فيصل ثم وقع الاختلاف بينها وبين الإفرنسيين بعد ان اقيم الأمير فيصل ملكا على سوريا وكانت وقعة ميسلون المشهورة بين العرب من الدمشقيين وغيرهم وبين الإفرنسيين التي انتهت بقتل جملة من العرب والأفرنسيين وقتل يوسف بك العظمة وزير الحربية العربي بعدما ابدى بسالة تذكر واحتلال الجنود الافرنسية المدن الأربع وخروج الملك فيصل من سوريا سنة ١٣٣٨هـ ـ ١٩٢٠م ثم اقيم ملكا على العراق برأي الانكليز ومشورة العراقيين.

هجوم الوهابيين في الحجاز على عرب الفرع من قبيلة حرب

في سنة ١٣٤٠ غزا الوهابيون عرب الفرع من قبيلة حرب في عقر دارهم في الحجاز ونهبوا المواشي فجاء النذير الى اهل الفرع فلحقوهم واستخلصوا منهم ما نهبوه وقتلوا فيهم وغنموا جميع ما معهم وولوا منهزمين ومن جملة ما غنموه اعلام وبيارق فدفعوها الى الملك حسين وانقطع مجيء اعراب نجد الى الفرع لاكتيال التمر فحصل بذلك ضيق على اهل الفرع بسبب كساد تمورهم التي كان يشتريها النجديون.

قتل الوهابيين الحاج اليماني سنة ١٣٤١

في هذه السنة التقى الوهابيون بالحاج اليماني وهو اعزل من السلاح وجميع آلات الدفاع فسايروهم في الطريق واعطوهم الأمان ثم غدروا بهم فلما وصلوا الى سفح جبل مشى الوهابيون في سفح الجبل واليمانيون تحتهم فعطفوا على اليمانيين واطلقوا عليهم الرصاص حتى قتلوهم عن بكرة ابيهم وكانوا الف انسان ولم يسلم منهم غير رجلين هربا واخبرا بالحال واراد صاحب المنار على عادته في تلفيق الأعذار عن افعال الوهابيين الاعتذار عن هذه الفعلة الشنعاء فقال في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز)(١) : ان الملك حسينا كان ارسل حملة على منطقة عسير بعد وفاة السيد محمد علي الإدريسي الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد وفي أثر تنكيل الوهابية بحملته هنالك وقعت حادثة حجاج اليمن الذين اعتقد الوهابيون انهم نجدة منه فاطلقوا عليهم الرصاص وبعد ان عرف الأمر اعتذر السلطان عبد العزيز للامام يحيى عن هذا الخطأ واتفقا على حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول انتهى وهذا عذر فاسد بارد يراد به ستر فظائع الوهابيين في استحلالهم دماء المسلمين وتوجيه بأسهم وسطوتهم وافواه بنادقهم كلها الى قتال المسلمين خاصة وغزوهم كلما سنحت لهم فرصة وقتلهم بانواع الغدر والبغي تارة في سورية واخرى في الحجاز وثالثة في العراق ورابعة في اليمن وهيهات ان تستر هذه الاعذار الفاسدة فظائعهم وقد عرفها العام والخاص ولم تعد تخفى على احد من الناس.

يقول صاحب المنار انهم اعتقدوهم نجدة وكيف ذلك وهم عزل من السلاح ولا يؤذن لهم بحمله في مملكة اجنبية ولو كانوا مسلحين ما استطاع الوهابية قتلهم ولكانوا اقصر باعاً من ذلك وهل تخفى حالة الحجاج من حالة الغزاة المحاربين فكيف يمكن لعاقل ان يعتقد او يظن او يحتمل انهم نجدة. وهل اعتقد الوهابيون في اعراب شرق الأردن انهم نجدة حينما غزوهم في عقر دارهم واعملوا فيهم رصاص البنادق وحدود السيوف وهل اعتقدوا في اهل العراق انهم نجدة فتابعوا عليهم الغزو والقتل والنهب. وكيف ساغ للوهابيين وهم وحدهم المسلمون الموحدون الابرار الاتقياء الورعون الذين تورعوا

---

(١) صفحة ٣٣.

عن الفتيا في التلغراف لعدم النص فيه ان يقتلوهم قبل سؤالهم وتعرف حالهم ولكن حالهم كما قال الحسن البصري في اهل العراق يسألون عن دم البقة ويستحلون دم الحسين وكما اقتضت المصلحة الانكليزية والدهاء البريطاني ان يكون الشريف حسين ملك الحجاز والامير ابن سعود سلطان نجد اقتضت ثانياً ان يكون السلطان ابن سعود ايضاً ملكا على الحجاز مكان الملك حسين واولاده عقيب امتناعه عن امضاء المعاهدة البريطانية الحجازية.

هجوم الوهابيين على الحجاز وفظائعهم في الطائف سنة ١٣٤٣ ـ ١٩٢٤

ففي اوائل هذه السنة هجم الوهابيون على الحجاز وحاصروا الطائف ومعهم الشريف خالد بن لؤي من اشراف مكة المعادين للملك حسين واحد عمال السلطان ابن سعود ثم دخلوها عنوة واعملوا في اهلها السيف فقتلوا الرجال والنساء والاطفال حتى قتلوا منها ما يقرب من الفين بينهم العلماء والصلحاء واعملوا فيها النهب وعملوا فيها من الفظائع ما تقشعر له الابدان وتتفطر القلوب نظير ما عملوه في المرة الاولى كما سبق وممن قتلوا من المعروفين الشيخ عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بصورة فظيعة وقتلوا جملة من بني شيبة سدنة الكعبة المكرمة كانوا مصطافين في الطائف وجاءت الاخبار بارتكابهم فظائع لا يليق ذكرها وان السلطان ابن سعود لما سئل عنها لم ينكر وقوعها لكنه اعتذر بما وقع من خالد بن الوليد يوم فتح مكة وقول النبي (ص) (اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد) ثم اخذوا ما وراء الطائف من المعاقل الحصينة واهمها الهدى وكرى.

مهاجمة الوهابيين شرقي الاردن سنة ١٣٤٣

وفيها هجم جماعة من الوهابيين فجأة على اعراب شرقي الاردن الامنين فهجموا على ام العمد وجوارها فقتلوا ونهبوا وما لبثوا ان ارتدوا مدحورين مأسورين لان الطيارات والدبابات الانكليزية اشتركت في قتالهم مع عرب شرقي الاردن وانجلت المعركة عن قتل ثلثمائة من الوهابيين واسر جماعة كثيرة منهم وقتل مائتين وخمسين من اهل شرقي الاردن ثم اطلقت اسرى الوهابيين بأمر من الانكليز واوصلوا الى مأمنهم وفي هذه السنة وهي

سنة ١٣٤٦ جاءت الاخبار بمهاجمة الوهابيين شرقي الاردن ووصولهم الى معان بنحو من ثلاثين الفاً وانهم اعلنوا الجهاد .

استيلاء الوهابيين على مكة المكرمة سنة ١٣٤٣

وفيها دخل الوهابيون مكة بغير قتال بعدما خرج الملك حسين وولده منها الى جدة فنهبوا داره واستولوا على جميع ما يؤول اليه ثم اكره على التنازل عن الملك لولده الأمير علي وعلى الخروج من الحجاز الى العقبة المصرية وبعد فتح الوهابيين الطائف ومكة حضر السلطان عبد العزيز بن سعود الى مكة وقامت الحرب بينهم وبين الملك علي المتحصن في جدة وانقطع الحج في تلك السنة فاستحضر الملك علي اليه جماعة من السوريين من الضباط وغيرهم واشترى الأسلحة والطيارات وصرف الأموال ولكن على غير جدوى وصادرت له الحكومة المصرية في الظاهر اسلحة واردة في البحر من طريق مصر عملا بقانون الدول المتحايدة وبقيت في يده ايضا المدينة المنورة وباقي سواحل الحجاز والحرب قائمة في الكل وجدة والمدينة تحت الحصار وابوه وهو في العقبة يمده بالمال والرجال ثم نفي ابوه من قبل الإنكليز من العقبة الى جزيرة قبرص على دارعة بريطانية مع حرمه وخدمه ولم يحضر لوداعه احد ممن كان يظهر له الصداقة غير ولده الأمير عبد الله ولا يزال في جزيرة قبرص الى الان ولما طال الحصار على الملك علي اضطر الى صلح الوهابية فتم ذلك بتوسط قنصل الإنكليز في جدة فخرج من جدة على دارعة او باخرة بريطانية ودخلها الوهابية سنة ١٣٤٤ واستولوا على مراكب ابيه البحرية وذهب هو الى العراق فاقام عند اخيه الملك فيصل الى اليوم ودامت الحرب ما يزيد عن سنة كاملة واصبح ابن سعود سلطان نجد وملك الحجاز واستولى الوهابيون على المدينة المنورة والحجاز كله ودخلت جميع اعراب الحجاز تحت طاعتهم ويقال انهم نزعوا منها السلاح .

وكان السلطان ابن سعود يعلن وهو يحارب الملك عليا انه ما جاء الى الحجاز الا لينقذه من ظلم الأشراف ولا يريد تملكه وانما يجعل مصيره راجعا الى رأي عموم المسلمين فكانت هذه الأقوال جارية على عادات المتغلبين في دهائهم وسياساتهم لم يف منها بشيء نعم عقد مؤتمرا بمكة دعا اليه الحكومات واهل البلاد الإسلامية لإرسال مندوبين عنها فحضره طائفة منهم وامتنع آخرون وارجعت الدولة الايرانية مندوبها بعدما عينته لما

بلغها ما فعل بائمة البقيع واجتمع المؤتمر ولم يسفر عن نتيجة وبث السلطان ابن سعود الأمن في الحجاز وعاد الحج وارسلت الدولة المصرية عسكرها المعتاد مع امير الحاج المصري وفي منى استاء الوهابيون من فعل العسكر المصري بعض ما يراه الوهابيون محرما فرشقوا العسكر بالحجارة فقابلهم العسكر برمي البنادق والمدفع فقتلوا جماعة من الوهابين وقابلهم الوهابيون بالمثل فجرح جماعة من العسكر بينهم بعض الضباط وقتل بعضهم فارسل السلطان ابن سعود ولده لإخماد الفتنة فلم يستطع فَحضر هو بنفسه واخمدها وفي سنة ١٣٤٥ منع الدولة المصرية من إرسال العسكر مع الحاج ومن ارسال المحمل المعتاد. كما انه ابطل ارسال المحمل الشامي من بعد احتلال الشام وخروج الأتراك منها وتفنن عماله هذه السنة في الاستفادة من اموال الحجاج فدخل عليه بذلك اموال عظيمة تعد بالملايين من الليرات ومما يذكر في هذه السنة ان الوقوف بعرفات كان واحدا وذلك بتدبير من السلطان ابن سعود تفاديا من تعدد الوقوف الذي كان يحصل في بعض السنين في عهد الدولة العثمانية ولا يقبله الوهابية ويعدونه بدعة كتعدد ائمة الصلاة من المذاهب الأربعة.

التاريخ يعيد نفسه

وقد جرى على الملك حسين من طرده من مقر ملكه الىٰ جدة ثم الى العقبة ثم نفي الإنكليز له الى جزيرة قبرص نظير ما جرى على سلفه الشريف غالب من خروجه من مكة ومحاصرته في جدة ونفيه الى مصر. ثم الى سلانيك كما مر وجرى على الطائف واهله في هذا العصر نظير ما جرى عليهم في ذلك العصر وفعل الوهابيون في الحجاز في هذا العصر من هدمهم القباب والضرائح ومحوهم آثار سادات الإسلام ومنعهم الحرية المذهبية للمسلمين واغاراتهم على بلاد المسلمين في العراق وسوريا نظير ما فعلوه في ذلك العصر فان التاريخ كما يقولون يعيد نفسه.

هجوم الوهابيين على العراق

وقد تكرر هجوم الوهابيين على اطراف العراق سنة ١٣٤٥ ـ ١٣٤٦ بقيادة فيصل الدويش يقتلون وينهبون وكان نتيجة ذلك ان اشتكى العراقيون الى الحكومة الإنكليزية

وقالوا لها إما ان تردعهم او تترك العراقيين واياهم ليدفعوا عن انفسهم فخابرت معتمدها في البحرين ليخابر السلطان ابن سعود فكان جوابه انه لا علم له بما جرى وسيسأل فيصل الدويش عن ذلك وما زال فيصل الدويش يشن الغارات على اعراب العراق المجاورة لنجد فينهب مواشيهم ويقتل فيهم وقد قرأنا اليوم في الجرائد خبر هجومه عليهم ونهبه وقتله لهم ومطاردة الطيارات البريطانية والجند العراقي لجنوده وان السلطان ابن سعود ارسل لحكومة العراق يحذرها منه ويقول انه خارج عن طاعته وغير قادر على ردعه (١)

هدم الوهابيين القباب والمزارات بالحجاز عام ١٣٤٣

لما دخل الوهابيون الى الطائف هدموا قبة ابن عباس كما فعلوا في المرة الأولى ولما دخلوا مكة المكرمة هدموا قباب عبد المطلب جد النبي (ص) وابي طالب عمه وخديجة ام المؤمنين وخربوا مولد النبي (ص) ومولد فاطمة الزهراء (ع) ولما دخلوا جدة هدموا قبة حواء وخربوا قبرها كما خربوا قبور من ذكر ايضا وهدموا جميع ما بمكة ونواحيها والطائف ونواحيها وجدة ونواحيها من القباب والمزارات والأمكنة التي يتبرك بها ولما حاصروا المدينة المنورة هدموا مسجد حمزة ومزاره لأنهما خارج المدينة وشاع انهم ضربوا بالرصاص على قبة النبي (ص) ولكنهم انكروا ذلك ولما بلغ ذلك مسامع الدولة الإيرانية اهتمت له غاية الاهتمام واجتمع العلماء واكبروا ذلك وجاءتنا الى دمشق برقية من

---

(١) فاتنا ان نذكر في تاريخ الوهابية بعض امور فنستدركها هنا نقلا عن خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام (وهي) ان محمد بن سعود امير الدرعية بعدما اتبع محمد ابن عبد الوهاب واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الأعراب له اتسع ملكه وملك اولاده من بعده حتى ملكوا جزيرة العرب وكان اذا اراد ان يغزو بلدة كتب كتابا بقدر الخنصر الى الأعراب فيلبون دعوته ويتحملون على انفسهم كل ما يحتاجون اليه واذا نهبوا شيئاً يدفعون له خمسه ويأخذون اربعة اخماس فاذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها وهكذا حتى ملك الشرق كله ثم اقليم الحسا والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا من جهة الشمال ثم ملك من الجنوب الحرار بأسرها ثم الخيوف ذوات النخيل والحربية والفرع وجهينة وملك ما بين المدينة المنورة والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وعربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ومكة ثم ملك الطائف ودخل مكة بالصلح سنة ١٢٢٠ بعد حرب الشريف غالب معه نحوا من خمس عشرة سنة وعجزه عنه واستمر فيها الى غاية سنة ١٢٢٧ وحاربه محمد علي باشا حتى وصل ابنه ابراهيم باشا الى الدرعية سنة ١٢٣٣ .

خراسان من أحد اعاظم علماء المشهد المقدس بالاستعلام عن حقيقة الحال ثم قررت الدولة الإيرانية بموافقة العلماء ارسال وفد رسمي الى الحجاز لاستطلاع حقيقة الحال فرفع الوفد الى دولته تقريراً بما شاهده في الحجاز من اعمال الوهابيين ولما استولوا على المدينة المنورة خرج قاضي قضاتهم الشيخ عبد الله بن بليهد من مكة الى المدينة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ ووجه الى اهل المدينة سؤالا يسألهم فيه عن هدم القباب والمزارات فسكت كثير منهم خوفا واجابه بعضهم بلزوم الهدم وسيأتي ذكر السؤال والجواب «انش» في فصل البناء على القبور.

وانما اراد بهذا السؤال تسكين النفوس لا الاستفتاء الحقيقي فان الوهابيين لا يتوقفون في وجوب هدم جميع القباب والأضرحة حتى قبة النبي (ص) بل هو قاعدة مذهبهم واساسه وبعد صدور هذا السؤال والجواب هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها من القباب والأضرحة والمزارات فهدموا قبة أئمة اهل البيت بالبقيع ومعهم العباس عم النبي (ص) وجدرانها وازالوا الصندوق والقفص الموضوعين على قبورهم وصرفوا على ذلك الف ريال مجيدي ولم يتركوا غير احجار موضوعة على تلك القبور كالعلامة وهدموا قباب عبد الله وآمنة ابوي النبي (ص) وازواجه وعثمان بن عفان واسماعيل بن جعفر الصادق ومالك إمام دار الهجرة وغير ذلك مما يطول باستيفائه االكلام وبالجملة هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها وينبع وغيرها من القباب والمزارات والأضرحة وكانوا قبل ذلك هدموا قبة حمزة عم النبي (ص) وشهداء احد كما مر حتى اصبح مشهد حمزة والشهداء والجامع الذي بجانبه وتلك الأبنية كلها اثرا بعد عين ولا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم الا قبرا في برية على رأس تل من التراب وتريثوا خوفا من عاقبة الأمر عن هدم قبة النبي (ص) وضريحه التي حالها عندهم كحال غيرها او اشد لشدة تعلق المسلمين بذلك وتعظيمهم له وادلتهم الاتية وفتواهم لا تستثني قبة نبي ولا غيره وما اعلنه سلطانهم في الجرائد من انه يحترم قبة النبي (ص) وضريحه يخالف معتقداتهم جزماً ولا يراد منه الا تسكين الخواطر ومنع قيام العالم الاسلامي ضدهم ولو امنوا ذلك ما توقفوا عن هدمها والحاقها بغيرها بل كانوا بدأوا بها قبل غيرها وفي بعض اعتذاراتهم أنها قبة المسجد لا قبة النبي (ص) ومنعوا الزوار من الدنو الى قبر النبي (ص) وقبور اهل البيت (ع) ولمسها وتقبيلها واقاموا حرسا بايديهم الخيزران يمنعون الناس من ذلك الا اذا قبضوا بعض الدراهم وكان لا يراهم

احد فيشيرون الى الزائر بالدنو من ضريح النبي (ص) ولمسه وتقبيله والرجوع بسرعة ولما شاع في الأقطار الإسلامية ما فعلوه في الحجاز بقبور ائمة المسلمين ومشاهدهم اكبر المسلمون ذلك واعظموه سيما ما فعلوه بقبة ائمة البقيع وجاءت برقيات الإحتجاج على ذلك من العراق وايران وغيرها وعطلت الدروس والجامعات واقيمت شعائر الحزن في هذه البلدان احتجاجا على هذا الأمر الفظيع وكانت الدولة الإيرانية قررت ارسال معتمدها لحضور المؤتمر الاسلامي الذي عقده السلطان ابن سعود في مكة المكرمة ودعا الى حضوره مندوبين من جميع الأقطار الإسلامية فلما بلغها هدم قبة ائمة البقيع عدلت عن ذلك وقررت عدم الإشتراك في هذا المؤتمر كما مر احتجاجا على ما وقع ثم انها منعت رعيتها عن السفر الى البلاد الحجازية لأداء فريضة الحج لعدم ما تثق به في دفع الخطر عن رعيتها من الوهابيين مع اعتقادهم المعروف في المسلمين وعدم وجود حكومة منظمة في ذلك الحين ولكنها في هذه السنة اعني سنة ١٣٤٦ اجازت لرعاياها السفر الى الحجاز لأداء فريضة الحج حيث امنت عليهم الخطر كما ان الحكومة المصرية منعت رعيتها رسميا من الحج في سنة ١٣٤٣ ثم اذاعت بلاغا عام ١٣٤٥ ونشرته جريدة البرق في عددها الصادر ١٦ ايار سنة ١٩٢٧ وحاصله ان السلطان ابن سعود يشترط تجريد الحامية المصرية التي تصحب المحمل من سلاحها ومنع عرض المحمل وتسيير المواكب المعتادة وشروطا اخر تغاير التقاليد وتقيد حرية الحجاج فلا يمكن الإطمئنان على سلامة ركب المحمل والحجاج فقرر مجلس الوزراء العدول عن ارسال المحمل واعلان الحجاج انهم بسفرهم قد يستهدفون لبعض المخاطر فاذا شاؤوا السفر يكون تحت مسؤوليتهم ويناسب هنا ان نشير الى بعض تمويهات صاحب المنار المتعلقة بالمقام (قال) في مجموع مقالاته . الوهابيون والحجاز (١) : : ارجف بعض الكتاب الذين يخدمون السياسة الانكليزية من طريق الحجاز بأن سلطان نجد يريد بغزوه للملك حسين اكراهه على توقيع المعاهدة العربية البريطانية فمتى وقعها عاد عنه الجيش النجدي وان السلطان ابن سعود ينفذ للإنكليز في الحجاز ما لم ينفذه الملك حسين وانهم هم الذين اغروه

---

(١) صفحة ٤٩ .

بالاستيلاء على الحجاز واستشهد صاحب المنار على كذب ذلك باشتراط نوري باشا الشعلان امير عرب الرولة على ابن السعود حين اخذ الجوف منه ان يمنع الانكليز من مد سكة حديد بين فلسطين والعراق وببرقية مراسل التيمس الإسكندري القائلة ان احتلال ابن سعود للحجاز وموانئه على البحر الأحمر مفعم بأخطار شديدة وبطعن هذا الانكليزي في مذهب الوهابية ووصفهم بالتوحش الى آخر ما ذكره من العبارات المنمقة.

وقد عرف العام والخاص حتى المخدرات في خدورها ان تمثيل الرواية بين الملك حسين وولده والسلطان ابن سعود كان منشيء فصولها هم الإنكليز للسبب المعلوم ولو شاؤوا لم تطأ اقدام النجديين ارض الحجاز كما ردوهم عنها في اوائل الاحتلال في وقعة الخرمة المعروفة. وإنا نسأل صاحب المنار هل اعطى نوري باشا الشعلان ابن سعود الجوف باختياره ورضاه وهل هو قادر على استرداده ان لم يف له بالشرط وهل ابن سعود قادر على الوفاء بهذا الشرط حتى يتم استدلاله وقياسه المنطقي. واذا كان الإنكليز كارهين لاحتلال الوهابية الحجاز وموانئه على البحر الأحمر ويرونه مفعما بالأخطار كما يقول مراسل التيمس الإسكندري الإنكليزي خوفا من ان تهاجم الأساطيل النجدية في البحر الأحمر مصر والهند وعدن وغيرها فلماذا تمنع باسم الدولة المصرية الملك عليا من نقل الذخائر الحربية في البحر الأحمر عند محاربته مع السلطان ابن سعود عملاً بقانون الدول المتحايدة ولماذا تخرج الملك حسينا من جدة الى العقبة ثم منها الى قبرص قهراً أكل ذلك كراهة بابن سعود وخوفا من استيلائه على الحجاز وموانيء البحر الأحمر وحبا وشغفا بالملك حسين!!! وهل مراسل التيمس الإسكندري يعبر عن رأي وزارة المستعمرات الانكليزية ورئاسة الوزارة ووزارة الخارجية. واذا كان مراسل جريدة انكليزية يقدح في مذهب الوهابية ويصفهم بالتوحش ويتكلم بالحقائق فهل يدل ذلك على ان حكومة بريطانيا العظمى تكره احتلال الوهابية للحجاز وتخاف منهم الخطر!!!

وقال صاحب المنار من جملة مقال له طويل نشره في جريدة كوكب الشرق المصرية في عددها الصادر في ١٧ شوال سنة ١٣٤٤ تحت عنوان:

السعي لابطال الحج واثارة الفتن بين المسلمين (١)

قال: بلغنا ان دعاة التشيع في جاوة وسنغافورة الذين فرقوا كلمة المسلمين في هذه السنين يسعون في صد الناس عن سبيل الله بالامتناع عن اداء فريضة الحج (ونقول) ان ذرية اهل البيت الطاهر واشراف السادات الأفاضل في جاوة وسنغافورة الذين دل شرف

---

(١) ولا بأس بذكر بعض ما كتبه احد افاضل الايرانيين في مصر في جريدة المقطم في عددها الصادر في ٢٢ شوال سنة ١٣٤٤ جوابا لصاحب المنار على كلامه هذا بعنوان:

اثارة الفتن بين المسلمين من هم موقدو نارها

قال: للاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا منزلة بين علماء المسلمين وله الى جانب تلك المنزلة ميول معروفة تدفع خصومه الى مناهضته وكنت اود أن اقف موقف الحيدة ازاء ذلك المقال الطويل العريض الذي طلع به علينا كوكب الشرق لأنني واثق انه سيقابل كبقية اقوال الشيخ في غير الدين بالتحبيذ من قوم والاستنكار من اقوام لولا انني تسلمت كتبا من الايرانيين يستغرب مرسلوها ذلك الموقف الذي وقفه ازاء حكومتهم في الوقت الذي يقول فيه انه رسول الوحدة بين الشعوب الاسلامية وعلم التفاهم الخفاق بين المسلمين. وليس الأستاذ بالمجهول فنعرفه ولا بالخامل فنصفه ولكن ميله الى الوهابية معروف مشهور بعدما كان من امره ما كان مع الحسين بن علي واولاده فقد صافاهم بكل صنوف المصافاة اولا ثم لا ادري لماذا اشاح بوجهه عنهم ثانيا وقد كان أبان مناصرتهم يحرق لهم بخور الثناء ويغريهم بالترك ومن اليهم من الذين كانوا يرجون الخير على ايديهم للمسلمين ومالنا ولمواقفه السابقة فما هذا موقف الحساب وما نحن الا من احفظ الأصحاب للأصحاب.

أرخ على الناس ثوب سترهم	اواجن حلو الثهار من شجره
واستبق من لم ترد قطيعته	بستره ما استقر من ستره
فرب بادي الجميل منه اذا	فتش ابدى التفتيش عن عوره

قال الاستاذ ان دعاة التشيع في جاوة الخ ونحن مع إجلالنا لاولئك السادة الغطارف الصيد ابناء الرسول وحفدة البتول الذين لولاهم ولولا اسلافهم لما عرف الإسلام في جاوة وما اليها من جزر الهند الشرقية وسلطنات الملايو ندع لهم مقابلة لأستاذ بما يدفع عنهم وصفه اياهم بانهم علة الفرقة وسبب الشقاق فمن يقول ان السادة امثال آل باعلوي وآل الجفري وآل العطاس وآل السقاف وآل الصافي وآل عقيل هم سبب الفرقة مع العلم بتلك الذروة العالية التي اعلوا اليها كلمة الإسلام في تلك البلاد النائية. رمى الشيخ حكومة ايران بانها ما لجأت الى منع رعاياها عن اداء فريضة الحج الا للتعصب المذهبي. كأنما كانت الدول التي تحكم الحجاز قبل الوهابيين دول شيعية. ثم غلا الاستاذ فوصف نزعتها بانها (نزعة لا دينية). وهنا يجب ان نحاسب فضيلته في هوادة ورفق. تغلب الوهابيون على الحجاز فاوفدت حكومة ايران وفدا برئاسة وزيرها المفوض في مصر وقنصلها الجنرال بالشام الى الحجاز ليتبينوا وجه الحقيقة فيما اذيع على العالم الإسلامي من فظائع الوهابيين في البلاد المقدسة فرفع الوفد تقريره الى حكومته ولما تجدد نشر الإشاعات بان الوهابيين هم هم وان التطور الذي غشي العالم اجمع لم يصلح من فساد تطرفهم شيئاً وانهم هدموا القباب والمزارات وضيقوا الحرية المذهبية نشرا لمذهبهم اصدرت امرها بوقف السفر للحجاز حماية لرعاياها من قصد بلاد لم يعرف تماما كنه الحكم فيها وعادت فاوفدت قنصلها في الشام للتحقق من مبلغ صدق تلك الاشاعات فاذا بها صحيحة في جلتها لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر الى الحجاز لأن حكومته وهابية فحسب ولكن الايرانيين الفوا في الحج والزيارة شؤونا يشاركهم فيها جمهور المسلمين غير الوهابيين كزيارة مشاهد ـ

حسبهم على صحة نسبهم وطهارة فرعهم على طهارة اصلهم وطيب ثمرهم على طيب شجرهم وزكاة نبتهم على زكاة غرسهم يفخرون بأنهم من دعاة مذهب آبائهم واجدادهم الطيبين الطاهرين ومتبعو طريقتهم وسالكو نهجهم :

اذا العلوي تابع ناصبيا لمذهبه فما هو من ابيه
فان الكلب خير منه طبعا لأن الكلب طبع ابيه فيه

واذا كان نشر المسلم معتقده الذي يدين الله به والدعوة اليه يعد تفريقا لكلمة

- اهل البيت والاستمداد من نفحاتهم وزيارة مسجد منسوب للامام علي (ع) وقد قضى الوهابي على تلك الاثار جملة وقضى رجاله وكل فرد منهم حكومة قائمة على الحرية المذهبية فمن قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد جلد ومن دخن سيجارة او نرجيلة اهين وضرب وسجن في الوقت الذي تحصل فيه ادارة الجمارك الحجازية رسوماً على التتن والتنباك ومن استنجد بالرسول (ص) بقول يا رسول الله عد مشركا ومن اقسم بالنبي او بآله عد خارجاً عن سياج الملة وما حادثة السيد احمد الشريف السنوسي وهو علم من اعلام المسلمين المجاهدين ببعيدة اذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة على ضريح السيدة خديجة سبباً كافياً في نظر الوهابيين لاخراجه من الحجاز كل هذا حاصل في الحجاز لا ينكره احد ولا يستطيع الوهابي ولا دعاته ولا جنوده ان يكذبوه لست فقيهاً حتى اقف موقف الجدل من الشيخ الاستاذ الشيخ رشيد فهو الفقيه الذي لا يجارى ولكنني مسلم اغار على ديني واخشى الفتنة التي توقد اليوم نارها ان تكون الاكلة الهادمة التي لا تتدارك وقد يتسع خرقها على الاستاذ وامثاله يا مولانا ان ايران الدولة المسلمة التي يعيش رعاياها السنيون الى جانب اخوانهم الشيعيين عيشة الرغد والهناء وهي التي قامت وسط الاعاصير الأجنبية فنفضت عن كاهلها غبار النفوذ الأوروبي جملة لا يمكن ان تسمح لرعاياها بدخول بلاد الحرمين وهي خلو من حكومة منظمة . ان في ايران من الائمة المجتهدين من هم دعامة هذا الدين ومن يعرفهم الاستاذ تمام المعرفة يقصدهم السني كما يقصدهم اخوه الشيعي لتعرف احكام الله اذ الكل اهل شرعة واحدة وكتاب واحد واتباع نبي واحد فهل يتظافر هؤلاء مع حكومتهم في امر ينكره الشرع وتمنعه الحنيفية السمحاء كلا يا سيدي فالتعصب المذهبي لم يدفع ايران كما تقولون الى منع رعاياها من ان يؤدوا فرضاً اشترط في ادائه امان السبيل كما اشترطت الاستطاعة ولكن التعصب المذهبي الوهابي هو الذي سبب هذا كله . فليعمل الاستاذ على ان يكون رسول وفاق لا داعية شقاق ورجل دين سمح لا منار دنيا فقد حاقت بلايا الأجانب ببلاد المسلمين من كل جانب ولا يفوتني ان اؤكد لمولانا الأستاذ وهو عالم بالحقيقة انه لو اراد الانكليز ان يظل الوهابي داخل حدوده النجدية ومنعوا عنه مساعداتهم المعروفة لما تقدم شبراً واحداً في البلاد الحجازية والله وحده كفيل بأن يرزق صديقنا الشيخ رشيد الرشد والهداية ويثبته في سبيله دون التفات الى ما سواه فما سوى الله باطل (انتهى) .

وعاد الشيخ رشيد رضا فكتب في كوكب الشرق في عددها الصادر في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٤ مقالا طويلا ردا على هذا الاديب الفاضل جاء فيه بعنوان :

الفتنة بين المسلمين

(ايقاظ حزب الشريف حسين والشيعة لها)

كتبت ذلك المقال لتنبيه مسلمي مصر وحكومتها وتنبيه مثيري الفتن لما في منع الحج بمثل الدسائس والفتن التي اثارها

المسلمين ويستوجب به الذم فما بال الوهابية وداعيتهم صاحب المنار قد فرقوا كلمة المسلمين حتى استوجبوا اللوم والذم مع الفرق الظاهر بين من ينشر دعوته بالحجة والبرهان وبالتي هي احسن ومن ينشرها بالسيف والسنان ورصاص البنادق والغزو والقتل والنهب والسلب والشتم والتحقير. وبعد ان ذكر ان دولة ايران وحكومة العراق منعتا رعاياهما من الحج وانها اذيعت اراجيف افترضها اعداء الإسلام لصد المصريين عن الحج واغراء الحكومة بمنعه رسميا بالصفة التي اقترفتها في العام الماضي (قال) اما سعي

بعض غلاة الشيعة باهواء التعصب المذهبي وكيد السياسة اللادينية من الخطر على اصل الاسلام (١) وقال انه سافر في اثر ذلك الى الحجاز لنصيحة حكومته والتأليف بين المسلمين وجمع كلمتهم (وقال) في الرد على الفاضل الايراني: انه افتتح رده بكلمة ليست من الموضوع في ورد ولا صدر وهي انني كنت احرق للحسين واولاده بخور الثناء واغريهم بالترك الخ وانه لا يدري لماذا اعرضت عنهم. تهم مبهمة باطلة اننا لم نحرق بخور الثناء لحسين واولاده في يوم من الايام ولا اغريناهم بالترك ولا يستطيع (مهدي بك رفيع مشكي) اثبات ذلك واما حملتنا عليهم وانتصارنا للوهابية فان كان لا يدري سببه كما ادعى فليراجع مجلدات المنار الاخيرة او الخطاب العام الذي وجهناه الى العالم الاسلامي او مقالاتنا في الاهرام (الى ان قال) كل ما ذكره الكاتب الاديب من امر الوهابية هو خوض في الاحكام الدينية والاخبار التاريخية بغير علم ولا نمن عليه بعدم محاسبته عليه لاننا انما نكتب ما نرى فيه المصلحة والفائدة ولا فائدة في بيان هذه المسائل له بادلتها لانه لا يعني بقراءته وانما هو يدافع عن دولته ونحلته على حد قول الشاعر:

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

(الى ان قال): ان الشيعة في كل قطر وحكومتهم الإيرانية يعادون الدولة السعودية السنية السلفية الحاضرة ويبغون اخراجها من الحجاز بالدسائس والفتن (الى ان قال) ان من توفيق الله تعالى لابن سعود ان تتصدى شيعة العجم لعداوته بعد ان مكن الله له في الحرمين الخ.

واجابه الفاضل الإيراني في جريدة المقطم في عددها الصادر في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ وما قبله قائلا: تحت عنوان: اثارة الفتن بين المسلمين

(من هم موقدو نارها)

ما كان اغنانا عن الوقوف موقف الرد على صديقنا الأستاذ الشيخ محمود رشيد رضا (الحسيني الحسني) وما كان اغناه عن الوقوف موقف سدل سجف الغرض المحض على الحق المحض رددنا في هوادة ورفق على ما نشره في كوكب الشرق خاصا

(١) يا الله يا لطيف يا كافي البلا اذا لم يحج بعض المسلمين في بعض السنين خوفاً على انفسهم من الوهابيين ولم ينتفع الوهابي بأموالهم التي لا يمكن ان يعيش في الحجاز بدونها يتقوض الإسلام من اصله فحيى الله هذه الغيرة على الإسلام والمسلمين التي خص الله بها صاحب المنار.

دعاة الرفض والشقاق في جزائر الهند الشرقية الملاوية فلا قيمة له ولا يخشى ان يكون لـه تأثير يذكر (ونقول) ليس في الجزائر المذكورة دعاة لما يسميه الرفض والشقاق بل دعاة الى الحق والوفاق. والعجب ممن نصب نفسه للإصلاح بزعمـه كيف جعل همه مصروفـا الى ثلب اعراض الناس وشتمهم والوقيعة فيهم تنفيذاً لمآربه وغاياتـه ولا يـزال قلمـه ينفث السموم في تفريق كلمة المسلمين وايغار صدورهم ولا يترك فرصة تمر به الا ويصرفهـا في ذلك حتى وصلت سهام قذفه وقذعه الى جزائر الهند الشرقية انتقـامـا من اهلهـا الـذين

بمنع حكومة ايران لرعاياها من ارتياد البلاد الحجازية ولما تستقر حكومة منتظمة يطمئن لها المرتاد آمنـا على مـالـه وعـرضـه ونفسه وما كان لنا ان نعكر عليه صفو المهمة التي ندب نفسه اليها من مناصحة القائمين بالأمـر في الحجـاز ودلالتهم على طريق الخير ولم نعدم بعد في الأستاذ دالا على الخير ومرشدا الى الصـواب وقـديما كـان الشيخ منـذ شب عن الطـوق فـارس خطوب ومقارع هيجاء وناصح ملوك ومنشيء ممالك ولله الأمر من قبل ومن بعد اما وقد ابى الأستاذ الا ان يرمي خصـومـه بالألحاد وابى الا ان يجلسني على طريق القافية فلأعد اليه مفاخرا مباهياً باني وان اضطررت الى الـدفـاع عن ديني ومـذهبي وقومي وحكومتي فانني لا ازال من احفظ الأصحاب للأصحاب ولا يزال لمولانا الأستاذ نصيبه من اكباري. قـال الأستـاذ افتتح الأديب رده بكلمة ليست من الموضوع في ورد ولا صدر وهي انني كنت احـرق بخـور الثنـاء لحسين واولاده واغـريهم بالترك الخ ولا يستطيع مهدي رفيع مشكي اثبات ذلك.

يكتفي مهدي رفيع مشكي بأن يشهد العالم اجمع على ما كان يكتبه الشيخ رشيد في مجلة المنار مما يثبت جليـا انـه كـان يحرق بخور الثناء لحسين واولاده وانه كان يغريهم بالترك ومن اليهم من الذين كـانـوا يـرجـون الخير على ايـديهم للمسلمين قـال الأستاذ الشيخ رشيد رضا (الحسيني الحسني) في صفحة ١٦٦ من المنـار ج٣ م ١٩: ان الشريف يعلم كما يعلم العـارفـون وكل من له المام باحوال الدولة ان ملاحدة الأتحاديين قد سلبوا الخليفة نفوذه وجميع حقوقه حتى ما هـو مـدون في قـانـونهم الأساسي فاصبح المسلمون بغير امام شرعي لا حقيقي مستوف للشروط الشرعية ولا متغلب يطاع لضرورة جمع الكلمـة وانما المتصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي الملحدة فالسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الان في المملكة ولا في قصره ويسميـه اهل الاستانة (المهردار).

وقال في صفحة ١٦٧ ج٣ م ١٩ من مجلة المنار: ان ملاحـدة الإتحاديين شرعـوا في تنفيـذ خطتهم بـاذلال العـرب التي هي مقدمة او علة لإذلال الإسلام كما ثبت في الحديث الصحيح (اذا ذلت العرب ذل الإسلام) فبدأوا بالعراق والشـام ثم مـدوا براثنهم الى الحجاز فاضطر الشريف الى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز واستقـلالـه بـالسلطـة فيـه من دونهم لمجموع ما تقدم من الأسباب (ثم قال) في الصفحـة ذاتها (ومن وقف على الحقـائق يـرى ان الشريف قـام بأعظم خـدمـة للإسلام والمسلمين) وقال (فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة اسلامية خالصة ويوشك ان يكون هذا مقدمة لدولة عربية اسلامية كبيرة).

ان الاستاذ لم يحرق بخور الثناء للحسين في ثنايا هذه السطور ولم يغر العرب بالترك اليس كذلك يا مولانا؟ ولا ادري ما بـال مولانا الأستاذ يستسهل رمي خصومه بالإلحاد وهو الحجة الحافظ الذي بصر بقوله (ص): ما قال مؤمن لمؤمن كافر الا بـاء بها احدهما فحكومة ايران في زعمه ملحدة ودعاة الإصلاح في الشرق ملاحدة وكل من وقف في وجه اماني الأستاذ واغراضـه

امتنعوا عن الحج خوفا على دمائهم واموالهم من قـوم يعتقـدون فيهم الشرك وحليـة المال والدم وقد امتنع عن الحج في تلك السنة جميع مسلمي جاوة من جميع المذاهب خوفا على انفسهم . وهل كانت الحكومة المصرية بمنعها رعاياها رسميا في العـام الماضي كما اشـار اليه من دعاة الرفض والشقاق في نظره وهو وحده السالم من الشقاق والنفاق ومـا الـذي يحمي الحجاج من بنادق الوهابية اذا سبق الى لسان احدهم ما تعودوه من قول يا محمـد يا رسول الله ومن قولهم عند زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الشفاعة يا رسـول الله مما يراه الوهابية شركا اتحميهم مقالات صاحب المنار المنشـورة في كـوكب الشرق وغيرهـا ومن هو الموقظ نار الفتنة اهم الوهابية بإصدارهم الفتاوى في حق اهل الأحساء والعراق

ملحد ومن قبل كان الإتحاديون ملاحدة وسيصير غيرهم كذلك بعد الغصة وحرمان الفرصة ملاحدة فمولانـا الشيخ رشيـد محكمة شرعية جوالة تحكم بالإلحاد على من تشاء وتفرغ حلة الدين على من تشاء .

الا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

اما الخوض في الأحكام الدينية فالمسلمون لا يريدون الا ان يتركوا احرارا وكان اولئك بلا شك خيرا من محمد بن عبد الوهاب وخلفائه الى يومنا هذا واما معاداة الشيعة في كل قطر وحكومتهم الإيرانية للدولـة السعـوديـة السنيـة وبغيـة اخـراجهـا من الحجاز بالدسائس والفتن فليس لنا ان ندحضه الا بأن نعلم الأستاذ والناس جميعا ان الشيعة في كل قطر لا يعـرفـون دولـة سعودية سنية وانما يعـرفـون اميراً لعـرب نجـد شـاء القـدر ان يتغلب على الحجـاز بعنت الحسين بن علي ورفضـه امضـاء المعاهدات الإنكليزية ونصارح الأستاذ انه لو امضى الحسين معاهدة فرساي او معاهدة لورنس وترك التمسك بوثائقه الأولى التي خرج بعد الحصول عليها على الدولة العلية واغفل الاحتفاظ بفلسطين وسورية والعراق واعترف بعهد بلفور لظل ملكا عظيما مهيب الجانب لا يجسر ان ينظر اليه ابن سعود واشباهه من امراء الجزيرة وشيـوخهـا الا نظـرة الصغير للكبير ولـو ان الحسين امضى في آخر لحظة معاهدة ناجي الأصيل لكف محرضو ابن سعود وممدوه بالمال والسلاح عن تحريضهم وامدادهم اما وقد اراد الحسين ان يختم تاريخه بالمشادة مع الإنكليز فقد كان في موقفه هذا موجدا للدولـة السعـوديـة السنيـة السلفيـة الحاضرة بيد الإنكليز وبمال الإنكليزوبمعاهدات الإنكليـز حيث دخلت في كنف الإنكليـز والاستـاذ حفظـه الله لا ينكـر ذلك .

واما الدعاية بتصوير الوهابية بصورتهم الحقيقية ودفع مناهضتهم عن اهل القبلة المحمدية فهو فـرض على كل مسلم دفعـا لشرورهم وصدا لعنتهم واذلالا لكبريائهم على اخوانهم المسلمين وعودا بهم الى مضـارب خيامهم فانهم اظهـروا قصـورا عن اللحاق ببناة المدنية الإسلامية الذين شادوا مجد الإسلام على ممر الأعوام فكانوا عـز الغـابـر ومفخـرة الحاضر . وامـا ان يعـد الأستاذ من توفيق الله لابن سعود ان يتصدى الشيعة لعداوته بعد ان مكن الله له في الحرمين فذلك منطق معكوس اذ لم نعلم ان فريقاً من المسلمين في انحاء الأرض ايا كان مذهبه يناصر الوهابية والـوهـابيين اللهم الا مـولانـا الأستـاذ الشيخ رشيـد واشباهه من المتمثلين بقول الشاعر :

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معديا فعدناني

وغيرهم ونشر صاحب المنار لكتبهم التي يكفرون بها جميع المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم واعراضهم ونشره لرسالة تطهير الاعتقاد مستقلة بعدما نشرها في المنار الجاعلة كفر المسلمين اصلياً لا ارتدادياً ونشره في سيرة ابن عبد الوهاب انه يرى البراءة مما عليه الرافضة وانهم سفهاء لئام. ولكن الذين يسميهم بالرافضة وهم شيعة علي وابنائه الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهو امامهم الذي يدعون به يوم يدعو الله كل اناس بامامهم ويصفهم بالسفاهة واللؤم (واي سفاهة ولؤم اعظم من قوله هذا) اولى بالفوز يوم القيامة منه برواية ائمته علي وشيعته هم الفائزون اما وصف صاحب المنار سادة الملايو بالرفض لاتباعهم مذهب اجدادهم الذين يدعي الانتساب اليهم فهو من اقوى شواهد الصحة لدعواه.

واذا كان صاحب المنار يعتقد كما يعتقد الوهابية بكفر جميع المسلمين ما عداهم وشركهم فليقل اثارة الفتن بين المسلمين والمشركين واذا كان لا يعتقد ذلك فأي فتنة اعظم من نشر تلك الكتب المتضمنة لذلك الاعتقاد وهل في الكون شيء اعظم على المسلم من نسبة الكفر والشرك اليه الموجب لاستحلال ماله ودمه وعرضه وكيف جاز له نشر ما لا يعتقده مما هو اعظم مثير للفتنة بين المسلمين.

(قال) واما فعلة الدولة الايرانية فسببها الظاهر التعصب المذهبي ويظن ان ذلك خداع للشعب في الظاهر والسبب الباطني نزعة لا دينية كنزعة انقرة (ونقول) التعصب المذهبي لا يحمل الانسان على ترك ركن من اركان الدين والمذهب نعم سببه الباطن والظاهر التعصب المذهبي من الوهابيين الحاكمين بشرك من عداهم واستحلال ماله ودمه ولذلك لما ظهر عدم الخوف ارتفع المنع من الدولة الايرانية والمصرية والعراقية وبلاد الجاوة وغيرها وظهر انه لا تعصب مذهبياً ولا نزعة لا دينية وان نسبة ذلك محض افتراء ومن يبلغ به التعصب المذهبي الى هذه الدرجة لا يمكن ان يظن به نزعة لا دينية.

(ثم قال) ان الخلاف بين اهل السنة والشيعة الذين كان مثار اعظم الفتن والبدع في الإسلام وسبب العداوة والشقاق بين المسلمين كان قد ضعف بضعف اسبابه وهو تداعي الخلافة الإسلامية والسلطنة العربية فزوالها (ونقول) ان كان ضعف فليس ضعفه من تداعي الخلافة الإسلامية والسلطنة العربية فقد ضعفتا في عهد الدولة البويهية الشيعية وغيرها ولم يضعف الخلاف وهل هو بمقالاته هذه يسعى في اضعافه او في

نقويته او في الوصول الى مآربه غير مبال بضعف الخلاف وقوته وبعد فالخلاف الذي نحن بصدده ليس هو الخلاف بين اهل السنة والشيعة بل بين الوهابية وسائر المسلمين من السنيين والشيعيين فالجميع يكفرهم الوهابيون ويشركونهم ويستحلون دماءهم واموالهم ولا يفرقون بينهم فما باله يخلط الوهابيين بأهل السنة ويقابلهم بالشيعة وينفخ في نار الخلاف بين اهل السنة والشيعة ليقضي مآربه على حساب الفريقين.

(وقال) وانما كان الغلو في التشيع والشقاق بين المسلمين من زنادقة الفرس لأجل هذا لا حبا بأهل البيت (ع) (ونقول) الغلو في التشيع كالغلو في النصب لم يكن مختصا بقوم دون قوم (واما) الشقاق بين المسلمين فلا يجهل هو ولا غيره أسبابه الحقيقية التي ترجع الى هضم الحقوق وحب الاستئثار وما اسسه علماء السوء مما ليس هذا مقام بيانه لا الى زنادقة الفرس الذين خلقتهم مخيلته ومن هم زنادقة الفرس الذين غلوا في التشيع واحدثوا الشقاق بين المسلمين ليبينهم لنا ان كان من الصادقين وهل حرب الجمل وصفين والنهروان ووقعة كربلا والحرة وسائر الحروب الإسلامية كانت من زنادقة الفرس الذين غلوا في التشيع او من مؤمني العرب الذين اعتدلوا في التشيع او غلوا في النصب ليبينهم لنا الأستاذ. وهل اعاظم علماء الأمة الإسلامية من سنيين وشيعيين كانوا من غير الفرس وما ربط هذه المباحث الفارغة بما نحن فيه (قال) ثم تجدد بتجديد دولة قوية منسوبة الى السنة وهي الدولة العثمانية ثم ضعف بضعفها وجهل رجالها وغباوتهم الذي مكن للشيعة بث دعوة مذهبهم في العراق وغيره ثم تجدد بظهور الدولة السعودية الأولى ثم سكن بضعفها ثم هبت عاصفته بظهور الدولة السعودية اليوم. مقدمات رصينة متينة ونتائج ظاهرة بينة. التعصب المذهبي دعا دولة ايران الى منع رعيتها من الحج وسببه الخلاف بين اهل السنة والشيعة واهل السنة هم الوهابية والخلاف ضعف بتداعي الخلافة ثم قوي بظهور الدولة القوية السنية العثمانية ثم ضعف بضعفها ثم قوي بظهور الدولة السعودية الأولى ثم ضعف بضعفها ثم قوي قوة عظيمة وهبت عواصفه بظهور الدولة السعودية اليوم. مقدمات واهية ونتائج معكوسة والوجدان اعظم شاهد على ان هذا الخلاف لم تؤثر فيه قوة الدولة العثمانية ولا ضعفها قوة ولا ضعفا ولا هو مرتكز على اساس ضعفها وقوتها ولا ربط له بخلافتها وسلطنتها وليس عند الشيعة في عصرها خليفة ينازعها وتنازعه الخلافة حتى يسبب ذلك الخلاف وما هي قوة الدولة السعودية

الأولى في جنب الدولة العثمانية واما قوله بضعفها وجهل رجالها وغباوتهم الذي مكن للشيعة بث دعوة مذهبهم في العراق وغيره فجملة معترضة لا محل لها من الصحة والفائدة حمله عليها التعصب الذي نسبه الى غيره وعادة القدح والقذف وكأنه ينسب الى الدولة العثمانية الجهل والغباوة بعدم ضغطها على الحرية المذهبية كما تفعله الوهابية.

ثم قال ان السلطان ابن سعود لم يتعرض هو ولا عماله لحرية رعيته من الشيعة في الأحساء ولا لتفضيل اهل السنة عليهم في الحقوق.

هذه دعواه ولكنه لم يأت عليها بشاهد فمن لنا بتصديقها وما اهون الدعاوى بلا شاهد ولكن فتوى علماء الوهابية الاتية في الخاتمة في حق اهل الأحساء وغيرهم تجعلنا نجزم بكذبها والوهابيون كانوا اولا يقفلون الحسينيات في الأحساء قائلين امر الإمام باقفالها فاذا قبضوا مئات الروبيات قالوا جاء امر الإمام بفتحها اما الان فلا شك انهم منعوا من إقامة عزاء الحسين (ع) بالكلية فقد هدد حاكم المدينة المنورة هذه السنة شيعتها بحرق الدار التي يقام فيها عزاء الحسين عليه السلام وحبسوا السيد عباس مختار في جدة شهراً لإقامته العزاء في داره وحبسوا القارىء خمسة عشر يوما وطردوا شيعة العراق جميعهم من نجد فهذه هي الحرية التي لم يتعرضوا لها بزعم صاحب المنار.

قال ورغب في موادة دولة الشيعة الإمامية فاكرم وفادة وزيرها المفوض بمصر عندما زاره في مكة المكرمة قبل انتهاء مشكلة الحجاز وكان هذا بعد ان اظهرت حكومة ايران ورعيتها من السخط والاحتجاج عليه وعلى قومه اشدهما وانكرهما لاتهامهما الباطل بتدمير قبة الحجرة النبوية ومسجد حمزة عم الرسول (ص). (الى ان قال) ثم عمل عملا آخر يؤذي الشيعة وهو انه امر بأقفال مسجد سيدنا علي (ثم قال) الظاهر إنه أحد المساجد التي بنيت في المصلى اي المكان الذي كان النبي (ص) يصلي فيه العيدين والاستسقاء وقد نهى ان يبنى فيه شيء ولكن المسلمين بنوا فيه عدة مساجد ولم تكن هذا اول مخالفة له (ص) في امر الدين ولا سيما بناء المساجد والقباب على القبور وغير ذلك ثم نقل عن مرآة الحرمين انه اقيم في بعض المصلى بناء مسجد سمي مسجد المصلى او مسجد الغمامة وفي شماليه مسجد يعرف بمسجد ابي بكر الصديق وفي شمالي المسجد الأخير مسجد يعرف بمسجد علي عمره امير المدينة زين الدين ضيغم المنصوري سنة ٨٨١هـ (قال) فان كان ملك الحجاز امر باقفال هذا المسجد وحده دون ما جاوره من

المساجد التي بنيت حيث نهى النبي (ص) عن البناء فللشيعة ان يستاؤا منه (قال) والغالب انه امر باقفاله واقفال غيره مما بني في مصلى العيد النبوي لمخالفة امره (ص) في بنائها الا ان يكون قد اعتيد في هذا المسجد وحده القيام ببدع لا تقام في غيره وسيعرف زوار المدينة المنورة من جميع الشعوب حقيقة ما وقع انتهى المراد نقله. فجعل موجب استياء الايرانيين واحتجاجهم تهمتهم الباطلة للوهابيين بتدمير القبة النبوية ومسجد حمزة كأن الوهابيين لم يدمروا مسجد حمزة ولم يتركوا تلك البقعة قاعاً صفصفاً وسكت عما هو السبب الأعظم في استياء الإيرانيين بل وجميع المسلمين مخادعة منه ومواربة عن الحقائق وهو تدمير قبة أئمة اهل البيت الطاهر بالبقيع التي حوت قبور أربعة من اعاظم اهل البيت وهم الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين وابنه الإمام محمد الباقر باقر العلوم وابنه الإمام جعفر الصادق وحوت قبر العباس عم النبي (ص) وقبر البضعة الزهراء على بعض الروايات وقبر فاطمة بنت اسد ام امير المؤمنين علي بن ابي طالب على رواية وحصر السبب في تهمة باطلة بزعمه وهي هدم مسجد حمزة وامر لا يؤبه له وهو اقفال مسجد علي (ع) بالمصلى الذي لا نظن ان جل الإيرانيين سمعوا به او باقفاله الى اليوم أو خطر ذلك ببالهم وهل هدم قبة أئمة البقيع ايضاً تهمة باطلة عند صاحب المنار كتهمة هدم مسجد حمزة العظيم الذي اصبح قبر حمزة سيد الشهداء بعد هدمه في فلاة من الأرض على كومة من التراب.

(اما اعتذاره) عن هدم هذا المسجد او اقفاله بنهي النبي (ص) عن البناء في هذا المكان وان المسلمين بنوا فيه ولم يبالوا بمخالفته (ص) وانها ليست اول مخالفاتهم له (ص) في الدين فاعتذار واه وسوء ظن بالمسلمين نهى الله ورسوله عنه وامر بحسن الظن وحمل افعالهم واقوالهم على الصحة ما لم يعلم الفساد فان هذا النهي على فرض ثبوته مصروف الى بناء البيوت او المساجد في ذلك المكان في زمانه (ص) حيث كان يصلي فيه العيدين والبناء مانع عن ذلك فلا يشمل البناء بعده (ص) حيث لا تعتاد الصلاة في ذلك المكان لأنه لا علة فيه توجب حرمانه من وجود المسجد فيه وان كان الأمر كذلك فعلى الوهابية ان يهدموه لا ان يقفلوه فانه (ص) نهى عن البناء لا عن الصلاة والحقيقة انهم هدموه كما قاله الفلسطيني في كلامه الاتي ولكن صاحب المنار أبدل الهدم بالإقفال تهويناً للأمر كما اعرض عن هدم قبة أئمة البقيع الى اقفال هذا المسجد والداعي له في

المقامين واحد (وابرد) من الكل قوله الا ان يكون قد اعتيد في هذا المسجد بدع لا تقام في غيره فما هي تلك البدع التي اوحاها الخيال الى صاحب المنار والقوم قد هدموه ولم يقفلوه أفاقامة البدع الموهومة في مسجد تجعل جزاءه الهدم عند الوهابية إذاً فليهدموا مسجد النبي (ص) لأنها تقام فيه البدع من تعظيم قبر النبي (ص) والترحيم والتذكير وغيرها وليهدموا المسجد الحرام او مناراته لانها تقام فيه البدع من التذكير والترحيم (والعجب) من هؤلاء انهم يتورعون عن محرم موهوم ويقدمون على محرم معلوم من هدم المساجد ومنع ذكر اسم الله فيها ﴿ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها (الى قوله) اولئك لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم﴾ (قوله) وسيعرف زوار المدينة المنورة من جميع الشعوب حقيقة ما وقع. نعم قد عرفوا حقيقة ما وقع من هدم كل مزار لهم فيها وعرفوا ان ما قاله هذا الرجل وما لا يزال يقوله محض تمويه وستر للحقائق الظاهرة لغرض في نفسه وان هدم مسجد حمزة وغيره ليس بتهمة باطلة وعرفوا انهم ممنوعون عن الدنو الى قبر نبيهم والتبرك به وانه لا يمنع الوهابيين عن هدم قبته (ص) وقبره غير الخوف من هياج الرأي العام الإسلامي ضدهم ازيد مما هو حاصل.

وبناء على هذه العلة التي اخترعها صاحب المنار لاستياء الإيرانيين من الوهابيين وهي إقفال او هدم مسجد علي توهم طالب فلسطيني بالازهر وهو محمد بدر الدين الخطيب ان هذا المسجد الذي لم نسمع به قبل اليوم من فروض الحج عند الشيعة فعقد في جريدة المقطم بتاريخ ٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٤ مقالا للمحاكمة بين الوهابيين وخصومهم قائلا: وهنا اتجرد عن التحزب لفريق دون آخر ورغما عن هذا التجرد الذي شرطه على نفسه فان تمويهات الموهين واكاذيب الناقلين التي لم يطلع على غيرها اوقعته في الخطأ في آخر كلامه لا عن تعمد منه (قال) في محاكمته:

لا ينكر الا كل مكابر ان الوهابيين بلغوا من الغلو حد الإفراط حتى كادت تنعكس الاية التي يعلنونها على العالم الإسلامي من محاولة الإصلاح واعادة الإسلام الى سيرته الأولى وبلغ بهم الإفراط الى اعتقاد انهم وحدهم ذوو الإيمان الصحيح وغيرهم لا يعرفون من الإسلام الا اسمه وان ما سوى مذهبهم مما يدين به المسلمون وثنية وكفر يهدمون القبور لأنها اوثان سواء قبر النبي والولي وغيره ولولا حوائل تعترض لهم في هدم قبة النبي

(ص) بل في هدم قبره الشريف لفعلوا لم يحترموا شعائر غير مذهبهم فهدموا مسجد سيدنا علي المقدس عند الشيعة ﴿ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم﴾ وقال (ص) الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها (ثم) قال والشيعة مغالون في تشيعهم واعمالهم التعبدية اذ يعتقدون ان مسجد سيدنا علي من فروض الحج وشروطه مع انه لم يرد بذلك نص شرعي فلا يسعني الا ان ارميهم بالمغالاة لا كما ينظر اليهم الوهابيون بل باعتدال ولا اخال ان ما يرمون به من قولهم ان جبرائيل اخطأ في تبليغ الرسالة للنبي (ص) اذ هي لعلي الا كذبا وافتراء اختلقته الأوهام والاغراض ولا نغتفر لمسلمي الشيعة مخالفتهم لسائر المسلمين في بعض مناسك الحج كالوقوف بعرفة وغير ذلك فقد اجمع علماء الإسلام على مناسك الحج وصفتها وكيفيتها واوقاتها مما يؤديه اهل السنة اليوم غير منقوص ولا مبتور انتهى المراد نقله (ونقول) احكم ايها الطالب على ما نسب الى الشيعة من اعتقادهم ان مسجد علي الذي يجهل جل الشيعة ان لم يكن كلهم انه في عالم الوجود من فروض الحج وشروطه بانه كذب وافتراء اختلقته الأوهام والأغراض كما حكمت على نسبة خطأ جبرائيل في تبليغ الرسالة ولا تخف ولا ترتب واعلم ان اكثر الشيعة لم يسمعوا بهذا المسجد الى اليوم فضلا عن ان يكون من فروض الحج وشروطه عندهم وقد تشرفنا بحج بيت الله الحرام مرتين وبزيارة المدينة المنورة مرتين ولم نأت هذا المسجد ولم نسمع به ولا ذكره امامنا ذاكر وهذا الطالب يقول انه من فروض الحج وشروطه عند الشيعة فهل علم من معتقدات الشيعة ما لم يعلموه هم انفسهم ولم ندر من اين سرى اليه هذا الوهم ولعله من مقالة صاحب المنار التي مر نقلها عن كوكب الشرق حيث اخترع صاحب المنار علة لاستياء الشيعة هي هدم مسجد علي او اقفاله فظن هذا الطالب انه من فروض الحج وشروطه عندهم (١) وهذه كتب مناسك الحج للشيعة وكتبهم الفقهية مطبوع منها الملايين فليرجع اليها ان شاء ولينظر هل يجد

---

(١) وفي كلام الفاضل الإيراني المتقدم في الحاشية السابقة ما يشبه ان يكون تسرب الى ذهنه من كلام صاحب المنار شيء من هذا الوهم حيث قال: إن الإيرانيين ألفوا في الحج والزيارة شؤونا يعتقدون انها من مستلزمات اداء ذلك الركن كزيارة مشاهد اهل البيت وزيارة مسجد منسوب للامام علي عليه السلام.

فيها لهذه الفرية اثراً بل يعلم يقيناً انها كالفرية الأخرى ولها امثالها فريات كثيرة. ومن هذا البحر وعلى هذه القافية قوله انه لا يغتفر للشيعة مخالفتهم لسائر المسلمين في بعض مناسك الحج كالوقوف بعرفة وغير ذلك فترى ان جواد فكره لم ينته به الى آخر ساحة الإنصاف الذي شرطه على نفسه او لا بل كبا به في اثنائها واوقعه في وهم علق بذهنه من اقاويل المفترين على الشيعة بانهم يخالفون سائر المسلمين في بعض مناسك الحج كالوقوف بعرفة وما ندري ما يريد بالوقوف بعرفة الذي زعم مخالفتهم فيه فان عرفة مكان مخصوص معلوم محدود عند جميع المسلمين سنيهم وشيعيهم يقفون فيه يوم التاسع من ذي الحجة ولعله يريد ان الشيعة قد يقفون في ثاني اليوم الذي يقف فيه غيرهم وهذا لا لوم فيه عليهم إذا لم يروا الهلال ولم يثبت عندهم كون يوم وقوف غيرهم يوم عرفة ولم يحصل حكم حاكمهم الشرعي بذلك سيما في ايام قضاة الترك الذين علمت حالهم في التساهل في امر اثبات الهلال وكانوا يبذلون الجهود في تدبير الشهود لجعل وقوف عرفة يوم الجمعة لينالوا الخلعة السلطانية ولم لا يكون اللوم على غيرهم في ذلك او لا لوم على الفريقين في عملهم بما اوجبه مذهبهم لا عناداً ولا خلافاً للحق وفي كثير من السنين كان يتحد يوم الوقوف للكل ونحن قد حججنا مرتين كان الوقوف فيهما واحدا (اما قوله) وغير ذلك فلسنا نعلم ما هو غير ذلك حتى نجيبه عليه (ولا يعلم الغيب الا الله) قوله فقد اجمع علماء الإسلام على مناسك الحج الخ (ونقول) ان الذي اجمع عليه علماء الإسلام من مناسك الحج لا يخالف فيه الشيعة ولا يجوز عندهم مخالفته لا في اوقاته ولا في صفاته ولكنه خفي عليه أن الخلاف بين اهل السنة انفسهم في بعض مناسك الحج اشد منه ما بين الشيعة واهل السنة فالمالكي يكشف كتفه في الإحرام ويتوشح بالرداء ورأينا جماعة من المغاربة خارجين الى عرفات للحج وهم لابسون للمخيط والعمائم على رؤوسهم وبعض اهل السنة يهرول في الطواف وبعض اهل المذاهب الأربعة لا يجيز التظليل للرجال في الإحرام حال السير وبعضهم يجيزه راجع ميزان الشعراني الى غير ذلك مما لا تسعه حال هذه العجالة ونحن نرغب الى هذا الطالب وغيره من اخواننا اهل السنة ان لا يسرعوا في احكامهم على اخوانهم الشيعة استنادا الى اقوال الجاهلين ومفتريات المعاندين بل يتريثوا ويتثبتوا فطالما نسبت الى الشيعة امور هم بريئون منها صورها الجهل واختلقتها الأوهام واوجدتها العداوة والعصبية.

«المقدمة الثانية»

في امور مهمة يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية

الأول

احكام الشرع الإسلامي (منها) ما هو ضروري كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والكذب وهذا لا يحتاج الى اقامة الدليل عليه ولا يجوز الاجتهاد بخلافه بل يخرج منكره عن الإسلام (ومنها) ما هو نظري ككون افعال العباد مخلوقة لله والكسب للعبد وكون صفات الله عين ذاته وثبوت الكلام النفسي ورؤية الله تعالى وان الإمامة بالنص او باختيار الأمة وغير ذلك هذا في الأصول واما في الفروع فكحكم الشك في الصلاة والبناء على القبور وحكم ما لا نص فيه كالتدخين وغير ذلك وهذا يجب اخذه من ادلة الشرع الكتاب والسنة والإجماع والعقل للقادر على ذلك وغيره يقلد القادر.

ولا يجوز الحكم بضلالة احد او فسقه فضلا عن شركه وكفره لمخالفته في أمر اجتهادي اي ليس من ضروريات الدين ولا يجوز معارضته وممانعته واجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده بل هو معذور في اجتهاده ما لم يكن مقصرا وللمخطىء اجر واحد وللمصيب اجران. روى البخاري في صحيحه عنه (ص) اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله اجر. وقال ابن تيمية في كتابه الذي سماه منهاج السنة (١) على ما حكي: قول السلف وائمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم لا يؤثمون مجتهدا مخطئا لا في المسائل الأصولية ولا في الفرعية انتهى فمن اجتهد في اباحة شيء كالتدخين او استحبابه كالتبرك بقبة النبي (ص) وتقبيله وشد الرحال الى زيارته او انه ليس ببدعة كالترحيم والتذكير ليس لمن اجتهد على خلافه معارضته وممانعته ولا تفسيقه وتضليله فضلا عن تكفيره وتشريكه لأن ذلك ليس من ضروريات الدين التي لا يجوز الاجتهاد فيها.

---

(١) ص ٢٠ ج ٣.

الثاني

الكتاب كلام الله تعالى المنزل على نبيه (ص) وهو قطعي السند لاتفاق المسلمين كافة على ان ما بين الدفتين منزل منه تعالى (اما دلالته) ففيه المحكم والمتشابه او المجمل والمبين (فالمحكم) ما يكون ظاهر الدلالة ويسمى المبين (والمتشابه) ما يكون غير ظاهر الدلالة بل المعاني فيه على السواء في الاحتمال ويسمى المجمل (ثم المبين) قسمان (النص) وهو ما لا يحتمل الخلاف (والظاهر) وهو الراجح مع احتمال الخلاف. ويسمى المرجوح المقابل للظاهر (المؤل). وفي الكتاب ايضا العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ. ولا يجوز الاحتجاج من الكتاب بغير النص والظاهر الا ما بينته السنة بعد ثبوتها او الإجماع. كما لا يجوز العمل بالعام او المطلق الا بعد الفحص عن الخاص او المقيد ولا بالدليل الا بعد الفحص عن معارضه او ناسخه لأن الدليل لا يكون دليلا بدون ذلك.

وبسبب وجود هذه الأقسام الكثيرة في القرآن وغيرها امكن لكل ذي قول حقا كان او باطلا ان يستند في صحة قوله الى ظاهر آية من القرآن. فربما استند الى الحقيقة وغفل عن قرينة المجاز او المطلق او العام وغفل عن المقيد او الخاص الى غير ذلك (وقد) جمع احمد بن محمد بن المظفر الرازي من اعيان القرن السابع ومن علماء اهل السنة كتابا سماه (حجج القرآن) ذكر فيه من الايات ما يمكن ان تحتج به كل فرقة لمذهبها واقوالها المتباينة المتناقضة. ونحن نذكر مثالا من ذلك من جملة ما ذكره وما لم يذكره (فالوعيدية) المنكرون للعفو الموجبون المؤاخذة على المعاصي يمكنهم الاستدلال بآية. ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ (والوعيدية) القائلون برفع المؤاخذة بالكلية وان الله لا يعاقب على المعصية لهم الاستناد الى آية. ﴿يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾ (والمثبتون) للرؤية في الاخرة استندوا الى آية. ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾ (والنافون) الى قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾. لن تراني (والجبرية) الى آيات كثيرة مثل: ﴿وخلق كل شيء. قل كل من عند الله. يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة. يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ان الله لا يهدي القوم الكافرين. فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ (والعدلية) الى مثلها كقوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر. وما الله يريد ظلما

للعباد. او للعالمين. سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا (الاية). فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا. قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا﴾ (والقائلون بالتجسيم) على الحقيقة بالجهة يستندون الى الايات التي فيها اليد والعين والوجه (والنافون) الى آية: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (والمجوزون المعصية على الأنبياء) الى آيات: ﴿وعصى آدم. وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه (الاية). فانساه الشيطان ذكر ربه. سبحانك اني كنت من الظالمين. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ (والنافون) الى آية: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ (والقائلون بخطاب الكفار بالفروع) الى عموم: ﴿يا ايها الناس اعبدوا ربكم﴾ (والنافون) بخطاب: ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ (والوهابية) استدلوا على عدم جواز دعاء غير الله والتشفع بغيره والاستغاثة به بآية: ﴿فلا تدعوا مع الله احدا. لله الشفاعة جميعا﴾ «وغيرهم» بآية: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته. ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك (الاية). يا ابت استغفر لنا ولا يشفعون الا لمن ارتضى. من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه. يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين. اذكرني عند ربك. اغناهم الله ورسوله. آتاهم الله ورسوله. سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾.

الثالث

السنة قول المعصوم او فعله او تقريره وشرط الاحتجاج بالفعل ظهور الوجه فلو فعل المعصوم شيئاً وجهل وجهه علم عدم تحريمه مع تردده بين الوجوب والندب والكراهة ولم يثبت واحد منها ولا تثبت السنة لنا الا بالخبر المتواتر وهو اخبار جماعة كثيرة يمتنع عند العقل تواطؤهم على الكذب او المحفوف بقرائن توجب القطع بصدوره ولا يثبت بخبر الفاسق ولا مجهول الحال لعدم افادته العلم وعدم الدليل على حجيته بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالى: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ (الاية) والنهي عن اتباع الظن (اما خبر الثقة العدل) مع عدم افادته العلم فقد اختلف في حجيته فمنعها قوم لإصالة عدم حجية الظن واثبتها اخرون واستدلوا بأدلة مذكورة في الاصول (وعلى) القول بحجيته لا بد من ثبوت العدالة اما بالعلم او شهادة عدلين وفي كفاية العدل الواحد خلاف (والعدالة) ملكة تبعث على اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر وترك منافيات المروءة الكاشفة عن عدم مبالاة فاعلها بالدين (واثبات) عدالة من بعد

عنا زمانهم من اصعب الأمور لانحصار الأمر في علمنا بها في اخبار الغير وهو مفقود غالباً الا من اخبار البعض المستند على الظنون والاجتهادات التي تخطيء كثيراً لا على الممارسة والمعاشرة مع اختلاف الاراء فيما يوجب الجرح وما لا يوجبه ولذلك وقع الاختلاف كثيراً في الجرح والتعديل فما عدله واحد جرحه آخر والقاعدة ان الجرح مقدم على التعديل لجواز اطلاع الجارح على ما لم يطلع عليه المعدل (فعلم) من هذا أن التسرع الى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده في احد كتب الحديث او بمجرد قول واحد انه صحيح وتخطئة الغير بذلك فضلا عن الحكم بكفره او شركه خطأ محض (ويشترط) لجواز العمل بالخبر عدم مخالفته لدليل قطعي من اجماع المسلمين وسيرتهم او نص القرآن او نص خبر آخر متواتر بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه بمرأى منهم ومسمع وعدم معارضته بدليل اقوى منه بأحد الوجوه الاتية في الأمر الرابع (والخبر) فيه الاقسام السابقة في الكتاب كلها وما يحتج به من الكتاب من تلك الاقسام يحتج به من الخبر وما لا فلا (ويشترط) في العمل بالخبر ما اشترط في العمل بالكتاب مما مر في الامر الثاني وبسبب وجود هذه الأقسام في الخبر امكن لكل ذي قول حق او باطل الاستناد الى ظاهر رواية كما يعرفه المتتبع لأقوال العلماء وادلتهم حتى ان البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر ان المهدي يأتي بأمر جديد وقرآن جديد (واتباع) المسيح المهدي القادياني يحتجون على ضلالهم بخبر لا مهدي الا عيسى (والحاصل) ان كل من يريد العناد والعصبية فله مدرك يتشبث به من الكتاب او السنة ما لم يكن له حاجب من تقوى الله والمنصف الطالب للحق لا يتمسك بظواهر الايات والاحاديث ما لم يبحث عن معارضاتها من عقل او نقل او اجماع وما لم يبحث عن سند الحديث ويستفرغ الوسع في فهم معناه .

الرابع

الاخبار المتعارضة الواردة عن النبي (ص) كثيرة . وسبب التعارض إما كون بعضها مكذوباً فقد كثرت الكذابة على النبي (ص) في عصره حتى قام خطيباً فقال ما معناه قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . وبعد عصره تقربا الى الملوك وترويجاً للأهواء ومحافظة على الدنيا من طريق الدين وغير ذلك . وخبر الذي

روى للمهدي العباسي وكان يحب اللعب بالحمام (لا سبق الا في خف او حافر او جناح) فزاد او جناح اتباعاً لهوى المهدي فلما خرج قال المهدي اشهد ان قفاه قفا كذاب على رسول الله (ص) مشهور وكم اعطيت الجوائز ووليت الولايات واقطعت الإقطاعات على اختراع الروايات الموافقة للشهوات (واما) الاشتباه لخطأ في فهم المراد او سماع اللفظ او الاطلاع على العام او المطلق او المنسوخ وعدم الاطلاع على الخاص او المقيد او الناسخ او غير ذلك. وللتعارض علاجات وردت بها الأخبار والروايات وقال بها علماء المسلمين (منها) العرض على كتاب الله والثابت من سنة رسول الله (ص) فيؤخذ بما وافق ويترك ما خالف (ومنها) الموافقة للإجماع او السيرة او المشهور بين علماء المسلمين او الموافقة لما عليه الصحابة والتابعين (ومنها) الترجيح بحسب السند بكون رواته اوثق او احفظ او اكثر او الدلالة بكونه اظهر دلالة او العبارة بكونها افصح او احسن سبكا او غير ذلك.

الخامس

الكتاب والخبر عربيان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والمجاز (فالحقيقة) (١) الكلمة المستعملة فيما وضعت له كقولك سمعت زئير الأسد في الغاب وتريد الحيوان المفترس (والمجاز) الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لمناسبة ما وضعت له مناسبة موافقة للعرف غير مستهجنة (٢) كقولك رأيت اسدا في الحمام وتريد رجلا شجاعا والمناسبة بينهما الشجاعة. وقد كثر المجاز في كلام العرب جدا ومنه الكتاب والخبر بل اكثر كلام العرب مجاز (ومما) جاء منه في القرآن: ﴿يد الله فوق أيديهم. واصنع الفلك بأعيننا. ولتصنع على عيني. فإنك باعيننا. ولو ترى اذ وقفوا على ربهم. يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. كل شيء هالك الا وجهه. اينما تولوا فثم وجه الله. ويبقى وجه

(١) فصلنا هذه الامور ليفهمها من لم يطلع على معانيها فيعم النفع فلا ينسبنا احد في ذلك الى ذكر ما لا لزوم له لانها مبينة في مواضعها.

(٢) احترازا عن مثل استعمال الحائط في الرجل الطويل لمناسبة الطول فانه مستهجن عرفا.

ربك . الرحمن على العرش استوى . يخافون ربهم من فوقهم . فكان من ربه قاب قوسين او ادنى . الا من رحم ربك . الا من رحم الله . وغضب الله عليه . الله يستهزيء بهم . وجاء ربك﴾ (والقرينة) على المجاز في الكل عدم امكان ارادة المعنى الحقيقي المستلزم للتجسيم والتحيز والوجود في مكان دون غيره وكونه تعالى محلا للحوادث (ومما) جاء منه في السنة حديث ابي هريرة: (ان النار لا تمتليء حتى يضع الله قدمه فيها). لقد عجب الله او ضحك من فلان وفلانة والقرينة ما مر (ولا بد) للمجاز من قرينة كقولنا في المثال المتقدم في الحمام لان الحيوان المفترس لا يكون في الحمام عادة وقد تكون القرينة حالية لا مقالية فتخفى على بعض الأفهام ويقع فيها الاشتباه وقد يكثر استعمال اللفظ في المعنى المجازي حتى يصير مجازاً مشهوراً لا يحتاج الى قرينة غير الشهرة وقد يكثر حتى يبلغ درجة الحقيقة فيسمى منقولا.

ثم المجاز قد يكون في الكلمة كما مر وقد يكون في الإسناد كأنبت الربيع البقل وصام نهاره وجرى النهر وبنى الأمير المدينة وغير ذلك فاسند الإنبات الى الربيع مجازاً باعتبار انه زمان له وحقه ان يسند الى الله والصوم الى النهار باعتبار انه زمانه وحقه ان يسند الى الشخص والجري الى النهر باعتبار انه مكانه وحقه ان يسند الى الماء والبناء الى الأمير باعتبار انه سبب آمر وحقه ان يسند الى البناء (ومما) جاء منه في القرآن الكريم ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ اي فما ربحوا في تجارتهم ﴿واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايماناً﴾ والذي زادهم هو الله والايات سبب ﴿يذبح ابنائهم﴾ والذي ذبحهم اتباع فرعون وهو سبب آمد ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ والنازع هو الله وابليس سبب ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ والجاعل هو الله واليوم سبب لكثرة اهواله ﴿يا هامان ابن لي صرحاً﴾ والبناء فعل العملة وهامان سبب امر ﴿فلا يخرجنكما من الجنة﴾ والمخرج الله وابليس سبب ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن﴾ والاكل اهل السنين وهي زمان للأكل ﴿واخرجت الارض اثقالها﴾ والمخرج الله والارض مكان للإخراج (ولا بد) للمجاز في الإسناد ايضا من قرينة لفظية او عقلية كقول الموحد انبت الربيع البقل فان كونه موحداً كاف في حمل كلامه على المجاز في الإسناد ومثله لو قال المسلم الموحد يا رسول الله اغفر لي او اشف ولدي او طول عمري او ارزقني او رد غائبي او نحو ذلك فيجب حمل كلامه على المجاز في الإسناد اي كن سبباً في ذلك بشفاعتك ودعاء الله لي ويكفي قرينة على

ذلك كونه مسلما موحدا ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلا عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحل دمه وماله الا من غبي غير عارف بأساليب كلام العرب او معاند.

ثم انه قد اختلف في المعاني الحقيقية لألفاظ كثيرة واردة في الكتاب والأخبار مثل صيغة افعل هل هي للوجوب او الندب او مشتركة بينهما وصيغة لا تفعل هل هي للحرمة او الكراهة او مشتركة بينهما وكذا مادة الأمر والنهي وما يشتق منهما الى غير ذلك مما تضمنته كتب الأصول (وكيفما قلنا) فقد كثر استعمال اللفظتين في الندب والكراهة كثرة مفرطة بحيث يصعب الحكم بالوجوب او الحرمة بمجرد ورودهما اذ لعلهما صارا مجازا مشهورا في ذلك خصوصا بملاحظة خصوصيات المقامات المبعدة للحمل على الوجوب او التحريم.

وفي الكتاب والخبر ايضا كسائر كلام العرب التصريح والكناية (فالتصريح) كقولنا فلان كريم (والكناية) وهي ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولنا كثير الرماد وجبان الكلب كناية عن كرمه لأن الكرم يلزمه كثرة الطبخ للأضياف المستلزم كثرة الرماد ويلزمه كثرة الطراق المستلزم جبن الكلب عادة.

وفي الكتاب والخبر ايضا كسائر كلام العرب المبالغات كقوله تعالى: ﴿عبدا مملوكا لا يقدر على شيء. يكاد البرق يخطف ابصارهم﴾.

وقوله (ص): (لو امرت احدا بالسجود لأحد لأمرت المرأة بالسجود لزوجها. لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد. لا يزني الزاني وهو مؤمن) (الحديث) (١) وقول علي (ع): ما زال رسول الله (ص) يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما زال يوصيني بالمرأة حتى ظننت انه يحرم طلاقها وقال المتنبي:

وضاقت الأرض حتى ظل هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وقال الاخر:

كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال شاعر العرب:

(١) وفيه نفي الإيمان ايضا عن السارق وشارب الخمر والقاتل وسيأتي في الأمر السادس.

انعى فتى الجود الى الجود ما مثل من انعى بموجود
انعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود

وقال شاعرهم :

عقيلية أما ملاث ازارها فدعص واما خصرها فبتيل

وزادوا في المبالغة حتى قال قائلهم في وصف من يتغزل بها

تدخل اليوم ثم تد خل اردافها غدا

وهذا باب متسع لا تمكن الإحاطة بأطرافه ولم نر احدا قال انهم مهما بالغوا قد خرجوا عن طريقة العرب ومنهج كلامهم (والمبالغة ايضا) واقعة في لساننا ومحاوراتنا بل في كل لسان (ومن المبالغات) الواقعة في الكتاب والخبر تسمية الذنب او العظيم منه كفرا وفاعله كافرا ونحو ذلك كما يأتي في الامر السادس واطلاق المعصية على فعل المكروه خصوصا اذا صدر من الأنبياء والأولياء ولكن ذلك كما قال بعض العظماء بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى ومنه المعاصي المنسوبة في القرآن الى الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصي منهم .

السادس

ليست جميع المعاصي ولا الكبائر منها كفراً خلافا لما يحكى عن الخوارج لعدم الدليل على ذلك ومتى حكم بالإسلام لا يحكم بغيره الا بيقين ومضت على ذلك سيرة النبي (ص) والصحابة والتابعين وتابعي التابعين ولو كانت المعاصي او الكبائر منها كفراً لبطلت الحدود والتعزيرات ولم يبق لها ثمرة فان المرتد يستتاب والا قتل فلا معنى لإقامة الحد عليه او تعزيره وللزم الحكم بارتداد جميع الخلق الذين لا يسلمون من المعاصي بل والكبائر ولم ينج منه الا القليل ولو كان كذلك لبينته العلماء في كتبها ونادت به الوعاظ والخطباء وعرفه كل حد وصار من ضروريات الدين لشدة الحاجة اليه من عموم المكلفين وكون المرتد له احكام خاصة به يلزم على كل مكلف معرفتها وترتيبها عليه (وروى) عبادة بن الصامت (١) عن النبي (ص) : خمس صلوات كتبهن الله على

(١) الحديث في الهدية السنية ص ٦٦ .

العباد من اتى بهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وهذا دليل على ان ترك الصلاة ليس كفرا لأن الكفر لا يغفره الله ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (هذا) ان لم يكن مستحلا لما ثبت وجوبه او تحريمه بضرورة الدين والا كان كافرا (ولكن) قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر او الشرك او النفاق او نحو ذلك تعظيما للذنب وتحذيرا منه وتشبيها لمؤاخذته لعظمها بمؤاخذة الكفر وبيانا لأن مقتضى الإسلام والإيمان ان لا يفعل ذلك الذنب او لأنه ربما انجر بالاخرة الى ذلك كما ورد ان في قلب المؤمن نكتة بيضاء فاذا عصى الله اسود منها جانب وهكذا الى ان يتم سوادها فذلك الذي طبع الله عليه (كما) جاء التهديد بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات او فعل بعض المكروهات بيانا لتأكد الإستحباب حتى كأنها واجبة ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة او لأن التهاون بها ربما ينجر الى التهاون بالواجب وفعل المحرم كما ورد ان من ترك فرق شعره فرق بمنشار من نار ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له ولعن النائم في البيت وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده كما يأتي في فصل اتخاذ القبور مساجد. واطلاق المعصية على فعل المكروه كما في المعاصي المنسوبة الى الأنبياء عليهم السلام على ما مر في الأمر الخامس (ومما) ورد من اطلاق الكفر ونحوه على الذنب (في القرآن) قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين﴾ (وفي الأحاديث) قوله (ص) لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت. أيما عبد ابق من مواليه فقد كفر حتى يرجع اليهم (روى الثلاثة مسلم) (١) وفي الجامع الصغير للسيوطي (٢) عن الطبراني في الكبير: من ارضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله. قال العزيزي في الشرح: ان استحل والا فهو زجر وتهويل انتهى. وقال الحفني في الحاشية: اي من كماله او حقيقته ان استحل انتهى (وقوله

(١) صفحة ٤٠٢ الجزء الاول بهامش إرشاد الساري.

(٢) ص ٣٢٦ ج ٣.

ص): بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة (رواه مسلم). العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر (رواه احمد واهل السنن). بين العبد والكفر والإيمان الصلاة فاذا تركها فقد كفر واشرك. من تركها ـ اي الصلاة ـ عمدا فقد خرج من الملة. من تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة (رواهما عبد الرحمن بن ابي حاتم في سننه) من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه احمد (انس عنه ص): لا دين لمن لا عهد له (ابو هريرة عنه ص): لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن (ابو هريرة عنه ص) علامة النفاق الكذب وسوء الخلق والخيانة (عبد الله بن عمر عنه ص) ان النفاق عبارة عن اربع الخيانة والكذب والغدر والفجور (ابو هريرة عنه ص) المراء في القرآن كفر (وعنه ص) لا يفوت حضور الجماعة الا منافقاً (ابو ذر عنه ص) الرقى والتمائم من الشرك (ابو هريرة عنه ص) من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر (من اتى حائضاً او امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل الله رواه الدارقطني وابن ماجة والترمذي (عمر بن لبيد عنه ص) الرياء الشرك الأصغر (ابو سعيد عنه ص) الرياء شرك خفي (عمر عنه ص) كسب الربا شرك (شداد بن اوس عنه ص) من صلى يرائي فقد اشرك (ابن مسعود عنه ص) قتال المسلمين كفر (ابن عمر) نسبة المسلم الى الكفر كفر (وهذا الاخير) منطبق على الوهابيين في نسبتهم المسلمين الى الكفر وروى احمد بن حنبل في مسنده (١) عنه (ص) اذا احدكم قال لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما وروى عدة روايات بهذا المعنى او قريبا منه (وروى) ذلك غيره ايضاً (وما ذكرناه) احسن وجه للجمع بين حديث عبادة المتقدم وهذه الأخبار ويرشد اليه حديث ابي هريرة السابق لا يزني الزاني الخ حيث نفى الايمان عنه في حال تلبسه بالمعصية لا مطلقاً فدل على المراد ان تلبسه بالمعصية خلاف مقتضى الإيمان فنفي الإيمان عنه في تلك الحال مجاز تشبيهاً لمن لا يعمل بمقتضى إيمانه بغير المؤمن نظير لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فتكون هذه الرواية شاهداً للجمع المذكور (وحكم الوهابيون) بكفر تارك الصلاة او الزكاة وان لم

---

(١) ص ١٨ ج ٢.

يكن مستحلا واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الإسلام او شعائره على عادتهم في التسرع الى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وتشددهم في ذلك اقتفاء بالخوارج الذين اشبهوهم من كل الوجوه كما يأتي في المقدمة الثالثة (فقالوا) في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية (١) اختلف العلماء في تارك الصلاة في غير جحود لوجوبها فذهب ابو حنيفة والشافعي في احد قوليه ومالك الى انه لا يحكم بكفره واحتجوا بحديث عبادة المتقدم وذهب احمد والشافعي في احد قوليه واسحق بن راهوية وجماعة الى انه كافر وحكاه اسحق اجماعا وقال ابن حزم سائر الصحابة والتابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقاً ويحكمون عليه بالارتداد وعد عشرة من الصحابة ثم قال ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة (قال) واجابوا عن حديث عبادة ان المراد عدم المحافظة عليهن في اوقاتهن بدليل الايات والاحاديث الواردة في تركها واورد جملة مما مر ثم قال ان العلماء مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا ابا حنيفة والزهري وداود فقالوا يحبس حتى يموت او يتوب واحتجوا على قتله بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين﴾ الى قوله ﴿فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ وبقوله (ص) امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (الحديث) ثم ذكر رواية الترمذي: امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان يتقبلوا قبلتنا وان يأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا (الحديث) قال والمقصود فساد هذه الشبهة التي دسها من يدعي انه من العلماء على الجهلة من الناس ان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله انه مسلم ولا يجوز قتله وان ترك فرائض الإسلام ثم اطال في الاستشهاد بكلام الأجهوري والأذرعي والهيتمي وابن تيمية وغيرهم الدال على ان ترك بعض شعائر الإسلام موجب للمقاتلة كأهل القرية اذا تركوا الأذان او الجماعة او صلاة العيد او غير ذلك وفي جملة ما نقله عن ابن تيمية (٢) ايما طائفة ممتنعة عن بعض الصلوات المفروضة او الزكاة او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدماء والاموال (٣)

---

(١) ص ٦٥.

(١) ص ٨١.

(٢) هذا ينطبق على الوهابية الممتنعين عن التزام تحريم دماء المسلمين واموالهم.

والخمر والزنا والميسر او نكاح المحارم او الجهاد او ضرب الجزية او غير ذلك فانها تقاتل عليها وان كانت مقرة بها (ونقول) اما الأحاديث التي اطلق فيها الكفر على جملة من المعاصي فقد عرفت انه لم يرد بها الحقيقة للشواهد التي قدمناها من لزوم لغوية الحدود ورواية عبادة وحديث لا يزني الزاني وهو مؤمن وغيرها اما حمل ترك الصلاة في حديث عبادة على ارادة عدم المحافظة عليها في وقتها فلا شاهد عليه بل هو تخرص على الغيب بخلاف حمل الكفر على تعظيم الذنب فان له نظائر وشواهد كثيرة كما عرفت ولا اقل من وقوع الشبهة فلا يجوز التهجم على الدماء مع وجودها وعدم صراحة النصوص (ومن الغريب) ما نقلوه عن اسحق بن راهويه من حكاية الإجماع مع مخالفة عظماء ائمة المذاهب كأبي حنيفة والشافعي في احد قوليه ومالك التي نقلوها في صدر الكلام كاستدلال ابن حزم عليه بقول نفر من الصحابة ان صح النقل عنهم مع عدم العلم بمذهب الباقين وهم الوف وكقولهم العلماء مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا ابا حنيفة والزهري وداود فما فائدة هذا الإجماع مع مخالفة هؤلاء الثلاثة اما الإستدلال بآية ﴿فاقتلوا المشركين﴾ فغير صحيح لان الإسلام قول باللسان وعمل بالاركان فمن كان مشركا وتشهد الشهادتين ولم يأت باعمال الإسلام لا يحكم بإسلامه بخلاف المسلم الموحد المولود على فطرة الإسلام الملتزم باحكامه الفاعل لها اذا عصى بترك فرض يعتقد بوجوبه ويعلم انه عاص بتركه فالاية واردة في الأول لا في الثاني وكذلك ما اطالوا به بدون طائل من الاستشهاد بكلام فلان وفلان على ان ترك بعض شعائر الإسلام موجب للقتال لا شاهد فيه على حلية قتل تارك الفرائض كسلا فضلا عن كفره فانه ان صح جواز القتال على ترك بعض الشعائر حتى المستحبة كالأذان والجماعة لا ربط له بترك الفرض كسلا (والحاصل) انه لا يجوز الإقدام والتهجم على دماء المسلمين باخبار غير ظاهرة وبأقوال الأجهوري والأذرعي والحراني والهيتمي فليتق الله المتهجمون والمتهورون.

السابع

الإجماع اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد (ص) على امر ديني في عصر من الإعصار وهو حجة (اما) لما روي عنه (ص) لا تجتمع امتي على خطأ او لوجود معصوم بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم كما يقوله اصحابنا وهو رئيس اهل الحل

والعقد او للكشف عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما يستكشف رأي المتبوع برأي اتباعه الذين لا يصدرون الا عن رأيه فيعلم رأي ابي حنيفة باتفاق الحنفية والشافعي باتفاق الشافعية وغير ذلك (وفي) حكم الإجماع سيرة المسلمين والفرق بينهما أن الإجماع اتفاق قولي والسيرة اجماع عملي فيكشف عن ان ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع يداً عن يد ويشمله لا تجتمع امتي على خطأ (والوهابية) لا ينكرون حجية الإجماع وقد تكرر في كتبهم الإحتجاج به والرد على غيرهم بمخالفته وفي الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية (١) ما نصه والعلماء اذا اجمعوا فاجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة انتهى ولكن الصنعاني من الوهابية انكر في رسالته تطهير الاعتقاد امكان وقوع الإجماع او امكان العلم به حيث قال (٢) بعدما عرف الإجماع بانه اتفاق مجتهدي امة محمد (ص) على امر بعد عصره: وعلى مانحققه فالإجماع وقوعه محال فان الأمة المحمدية قد ملأت الافاق فعلماؤها لا ينحصرون ولا يتم لأحد معرفة احوالهم فدعوى الإجماع بعد انتشار الدين وكثرة العلماء دعوى كاذبة كما قاله ائمة التحقيق انتهى وصدر كلامه دال على استحالة وقوعه وعجزه ظاهر في عدم امكان الاطلاع عليه وكلاهما فاسد فان كثرة العلماء لا تمنع من اتفاقهم لا عقلا ولا نقلا والاطلاع عليه ايضا ممكن وواقع بملاحظة الفتاوى وعمل المسلمين وعدم نقل الخلاف وقرائن أخر فانا نعلم علما ضروريا باتفاق العلماء على ان البنتين لهما الثلثان في الميراث بالفرض اذا انفردن عن الإخوة لا النصف وان لم نشافه جميع العلماء ونطلع على فتاواهم تفصيلا وامثال ذلك في الشرعيات كثير كما نعلم علما ضروريا بإجماعهم على استحباب زيارة النبي (ص) وتعظيم قبره وحجرته ورجحان بنائها والتبرك به وبها وجواز بناء القبور وبناء القباب عليها لاستمرار سيرتهم على ذلك قولا وفعلا من الصدر الأول الى اليوم وعدم نهي احد عنه من الصحابة فمن بعدهم قبل الوهابية بل الإنصاف انه ما من مسألة اتفق عليها المسلمون قولا وعملا من جميع المذاهب مثل هذه المسألة

---

(١) ص ٦٥.

(٢) ص ١٩.

الثامن

الأصل الإباحة فيما لا نص فيه ولم يقم دليل على تحريمه لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان ولقوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ اي لانتفاعكم. وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وبعث الرسول كناية عن وصول الأحكام والا فمجرد البعث قبل تبليغ الأحكام لا تتم به الحجة. وقوله تعالى: ﴿قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به الاية﴾ وامثالها من الايات

التاسع

البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين ولا يحتاج تحريمها الى دليل خاص لحكم العقل بعدم جواز الزيادة على احكام الله تعالى ولا التنقيص منها لاختصاص ذلك به تعالى وبأنبيائه الذين لا يصدرون الا عن امره مع انه قد ورد النص بأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار (واما تشخيصها) فهو مما يقع فيه الاشتباه فكم بدعة عدت سنة وبالعكس (وسبب الاشتباه) اما خطأ في الدليل المستدل به على ان ذلك من الشرع او ليس منه او تقليد من سنها لحسن الظن به مع انه مبدع او توهم انه لا بد من ورود النص بها بالخصوص مع دخولها في عمومه او إطلاقه كما وقع في زماننا من بعض المتشددين فقالوا ان القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) بدعة لعدم ورود النص به والحال انه يكفي فيه عموم ما فهم من الشرع من لزوم احترام النبي (ص) ورجحان تعظيمه حيا وميتا بكل انواع الاحترام التي لم ينص الشرع على تحريمها (ثم) البدعة لا تكون بدعة الا اذا فعلت بعنوان انها من الدين فما قاله بعضهم من ان ما اصطلح عليه بعض المسلمين في هذه الأعصار من ترك الأعمال يوم الجمعة بدعة لأنه لم ينص الشرع على ذلك بل امر بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة اشتباه لأن الترك هنا بعنوان الراحة او بعنوان مصلحة اخرى دينية او دنيوية كإظهار حرمة يوم الجمعة وغير ذلك لا بعنوان انه في نفسه عبادة وطاعة ومن ذلك توهم الوهابية ان التذكير والترحيم بدعة لأنه لم يكن في عهد النبي (ص) اذ يكفي في مشروعيته عموم ما دل على رجحان ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه

(ص) والدعاء ونحو ذلك وتخصيصه ببعض الأمكنة والأزمنة لفائدة مع عدم اتيانه بعنوان الخصوصية اي بعنوان انه مأمور به بالخصوص في هذا الزمان والمكان لا يجعله بدعة وكذلك جملة اشياء مما جعلوه بدعة كما سيأتي بيان ذلك في الباب الأول.

العاشر

الأفعال تختلف احكامها باختلاف القصد الموجب لاختلاف العنوان وتبدل الموضوع وباختلاف الأزمان والأمكنة والأحوال والأشخاص الموجب لذلك وهذا معنى ما اشتهر ان الأحكام تتغير بتغير الأزمان (اما) اختلافها باختلاف القصد فكضرب اليتيم فانه محرم بقصد الإيذاء راجح بقصد التأديب وكغيبة المسلم فانها محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر او نصح المستشير او اقامة الحق في مقام جرح الشاهد وكالسجود عند قبر النبي (ص) فانه راجح مستحب بقصد الشكر لله تعالى على توفيقه لزيارته محرم بقصد السجود للنبي (ص) لعدم جواز السجود لغير الله تعالى الى غير ذلك.

واما اختلافها باختلاف الأزمان والأشخاص والأحوال فكلبس الأزرق مثلا حيث يعد زينة في بعض الأزمان او الأمكنة فيحرم على الزوجة في وقت الحداد ويستحب اذا ارادت التزين لزوجها وكلباس الشهرة ولباس النساء المحرم على الرجال وبالعكس فانه يختلف باختلاف الأزمان والأشخاص والأمكنة وكدفن المؤمن الجليل القدر قريبا من المزبلة فانه يعد اهانة له فيحرم بخلاف دفن الزبال او من صنعته نزح الكنيف وكانزال الضيف الشريف في مرابط الدواب فانه يعد اهانة مع امكان غيره بخلاف المكاري وقد يكون ترك القيام للشخص في زمان او بلاد يعد اهانة له فيحرم وفي زمان آخر او بلاد اخرى لا يعد فلا يحرم وملبوس الزهد وما كوله يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال وكهدم قبور الأنبياء والأولياء وقبابهم ومشاهدهم فهب انه كان منهيا عن البناء نهي كراهة او تحريم الا ان الهدم صار يعد في هذا الزمان اهانة لهم فيتعارض عنوان واجب وهو الهدم وعنوان محرم وهو الإهانة فيقدم الأهم ولا شك ان مراعاة عدم اهانة النبي او الولي اهم من كل شيء.

الحادي عشر

قد يتعارض عنوان واجب مع عنوان محرم فيقدم الأهم كلمس بدن الأجنبية فانه محرم لكن اذا توقف عليه انقاذها من الغرق او شفاؤها من المرض فيجوز او يجب وكالنظر الى عورة الغير فهو محرم ويباح للطبيب وكأخذ المكوس فهو محرم عند الوهابية وغيرهم لكن الوهابية في فتواهم المذكورة في الخاتمة قالوا ان تركها الإمام فهو الواجب عليه وان امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من اجلها (اقول) وذلك لأن جمع كلمة المسلمين وعدم شق عصاهم اهم في نظر الشرع من عدم اخذ المكوس لأن المفسدة التي تترتب على شق عصا المسلمين اعظم من المفسدة المترتبة على اخذ المكوس وبناء على هذا كان يجب على الوهابية عدم التعرض لهدم قبور ائمة المسلمين الذي يسوء ثلثمائة وخمسين مليوناً من المسلمين تحن قلوبهم الى هذه القبور ويسوءهم هدمها وتدميرها افما كانت هذه المفسدة التي تشتت كلمة المسلمين وتسوءهم وتوقع الخصام والعداوة بينهم في هذه الأيام العصيبة التي تبدد فيها جمعهم ووهى ركنهم وضعف سلطانهم وفتحت بلادهم اعظم من مفسدة تحريم البناء على القبور ان كانت واهم واولى بالرعاية افما تقابل هذه المفسدة شق عصا المسلمين بلى والله بل هي اعظم منها وافظع واوجع لقلوب المسلمين فهلا ابقيتم هذه القبور ولو حرم عندكم ابقاؤها كما ابقيتم قبر النبي (ص) وابقاؤه عندكم حرام مراعاة لأهم المصلحتين ودرءاً لأعظم المفسدتين ومنعتم الناس من الدنو اليها ولمسها الذي هو عندكم شرك كما منعتم من لمس قبر النبي (ص) والدنو اليه مع انكم لا ترون ابقاء القبور شركا غايته التحريم.

الثاني عشر

تكفير المقر بالشهادتين المتبع طريقه المسلمين واستحلال دمه وماله وعرضه عظيم واي عظيم فلا يجوز الإقدام عليه واعتقاده استنادا الى امور نظرية اجتهادية يكثر فيها الخطأ واخبار ظنية محتملة للكذب والتأويل كالاجتهادات والأخبار التي يستند اليها الوهابية في تكفير المسلمين ولا يجوز تكفير المسلم الا بشيء قطعي يوجب خروجه عن دين الإسلام وكانت سيرة النبي (ص) والصحابة والتابعين وتابعي التابعين معاملة الناس على الاكتفاء بإظهار الشهادتين والالتزام باحكام الإسلام (اخرج) البخاري عنه

(ص) امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا الـه الا الله فـاذا قـالـوهـا وصلـوا صـلاتنـا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دمـاؤهم وامـوالهم (وعنـه ص) امـرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكـاة فان فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم وحسـابهم على الله (وعنـه ص) من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسـولـه (وعن ابي هريرة) انه (ص) اتي بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال ما بال هذا قالـوا يتشبه بالنساء فنفاه الى البقيع فقيل يا رسـول الله الا تقتلـه فقـال نهيت عن قتل المصلين (فيستفاد) من هذه الأخبار انه بعد اظهار الشهادتين يبنى على الإسلام مـا لم يعلم شيء ينافيه ولا يلزم التفتيش والتجسس بل نهى الله تعالى عنه ولسنا نقول ان المقر بالشهادتين الذي يصلي ويزكي لا يمكن الحكم بكفره مع ذلك لجواز ان يحكم بكفـره مع ذلك كلـه كالخوارج والمجسمة ومنكر الضروري وغير ذلك لكنا نقول الإقرار بـالشهـادتين والتـزام احكـام الإسـلام كـاف في الحكم بـالإسـلام حتى يثبت مـا ينـافيـه بـاليقين والقطع لا بالاجتهادات الظنية والأخبار الظنية وحتى ينتفي احتمال التأويل وما كفر بـه الـوهـابيـة المسلمين لم تجتمع فيه هذه الشروط .

الثالث عشر

القول او الفعل الصادر من المسلم ولـه وجهـان على احـدهما يكـون صحيحـاً وعلى الاخر فاسداً يجب حمله على الوجه الصحيح ولا يجوز حمله على الـوجـه الفـاسـد الا مع العلم وعلى ذلك سيرة المسلمين واجماعهم وبه انتظام امر معاشهم ومعاملاتهم مثلا لـو رأينا المسلم يضرب يتيما وامكن ان يكون ضربه له تأديباً وايذاء وجب حمله على الصحيح ولم تنتقض بذلك عدالته ان كان عدلا وكذا لو رأينا يضاجع امرأة ولم نعلم انها زوجته او اجنبية او يشرب شراباً احمر ولم نعلم انه خل او خمر او سجـد ولم نعلم ان سجـوده لله او لمخلـوق او تـزوج او طلق او بـاع او وقف او نــذر او ذبح ولم نعلم ان ذلك على وجــه الصحة او الفساد وجب حمله على الصحيح الا ان يعلم الفساد ولا يكفي الظن بالفساد فضلا عن الشك ولو صدر من المسلم فعل او قول ولـه وجـه او معنى يـوجب الارتـداد وكان يمكن حمله على وجه او معنى صحيح لا يوجب الارتداد لا يجوز الحكم بـارتـداده

ووجب حمل فعله على الوجه الصحيح وقوله على المعنى الصحيح ولو كان احتمال قصده لذلك المعنى ضعيفاً فضلا عما لو كان ظاهراً او مساويا في الإحتمال فاذا استغاث مسلم بنبي او ولي واحتمل ان تكون استغاثته لطلب ان يدعو له ويشفع له الى الله لم يجز الحكم بارتداده لمجرد احتمال ارادته معنى يوجب الارتداد (وكذا) لو قال ارزقني وعاف ولدي وانصرني على عدوي ونحو ذلك واحتمل ارادته طلب ان يكون واسطة وشفيعاً فيسأل الله ذلك وان اسناد الفعل اليه من باب اسناده الى السبب كما في بنى الأمير المدينة لم يجز الحكم بشركه وارتداده فضلا عما لو علم ارادته ذلك او كان ظاهر حاله ذلك باعتبار انه مسلم يعلم ان هذه الأمور لا يقدر عليها غير الله تعالى .

الرابع عشر

في تحقيق معنى العبادة . العبادة في اللغة الذل والخضوع ومنه بعير معبد اي مذلل وطريق معبد اي مسلوك مذلل ونقلت في الشرع الى معنى جديد او اريد بها معنى خاص من المعاني اللغوية كما نقلت الفاظ كثيرة غيرها كالصلاة والزكاة والصيام والحج التي كانت في اللغة لمطلق الدعاء والنمو والامساك والقصد ونقلت في الشرع الى معان جديدة وذلك لأن الألفاظ اللغوية قد تبقى في الشرع على معانيها القديمة كالبيع والشراء وقد تنقل عنها في الشرع الى معان جديدة فاذا لم تنقل وجب حملها على معانيها القديمة اذا لم يعلم انه اريد بها معنى خاص منها سواء وردت في الكتاب او الخبر او غيرهما واما اذا نقلت عن المعاني الأولى الى معان جديدة فلا بد من معرفة تلك المعاني بما ثبت عن الشارع فان عرفت وجب الحمل عليها والا بقيت تلك الالفاظ مجملة وكذا لو علم عدم ارادة المعاني القديمة وأنها استعملت في المعاني الجديدة المحدودة مجازاً فلا بد من معرفة تلك المعاني ايضاً والا كانت من المجمل المحتاج الى البيان فالعبادة بمعناها اللغوي الذي هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركا ولا كفراً قطعاً والا لزم كفر الناس جميعاً من لدن آدم الى يومنا هذا لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها احد فيلزم كفر المملوك والزوجة والولد والخادم والأجير والرعية والجنود بإطاعة المولى والزوج والأب والمخدوم والمستأجر والملك والأمراء وجميع الخلق لإطاعة بعضهم بعضاً بل كفر الأنبياء لإطاعتهم آبائهم وخضوعهم لهم وقد اوجب الله اطاعة الأبوين وخفض جناح

الذل لهما وقال لرسوله (ص) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واطاعة الزوجة لزوجها حتى ورد لو امرت احداً بالسجود لأحد لامرت الزوجة بالسجود لزوجها واوجب طاعة العبيد لمواليهم وسماهم عبيداً واطاعة الأنبياء وجعل نبينا (ص) اولى بالمؤمنين من انفسهم وامرنا باطاعته واطاعة اولي الأمر منا وقرنها باطاعته تعالى الى غير ذلك .

(ثم) انه ورد في الشرع اطلاق العباد والعبادة على مطلق المطيع والطاعة فورد ان العاصي عبد الشيطان وعبد الهوى (وقال تعالى) افمن اتخذ إلهه هواه . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله . مع ما ورد انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما حرموا عليهم حلالا واحلوا لهم حراما فاتبعوهم وان الانسان عبد الشهوات . وان من اصغى الى ناطق فقد عبده فان كان ينطق عن الله فقد عبد الله وان كان ينطق عن غير الله فقد عبد غير الله ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية :

لك الف معبود مطاع امره دون الإله وتدعي التوحيدا

ولا ريب ان هذه الأمور التي سميت عبادة لا توجب الكفر والارتداد والا لم يسلم منه احد والضرورة قاضية بخلافه .

(ثم) ان من جملة العبادة السجود وقد امر الله الملائكة بالسجود لادم وسجد يعقوب وزوجته وبنوه ليوسف كما اخبر عن ذلك القرآن الكريم فدل على ان السجود ليس في نفسه قبيحاً وممنوعا منه موجباً للشرك والكفر وان سمي عبادة والا لم يأمر به الله تعالى وانه ليس مثل اتخاذ الشريك للباري في جميع صفاته فان هذا لا يعقل ان يأمر الله به او يجيزه ولا يمكن ان لا يكون شركا وكفرا وعلم من ذلك ايضا انه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحا في نفسه وشركا وكفرا .

ثم انه ورد اطلاق العبادة على دعاء الله تعالى في القرآن بقوله تعالى : ﴿ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ والأخبار بقوله (ص) الدعاء مخ العبادة ولكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه اللغوي قطعا وهو النداء والا لكان كل من نادى احدا وسأله شيئا عابدا له بل المراد به نداء الله تعالى وسؤاله والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه وانزال حاجات الدنيا والاخرة به على أنه الفاعل المختار والمالك الحقيقي لأمور الدنيا والاخرة والمتصرف فيها كما يشاء فمن دعا مخلوقا على هذا النحو كان عابدا له اما من دعاه ليشفع له الى الله بعد ثبوت ان الله جعل له الشفاعة فلا يكون

عابدا له ولا فاعلا ما لا يحل.

فظهر انه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجبا للشرك والكفـر اذا وقع لغير الله بل ولا محرما الا ان ينص الشارع على تحريمه كالسجـود للشمس والقمـر المنهي عنـه في القرآن والسجـود لغير الله المتفق على تحريمـه وان مطلق الخضـوع والانقيـاد لغير الله لا يـوجب ذلك ولـو فـرض انـه سمي عبـادة وان العبـادة التي يترتب عليهـا ذلك ليست العبادة اللغوية بل عبادة خاصة لا يمكن معرفتها الا ببيان الشارع وبدون بيـانـه تكـون مجملة وانه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر بل ولا التحريم على مـا يسمى عبـادة الا اذا علم انها من تلك العبـادة الخاصـة ومع الشك او الظن لا يجوز تـرتيب ذلك الحكم فاذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم انه من المنهي عنـه حـرم ومـا لم يعلم لم يلحقه الحكم كالتكفير (١) والانحناء عند العجم ورفع اليد عند الجنود وكشف الـرأس عند الإفرنج وغير ذلك للعلم بأن المنهي عنه ليس مطلق ما يسمى عبادة وخضوعا.

ثم ان الذي علم ترتب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات او الاعتقادات أمـور (الأول) اعتقاد المساواة لله تعالى في جميع الصفات او ان هو الله كما يقـولـه عبـدة المسيح وامه فيما حكاه عنهم القرآن وكما يقوله السبائية في امير المؤمنين علي بن ابي طـالـب عليـه السلام وكما يقوله الدروز في الحاكم احد الخلفاء العلويين المصريين وغيرهم من الألوهية لشخص من الأشخاص ولو بطريق الحلول.

(الثاني) انكار الشرائع وتكذيب الرسل وان اعترف فاعله بتوحيد الله تعـالى ولم يعبـد وثنا بل بقي على شريعة منسوخة.

(الثالث) ما ذكر مع عبادة الأوثـان بما لم يأذن بـه الله تعـالى بل نهى عنـه من سجـود ونحر وذبح لها وذكـر اسمهـا عليـه وطليهـا بـدمـه وتعظيم بـاعتقـاد استحقـاق ذلك بالاستقلال لرفعة ذاتية واعتقاد ان له تدبيرا واختيارا كما كان يفعله عبدة الأصنـام سـواء كان مع الاعتراف بوجود اله وعدمه.

---

(١) هو وضع احدى اليدين على الأخرى خضوعا كالذي يفعل في الصلاة.

الخامس عشر

لا شك ان الله تعالى فاوت بين مخلوقاتـه في الفضل فجعل بعضهـا افضل من بعض من الأزمنة والأمكنة والأحجار والابار والحيـوانـات وبني آدم وغير ذلك (ففي الأزمنـة) فضل شهر رمضان على سائر شهور السنة وجعل فيه ليلة القدر وجعلهـا خيراً من الف شهر وجعل من أشهر السنة الإثني عشر اربعة حرما حرم فيها القتال وفضل يوم الجمعة على سائر الأيام وفضل ساعة منه على سائره (وفي الأمكنة) فضل الكعبة على سائر بقـاع الأرض وتعبد الناس بالحج اليها والطواف حولها ومكة والمقام وحجر اسماعيل والمسجـد والمساجد الأربعة والمسجد الحرام منها على غيرها (وفي الأحجـار) فضل الحجـر الأسـود على غيره وتعبد الناس بـاستـلامـه وتقبيلـه (وفي الابـار) فضل بئـر زمـزم على غيره (وفي الحيوانات) فضل الخيل على غيرها وامر بارتباطها واكرامها وجعل الخير معقودا بنواصيها وجعل بعض دم الغزال مسكا وفي ذلك يقول الشاعر:

فان تفق الأنام وانت منهم ... فان المسك بعض دم الغزال

(وفي بني آدم) فضل الأنبياء على غيرهم ومحمداً (ص) على سائر الأنبيـاء والشهـداء على غيرهم والعلماء على الشهداء وعلى بعض الأنبياء (بل) الشيء الـواحـد لـه فضل في حال دون حال فالكنيف لا فضل له وهو منتهى الخسة فاذا جعل مسجـدا صـار معظما عند الله وحرم تنجيسه ووجب تعظيمه وجلد الشاة يجعل نعلا وحـذاء فيكـون في منتهى الإهانة ويعمل جلدا للقرآن الكريم فيكون في منتهى الإكرام والإعظام كما قال الشاعر:

او ما ترى نوع الأديم فانه ... منه الحذاء ومنه جلد المصحف

والرجل يكون كسائر الناس فيبعثه الله بالنبوة فتجب اطاعة امره ونهيه او ينصبه النبي (ص) بعده خليفة او المسلمون بناء على ان الإمامة باختيار الأمة فيدخل في قوله تعـالى: ﴿واطيعوا الله والرسول واولي الأمر منكم﴾ (ومن هذا القبيل) البقعـة من الأرض تكـون كسائر البقاع فيدفن فيها نبي او ولي فتكتسب شرفا وفضلا وبركـة بـدفنـه لم تكن لها من قبل ويجب احترامها وتحرم اهانتها لحرمة من فيها ومن احترامها قصدها لزيـارة من فيهـا وبناء القباب عليها والحجر حـولها لتقي زائريها من الحر والبرد وعمل الأضرحـة لها التي تصونها عن كل اهانة وايقاد المصابيح عنـدهـا لانتفـاع زائريها والـلاجئين اليهـا وجعل الخدمة والسدنة لها وتقبيلها والتبرك بها ووضع الخلع عليها والمعلقات فـوقهـا وغير ذلك

ومن اهانتها هدمها وهدم ما فوقها من البناء وتسويتها بالأرض وجعلها معرضا لوقوع القاذورات ووطىء الدواب والكلاب والادميين وترويث وبول الدواب والكلاب وغير ذلك وما ورد مما يوهم المنافاة لذلك مما سيأتي في محله على فرض صحته مخصوص بغيرها او منصرف بحكم التبادر الى غيرها لما علم من الشرع من لزوم تعظيم اصحابها احياء وامواتا وهذا من تعظيمهم وحرمة اهانتهم احياء وامواتا وهذا منها وهل يشك في ذلك عاقل وهو يرى ان الله تعالى جعل احتراما لصخرة صماء بسبب وقوف ابراهيم الخليل عليه السلام عليها حين بنى البيت فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى افيجعل الله احتراما لمقام رجل خليله ولا يجعل احتراما لمدفن جسده او مدفن جسد سيد انبيائه واذا كان له هذا الاحترام فلماذا حرم تقبيله والطواف والتبرك به والصلاة عنده ودعاء الله تعالى كما يصلى عند مقام ابراهيم (ع) ويدعى فان كان لتوهم انه عبادة له كعبادة الأصنام فهو توهم فاسد لأن احترام من جعل الله له حرمة احترام لله وعمل بامر الله وعبادة واطاعة لله فهو كتقبيل الحجر الأسود وتعظيم الكعبة والحرم والمقام والمساجد والتبرك بماء زمزم وسجود الملائكة لادم وان كان لزعم ورود النهي فستعرف انه لا نهي .

السادس عشر

الأحكام لا تغير الموضوعات فاذا كان الموضوع على حالة او صفة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم وهذا من البديهيات الأولية التي لا يشك فيها من عنده اقل المام بالعلوم مثلا اذا حرم الشرع شتم زيد او اوجبه وكان الشتم في نفسه مع قطع النظر عن الحكم بتحريمه او وجوبه اهانة لزيد لا يصير بعد التحريم او الوجوب احتراما له وكذا لو اوجب اضافة زيد او حرمها وكانت اضافته في نفسها اكراماً له لا تصير بعد ايجابها او تحريمها اهانة له واذا كان تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما اشبه ذلك عبادة له وشركا بالله تعالى فاذا اوجب الله تعالى تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به واطاعته والذل والخضوع له ونحو ذلك لم يخرجه هذا الوجوب عن كونه عبادة وشركا بل يكون الله تعالى قد اوجب الشرك وعبادة المخلوق لما عرفت من ان الحكم لا يغير الموضوع (اذا عرفت هذا) فاعلم ان وجوب تعظيم المخلوق من جماد وانسان واحترامه والتبرك به واطاعته والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما

ينتظم في هذا السلك ثابت في الشرع بلا شك ولا ريب فقد امر الله الملائكة بالسجود لآدم ويعقوب واولاده بالسجود ليوسف والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما وامر بإطاعة الرسول واولي الأمر منا وبالائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه وعدم رفع اصواتنا فوق صوته وامر بتعظيم المساجد والكعبة والطواف بها وتعظيم المقام والحجر والحجر الأسود وبئر زمزم والتبرك بمائه وتعظيم الحرم الى غير ذلك مما ورد في الشرع فلا بد حينئذ من التزام احد امرين اما القول بانه ليس كل تعظيم عبادة وشركا او القول بان الله أمر بالشرك وعبادة غيره ولما كان الشرك قبيحا منهيا عنه موجبا للخلود في نار جهنم يغفر الله ما دونه من الذنوب ولا يغفره بنص القرآن الكريم لم يمكن ان يأمر الله به فتعين القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك.

السابع عشر

في حياة النبي (ص) بعد موته وانه يسمع الكلام ويرد الجواب كما في حياته غير ان الله تعالى حبس سمع الناس عن سماعه الا قليلا من الخواص ولا بعد في ذلك بعد الإقرار بعموم قدرة الله تعالى ولا ينافي ذلك اطلاق اسم الموت عليه وان الحياة انما هي وقت البعث لإمكان الجمع بإرادة ارتباط الروح بهذا الجسد بنوع من الارتباط في البرزخ وعودها اليه عند البعث على الكيفية التي كانت قبل الموت مع ما ورد من عدم فناء اجساد الانبياء (والحاصل) ان ذلك امر ممكن فاذا ورد النص به وجب قبوله (وقد اعترف الوهابية) بحياته (ص) ففي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (١): ونعتقد انه (ص) حي في قبره حياة برزخية ابلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل اذ هو افضل منهم بلا ريب وانه يسمع سلام المسلم عليه ومثله في الرسالة الخامسة (٢) الا انه زاد واما الحياة التي تقتضي العلم والتصرف والحركة في التدبير فهي منفية عنه انتهى ونفيه العلم بعد تسليم الحياة وسماع الكلام تمحل بل تناقض (واعتذار) صاحب المنار عنه في الحاشية بان المنفي العلم بشؤون اهل الدنيا لا العلم بالله ونحوه تحكم

(١) ص ٤١. (٢) ص ١٠٩.

وتمحل في تمحل فالعلم لازم حياته (ص) والتفريق لا دليل عليه (ومن) النصوص الواردة في حياته (ص) وسماعه الكلام ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا قال (١) روى ابو داود بسند صحيح كما قال السبكي عنه (ص) ما من احد يسلم علي الا رد الله روحي حتى ارد عليه السلام (قال) وقد صدر به البيهقي باب زيارة قبر النبي (ص) واعتمد عليه جماعة من الائمة فيها منهم الإمام احمد قال السبكي وهو اعتماد صحيح لتضمنه فضيلة رد النبي (ص) وهي عظيمة (قال) وقال ابو عبد الرحمن المقري من اكابر شيوخ البخاري هذا في الزيارة اذا زارني فسلم علي رد الله علي روحي حتى ارد عليه واما حديث اتاني ملك فقال يا محمد اما يرضيك ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك الا سلمت عليه عشراً فالظاهر انه في السلام المقصود به الدعاء كقول: صلى الله عليه وسلم (قال) وذكر ابن قدامة الحديث من رواية احمد بلفظ ما من احد يسلم علي عند قبري (وروى) البنائي واسماعيل القاضي بسند صحيح عنه (ص) مرفوعاً ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغونني من امتي السلام وجاءت احاديث اخرى في عرض الملك لصلاة الأمة وسلامها على النبي (ص) (٢) هذا في الغائب اما في الحاضر عند القبر فروى جماعة عن ابي هريرة عنه (ص) من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علىّ نائباً بلغته وعن أبي هريرة عنه (ص) من صلى علي عند قبري وكل الله بها ملكا يبلغني وكفي امر آخرته وكنت له شهيداً وشفيعاً (وفي رواية) ما من عبد يصلي علي عند قبري الا وكل الله بها ملكا يبلغني وكفي امر آخرته ودنياه وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة (قال) وروى ابن النجار عن ابراهيم بن بشار قال حججت في بعض السنين فجئت المدينة فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة وعليك السلام (قال) ونقل مثل ذلك عن جماعة من الأولياء والصالحين وقد قال (ص) علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي رواه الحافظ المنذري (قال) وروى البزار برجال الصحيح ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن امتى (وقال ص) حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير

(١) ص ٤٠٣ـ٤٠٨ ج ٢.

٢) وجاء فيها ان الله وكل ملكا يسمعني اقوال الخلائق يقوم على قبري فلا يصلي علي احد الا قال يا محمد فلان ابن فلان يصلي عليك فصلوا علي اينما كنتم فان صلاتكم تبلغني.

لكم تعرض علي اعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت لكم (اقول) قال القسطلاني في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري (١) ما لفظه . وفي حديث ابن مسعود عن البزار بإسناد جيد رفعه حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت لكم انتهى الى ان قال السمهودي وقصة سعيد بن المسيب في سماعه الأذان والإقامة من القبر الشريف ايام الحرة مشهورة (٢) ثم ذكر الحديث الذي فيه قول خالد بن الوليد بن الحكم بن العاص على منبر رسول الله (ص) يوم جمعة لقد استعمل رسول الله (ص) علي بن ابي طالب وهو يعلم انه خائن لكن شفعت فيه ابنته فاطمة وخروج كف من قبر رسول الله (ص) وهو يقول كذبت يا عدو الله كذبت يا كافر مراراً (الحديث) انتهى وفاء الوفا .

الثامن عشر

في حياة جميع الأنبياء والشهداء

في وفاة الوفا (٢) لا شك في حياته (ص) بعد وفاته وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام احياء في قبورهم حياة اكمل من حياة الشهداء التي اخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز ونبينا (ص) سيد الشهداء واعمال الشهداء في ميزانه (الى ان قال) روى ابن عدي في كامله عن ثابت عن انس عنه (ص) الأنبياء احياء في قبورهم (قال) ورواه ابو يعلى برجال ثقات ورواه البيهقي وصححه ثم اورد حديث الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد

---

(٢) ص ٤٢٨ ج ٢ .

(١) اخرج ابو نعيم في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب لقد كنت في مسجد رسول الله (ص) فما يأتي وقت صلاة الا سمعت الأذان من القبر (واخرج) ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب انه كان يلازم المسجد ايام الحرة فاذا جاء الصبح سمع اذانا من القبر الشريف (واخرج) الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن سعيد بن المسيب لم ازل اسمع الأذان والإقامة من قبر رسول الله (ص) ايام الحرة حتى عاد الناس (واخرج) الدارمي في مسنده عن سعيد بن عبد العزيز انه كان يعرف وقت الصلاة بهمهمة تخرج من القبر (المؤلف) .

(٢) ٤٠٥ ج ٢ .

اربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي الله (وقال) في سنده سيء الحفظ ثم نقل عن البيهقي تأويله بارادة لا يتركون يصلون الا هذا المقدار قال البيهقي ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة ثم ذكر حديث مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره وغيره من احاديث لقاء النبي (ص) الانبياء وصلاته بهم وغيرها ثم ذكر حديث اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (١) يقولون بليت فقال ان الله حرم على الأرض ان تأكل اجساد الأنبياء اخرجه ابو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه وذكر البيهقي له شواهد (وروى) ابن ماجة بإسناد جيد اكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان احد يصلي علي (٢) الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قلت وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم على الأرض ان تأكل اجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق هذا لفظ ابن ماجة (وقال) السندي في الحاشية: هذا لا ينبغي ان يشك فيه فقد جاء مثله في حق الشهداء فكيف الأنبياء وقد جاء في حياة الأنبياء احاديث من جملتها انه (ص) رأى موسى يصلي في قبره وغير ذلك انتهى وبمعنى ذلك احاديث عديدة رواها السيوطي في الخصائص الكبرى والحافظ ابو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة كما حكي عنهما.

ويكفي في حياة الشهداء قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون﴾ وفي وفاء الوفا (٢) قال البيهقي في كتاب الاعتقاد الأنبياء بعدما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فهم احياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى نبينا (ص) ليلة المعراج جماعة منهم انتهى.

---

(١) بوزن ضربت.

(٢) وان احدا لن يصلي علي خ ل.

(٣) صفحة ٤٠٦ ج ٢.

التاسع عشر

في حياة سائر الموتى

في وفاء الوفا (١) روى عبد الحق في الأحكام الصغرى وقال اسناده صحيح عن ابن عباس عنه (ص) ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام ورواه ابن عبد البر وصححه كما نقله ابن تيمية لكن بلفظ ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه االسلام ومن حديث عائشة ما من رجل يزور قبر اخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم وروى ابن ابي الدنيا عن ابي هريرة اذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام قال والاثار في هذا كثيرة انتهى وفاء الوفا .

---

(١) ص ٤٠٤ ج ٢ .

المقدمة الثالثة

في شبه الوهابيين بالخوارج وذلك من عدة وجوه

(اولا) كما ان الخوارج شعارهم (لا حكم الا لله) وهي كلمة حق يراد بها باطل كما قال امير المؤمنين علي عليه السلام. كلمة حق لمطابقتها قوله تعالى: ﴿ان الحكم الا لله﴾ يراد بها باطل وهو انه لا امارة لأحد ولا يجوز التحكيم في الأمور الدينية وفرعوا عليه ان التحكيم الذي كان بصفين كان معصية وكفرا مع ان التحكيم قد جاء في الشرع بقوله تعالى: ﴿فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها﴾ وقال تعالى في جزاء الصيد: ﴿يحكم به ذو اعدل منكم).

كذلك الوهابيون شعارهم لا دعاء الا لله لا شفاعة الا لله لا توسل الا بالله لا استغاثة الا بالله ونحو ذلك كلمات حق يراد بها باطل. كلمات حق لأن المدعو والمتوسل به حقيقة لدفع الضر وجلب النفع والمغيث الحقيقي ومالك امر الشفاعة هو الله. يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمه الله بدعائه والتوسل به ليشفع عند الله تعالى ويدعوه لنا وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغيثا وجعل له الوسيلة كما يبين في محله (وهي) كجملة من كلماتهم المزخرفة (كقولهم) لمن يقول يا محمد ويا فلان ويا فلان هل الله اعطاك القوة او محمد (ص) فلا بد ان يقول الله فيقولون له لم لا تدعو الله وتدعو محمدا. وهذا تمويه وتضليل يراد به باطل اذ لا يوجد احد يعتقد ان محمدا (ص) او غيره بيده الأمر اصالة وانما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة واعتراضهم هذا يرجع الى الاعتراض على الله الذي جعل الشفاعة لمحمد (ص) والا فمتى جعلها له فعلينا ان نطلبها منه ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يسأل الدعاء من الغير فيقال له الله الذي يجيب دعاءك او اخوك المؤمن فلا بد ان يقول الله فيقال له لم لا تدعو الله وتطلب من اخيك ان يدعو لك (وكقولهم) لمن يقبل صريح النبي (ص) او المنبر الموضوع في مسجده وفي مكان منبره انما تقبل حديدا او خشبا جيء به من بلاد الإفرنج ولم يعلموا انه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلدا للمصحف والورق والمداد بكتابة المصحف عليه وبه كذلك يحترم الجديد والخشب الذي وضع على قبر النبي (ص) او في مسجده وفي مكان منبره ومر بيانه في الأمر الخامس عشر من المقدمة

الثانية .

(ثانيا) كما ان الخوارج متصلبون في الدين مواظبون على الصلوات وتلاوة القرآن والعبادة حتى اسودت جباههم من طول السجود طالبون للحق كما قال امير المؤمنين (ع) لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه . متورعون عن المحارم حتى بلغ من تورعهم ان انساناً منهم ضرب خنزيرا بريا بسيفه فقالوا هذا فساد في الأرض والتقط احدهم تمرة من الطريق فوضعها في فمه فبادر آخر وطرحها من فمه .

كذلك الوهابيون متصلبون في الدين يؤدون الصلاة لأوقاتها ويواظبون على العبادة ويطلبون الحق وان اخطأوه ويتورعون عن المحرمات حتى بلغ من تورعهم انهم توقفوا في استعمال (التلغراف) كما يأتي في الخاتمة . وقد رأيت نجديا يصرف المجيديات الجديدة بالقديمة بتفاوت فاراد رجل ان يعطيه قديما وزيادة بجديد فقال على الفور لا هذا ربا وكان معه دلال يهودي فلما فارقه قال له اليهودي ادع لنا فقال (الله يهديك) والتفت الي وقال هذا يهودي .

(ثالثا) كما ان الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين وقالوا ان مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار واستحلوا دماءهم واموالهم وسبي ذراريهم وقالوا ان دار الإسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر حتى انهم قتلوا عبد الله بن خباب احد اصحاب رسول الله (ص) صائما في شهر رمضان والقرآن في عنقه وقتلوا زوجته وهي حبلى وبقروا بطنها لأنه لم يتبرأ من علي بن ابي طالب وقالوا له هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك فذبحوه على شاطىء النهر حتى سال دمه في النهر وكانوا اذا اسروا نساء المسلمين يبيعونهم فيما بينهم حتى انهم تزايدوا في بعض الوقائع على امرأة جميلة وغالوا في ثمنها فقام بعضهم فقتلها وقال ان هذه الكافرة كادت تقع فتنة بسببها بين المسلمين وقالوا للحسن بن علي يوم ساباط المدائن اشركت يا حسن كما اشرك ابوك .

كذلك الوهابيون حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين واستحلوا ماله ودمه وبعضهم استحل سبي الذرية كما سيأتي في الباب الأول ولم يخاطبوه الا بقولهم يا مشرك وجعلوا دار الإسلام دار حرب ودارهم دار ايمان تجب الهجرة اليها وحكموا بقتال

تارك الفرض وان لم يكن مستحلا كما في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (١) ونقلوه فيها ايضا عن ابن تيمية (٢).

قال سليمان بن عبد الوهاب على ما حكي عنه في رسالته في الرد على اخيه محمد ابن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية: قال ابن القيم الخوارج لهم خاصيتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم احداهما خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسنة سنة والثانية انهم يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على ذلك استحلال دماء المسلمين واموالهم وان دار الإسلام دار حرب ودارهم دار الإيمان فينبغي للمسلم ان يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم واموالهم وعامة البدع انما تنشأ من هذين الأصلين (انتهى) وهذا الذي ذكره بعينه موجود في الوهابية.

(رابعاً) كما ان الخوارج استندوا في شبهتهم هذه الى ظواهر بعض الايات والأدلة التي زعموها دالة على ان كل كبيرة كفر (كذلك) الوهابيون استندوا في هذه الشبهة الى ظواهر بعض الايات والأدلة التي توهموها دالة على ان الاستغاثة والاستعانة بغير الله شرك وعلى غير ذلك من معتقداتهم كما يظهر من استشهاداتهم بالايات التي لا دلالة فيها على معتقداتهم عند نقلنا لها وسيأتي في الأمر العاشر عدة روايات تشير الى ذلك.

(خامسا) كما ان الخوارج استحلوا قتال ملوك الإسلام والخروج عليهم لأنهم باعتقادهم أئمة ضلال كذلك الوهابيون استحلوا قتال ملوك الإسلام وامرائه لأنهم باعتقادهم ائمة ضلال ناصرون للشرك والبدع.

(سادسا) كما ان الخوارج لا يبالون بالموت ويقدمون على الحرب لأنهم رائحون بزعمهم الى الجنة حتى ان بعضهم طعن برمح فمشى والرمح فيه الى طاعنه فقتله وهو يتلو (وعجلت اليك ربي لترضى).

كذلك الوهابيون يظهرون بسالة واقداما لا يبالون بالموت لأنهم بزعمهم رائحون الى الجنة ويقولون في حروبهم مع المسلمين.

---

(١) ص ٦٥ـ٨٦. (٢) ص ٨١.

هبت هبوب الجنة   وين انت يا باغيها

(سابعا) كما ان الخوارج على جانب من الجمود والغباوة فبينا هم يتورعون عن اكل تمرة ملقاة في الطريق ويرون قتل الخنزير الشارد في البر فسادا في الأرض تراهم يرون قتل الصحابي الصائم وفي عنقه القرآن طاعة لله تعالى ويكفرون جميع المسلمين ويرون كل كبيرة كفرا (ولقيهم) قوم مسلمون فسألوهم من انتم وكان فيهم رجل ذو فطنة فقال اتركوا الجواب لي قال نحن قوم من اهل الكتاب استجرنا بكم حتى نسمع كلام الله ثم تبلغونا مأمننا فقالوا لا تخفروا ذمة نبيكم فأسمعوهم شيئا من القرآن وارسلوا معهم من يوصلهم الى مأمنهم (وقالوا) لعبد الله بن خباب الصحابي ما تقول في علي بن ابي طالب فأثنى خيرا فقالوا انك ممن يتبع الرجال على اسمائها وفعلوا معه ما تقدم.

كذلك الوهابيون على جانب من الجمود فبينا هم يحرمون الترحيم والتذكير لأنه بزعمهم بدعة وامثال ذلك ويتوقفون في التلغراف لعدم وقوفهم على نص فيه ويحرمون التدخين ويعاقبون عليه تراهم يكفرون المسلمين ويشركونهم ويستحلون اموالهم ودماءهم ويقاتلونهم بالبنادق والمدافع لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة.

(ثامنا) كما ان الخوارج قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر مقاومة ائمة الضلال ورفع الظلم الذي لا شك انه كان موجودا في الجملة وانه لا حكم الا لله الكلمة التي قال عنها امير المؤمنين علي عليه السلام انها كلمة حق يراد بها باطل كما مر.

كذلك الوهابيون قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر رفع البدع التي لا شك في وجودها في الجملة وانه لا عبادة ولا شفاعة الا لله ولا استعانة ولا استغاثة الا بالله وهذه كتلك كلمة حق يراد بها باطل كما عرفت وستعرف.

(تاسعا) كما ان الخوارج قال فيهم رسول الله (ص) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (وفي رواية) يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية كذلك الوهابيون اشار اليهم رسول الله (ص) بما رواه الإمام احمد بن حنبل في

مسنده (١) باسناده عن ابن عمر: ان النبي (ص) قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال هنالك الزلازل والفتن منها او قال بها يطلع قرن الشيطان (واخرج) البخاري في كتاب الفتن عن ابن عمر ذكر النبي (ص) اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان (واخرجه) الترمذي في المناقب (واخرج) احمد في مسند عبد الله بن عمر ومسلم في صحيحه قول النبي (ص) وهو مستقبل المشرق يقول رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان (واخرج) البخاري في كتاب الفتن في باب قوله (ص) الفتنة من قبل المشرق عن ابن عمر انه (ص) قام الى جنب المنبر فقال الفتنة ها هنا الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان او قال قرن الشمس (واخرج) البخاري عن ابن عمر انه سمع رسول الله (ص) وهو مستقبل المشرق يقول الا ان الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان (واخرج) مالك في الموطأ عن ابن عمر رأيت رسول الله (ص) يشير الى المشرق ويقول ها ان الفتنة ها هنا ان الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان (وفي القاموس) قرن الشيطان وقرناه امته والمتبعون لرأيه او قوته وانتشاره وتسلطه انتهى.

(وقال القسطلاني) قيل ان الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها لتقع سجدة عبدتها له انتهى (واخرج) مسلم في صحيحه قوله (ص) رأس الكفر نحو المشرق (وفي رواية) الإيمان والكفر قبل المشرق (وفي رواية) غلظ القلوب والجفاء في المشرق والإيمان في اهل الحجاز (والخبران الأولان) القائلان بان طلوع قرن الشيطان بنجد يفسر ان باقي الأخبار ويدلان على ان المراد بالمشرق فيها هو نجد وكذا قوله من حيث يطلع قرن الشيطان او قرن الشمس المراد به نجد وذلك لأن نجدا في شرقي المدينة ومنه يعلم ان المراد بالمشرق المقابل به الحجاز في الرواية الأخيرة هو نجد. وما يحكى عن بعض الوهابيين من ان المراد من نجد هو العراق لأنها اعلى من الحجاز والنجد في اللغة ما اشرف من الأرض معلوم الفساد فان نجدا حيثما يطلق بلا قيد يراد به بلادهم التي لا

(١) ص١١٨ ج٢.

تسمى عرفا الا بهذا الاسم قديما وحديثا ويسمى اهلها النجديون وسلطانها سلطان نجد وسلطنتها السلطنة النجدية وكلام اهل اللغة صريح في ذلك وكذلك اشعار العرب (ففي القاموس) النجد ما اشرف من الأرض والطريق الواضح المرتفع وما خالف الغور اي تهامة اعلاه تهامة واليمن واسفله العراق والشام وأوله من جهة الحجاز ذات عرق انتهى (وفي الصحاح) نجد من بلاد العرب وهو الغور والغور تهامة وكل ما ارتفع عن تهامة الى ارض العراق فهو نجد (وعن المصباح) نجد بلاد معروفة من ديار العرب مما يلي العراق وليست من الحجاز وان كانت من جزيرة العرب قال في التهذيب كل ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق فهو نجد الى ان تميل الى الحرة فاذا ملت اليها فأنت في الحجاز (انتهى) وكل ذلك صريح في خروج العراق عن نجد كخروج الحجاز واليمن والشام وان المراد به ما يقابل تهامة التي تسمى بالغور ايضاً على ان قول الصحابة الذين هم من اهل الحجاز وفي الحجاز للرسول (ص) وفي نجدنا صريح في ان المراد نجد الحجاز وهي ارض الوهابية الواقعة في مشرق الحجاز وحينئذ فلا يبقى لهذا الاحتمال الوهمي مجال وقال الابيوردي الاموي .

فإنك ان اعرقت والقلب منجد ندمت ولم تشمم عراراً ولا رندا

فقابل العراق بنجد (وعن) قاموس الأمكنة والبقاع : بلاد نجد هي الواقعة شرقي بلاد الحجاز وهي قسمان نجد الحجاز ونجد العارض وقد خرج منها القرامطة ومسيلمة الكذاب والوهابيون وعاصمتها مدينة الرياض سكانها ثلاثون الفا انتهى فالزلازل والفتن وطلوع قرن الشيطان التي اشار (ص) الى وقوعها في نجد هي خروج مسيلمه الكذاب والقرامطة والوهابية.

وكذلك الوهابيون يتعمقون في الدين كتعمق الخوارج فان المراد بالتعمق فيه والله العالم التشدد فيه وتكلف ما لم يكلف الله به ونحو ذلك .

وممن قال ان هذه الأحاديث واردة في الوهابية واجاد في استدلاله على ذلك الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه قال في رسالته التي يرد بها على اخيه محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية على ما حكي عنه : ومما يدل على بطلان مذهبكم (يعني اخاه واتباعه) ما في الصحيحين (رأس الكفر نحو المشرق) وفي رواية الإيمان يماني والفتنة من ههنا حيث يطلع قرن الشيطان وفي الصحيحين انه (ص) قال وهو مستقبل المشرق الا

ان الفتنة ها هنا وللإمام احمد اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي صاعنا وفي مدنا ويمننا وشامنا ثم استقبل مطلع الشمس فقال ها هنا يطلع قرن الشيطان وقال من ها هنا الزلازل والفتن ثم قال الشيخ سليمان اشهد ان رسول الله (ص) لصادق لقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ثم حكى عن ابن تيمية انه قال المشرق عن مدينته (ص) شرقاً ومنها خرج مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وهو اول حادث حدث بعده (ص) واتبعه خلائق ثم قال سليمان وجه الدلالة من هذا الحديث من وجوه نذكر بعضها (منها) قوله (ص) الإسلام يماني والفتنة تخرج من المشرق ذكرها مراراً للتعقل (ومنها) انه دعا للحجاز واهله مراراً وابى ان يدعو لاهل المشرق لما فيهم من الفتن خُصوصاً اهل نجد (ومنها) ان اول فتنة وقعت بعده (ص) بأرضنا هذه (يعني نجداً) فنقول هذه الأمور التي تجعلون المسلم بها كافراً ملأت مكة والمدينة واليمن من سنين متطاولة بل بلغنا انه ما في الارض اكثر منها في اليمن والحرمين وبلدنا هذه اول بلد ظهرت فيها الفتن ولا نعلم ان في بلاد المسلمين اكثر من فتنها قديماً وحديثاً وانتم الان مذهبكم ان يتبع العامة مذهبكم وان من اتبعه ولم يقدر على اظهاره في بلد وعلى تكفير اهل بلده وجبت عليه الهجرة اليكم وانكم الطائفة المنصورة وهذا خلاف هذا الحديث. فان رسول الله (ص) اخبره الله بما هو كائن على امته الى يوم القيامة وهو (ص) اخبر بما سيجري عليهم ومنهم فلو علم ان بلاد المشرق خصوصاً نجدا (بلاد مسيلمة الكذاب) تصير دار الإيمان وان الطائفة المنصورة تكون بها وانها بلاد يظهر فيها الإيمان ويخفى في غيرها وان الحرمين الشريفين واليمن تكونان كفر تعبد فيها الاوثان وتجب الهجرة منهما لأخبر بذلك ولدعا لأهل المشرق خصوصاً اهل نجد ولدعا على اهل الحرمين واليمن واخبر انهم يعبدون الأصنام وتبرأ منهم مع انه لم يكن الا ضد ذلك فانه (ص) عم المشرق وخص نجداً وان فيها يطلع قرن الشيطان وان منها وفيها الفتن وامتنع من الدعاء لها وهذا خلاف زعمكم وان اليوم عندكم الذين دعا لهم رسول الله (ص) كفار والذين ابى ان يدعو لهم واخبر ان منها يطلع قرن الشيطان وان منها الفتن هي بلاد الإيمان تجب الهجرة اليها وهذا بين واضح من الأحاديث انشاء الله انتهى.

ومن الأخبار المرجح ورودها في الوهابية قوله (ص) في ذي الخويصرة التميمي ان من ضئضىء هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم

من الرمية يقتلون اهل الإسلام ويدعون اهل الأوثان لئن ادركتهم لقتلتهم قتل عاد والضئضىء الأصل والمعدن وحينئذ فيكون المراد من ضئضئه اي من اصله وعشيرته لا من نسله وعقبه لأن عشيرة الرجل هي اصله ومعدنه وذو الخويصرة وابن عبد الوهاب من اصل واحد وعشيرة واحدة فكلاهما تميمي.

كما ان جملة من رؤساء الخوارج كانوا من بني تميم كشبث بن ربعي ومسعر بن فدكي وغيرهما فبعد انطباق اكثر صفات الخوارج على الوهابية يترجح كون هذه الأخبار شاملة لهم ايضا.

(عاشرا) كما ان الخوارج عمدوا الى الآيات الواردة في الكفار والمشركين فجعلوها في المسلمين والمؤمنين كذلك الوهابيون جعلوا الايات النازلة في المشركين منطبقة على المسلمين اما صدور ذلك من الخوارج فيدل عليه ما في خلاصة الكلام (١) مما هذا لفظه: روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر (رض) في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري انه (ص) قال أخوف ما اخاف على امتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه انتهى وعن ابن عباس لا تكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال واما صدور ذلك من الوهابيين فيدل عليه ما سيأتي عند نقل كلماتهم ومعتقداتهم من جعلهم الايات الكثيرة النازلة في الكافرين والمشركين منطبقة على المسلمين مثل ﴿اغير الله اتخذ وليا. اروني ماذا خلق الذين من دونه. قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون. ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا. أجعل الالهة الها واحدا. اجئتنا لنعبد الله وحده فلا تجعلوا لله اندادا. اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون. له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ الى غير ذلك من الايات الكثيرة التي يسردونها وهي نازلة في الكافرين والمشركين فيجعلونها منطبقة على المسلمين انطباقا تاما بغير مائز ولا فارق.

---

(١) صفحة ٢٣٠.

(حادي عشر) كما ان الخوارج سيماهم التحليق او التسبيد كذلك الوهابيون سيماهم التحليق وعن النهاية في حديث الخوارج التسبيد فيهم فاش وهو الحلق واستئصال الشعر انتهى وقد جاء في اخبار كثيرة ذكر قوم سيماهم التحليق ومن المرجح او المعلوم انطباق تلك الأخبار على الوهابية او عليهم وعلى الخوارج.

كقوله (ص) ان اناسا من امتي سيماهم التحليق يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه قيل ما سيماهم قال سيماهم التحليق (رواهما البخاري). يجيء اقوام من الشرق سيماهم التحليق ادق العيون (١) يدعون بالدين وليسوا من اهله لا يرحمون من بكاء ولا يجيبون من شكاء قلوبهم كزبر الحديد (الحديث) رواه مسلم. سيكون في امتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القول ويسيئون الفعل يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه (الى ان قال) يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء قالوا يا رسول الله ما سيماهم قال التحليق رواه ابو داود. ذكر اناسا في انهم يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث. عن علي في آخر الزمان قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية سيماهم التحليق رواهما النسائي في الخصائص (وفي خلاصة الكلام)؛ في قوله (ص) سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا اتبعهم حتى يحلقوا رأسه قال ولم يقع من احد قط من الفرق التي مضت ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صريح فيهم قال وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول لا يحتاج الى التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله (ص) سيماهم التحليق فانه لم يفعله احد من المبتدعة (قال) وكان ابن عبد الوهاب يأمر ايضا بحلق رؤوس النساء

(١) اي صغار العيون.

اللاتي يتبعنه فدخلت في دينه امرأة وجددت اسلامها بزعمه فأمر بحلق رأسها فقالت شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجل فلو امرت بحلق لحى الرجال لساغ ان تأمر بحلق رؤوس النساء فلم يحر جواباً انتهى.

(ثاني عشر) كما ان الخوارج يقتلون أهل الإسلام ويدعون اهل الأوثان كما اخبر النبي (ص) عنهم بما رواه في السيرة الحلبية (١) من قوله (ص) في الخوارج يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم او تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه الا تلاوة الفم وانهم يقتلون اهل الإسلام ويدعون اهل الأوثان (الحديث).

كذلك الوهابيون يقتلون اهل الإسلام ويدعون اهل الأوثان ولم ينقل عنهم انهم حاربوا احداً سوى المسلمين او قتلوا احداً من اهل الاوثان. وفي قتلهم اهل الطائف اولا وآخرا بلا ذنب وقتلهم اهل كربلا سنة ١٢١٦ وغزوهم بلاد الإسلام المجاورة لهم كالعراق والحجاز واليمن وشرقي الأردن وغيرها وقتلهم من ظفروا به من المسلمين وقتلهم نحو الف رجل من اليمانيين جاؤوا لحج بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ وذبحهم لهم ذبح الأغنام كما مر ذلك كله في تاريخهم وعدم غزوهم لأهل الأوثان وقد امتلأت الارض كفراً وإلحاداً وتوجيه بأسهم وحربهم كله الى المسلمين خاصة بعدما ضعفت قواهم واستعمرت بلادهم وممالكهم وصار الإسلام غريباً في وطنه،اقوى شاهد على ذلك.

(ثالث عشر) كما ان الخوارج كلما قطع منهم قرن نجم قرن كما اخبر عنهم امير المؤمنين علي عليه السلام (كذلك) الوهابيون كلما قطع منهم قرن نجم قرن فقد حاربهم محمد علي باشا واستأصل شأفتهم ووصل ولده ابراهيم باشا الى قاعدة بلادهم الدرعية واخربها ثم نجم قرنهم بعد ذلك وقطع ثم نجم وقطع مراراً.

---

(١) ص ١٤٠ ج ٣ طبع عام ١٣٢٠ بمصر.

الباب الاول

في ذكر جميع معتقدات الوهابية ومحور مذهبهم الذي يدور عليه الوهابيون سنيون وينتحلون مذهب الإمام احمد بن حنبل

الاجتهاد عند الوهابيين

الا انهم لا يقولون بانسداد باب الاجتهاد ولا يلتزمون بتقليد احد المذاهب الأربعة بل قد يجتهدون على خلافها. قال محمد بن اسماعيل الامير اليمني الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب واحد مؤسسي المذهب الوهابي في رسالته تطهير الاعتقاد (١): وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأربعة وان كان هذا قولا باطلا وكلاما لا يقوله الا من كان للحقائق جاهلا انتهى. وقال محمد بن عبد اللطيف احد احفاد ابن عبد الوهاب في آخر الرسالة الخامسة (٢) من رسائل الهدية السنية مذهبنا مذهب الإمام احمد بن حنبل ولا ندعي الاجتهاد واذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله (ص) عملنا بها ولا نقدم عليها قول احد كائنا من كان انتهى. وهذا هو الاجتهاد الذي انكره في اول كلامه وقال به في اخره. وما هي السنة الصحيحة التي تبين له هل يشافهه بها الرسول (ص) او تكون متواترة خفيت على جميع ائمة المذاهب الاربعة وغيرهم وبانت له هذا مستحيل عادة او هي خبر ظني الدلالة والسند او السند فقط والله تعالى قد نهى عن العمل بالظن في كتابه وذم متبعه فهل يكون العمل بذلك الخبر الظني الا بالاجتهاد الذي انكره (وقال ابوه) عبد اللطيف في احدى رسائل الهدية السنية (٣) ان محمد بن عبد الوهاب لا يرى ترك السنن والأخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاد (الى ان قال) نعم عند الضرورة وعدم الأهلية والمعرفة بالسنن والأخبار وقواعد الاستنباط يصار الى التقليد ولا يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل من الكتاب والسنة خلافا لغلاة المقلدين.

---

(١) صفحة ١٩. (٢) صفحة ١١٠. (٣) صفحة ٤٩.

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (١) ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا احد منا يدعيها الا انه اذا صح لنا نص جلي من كتاب او سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به احد الأئمة الأربعة اخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والإخوة فنقدم الجد بالإرث وان خالفه مذهب الحنابلة (الى ان قال) ولا نعترض على احد في مذهبه الا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لأحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كإمام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح ذلك بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالإسرار ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض وقد اختار جمع من ائمة المذاهب الأربعة ما يخالف مذهب مقلدهم (انتهى) وهذا الأخير يخالف ما ذكره محمد بن عبد اللطيف وما حكاه ابوه عن محمد بن عبد الوهاب فهذا يشترط في جواز الأخذ بالنص من الكتاب والسنة ان يقول به احد الأئمة الأربعة ومحمد يقول لا نقدم على السنة قول احد كائنا من كان وابن عبد الوهاب لا يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل (ثم) الزام صاحب المذهب بخلاف مذهبه فيما فيه شعائر ظاهرة خطأ فانه ان كان معذورا لم يجب الزامه بل لم يجز وان لم يكن معذورا وجب الزامه سواء كان فيه شعائر ظاهرة او لا.

اعتقاد الوهابية وقدوتهم ابن تيمية في الله تعالى وصفاته

اعلم ان الوهابية ومؤسس دعوتهم محمد بن عبد الوهاب وباذر بذورها احمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم واتباعهم ادعوا أنهم موحدون وانهم باعتقاداتهم التي خالفوا بها جميع المسلمين حموا جناب التوحيد عن ان يتطرق اليه شيء من الشرك. وادعى الوهابيون انهم هم الموحدون وغيرهم من جميع المسلمين مشركون كما سيأتي ولكن الحقيقة ان ابن تيمية وابن عبد الوهاب واتباعهما قد اباحوا حمى التوحيد وهتكوا ستوره وخرقوا حجابه ونسبوا الى الله تعالى ما لا يليق بقدس جلاله تقدس وتعالى عما يقول الظالمون

(١) ص ٢٩.

علوا كبيراً.

فاثبتوا لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والأرض والنزول الى سماء الدنيا والمجيء والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية واثبتوا له تعالى الوجه واليدين اليد اليمنى واليد الشمال والأصابع والكف والعينين كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل وهو تجسيم صريح.

وحملوا الفاظ الصفات على معانيها الحقيقية فاثبتوا لله تعالى المحبة والرحمة والرضا والغضب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية من غير تأويل وانه تعالى يتكلم بحرف وصوت فجعلوا الله تعالى محلا للحوادث وهو يستلزم الحدوث كما بين في محله من علم الكلام.

اما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسيم والاستواء على العرش حقيقة والتكلم بحرف وصوت. وهو أول من زقا بهذا القول وصنف فيه رسائل مستقلة كالعقيدة الحموية والواسطية وغيرها واقتفاه في ذلك تلميذاه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي واتباعهم ولذلك حكم علماء عصره بضلاله وكفره والزموا السلطان بقتله او حبسه فاخذ الى مصر ونوظر فحكموا بحبسه فحبس وذهبت نفسه محبوساً بعدما اظهر التوبة ثم نكث. ونحن ننقل ما حكوه عنه في ذلك وما قالوه في حقه لتعلم ما هي قيمة ابن تيمية عند العلماء.

قال احمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم في جملة كلامه الاتي في فصل الزيارة ان ابن تيمية تجاوز الى الجناب المقدس وخرق سياج عظمته بما اظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم الخ.

وقال ابن حجر ايضاً في الدرر الكامنة على ما حكي: ان الناس افترقت في ابن تيمية (فمنهم) من نسبه الى التجسيم لما ذكره في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك بقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستو على العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا اسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام فالزم بانه يقول بالتحيز في ذات الله (ومنهم) من ينسبه الى الزندقة لقوله ان النبي (ص) لا يستغاث به وان في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظم رسول الله (ص) وكان اشد الناس عليه في ذلك النور البكري فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال

بعض الحاضرين يعزر فقال البكري لا معنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزر (ومنهم) من ينسبه الى النفاق لقوله في علي انه كان مخذولا حيث ما توجه وانه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها وانما قاتل للرياسة لا للديانة وانه كان يحب الرياسة وان عثمان كان يحب المال ولقوله ابو بكر اسلم شيخاً يدري ما يقول وعلي اسلم صبيا والصبي لا يصح إسلامه على قول ولكلامه في قصة خطبة بنت ابي جهل وما نسبه من الثناء على قصة ابي العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها فانه شنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله (ص) لا يبغضك الا منافق. ونسبه قوم الى انه يسعى في الإمامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه وكان ذلك مولداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حوقق والزم يقول لم ارد هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً انتهى.

وعن منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحال للمفتي صدر الدين انه قال فيه: قال الشيخ الإمام الحبر الهمام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه اتحاف اهل العرفان برؤية الانبياء والملائكة والجان وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعدله وذكر تحريمه للسفر الى زيارة النبي (ص) (الى ان قال) حتى تجاوز الجناب الاقدس المستحق لكل كمال انفس وخرق سياج الكبرياء والجلال وحاول اثبات ما ينافي العظمة واظهر هذا الامر على المنابر وشاع وذاع ذكره بين الاكابر والاصاغر الى آخر ما يأتي في فصل الزيارة.

وعن صاحب اشرف الوسائل الى فهم الشمائل انه قال في بيان ارخاء العمامة بين الكتفين. قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية انه ذكر شيئاً بديعا وهو انه (ص) لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة قال العراقي ولم نجد لذلك اصلا اقول بل هذا من قبيل رأيهما وضلالهما اذ هو مبني على ما ذهبا اليه واطالا في الاستدلال له والحط على اهل السنة في نفيهم له وهو اثبات الجهة والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما يصم عنه الاذان ويقضي عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان قبحهما الله وقبح من قال بقولهما والإمام احمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة القبيحة كيف وهي كفر عند كثيرين انتهى.

(وعن) المولوي عبد الحليم الهندي في حل المعاقد حاشية شرح العقائد كان تقي

الدين ابن تيمية حنبليا لكنه تجاوز عن الحد وحاول اثبات ما ينافي عظمة الحق تعالى وجلاله فاثبت له الجهة والجسم وله هفوات أخر كما يقول ان امير المؤمنين سيدنا عثمان (رض) كان يحب المال وان امير المؤمنين سيدنا عليا (رض) ما صح ايمانه فانه آمن في حال صباه وتفوه في حق اهل بيت النبي صلى الله عليه وعليهم السلام ما لا يتفوه به المؤمن المحق وقد وردت الاحاديث الصحاح في مناقبهم في الصحاح وانعقد مجلس في قلعة الجبل وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي وحضر ابن تيمية فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥ ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه كذا في مرآة الجنان للإمام ابي محمد عبد الله اليافعي ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ وقال اني اشعري ثم نكث عهده واظهر مرموزه فحبس حبساً شديداً ثم تاب وتخلص من السجن واقام في الشام وله هناك واقعات كتبت في كتب التواريخ ورد اقاويله وبين احواله الشيخ ابن حجر في المجلد الاول من الدرر الكامنة والذهبي في تاريخه وغيرهما من المحققين والمرام ان ابن تيمية لما كان قائلا بكونه تعالى جسما قال بأنه ذو مكان فان كل جسم لا بد له من مكان على ما ثبت ولما ورد في الفرقان الحميد ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قال ان العرش مكانه ولما كان الواجب ازليا عنده واجزاء العالم حوادث عنده اضطر الى القول بأزلية جنس العرش وقدمه وتعاقب اشخاصه الغير المتناهية فمطلق التمكن له تعالى ازلي والتمكنات المخصوصة حوادث عنده كما ذهب المتكلمون الى حدوث التعلقات انتهى.

وعن اليافعي في مرآة الجنان انه قال في ذكر فتنة ابن تيمية. وكان الذي ادعي عليه بمصر انه يقول ان ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ حقيقة وانه يتكلم بحرف وصوت ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه انتهى.

وعن تاريخ ابي الفداء في حوادث سنة ٧٠٥: وفيها استدعي تقي الدين احمد بن تيمية من دمشق الى مصر وعقد له مجلس وامسك واودع الاعتقال بسبب عقيدته فانه كان يقول بالتجسيم انتهى.

وجاء في المنشور الصادر بحقه من سلطان: وكان الشقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومد عنان كلمه وتحدث في مسائل القرآن والصفات ونص في كلامه

على امور منكرات واتى في ذلك بما انكره ائمة الإسلام وانعقد على خلافه اجماع العلماء الأعلام وخالف في ذلك علماء عصره وفقهاء شامه ومصره وعلمنا انه استخف قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا انهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم (انتهى).

وعن كشف الظنون عن بعضهم انه بالغ في رد ابن تيمية حتى صرح بكفر من اطلق عليه شيخ الإسلام انتهى.

واما محمد بن عبد الوهاب فاقتفى هو واتباعه في ذلك اثر ابن تيمية كما اقتفى اثره في زيارة القبور والتشفع والتوسل وغير ذلك وبنى على اساسه وزاد وقد اثبت ابن عبد الوهاب لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والأرض والجسمية والرحمة والرضا والغضب واليدين اليمنى والشمال والأصابع والكف كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل.

قال محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد الذي هو حق على العبيد على ما حكي عنه في باب قوله تعالى: ﴿حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ العشرون اثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة قال:

الشارح الأشعرية الفرقة المنتسبة لأبي الحسن الأشعري انكرت كثيرا من الصفات (منها) علو الله تعالى واستواؤه على عرشه بائنا عن خلقه ومحبته لعباده الصالحين ورحمته لهم ورضاه وغضبه وغير ذلك خلافا لما جاء عن رسول الله (ص) وأصحابه وسائر السلف الصالحين ثم استدل على ذلك بالأحاديث فقال باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة. الاية﴾ عن ابن مسعود (رض) جاء حبر من الأحبار الى رسول الله (ص) فقال يا محمد انا نجدن الله يجعل السماوات في اصبع والأرضين في اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة الاية﴾ وفي رواية لمسلم والجبال والشجر على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك انا الله.
وفي رواية للبخاري يجعل السماوات على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع اخرجاه لمسلم عن ابن عمر مرفوعا: يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الأرضين السبع ثم

يأخذهن بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون (وروى) عن ابن عباس ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد احدكم. وعن ابن مسعود بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابن مهدي (وعن) العباس ابن عبد المطلب (رض) قال رسول الله (ص) هل تدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وبين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من اعمال بني آدم اخرجه ابو داود وغيره وفيه مسائل (الأولى) تفسير قوله تعالى: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾ (الثانية) ان هذه العلوم وامثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه (ص) لم ينكروها ولم يتأولوها (الثالثة) ان الحبر لما ذكر ذلك للنبي (ص) صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك (الرابعة) وقوع الضحك منه (ص) لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم (الخامسة) التصريح بذكر اليدين وان السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى (السادسة) التصريح بتسميتها الشمال انتهى.

وهو صريح في اثبات جهة الفوق لله تعالى والاستواء على العرش الذي هو فوق السموات والأرض واثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب واثبات اليدين والأصابع واليد اليمنى واليد الشمال والكف له تعالى كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل ونسبة الأشعرية الذين يؤلونها الى التعطيل وهو عين التجسيم الذي اطبق المسلمون على كفر معتقده لاستلزامه التركيب والتحيز والوجود في جهة دون جهة وكل ذلك يستلزم الحدوث كما قرر في محله ويلزم من اثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب بمعانيها الحقيقية وهي ميل القلب ورقته وعدم هيجان النفس وهيجانها كونه تعالى محلا للحوادث الموجب حدوثه كما علم من علم الكلام مع ان حديث حبر اليهود عليه لا له فان الضحك لم يكن لتصديق قول الحبر كما توهم بل للرد عليه فهو ضحك تعجب من نسبة ذلك اليه تعالى مع بطلانه في العقول ويدل عليه قراءته (ص) وما قدروا الله حق قدره اي ما قدروه حق قدره بنسبتهم اليه الجسمية والأعضاء.

واما اتباع محمد بن عبد الوهاب فاثبتوا لله تعالى جهة العلو والاستواء على العرش والوجه واليدين والعينين والنزول الى سماء الدنيا والمجيء والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية.

(ففي الرسالة الرابعة) من الرسائل الخمس المسمى مجموعها بالهدية السنية (١) لعبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب عند ذكر بعض اعتقادات الوهابية وانها مطابقة لعبارة ابي الحسن الأشعري قال: وان الله تعالى على عرشه كما قال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وان له يدين بلا كيف كما قال: ﴿لما خلقت بيدي بل يداه مبسوطتان﴾ وان له عينين بلا كيف وان له وجها كما قال ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وقال (٢) ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله (ص) ان الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر (الى ان قال) ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ وانه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿ونحن اقرب اليه من حبل الوريد﴾ (وفي الرسالة الخامسة) لمحمد بن عبد اللطيف المذكور (٣) ونعتقد ان الله تعالى مستو على عرشه عال على خلقه وعرشه فوق السماوات قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الاستواء ولا نكيف ولا نمثل قال امام دار الهجرة مالك ابن انس وبقوله نقول وقد سأله رجل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة (الى ان قال) فمن شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر ونؤمن بما ورد من انه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول الخ (ونقول) يلزم من ذلك احد امرين التجسيم او القول بالمحال وكلاهما محال لأن حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ومع الكيف تجسيم فلا بد من التأويل والمجاز والقرينة العقل (ومنه تعلم) ان الكلام المنسوب الى الإمام مالك لا يكاد يصح وحسن الظن به يوجب الريبة في صحة النسبة اليه وذلك لأن قوله الاستواء معلوم ان اراد انه معلوم بمعناه الحقيقي فهو ممنوع بل عدمه معلوم بحكم العقل باستحالة الجسمية عليه تعالى واستحالة

(١) ص ٩٧. (٢) ص ٩٩. (٣) ص ١٠٥ طبع المنار بمصر.

الاستواء الحقيقي بدون الجسمية وان اراد بالمعنى المجازي فلا يصلح شاهد لقوله نثبت حقيقة الاستواء ولا يكون السؤال عنه بدعة ولا يلزم الكيف حتى يقال انه مجهول ثم كيف يكون السؤال بدعة والتصديق بالمجهول محال وان اراد انا نؤمن به على حسب المعنى الذي اراده الله تعالى منه وان لم نعلمه تفصيلا فان كان يحتمل انه اراد حقيقة الاستواء ففاسد لما عرفت من استحالته بحكم العقل وان كان الترديد بين المعاني المجازية فقط فاين حقيقة الاستواء التي اثبتناها واذا كان قول الإمام مالك عند هؤلاء قدوة وحجة في مثل هذه المسألة الغامضة فلم لم يقتدوا بقوله فيما هو اوضح منها واهون وهو رجحان استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عند الدعاء حسبما امر به مالك المنصور فيما مرت الإشارة اليه (وكذا) الاعتقاد باليدين والعينين والوجه بدون الكيف فان كانت بمعانيها الحقيقية لزم اعتقاد المحال لاستحالة المعاني الحقيقية بدون الكيف ومع الكيف يلزم التجسيم فلا بد من المجاز والتأويل والقرينة حكم العقل وكذا الاعتقاد بانه تعالى ينزل الى سماء الدنيا ويجيء يوم القيامة ويقرب من خلقه ان كان بمعانيها الحقيقية لزم التجسيم فلا بد من المجاز والتأويل لعين ما مر (قوله) فمن شبه الله بخلقه كفر (قلنا) اثبات حقيقة هذه الأشياء له هي تشبيه له بخلقه فتكون كفرا لعدم امكان اثباتها بدون التشبيه كما عرفت (قوله) ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر (قلنا) جحود الصفة والإقرار بها حكم عليها والحكم على الشيء فرع معرفته فيلزم اولاً ان نعرف ما اريد بهذا اللفظ هل هو معناه الحقيقي او المجازي لنعرف ما وصف به نفسه فنقر به واذا كان المعنى الحقيقي يستحيل ارادته كما بينا فلا يكون مما وصف به نفسه فلا يكون جحوده كفرا وما اشبه هذا بقول النصارى الأب والابن وروح القدس اله واحد فانه اذا قيل لهم كيف تكون الثلاثة واحدا قالوا هذا شيء فوق العقل ولم يعلموا ان ما هو فوق العقل لا يمكن للعقل ان يذعن به.

ومن هنا تعلم فساد ما حكي عن محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد من ان الوهابيين يقرون آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها ويكلون معناها الى الله تعالى انتهى فان اقرارها على ظاهرها يناقض ايكال معناها الى الله كما هو واضح بل ايكالها اليه تعالى عبارة عن التوقف وعدم الحكم ببقائها على ظاهرها.

اما قول عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية

(١) انه لا يلزم ان نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلو لأن لازم المذهب ليس بمذهب ففيه ان كون لازم المذهب ليس بمذهب ان صح فمعناه ان من ذهب الى القول بشيء لا يجب ان يكون قائلا بلازمه الا انه اذا كان هذا اللازم باطلا كان ملزومه الذي ذهب اليه باطلا لأن بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم والا لبطلت الملازمة فمن قال بجهة العلو وان لم يقل بالتجسيم الا انه لازم قوله فاذا كان التجسيم باطلا فالقول بجهة العلو خطأ وباطل مع انك قد عرفت آنفا ان قدوتهم ومؤسس ضلالتهم ابن تيمية قد صرح بالجسمية وكفره علماء عصره لذلك وحكموا بقتله او حبسه وان مؤسس مذهبهم ابن عبد الوهاب اقتدى بابن تيمية في ذلك فاثبت اليدين اليمين والشمال والأصابع والكف وهم على طريقته لا يحيدون عنها قيد أنملة فلا ينفعهم التبري من القول بالتجسيم .

اعتقاد الوهابيين في النبي (ص) وسائر الأنبياء والصالحين وقبورهم

واعتقادهم في النبي (ص) ان الاستغاثة به وطلب الشفاعة منه الى الله والتوسل به اليه بقول يا رسول الله اشفع لي او اتوسل بك الى الله والتبرك بقبره والصلاة والدعاء عنده وتعظيمه كل ذلك شرك وكفر وعبادة للأصنام والأوثان موجبة لحل المال والدم وانه يحرم السفر لزيارته ويجب هدم ضريحه وقبته ويحرم التبرك بتربته ولمس ضريحه وتقبيله وان ضريحه صنم من الأصنام ووثن من الأوثان بل هو الصنم الأكبر والوثن الأعظم وكذلك سائر الأنبياء والصالحين وفي خلاصة الكلام (٢) كان محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبي (ص) انه طارش وان بعض اتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لأنه ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع وانما هو طارش ومضى وكان يقال ذلك بحضرته او يبلغه فيرضى وكان يقول وجدت في قصة الحديبية كذا كذا كذبة انتهى .

اعتقادهم في عموم المسلمين

واعتقادهم في عموم المسلمين انهم كفروا بعد ايمانهم واشركوا بعد توحيدهم او أنهم

---

(١) صفحة ٤٥ .

٢) صفحة ٢٣٠ .

كفار بالكفر الأصلي بل شر من الكفار فيجب قتالهم وتحل دماؤهم واموالهم وعلى بعض الأقوال تسترق ذراريهم وهذا الكفر والشرك حصل منهم منذ ستمائة سنة قبل ابن عبد الوهاب على ما في خلاصة الكلام وانهم ابدعوا في دين الإسلام وهذا محور مذهب الوهابية الذي يدور عليه.

اما كفرهم وشركهم فبعبادتهم الأنبياء والصالحين بل وغير الصالحين ممن يعتقدون فيهم الولاية وهم من فسقة الناس وعبادتهم قبورهم فكانوا بذلك كمشركي قريش وغيرهم الذين عبدوا الأصنام والأوثان من الأحجار والأشجار وغيرها وعبدوا الملائكة والجن وكالنصارى الذين عبدوا المسيح وامه وذلك باستغاثتهم بالأموات ودعائهم لكشف الملمات والهتاف بأسمائهم والتشفع بهم الى الله بقول يا رسول الله اسألك الشفاعة ونحو ذلك والنذر والذبح لهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وعمل الأضرحة لها ووضع الجوخ وغيره عليها وعمل الستور لها واسراجها وتخليقها والعكوف عليها كما كان المشركون يعكفون على اصنامهم والنذر لها وتزيينها بالقناديل والذهب والفضة وغيرها وجعل الخدمة والسدنة لها وعمل اعياد ومواسم لها وتقبيلها والطواف حولها والتمسح بها واخذ ترابها تبركا والصلاة عندها واتخاذها مساجد وشد الرحال اليها وكتب الرقاع عليها يا مولاي افعل لي كذا وكذا ونحو ذلك فان ذلك كله عبادة لها ولأهلها وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها موجب للشرك والكفر.

وفرعوا على ذلك وجوب هدم قبور الأنبياء والصالحين والقباب المبنية عليها وعدم جواز تعميرها وتعليق المعلقات فيها والوقف عليها بل هو باطل وعدم جواز لمسها والتبرك بها والصلاة والدعاء عندها وايقاد السرج عليها وغير ذلك.

وقسموا التوحيد الى توحيد الربوبية وهو الاعتقاد بان الخالق الرازق المدبر للأمر هو الله. وتوحيد العبادة وهو صرف العبادة كلها الى الله قالوا ولا ينفع الأول بدون الثاني لأن مشركي قريش كانوا يعتقدون بالأول فلم ينفعهم لعدم اقرارهم بالثاني كذلك المسلمون لا ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية لعبادتهم الأنبياء والصالحين وقبورهم بنفس الأشياء التي مر ذكرها التي كان المشركون يعبدون اصنامهم بها وقالوا الكفر نوعان مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ما جاء به الرسول (ص) والمقيد ان يكفر ببعضه وهو كفر المسلمين الذين هم باعتقادهم مشركون وقسموا الشرك الى قسمين اكبر واصغر فالأكبر

هو الذي تقدم والأصغر كالرياء والحلف بغير الله تعالى .

وفرع الوهابية على هذا الاعتقاد الذي اعتقدوه من اشراك جميع المسلمين . وجوب قتالهم واستحلال دمائهم وجعل بلادهم دار حرب وقتالهم جهاداً في سبيل الله وبلادهم بلاد شرك تجب الهجرة منها الى بلاد الإسلام التي اهلها وهابية موحدون كما كانت هذه الأشياء ثابتة في حق عبدة الأوثان والأصنام (قال) محمد بن عبد الوهاب في رسالة ثلاثة الأصول (١) والهجرة فريضة على هذه الامة من بلد الشرك الى بلد الإسلام وهي باقية الى ان تقوم الساعة الخ .

اما سبي ذراري المسلمين فهو مقتضى قواعد المذهب الوهابي الذي اساسه ومبناه ومحوره الذي يدور عليه التسوية بين عبدة الاصنام وبين المسلمين في الإشراك بالعبادة وقد صرح الصنعاني في تطهير الاعتقاد في عدة مواضع بما يدل على ذلك حيث قال (٢) ومن فعل ذلك (اي الاستغاثة وما يجري مجراها) لمخلوق فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور إلها لعابديه وصار الفاعل عابداً لذلك المخلوق وان اقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب اموالهم وقال في موضع آخر (٣) فمن رجع واقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ومن اصر فقد اباح الله منه ما اباح لرسول الله (ص) من المشركين انتهى .

ويدل عليه ما حكاه الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢١٧ كما تقدم نقله عنه في بعض الحواشي السابقة انهم لما دخلوا الطائف قتلوا الرجال واسروا النساء والأطفال قال وهذا دأبهم مع من يحاربهم (وعن) كتاب التوضيح لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب انه قال واباح لأهل التوحيد اموالهم ونساءهم وان يتخذوهم عبيداً انتهى (ومر عن) تاريخ الأمير حيدر ان الوهابيين في بعض حروبهم سبوا النساء وقتلوا الاطفال ولكن في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (٤) ومما نحن عليه انا لا نرى سبي العرب ولم نفعله نقاتل غيرهم (كذا) ولا نرى سبي النساء والصبيان انتهى وهذا مناقض لقواعد مذهبهم ولما سمعت من كلام بعضهم والتناقض في كلامهم غير عزيز كما يظهر

---

(١) صفحة ١٢ . (٢) صفحة ٧. (٣) صفحة ١٢ طبع المنار بمصر. (٤) صفحة ٤٠ .

لك من تضاعيف هذا الكتاب.

واما ابداع المسلمين في الدين فباحداثهم اشياء فيه لم تكن على عهد النبي (ص) والصحابة (وقالوا) البدعة وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة (اي قرن النبي (ص) وما بعده) مذمومة مطلقاً ذكره حفيد ابن عبد الوهاب في احدى رسائل الهدية السنية (١) وذلك مثل المحاريب الأربعة في المساجد للائمة الاربعة وجعل اربعة أئمة للصلاة من اهل المذاهب الاربعة والترحيم والتذكير الذي يفعل في المآذن ليلة الجمعة ويومها وليلة الاثنين وبين الاذان والاقامة وقبل الفجر (٢) ورفع الصوت في مواضع الأذان كالمناير بغير الأذان من قرآن او صلاة على النبي (ص) او ذكر بعد اذان او في ليلة جمعة او رمضان او العيدين وقراءة حديث ابي هريرة قبل خطبة الجمعة والاجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف النبوي وقراءة المولد النبوي بقصائد بالحان وتخلط بالصلاة عليه والأذكار والقراءة وتكون بعد التراويح والتظاهر باتخاذ المسابح والاجتماع على رواتب المشائخ برفع الصوت وقراءة الفواتح كراتب السمان والحداد وغيرهما وقراءة الفواتح للمشائخ بعد الصلوات الخمس وكصلاة الخمسة فروض بعد آخر جمعة من رمضان ورفع الصوت بالذكر عند حمل الميت وعند رش القبر بالماء وكاتخاذ الطرائق وتعليق الأسلحة والبيارق في التكايا والزوايا وعمل الذكر المتعارف ونقر الدفوف وما يتخلل ذلك من الشهيق والنهيق والنعيق وتكرار لفظ الجلالة (الله الله) وغير ذلك واحرق الوهابية دلائل الخيرات بدعوى اشتمالها على البدعة او الشرك وفي خلاصة الكلام (٣) ان محمد بن عبد الوهاب كان ينهى عن الإتيان بالصلاة على النبي (ص) ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المناير وانه قتل رجلا اعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي (ص) في المنارة بعد الأذان فلم ينته فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة اقل اثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي (ص) في المنائر انتهى وذلك لان الربابة في بيت الخاطئة لا يتجاوز اثمها صاحبها اما الصلاة على النبي (ص) بتلك الكيفية فهي بزعمه بدعة فيتعدى اثمها لكل من يقتدي بفاعلها (ونقول) البدعة كما مر في المقدمات ادخال

(١) صفحة ٤٧. (٢) وهذا جاء في سؤال ابن بليهد الموجه الى اهل المدينة كما يأتي. (٣) صفحة ٢٣.

ما ليس من الدين في الدين كاباحة محرم او تحريم مباح او ايجاب ما ليس بواجب او ندبه او نحو ذلك سواء كانت في القرون الثلاثة او بعدها وتخصيصها بها بعد القرون الثلاثة لا وجه له ولو سلمنا حديث خير القرون قرني الخ فان اهل القرون الثلاثة غير معصومين بالاتفاق وتقسيم بعضهم لها الى حسنة وقبيحة او الى خمسة اقسام ليس بصحيح بل لا تكون الا قبيحة ولا بدعة فيما فهم من اطلاق ادلة الشرع او عمومها او فحواها او نحو ذلك وان لم يكن موجوداً في عصر النبي (ص) فتقبيل يد العالم او الصالح او الأبوين بقصد التعظيم والاحترام تقرباً اليه تعالى جائز وراجح وان لم يكن ذلك في عصره (ص) ولا ورد فيه نص خاص فانه بعد ان صار نوعاً من التعظيم عادة وفهم من ادلة الشرع رجحان تعظيم المؤمن بوجه العموم يكون جائزاً وراجحاً وكذا القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) او ذكر اسم رجل عظمه الشرع هو من هذا القبيل ما لم يكن التعظيم بفعل حرمه الشرع كالغناء وآلات اللهو والكذب في المدح ونحو ذلك. كما انه لا بدعة فيما فعل لا بقصد الخصوصية او العبادة (ومنه) يعلم عدم صحة الحكم بالبدعة في كل ما ذكروه وصحته في البعض فرفع الصوت بالأشياء المذكورة لا مانع منه لعموم ادلتها او اطلاقها وعدم تقييدها برفع الصوت ولا بخفضه خصوصا اذا كان في رفع الصوت فائدة كالإعلان بذكر الله واتعاظ السامع ونحو ذلك نعم لو فعلت بقصد الخصوصية والورود كانت بدعة (ودعوى) ان السامع يتوهمها كذلك لا تسمع لأن السامع عليه الفحص وسؤال اهل المعرفة وكذا التذكير والترحيم يشمله عموم ذكر الله ودعائه والترحم على المؤمنين والصحابة ونحو ذلك وعد ذلك بدعة جمود وقلة فقه فلو ان رجلا اصطلح على ان يصلي على النبي (ص) عند طلوع الشمس عشر مرات او ان يكبر بعد العصر سبعين مرة مثلا او نحو ذلك ولم يقصد ان هذا مأمور به بخصوصه لم يكن مبدعاً في الدين بعد دلالة الادلة الشرعية بعمومها او اطلاقها على استحباب الصلاة على النبي (ص) في اي وقت كان واستحباب ذكر الله بالتكبير وغيره ولو فرضنا انه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التي كان يفعلها النبي (ص) بها ولا يجوز فعلها بدونها بل تكون بدعة لكانت الصلاة بالطربوش او الشال الهندي او البنطلون او العقال والمنديل بدعة ولكانت الخطبة في الجمعة والعيدين بدون قلنسوة بدعة إذا فرض انه (ص) كان يفعلها متقلنساً وبقلنسوة بيضاء بدعة اذا فرض انه كان يفعلها بقلنسوة

حمراء مثلا وهكذا وهذا لا يقول بـه من عنـده ادنى معـرفـة بـادلـة الشرع وكأنهم منعـوا الترحيم الذي يقال فيه يا ارحم الراحمين ارحمنا بجاه فلان لأن ذلك عندهم من التـوسل الموجب للكفر وستعرف فساده والالتزام بقراءة حديث فيه فائدة امام خطبـة الجمعـة لا ضرر فيه ان لم يفعل بقصد الورود والاجتماع على قـراءة سيرة المولـد الشريف فيـه تعظيم للنبي (ص) واستبشار بخبر ولادته التي كانت سبباً لسعادتنا الأبدية فيشمله عمـوم مـا دل على رجحان ذلك وقراءة المولد مع قصائد وصلاة عليه لا مانع منها ان لم تشتمل على الغناء المحرم لعموم الأدلة والتظاهر بحمل المسابح لا محذور فيه لما فيـه من الفـوائد من عد الأذكار الموظفة بعدد خاص فتكـون كما ورد من العـد على النـوى الـذي اشـار اليـه صاحب المنار في الحاشية (وقوله) في الحاشية اي اتخاذها شعاراً يوهم انه مطلـوب شرعـاً مردود بأنه لا يوهم ذلك عند ذي المعرفة وغيره لا يضرنا وهمه ولا يلزمنـا دفعـه ولا يصير فعلنا بدعة بسببه وقراءة الفواتح للمشائخ بعد الصلـوات يـراد بها اهـداء الثـواب اليهم فيعمها ما دل على جواز اهداء الثواب للميت واختيار اوقات الصلاة لأنها افضل فيزداد الثواب ومن ذلك تعلم ان قوله فالربابة الخ مع ما فيه من سوء الأدب العظيم مبني على ما هو فاسد من كون رفع الصوت في المنارة بالصلاة بدعة وقد عرفت فساده وان الصلاة عليه (ص) مستحبة مطلقاً مع رفع الصوت وبدونه على المنارة وغيرها فيجوز مطلقـاً الا ان يقصد وروده في الشرع بهذه الكيفيـة وهـذا لا يقصـده احـد (والحاصل) ان مـا ثبت استحبابه على وجه العموم اذا التزم بكيفية منه لا من بـاب الخصـوصيـة لا يكـون ذلك بدعة اما المحاريب الأربعة والأئمة الأربعة للصلوات الخمس فقد بينا في مقام آخـر من هذا الكتاب انه لو كان بدعة لكانت المذاهب الأربعة بدعة ومع كونها سنـة فـلا بـد ان يكون سنة اما اتخاذ الطرائق وما يتبعهـا ممـا عـددوه الى الشهيق والنهيق والنعيق وتكـرار الجلالة الذي يشبه في كثير من حالاتـه نبح الكـلاب فنحن نـوافقهم في انـه من البـدع القبيحة ومن تسويلات الشيطان.

ثم قال حفيد ابن عبد الوهاب في احدى رسائل الهدية السنية بعد كلامه السابق واما ما لا يتخذ ديناً ولا قربة كالقهوة وقصائد الغزل ومدح الملـوك فـلا ننهى عنـه ويحل كل لعب مباح لأن النبي (ص) اقر الحبشة على اللعب يوم العيد ويحل الرجز والحداء وطبل الحرب ودف العرس وقد قـال (ص) بعثت بـالحنيفيـة السمحـة لتعلم يهود ان في ديننـا

فسحة انتهى .

وهنا نشكر للوهابية تسامحهم وتساهلهم في تحليل الأشياء المذكورة وعدم عدهم لها كفراً وشركاً او تحريمهم لها او عدها بدعة كما حرموا التدخين وعاقبوا عليه وكما توقفوا في التلغراف كما ستعرف في الخاتمة واذا كانوا يعلمون انه (ص) بعث بالحنيفية السمحة فما بالهم يضيقون على العباد في الأمور الاجتهادية التي ليست من ضروريات الدين مع تجويزهم الاجتهاد ومخالفة جميع المذاهب الأربعة واعتقادهم . ان المخطىء في اجتهاده مأجور وتحريم التدخين ليس من ضروريات الدين ولم يرد فيه نص ولم يكن في زمن النبي (ص) وحاله حال القهوة التي يشربونها وصرحوا بحليتها فان كان تحريم الدخان لعدم النص فالقهوة كذلك وان كان للإضرار فلا يحرم على من لا يعتقد الضرر وان كان للإسراف فالمدخنون يرتاحون اليه ويستعينون به على التسلي وتصفية الفكر وأن كان لأنه من الخبائث فليس بمأكول ولا مشروب حتى يعمه تحريم الخبائث لأن اضافة التحريم الى الأعيان على حذف الفعل المناسب فحرمت الخمر اي شربها والميتة اي اكلها وامهاتكم اي نكاحها والخبائث اي اكلها وشربها وغير ذلك على ان الخبائث مجملة فما شك في دخوله فيها بقي على إصالة الحل وبعد ذلك كله فالمجتهد في حلية التدخين ليس لنا معارضته اصاب او اخطأ لأنه معذور وكذا كل ما ينقمونه على المسلمين لا يخرج عن امور اجتهادية ليست ضرورية فكيف ساغ لهم معارضة المسلمين فيها بالسيف والسنان وجعل الوهابية حالهم في الدعاء الى مذهبهم والى تجديد التوحيد ورفع البدع حال رسول الله (ص) والأنبياء قبله في الدعاء الى الإسلام والتوحيد فكما جاءت الأنبياء لتلزم الناس بالتوحيد وتمنعها من الشرك وترفع من بينها البدع وكما دعا النبي (ص) مشركي قريش ومن ضارعهم من عبدة الأوثان الى اخلاص التوحيد واستحل دم ومال من ابى فالوهابيون يدعون جميع المسلمين الذين هم جميعاً عندهم من عبدة الأوثان الى اخلاص التوحيد وترك الشرك والبدع ومن ابى ولم يتوهب حل ماله ودمه كما حلّ مال ودم عبدة الأصنام ومشركي قريش في زمن النبي (ص) صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب في كشف الشبهات وصرح به محمد بن اسماعيل الصنعاني في تطهير الاعتقاد كما سيأتي عند نقل كلامهما وغيرهما .

(والحاصل) ان حكم الوهابيين بكفر وشرك جميع المسلمين هو اساس مذهبهم

ومحوره الذي يدور عليه لا يتحاشون منه وكتبهم مشحونة بالتصريح بـه تصريحاً لا يقبل التأويل بل صرح محمد بن عبد الوهاب في رسالتي اربع القواعـد وكشف الشبهـات كما سيأتي بان شرك المسلمين اغلظ من شرك عبدة الأصنـام لأن اولئك يشركـون في الـرخـاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم دائم في الحالتين ولأن اولئك يـدعـون مع الله انـاسـاً مقربين عنده واشجاراً واحجاراً غير عاصية وهؤلاء يدعون معه اناسـاً من افسق النـاس (وصرح) بذلك الصنعاني في رسالـة تطهير الاعتقـاد في عـدة مـواضع بل صرح في تلك الرسالة كما ستعرف بأن كفر المسلمين كفر اصلي لا كفر ردة (وصرح) بـالتكفير بجملـة مما كفر به الوهابية غيرهم ابن تيمية في رسالتي الواسطة وزيارة القبور كما ستعـرف ومنـه اخذ الوهابية تكفير المسلمين وعلى اساسه بنوا وزادوا (وصرح) بذلك ايضاً الوهـابيـة في عدة مواضع من رسائل الهدية السنية الخمس وغيرها (وصرح) بـه عبـد اللطيف حفيـد ابن عبد الوهاب فيما حكاه عنه الألـوسي في تـاريخ نجـد (وقـد) اطلق محمـد بن عبـد الوهاب في رسـالـة كشف الشبهـات اسم الشرك والمشركين على عـامـة المسلمين عـدى الوهابيين فيما يزيد عن اربعة وعشرين موضعاً واطلق عليهم اسم الكفر والكفار وعبـاد الأصنام والمرتدين والمنافقين وجاحدي التوحيـد واعـدائه واعـداء الله ومـدعي الاسـلام واهل الباطل والذين في قلوبهم زيغ والجهال والجهلة والشياطين وان جهال الكفار عبدة الأصنام اعلم منهم وان ابليس إمامهم ومقدمهم الى غير ذلك من الألفاظ الشنيعـة فيما يزيد عن خمسة وعشرين موضعـاً (١) واطلق عليهم الصنعـاني في تطهير الاعتقـاد اسم الشرك فيما يزيد عن ثلاثين موضعـا واطلق عليهم اسم الالحاد والكفـر والكفـر الأصلي وانهم عبدوا غير الله وزادوا على عبادة الأصنام وانهم مثل اصحاب مسيلمـة والسبـائيـة واليهود والخوارج واهل الجاهلية فيما يزيـد عن خمسـة عشر مـوضعـا واطلق اسم الالـه والصنم والوثن والند لله على من يستغيثون ويتبركون بـه في نحـو من عشرة مـواضع (٢) واطلق اصحاب الهدية السنيـة على المسلمين اسم الشرك والإشراك والشرك بـالله والشرك

(١) راجع صفحاتها من صفحة ٥٧ الى ٧٢ تجد في كل منها شيئا كثيراً من ذلك .
(٢) راجع صفحة ٧ و٩ الى ١٧ و٢٠ و٢٢ .

الأكبر واعظم الشرك والشرك الوخيم ومتخذي الشريك والشرك الموجب لحلية المال والدم والمشركين والمشركات واقبح المشركين وأنهم مشركون شاؤوا او ابوا وان شركهم اقبح واشنع ممن قالوا اجعل لنا ذات انواط واعظم واكبر من شرك الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا وان الوهابيين لما جاؤوا الى مكة عبد الله وحده فيما يزيد عن ستين موضعا واسم الكفر والكفار وانهم كاليهود والنصارى والسبائية وعباد الملائكة والشمس والقمر والقائلين اجعل لنا ذات انواط بل شر منهم وعباد اللات والعزى وعباد الأصنام والأوثان وان ما هم عليه هو دين الجاهلية فيما يزيد عن عشرين موضعاً ووصفوهم بعبادة غير الله فيما يزيد عن عشرة مواضع وسموا من يتوسل ويتبرك بهم المسلمون وبقبورهم بالأصنام والأوثان والأنداد لله فيما يزيد عن اثني عشر موضعاً (١) وسننقل في تضاعيف ما يأتي جملة من كلماتهم الصريحة في ذلك (واطلق) حفيد ابن عبد الوهاب على المسلمين اسم الكفر في ثلاثة مواضع والشرك في اربعة ومدعي الإسلام وانهم يحبون مع الله محبة تأله وانهم شر من جاهلية العرب وان شركهم اشد واشنع واكبر من شركها وانه لم يبلغ شرك الجاهلية الأولى شركهم ونسبهم الى الفساد وانهم من اجهل الخلق واضلهم وخارجون عن الإسلام وعابدون لغير الله وخارجون عن الملة الى غير ذلك من الألفاظ الشنيعة وفي القصائد الملحقة بالهدية السنية تصريح بذلك في عدة مواضع يطول الكلام بنقلها.

وفي خلاصة الكلام (٢) كان محمد بن عبد الوهاب اذا اتبعه احد وكان قد حج حجة الإسلام يقول له حج ثانياً فان حجتك الأولى فعلتها وانت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا اراد احد الدخول في دينه يقول له بعد الشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافراً وعلى والديك انهما ماتا كافرين وعلى فلان وفلان ويسمي جماعة من اكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفاراً فان شهد قبله والا قتله وكان يصرح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة ويكفر من لا يتبعه ويسميهم المشركين ويستحل دماءهم واموالهم انتهى.

---

(١) راجع الهدية السنية صفحة ١٠ الى ١٥ و١٩ و٢٠ و٢٢ الى ٢٨ و٣٠ الى ٣٤ و٣٦ و٣٧ و٤١ و٤٢ و٤٥ و٥٣ و٥٥ الى ٥٧ و٥٩ و٦١ الى ٦٣ و٦٥ و٨٦ الى ٩٣ و٩٥ و١٠٢ الى ١٠٥ و١٠٧ ويوجد مواضع غير هذه كثيرة يجدها المتتبع.

(٢) صفحة ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

وفي خطبة سعود بمكة التي تقدمت تصريحات عديدة بان جميع من عداهم من المسلمين هم مشركون وانما يصيرون مسلمين باتباعهم اياهم مثل قوله ولم نزل ندعو الناس للإسلام وجميع القبائل انما اسلموا بهذا السيف (وقوله) فاحمدوا الله الذي هداكم للإسلام وانقذكم من الشرك وانا ادعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه (وقد) صرح بذلك محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد على ما حكي وهو غير متهم في حق الوهابيين فقال ان سعوداً غالى في تكفير من خالف الوهابيين وان علماء نجد وعامتهم يسمون غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله انتهى (وقد) صرح بذلك صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) (١) فقال: كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدداً للإسلام في بلاد نجد بارجاع اهله عن الشرك والبدع الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية انتهى واذا كان هذا اعتقاد صاحب المنار في المسلمين فما باله يكرر في تلك المجموعة نداءه للمسلمين بقوله ايها المسلمون ان الحجاز مهبط دينكم ايها المسلمون الى متى انتم غافلون ايها المسلمون ان الله لا يهلك المسلمين الا بقتال بعضهم لبعض ايها المسلمون حسبكم ما بينا لكم الى غير ذلك بل كان عليه ان يقول ايها المشركون المدعون للإسلام فما باله لا يبالي بالتناقض في كلامه ولعله يريد بالمسلمين خصوص اهل نحلته الوهابية.

ومع كل هذه التصريحات التي لا تقبل التأويل والتي نشاهد اعمال الوهابية موافقة لها وسيرتهم عليها فانهم لا يفترون عن غزو المسلمين والهجوم عليهم في عقر ديارهم وقتلهم وقتالهم كلما سنحت لهم فرصة وامكنهم ذلك ومناداتهم بقول يا مشركون نرى بعض الوهابيين واتباعهم كصاحب المنار يريدون التبري من هذا المعتقد وستره لما رأوا بشاعته وشناعته وتقبيح الناس له ونفورهم عنهم وتشنيعهم عليهم بسببه وهيهات.

فمن رام ستر ذلك والتبري منه صاحب الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية فانه قال في تلك الرسالة (١): واما ما يكذب علينا ستراً للحق وتلبيسا على الخلق (الى ان

---

(١) صفحة ٦.

(١) ص ٤٠.

قال) وانا نضع من رتبة نبينا (ص) بقولنا النبي رمة في قبره وعصا احدنا انفع له منه .

(الى ان قال) وانا نكفر الناس على الإطلاق اهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه ومن فروع ذلك ان لا نقبل بيعة احد الا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركاً وان ابويه ماتا على الشرك بالله الخ فجميع هذه الخرافات جوابنا عنها سبحانك هذا بهتان عظيم فمن نسب الينا شيئاً من ذلك فقد كذب وافترى وان جميع ذلك وضعه علينا اعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الإذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك انواع الشرك الذي نص عليه بان الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انتهى وتراه في نفس اعتذاره الذي حاول فيه انكار تكفير المسلمين صرح بتكفيرهم وتشريكهم بقوله تنفيراً للناس عن الإذعان باخلاص التوحيد لله بالعبادة وترك انواع الشرك فحكم على الناس بأنهم مشركون بشرك العبادة وان من ينسب الى الوهابية هذه الأشياء يريد تنفير الناس عن التوحيد وترك الشرك فكان بهذا الاعتذار شبيهاً بما يحكى ان رجلا قال لأعجمي لماذا تقلبون الذال زاياً والقاف غيناً فقال (كزب الزي يغول زلك) وبما يحكى ان عالماً قال لبعض امراء الحرافشة ان اهل هذه القرية يسبون الدين فمرهم بترك ذلك فأمر الأمير مناديه ان ينادي : (يا اهل القرية اتركوا مسبة الدين ومن سب منكم الدين فالأمير يحرق دينه ودين دينه) وهؤلاء يصرحون بأن التوحيد لا يتم الا بتوحيد العبادة وان الناس مشركون وغير موحدين بتوحيد العبادة وان الذي احل دماء المشركين في زمن النبي (ص) واموالهم ودماءهم وسبي ذراريهم هو شركهم في العبادة وان المسلمين مثلهم بلا فرق ومع ذلك يقولون من نسب الينا انا نكفر الناس فقد كذب وافترى هذه خرافات هذا بهتان عظيم ومن نسب الينا انا نلزم المبايع الشهادة على نفسه وابويه بالشرك فقد كذب وافترى واتى بالخرافة والبهتان العظيم هل هذا الا التناقض الذي لا يرضى به لنفسه عاقل ومن نسب الينا انا نكفر الناس فقد كذب وافترى وقصد بافترائه تنفير الناس عن الرجوع عن شركهم الى اخلاص التوحيد فهذا هو الاعتذار الذي وضع صاحب المنار فوقه الخطوط المستطيلة ليكون عذر الوهابية بارزاً جلياً للأنظار ومن يكون أساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه كفر وشرك المسلمين واستحلال اموالهم ودمائهم وسبي ذراريهم وكتبهم مشحونة بالتصريح بذلك وقد طبع منها الألوف الا يخجلون من انكاره والتبري منه بعبارة هي اقرار به ولئن صح عنهم قولهم عن النبي

(ص) انه طارش ومضى وانه رمة في قبره وعصا احدنا انفع لـه منـه او لم يصح فجعلهم قبر النبي (ص) وثنا وتعظيمه والتبرك به شركاً ومنعهم من زيارته او من شد الرحال اليـه وغير ذلك لا يقصر عن هذا القول ومعتقده لا يستبعـد منـه قـول ذلك (وممن) رام ستر ذلك والتملص منه عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فانه قال في الرسـالـة الثـانيـة من رسائل الهدية السنية (١): فان قال منفر عن قبول الحق يلزم من قطعكم ان من قـال يـا رسول الله اسألك الشفاعة انه مشرك مهدور الـدم ان يقـال بكفـر غـالـب الأمـة لا سيما المتأخرين لتصريح علمائهم ان ذلك مندوب وشنوا الغارة على المخـالف (قلت) لا يلـزم لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما لا يلزم ان نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلو ونقـول فيمن مات تلك امة قد خلت ولا نكفر الا من بلغته دعوتنا وقامت عليـه الحجـة وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم وغير الغالب انما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ونعتـذر عمن مضى بأنهم مخطئـون معـذورون والإجماع في ذلك ممنـوع قطعيـاً ومن شن الغارة فقد غلط ولا بدع فقد غلط من هو خير منه عمر بن الخطاب في مسألة المهـر فلما نبهته المرأة رجع بل غلط الصحابة والنبي بينهم فقالوا اجعل لنا ذات انواط ثم قال (فان قلت) هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه فكيف بمن حرر الأدلـة وعـرف كـلام الأئمـة واصر حتى مات (قلت) ولا مانع ان نعتذر له ولا نقول بكفره لعدم من يناضل في هذه المسألة في وقتـه بلسـانـه وسيفـه وسنـانـه فلم تقم عليـه الحجـة بل الغـالـب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً ومن اطلع عليه اعرض عنـه ولم تزل اكابرهم تنهى اصاغرهم عن النظر في ذلك وقد رأى معاوية واصحابـه منـابـذة امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقتاله وهم مخطئـون بـالإجماع واستمـروا على الخطأ حتى ماتوا ولم يكفرهم احد من السلف ولا فسقهم بل اثبتوا لهم اجر الاجتهاد ولا نقول بكفـر من صحت ديانته وشهر صلاحه وورعه وزهده وبذل نفسـه لتـدريس العلـوم النـافعـة والتأليف فيها وان اخطأ في هذه المسألة كابن حجر الهيتمي فانا نعرف كـلامـه في الـدر المنظم (2) ونعتني بكتبه ونعتمد على نقله (اقول) اعتذاره عن لزوم تكفير غالب الأمة بل

(١) ص ٤٤.

(٢) اسم كتابه الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم لا الدر المنظم فالظاهر انه وقع سهو في ابدال احدهما بـالاخـر وهـذا

كلها عدى الوهابيين بان لازم المذهب ليس بمذهب فذهابهم الى ان من قال يا رسول الله اسألك الشفاعة مشرك مهدور الدم وان لزم منه تكفير غالب الأمة سيما المتأخرين المصرحين بأنه مندوب الا انهم لا يقولون بهذا اللازم غير صحيح (اولا) لمخالفته لتصريحاتهم التي لا تقبل التأويل (ثانياً) ان تكفير غالب الأمة ليس بلازم المذهب بل هو عين المذهب فان مذهبهم ان كل من توسل او تشفع بمخلوق فقد اشرك فاذا كان المسلمون يفعلون ذلك فمذهبهم انهم مشركون بطريق الصراحة ودلالة المطابقة لا بطريق اللزوم وقياسه على مسألة التجسيم إن صحت قياس مع الفارق فالقائل بجهة العلو لا يصرح بالتجسيم لكن يلزم من جهة العلو الجسمية ولكن لا يلزم ان يكون القائل بجهة العلو قائلا بالتجسيم لجواز ان يعتقد الشخص شيئاً ولا يعتقد بلازمه بل اذا سئل عن لازمه يبرأ منه ولذلك لم يكن لازم المذهب مذهباً بخلاف ما نحن فيه اذ مذهب الوهابية ان المتشفع والمتوسل بغير الله مشرك وهذا شامل بوجه العموم والدلالة المطابقية لمن يقول يا رسول الله اشفع لي لا بوجه الملازمة ولا يمكن الجمع بين القول بأن من تشفع بغير الله مشرك ومن قال يا رسول الله اشفع لي ليس بمشرك بل هو تناقض صريح محال بخلاف الجمع بين القول بجهة العلو والقول بعدم الجسم فانه ممكن واقع .

وان ارادوا انهم لا يكفرون من يعتقد رجحان التشفع اذا لم ينطبق به ففيه (اولا) انه اذا كان سؤال الشفاعة كفراً وشركاً لزم ان يكون معتقد جوازه كافراً مشركاً وان لم يتلفظ بالسؤال فهو كمن يعتقد جواز السجود للصنم وان لم يسجد والكفر كما يكون بالأعمال يكون بالاعتقاد (ثانيا) ان هذا لو سلم لا ربط له بمسألة كون لازم المذهب ليس بمذهب (ثالثاً) انه لا يوجد بين المسلمين من لم يقل طول عمره يا رسول الله اسألك الشفاعة ولم يهتف باسمه ولم يستغث ولم يتوسل به ولم يفعل شيئاً مما يرونه كفراً وشركاً بل اعتقد جوازه فقط ولم يفعله وهم قد قطعوا بأن من قال ذلك مشرك مهدور الدم كما صرحوا به في نفس السؤال فقد قطعوا بان جميع المسلمين مشركون مهدورة دماؤهم ولم

الكتاب هو الذي يرد فيه على ابن تيمية ويذمه باقبح الذم وسيأتي نقل كلامه فيه في فصل زيارة القبور وهو الذي أشاروا اليه بقولهم فانا نعرف كلامه الخ .

ينفع هذا الاعتذار مهما اكثر صاحب المنار فوقه من الخطوط المستطيلة ليزيد في ظهوره للأبصار وجلوته للأنظار (اما) تقييده التكفير ببلوغ الدعوة الوهابية وقيام الحجة مع الإصرار مستكبراً معانداً فهو مخالف لما ذكره ابوه وغيره كما عرفت من اطلاق اسم الكفر والشرك والارتداد ونحو ذلك على عامة المسلمين من دون تقييد بذلك في مواضع تنبو عن الحصر بل عرفت تصريح الصنعاني احد مؤسسي مذهبهم بأن كفر المسلمين اصلي لا ارتدادي وكل ذلك مبطل لهذا العذر الواهي وجميع الوهابيين لا يخاطبون المسلمين الا بقولهم يا مشرك من غير نظر الى قيام الحجة على المخاطب وعدمه وسمعت بعض النجديين في مجلس صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي (ره) بمحضر صديقنا الشيخ عبد الرزاق البيطار (ره) يقول قرر الاخوان ان لا يخاطبوا احداً الا بقول يا مشرك حتى لو اراد احدهم شراء لبن بعشر بارات فعليه ان يقول يا مشرك اعطني لبناً بعشر بارات فمع كل هذه التصريحات لا ينفع هذا الاعتذار عن الوهابيين شيئاً (اما اعتذاره) عمن مضى بانهم مخطئون معذورون لعدم بلوغ الدعوة لهم وتنظيره بغلط عمر في المهر والصحابة في ذات انواط ففيه ان معتقد الكفر والشرك غير معذور لقيام الحجة عليه من العقل والنقل قبل ان يخلق الله الوهابيين ولو كان معذوراً لعذر عبدة الأصنام من اهل الجاهلية الذين ماتوا في الفترة ولم يقل احد بعذرهم مع ان بلوغ الدعوة المعتبر انما هو بلوغ الدعوة النبوية الى التوحيد وترك عبادة الأوثان وهذا قد حصل ومع ذلك فقد بقي المسلمون مصرين على عبادة الأوثان بقولهم نسألك الشفاعة يا رسول الله وجهلهم بانه شرك لا يكون عذراً كجهل من عبد الأصنام بعد الإسلام والمجتهد معذور مثاب وان اخطأ في الفروع لا في الأصول ومن ذلك يظهر بطلان التنظير بغلط عمر في المهر لأنه في مسألة فرعية لا في مسألة اعتقادية توجب الشرك (واما التنظير) بغلط الصحابة وبينهم النبي (ص) في ذات انواط فنقول لو لم يرجعوا عن ذلك لأشركوا فبطل التنظير (واما اعتذاره) عن عدم كفر من حرر الأدلة وعرف كلام الأئمة ومات مصراً بأنه لم يكن في زمانه وهابية يناضلون باللسان والسيف والبنادق فلم تقم عليه الحجة فغير صحيح لما عرفت من انه يكفي في قيام الحجة ادلة الشرع من العقل والنقل بعدما اكمل الله الدين واتم الحجة قبل خلق الوهابية (ثم) ان هؤلاء المسلمين الذين يكفرهم الوهابية ويشركونهم يعتقدون ان حججهم اقوى من حجج الوهابية وان الوهابية مخطئون وكلهم

يقولون لو ظهر لنا صحة اقوال الوهابيين لاتبعناها فكيف قامت عليهم الحجة وبقوا مصرين معاندين اللهم الا ان تكون حجة السيف والبنادق (وآية السيف تمحو آية القلم) وليس مع الوهابية معجز تقوم به الحجة كما كان مع الأنبياء ولو كانت الحجة تقوم باللسان والسنان لما احتاج الأنبياء الى المعجز كما لم يحتج اليه الوهابية ولو كانت الحجة لا تقوم الا بالسيف والسنان لكان الذين قبل منهم النبي (ص) الجزية ولم يجبرهم على الإسلام لقوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ معذورين لأنهم لم تقم عليهم الحجة ونسبته الى علماء المسلمين انهم تواطئوا على هجر كلام أئمة السنة والإعراض عنه افتراء وسوء ادب واذا كان منتهى قيام الحجة المناضلة باللسان والسيف والسنان لم يكن معاوية واصحابه معذورين فقد ناضلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام باللسان والسيف والسنان فكيف عذرتهم الأمة واثبتت لهم أجر الاجتهاد (واما قوله) لا نكفر من صحت ديانته الخ وان أخطأ في هذه المسألة فكيف تصح ديانته ويعتمد على نقله وقد اعتقد الكفر والشرك وفعل ما يوجبه وما ينفعه مع ذلك التدريس والتأليف ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به﴾.

وممن رام ستر الحقائق وانكار تكفير الوهابيين للمسلمين بكلام هو اقرار واعتراف بتكفيرهم للمسلمين ولم يبال بالتناقض الصريح الواقع في كلامه وكلامهم صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) فانه قال (١) ان الأمير فيصلا نجل السلطان عبد العزيز آل سعود نشر بلاغاً في شوال سنة ١٣٤٢ جاء فيه ان اهل نجد يوافقون اخوانهم اهل مصر والهند في وجوب عرض مسألة الخلافة على مؤتمر يمثل الشعوب الإسلامية تمثيلا صحيحاً. وتعقبه صاحب المنار بقوله فهذه تصريحات قطعية ونصوص لا تحتمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الإسلامية اخوانا لهم خلافا لما يفترى عليهم من عدم اعتراف النجديين لأحد بالإسلام غير الوهابيين انتهى ووصف في المجموعة المذكورة (٢) مؤتمر الشورى المنعقد في الرياض في ذي القعدة سنة ١٣٤٢ وانه اجتمع فيه كبار علماء البلاد وزعماؤها ورؤساء الأجناد

---

(١) صفحة ٣٧. (٢) صفحة ٣٨ ـ ٤١.

وقوادها وتذاكروا في امر الحج وان السلطان ابن سعود اجابهم بما معناه ان شريف مكة قد لا يمنعكم من الحج ولكنه يخشى وقوع فتنة في الموسم وفيه المسلمون من كل جنس الخ ثم قال ما نصه: وفي تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده باسلام جميع الشعوب الإسلامية والرغبة في التعارف والتواد معها هذا كلامه (معزى ولو طارت) (١) فاذا كانت هذه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل من سلطان نجد وعلماء بلاده وحكامها باسلام جميع الشعوب الإسلامية واخوتها للوهابية واذا كان في رسائل علماء بلاده التي طبعت بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد كما كتب على ظهرها وغيرها من رسائل ابن عبد الوهاب التي طبعها صاحب المنار وفي كلام صاحب المنار نفسه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل كما بيناه فيما سبق بتكفير جميع المسلمين واشراكهم عدى الوهابيين ومناداة بتكذيب هذه الدعوى وبأن مدعيها كمن يقول بان مكة ليست بموجودة والوهابيون لم يوجدوا في الدنيا. كان كلام الوهابية ومنهم صاحب المنار متناقضاً تناقضاً صريحاً قطعيا لا يقبل التأويل ومن لا يبالي بالتناقض الصريح في كلامه لا يتكلم معه فعند حاجتهم الى المسلمين في ميدان السياسة وجلب القلوب يسمونهم اخوانهم ويعترفون باسلامهم وعند بيان معتقدهم وأساس مذهبهم ونشر دعوتهم يكفرون المسلمين ويشركونهم بدون تحاش فهم في ذلك كالنعامة قيل لها أحملي قالت أنا طائر قيل لها طيري قالت أنا جمل. وكأن صاحب المنار يرى من موجبات الأخوة واهم اسباب التعارف بين الوهابيين والشعوب الإسلامية والتواد معها غزوها وشن الغارات عليها وقتلها كلما سنحت الفرصة لتتوثق عرى الأخوة ويتم التعارف وتكمل المودة. (ويقول) صاحب المنار في المجموعة المذكورة ايضاً (٢) لما فشت البدع صارت مألوفة وعز على المشتغلين بالعلم ان يطبقوا على اصحابها احكام الشرع في احكام الردة والخروج من الإسلام لهذا اضطرب الناس في الإصلاح والتجديد للدين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب واولاده وتلاميذهم بتأييد امراء نجد

---

(١) يقال ان رجلين رأيا غربانا واقعة على الارض فقال احدهما هذه غربان وقال الاخر هذه معزى ثم طارت فقال الأول اعلمت انها غربان فقال له الثاني هي معزى ولو طارت.

(٢) صفحة ٦٠.

فرأى امراء الحجاز المفسدون مجالا لاتهامهم بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم ووافقتهم الدولة العثمانية يومئذ لئلا يفضي ذلك الى تأسيس دولة عربية مع انها كانت تعد فرق الباطنية مسلمين اذ كانت ابعد الحكومات عن التكفير الا للسياسة كقتالها للإيرانيين يدل عليه ان الشعب التركي يثني على الوهابيين اليوم وتتمنى جرائده لهم الاستيلاء على الحجاز لخروجه عن ملكهم وتغلب عدوهم عليه انتهى (فجعل) تكفيرهم للمسلمين واستباحة دمائهم تهمة باطلة موجهة اليهم رغماً عن تصريحاتهم الكثيرة التي لا تقبل التأويل وانكاراً للمحسوس ومناقضة لصدر كلامه الذي شكا فيه من العلماء عدم تطبيق احكام الردة والخروج من الإسلام على غير الوهابية من المسلمين (اما) دعواه ان الدولة العثمانية كانت تجعل فرق الباطنية مسلمين فلم نجد لها شاهداً (وأما) جعله قتالها للإيرانيين سياسياً لا دينياً فيكذبه انها وجهت حروبها الى الدولة الإيرانية التي لا خشية منها على مملكتها وأعرضت عمن هو أقوى منها من الدول الغربية ولم يكن ذلك الا بباعث ديني وتعصب مذهبي ولأجله قتل السلطان سليم سبعين الفاً من الشيعة في الأناضول وشواهد ذلك كثيرة ظاهرة لا حاجة الى استقصائها (اما استشهاده) على ان حرب العثمانيين للوهابيين كان سياسياً لا دينياً بأن الشعب التركي وجرائده تثني على الوهابيين اليوم وتتمنى لهم الفوز فاستشهاد غريب فان الشعب التركي الذي سمع الاستاذ ثناءه في الجرائد انما هي الحكومة الكمالية التي يرميها في مقالاته الكثيرة في المنار وغيره بالإلحاد فلا يدل ثناؤها اليوم على الوهابية الذين قهروا عدوها وهي لا دينية عنده لا تفرق بين وهابي وغيره على أن حربها بالأمس وهي دينية متعصبة في دينها كان سياسيا محضا .

وقال صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) في مقام انكار ان الوهابيين يكفرون جميع المسلمين (١) ان الاخذين بالبدع يعدون كل منكر لها وهابياً ويضيفون الى ذلك ما حفظوه من البهتان الذي جدده الملك حسين في جريدته القبلة من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين انتهى . مساكين الوهابية ينسب اليهم زوراً

---

(١) صفحة ١٠ .

وبهتانا انهم يكفرون من عداهم من المسلمين والحال ان كل اقوالهم وصف للمسلمين بخالص الإسلام ومحض الإيمان مثل قولهم انهم كمشركي قريش وعبدة الأوثان وعبدة المسيح وانهم أشركوا بشرك العبادة وان المسلمين اليوم اغلظ شركاً من الأولين لأن اولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم دائم في الحالتين وانهم مرتدون عن الإسلام وقول بعضهم ان كفرهم اصلي لا ارتدادي الى غير ذلك مما مر فهذا كله تصريح منهم باثبات الإسلام الخالص والايمان المحض للمسلمين ومع ذلك يتهمون بهتاناً بأنهم يكفرون المسلمين ولولا ان اتاح الله لهم صاحب المنار يرفع هذه التهمة عنهم لا لتصقت بهم فجزاه الله عن الوهابية ما يستحق. يحكى ان رجلا كانت له معشوقة فلما واصلها قالت له وهو يواقعها ان الناس يتهمونني بك فقال لها كذبوا يا بنية.

وقال في مجموعة مقالاته المذكورة ايضا (١) ان رميه (اي الملك حسين) الوهابية بالمروق من الدين واستحلال دماء المسلمين قد اتبع فيه سلفه الصالح عند ظهور امرهم في فجر القرن الثالث عشر للهجرة ثم استشهد على بطلان ذلك بكلام محمود فهمي باشا المهندس المصري في تاريخه البحر الزاخر حيث وصف عقائد الوهابية بأنها عقائد اصلاحية للديانة الإسلامية.

فتأمل ما مني به الوهابية من التهم الباطلة من انهم يستحلون دماء المسلمين والحال انهم لا يستحلون دماء المسلمين وحدها بل دماءهم واموالهم وبعضهم يستحل استرقاقهم ويجعلونهم كمشركي قريش وحاشى لله ان يستحل الوهابية دماء المسلمين في نظر صاحب المنار وليس قتالهم للمسلمين وغزوهم بلادهم وقتلهم الألوف منهم في العراق والحجاز واليمن وشرق الأردن وتسميته جهاداً في سبيل الله الا احتراماً لدماء المسلمين ومحافظة عليها (وكفى) في ذلك تصريح محمود فهمي باشا المهندس المصري بان عقائدهم عقائد اصلاحية للديانة الإسلامية.

وهذا حديث اجمالي عن اعتقادات الوهابية وتفصيل ذلك ورده في الباب الثاني والباب الثالث.

---

(١) صفحة ٣١.

وحيث ذكرنا معتقدات الوهابية اجمالا فيناسب ان نذكر هنا بعض ما يدل اجمالا على فساد شبهتهم في حكمهم بشرك جميع المسلمين وهو ما رواه البخاري في باب الصلاة على الشهيد وعلامات النبوة والمغازي وذكر الحوض ومسلم في فضائل النبي (ص) وابو داود في الجنائز وكذا النسائي (١) عن النبي (ص) اني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكن اخاف الدنيا ان تنافسوا فيها وفي رواية لمسلم (٢) ان تتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من قبلكم ولو كان الأمر كما زعم الوهابية من ان الناس اشركت كلها قبل ظهورهم وانهم جاؤوا ليدعوهم الى التوحيد للزم تكذيب هذه الأحاديث كلها (وقوله) (ص) ألا ان الشيطان قد أيس ان يعبد في بلدكم هذا ابداً ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحقرون من اعمالكم فيرضى بها رواه احمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وهذا ينافي حكم الوهابيين باشراك اهل مكة بل قالوا انهم لم يروا بلداً تعبد فيه القبور والأموات مثل مكة وقوله (ص) ان الشيطان قد ايس ان تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن رضي منهم بما دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات رواه الحاكم وصححه وابو يعلى والبيهقي (وفي رواية) انه (ص) قال ان الشيطان قد يئس ان يعبد في جزيرة العرب ومكة والمدينة من جزيرة العرب قطعاً بل حكى في النهاية الأثيرية عن انس بن مالك انه قال اراد بجزيرة العرب المدينة نفسها وهذا ينافي حكمهم باشراك اهل جزيرة العرب عدا نجد بعبادة الأوثان وقال (ص) ان الإيمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ذكره ابن الأثير في النهاية وفيه من المبالغة في ثبوت الايمان ورسوخه في المدينة ما لا يخفى المنافي لما يدعيه الوهابية من رسوخ الكفر فيها وجعل بلادهم بلاد الايمان.

---

(١) راجع ارشاد الساري ص ٤٢٨ ج ٢.

(٢) ص ١٦٠ ج ٩ بهامش ارشاد الساري.

الباب الثاني

في ذكر معتقدات الوهابية التي كفروا بها المسلمين وحججهم على ذلك وردها على وجه العموم

ناقلين لها من كتبهم المطبوعة المشهورة كرسالتي اربع القواعد وكشف الشبهات عن خالق الأرض والسماوات لمحمد بن عبد الوهاب والثانية هي التي الفها لأهل نجد حينما اتاهم بالدعوة وكتابهم الذي ارسلوه الى شيخ الركب المغربي وذكره الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢١٨ ورسالة تطهير الاعتقاد عن ادران الإلحاد لمحمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب ورسالتي الواسطة وزيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لابن تيمية باذر البذر الأول لمذهب الوهابية والرسائل الخمس المسمى مجموعها بالهدية السنية وتاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي الذي ينقل فيه عن كتبهم وغير ذلك مع استيفاء نقل كلماتهم كلها وردها وان أدى ذلك الى الإطالة وبعض التكرار.

قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة اربع القواعد (١) ما حاصله: ان الخلاص من الشرك يكون بمعرفة اربع قواعد (الأولى) ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله (ص) مقرون بان الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لقوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم﴾ الاية (الثانية) انهم يقولون ما دعونا الأصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة ﴿والذين اتخذوا من دون الله اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى. ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (الثالثة) انه (ص) ظهر على قوم متفرقين في عبادتهم فبعضهم يعبد الملائكة وبعضهم الأنبياء والصالحين وبعضهم الأشجار والأحجار وبعضهم الشمس والقمر فقاتلهم ولم يفرق بينهم (الرابعة) ان مشركي زماننا اغلظ شركاً من الأولين لأن أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون﴾.

---

(١) صفحة ١ ـ ٤ ـ الموضوع عليها ٢٤ ـ ٢٧، طبع المنار بمصر.

وقال في رسالة كشف الشبهات (١) ما حاصله: ان التوحيد افراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي ارسلهم الله به الى عبادة فأولهم نوح (ع) ارسله الله الى قومه لما غلوا في الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وآخرهم محمد (ص) الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ارسله الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله وشفاعتهم عنده كالملائكة وعيسى ومريم وغيرهم من الصالحين فبعثه الله يجدد لهم دين ابيهم ابراهيم ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما والا فهم يشهدون ان الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر الأمر وان السماوات والأرض وما فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره لقوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض ام من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل افلا تتقون. قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله افلا تذكرون. قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون﴾ فاذا عرفت ان اقرارهم هذا لم يدخلهم في التوحيد وان التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الإعتقاد (٢) وكانوا يدعون الله ليلا ونهاراً ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم الى الله ليشفعوا له او رجلا صالحاً كاللات او نبياً كعيسى عرفت انه (ص) قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم الى اخلاص العبادة كما قال: ﴿فلا تدعوا مع الله احداً. له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ وانه (ص) قاتلهم ليكون الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة وجميع العبادات كلها لله وان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وان قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي احل دماءهم واموالهم وعرفت

---

(١) صفحة ١ ـ ٣ الموضوع عليها ٥٦ ـ ٥٨ طبع المنار بمصر.

(٢) يأتي نظيره في كلام الصنعاني حيث يقول بل يسمونه معتقداً كما ان سائر كلامه متوافق معه.

التوحيد الذي دعت اليه الرسل وابى عن الإقرار به المشركون وهو معنى لا اله الا الله فان الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ملكا كان أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً لا الخالق الرازق المدبر فأنهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما مر وانما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد) والمراد من كلمة التوحيد معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون ان مراده (ص) بها هو افراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله فانه لما قال لهم قولوا لا اله الا الله قالوا: ﴿اجعل الالهة الهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب﴾ فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن ان ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني والحاذق منهم يظن ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله فلا خير في رجل جهال الكفار اعلم منه بلا اله الا الله (ثم قال) فاذا عرفت ان هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا الاعتقاد هو الشرك الذي انزل فيه القرآن وقاتل رسول الله (ص) الناس عليه فاعلم ان شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين (احدهما) ان الأولين لا يشركون الا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون لله ﴿واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم. أرأيتم ان اتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون. واذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً اليه (الى قوله) ﴿قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار. واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (الثاني) ان الأولين يدعون مع الله اناساً مقربين نبياً أو ملكا ويدعون اشجاراً وأحجاراً مطيعة ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله اناساً من أفسق الناس يحكون عنهم الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

وقريب من ذلك ما حكي عن محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد انه حكاه عن ابن عبد الوهاب ولعله لخصه وانتخبه من مجموع كلماته فانا لم نجده بهذه العبارات في كتبه المطبوعة.

قال بعد ذكر الايات الدالة على توحيد الله والرد على المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة اخرى والشرك المراد بهذه الايات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الأنبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله

محمد (ص) فانهم كانوا يدعونها ويلجئون اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله زلفى كما حكى ذلك الله عنهم بقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الاية. والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ وغيرها من الايات. ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد ولو في خلق ذرة من الذرات قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما اقروا به من هذه الجمل ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلما بل هو حجة على ابن آدم خلافا لمن زعم ان الإيمان مجرد الإقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من ا لشهادة وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بالفاظ مؤكدة بانواع التأكيدات قال تعالى: ﴿اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾ فأكدوا بلفظ الشهادة وان واللام والجملة الإسمية فأكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء وزاد التصريح باللقب الشنيع وبهذا تعلم ان مسمى الإذعان لا بد فيه من الصدق والعمل ومن شهد ان لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ الاية ﴿ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ الاية انتهى.

(والجواب). اما اجمالا. فان جعله ما يصدر من المسلمين في حق الأنبياء من الاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم الذي مرجعه الى طلب الدعاء منهم والنذر والذبح لله والتصدق به واهداء الثواب اليهم الذي توهم انه نذر وذبح لهم وتعظيمهم وتعظيم قبورهم والتبرك بها وغير ذلك عبادة لهم ولقبورهم كعبادة الأصنام خطأ وغلط فانه ليس المراد من العبادة التي لا تصلح لغير الله وتوجب الشرك والكفر اذا وقعت لغيره مطلق

التعظيم والخضوع كما مر مفصلا في المقدمات بل عبادة خاصة لم يصدر شيء منها من أحد من المسلمين (وأما تفصيلا) فقوله في رسالة أربع القواعد ان الذين قاتلهم رسول الله (ص) مقرون بان الله هو الخالق الرازق المدبر وان ذلك لم يدخلهم في الإسلام (فنقول) لم يدخلهم في الاسلام لأنهم يكذبون رسول الله (ص) مع ظهور المعجزات على يديه الدالة على صدقه ويقولون أنه ساحر كذاب وينكرون جميع شرائعه ويدينون بدين الجاهلية وهذا كاف في كفرهم سواء تشفعوا بالأصنام وعبدوها او لا فكيف يقاس بهم ويجعل مساوياً لهم من يؤمن بالله وبرسوله وبأن جميع ما جاء به من عند الله حق لأنه يتشفع الى الله تعالى بمن جعله شافعاً ومشفعاً ويتوسل اليه بمن جعل له الوسيلة سبحانك اللهم ما هذا التمويه والتضليل وليس موجب كفرهم تشفعهم بالأنبياء والصالحين كما زعم واستدلاله على ذلك بالايتين واضح الفساد كما يأتي في الفصل الثاني من الباب الثالث (قوله) انه (ص) ظهر على قوم متفرقين في عبادتهم فقاتلهم ولم يفرق بينهم. نعم لم يفرق بينهم لاشتراكهم جميعاً في تكذيبه وانكار نبوته ورد ما جاء به من عند ربه والتمسك بأديان آبائهم الفاسدة وهؤلاء لا فرق بين ان يعبدوا ملكا أو نبياً أو صنما أو كوكباً أو لا يعبدوا وانما يتم لابن عبد الوهاب ما اراد لو كان بعضهم آمن بالنبي (ص) وصدق بجميع ما جاء به ولكنه بقي يتشفع الى الله بنبي أو صالح فقاتله النبي (ص) ولم يفرق بينه وبين من يعبد الحجر والشجر والشمس والقمر وانى له بذلك.

(اما قوله) في كشف الشبهات ان الله تعالى ارسل محمداً (ص) الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله فيظهر فساده من وجوه (الأول) انهم كانوا يتعبدون ولكن كانت عبادتهم كما أخبر الله تعالى عنها بقوله: (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) المكاء التصفير والتصدية التصفيق (في الكشاف) كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون انتهى. كانوا يتعبدون فيسجدون للأصنام التي نهى الله عن السجود لها ويقربون لها القرابين ويهلون عليها بأسمائها ويطلونها بدمائها هذه كانت عبادتهم ويحجون ولكنهم احدثوا في الحج بدعاً وقبائح كثيرة (منها) انهم كانوا يطوفون عراة رجالاً ونساء وعوراتهم بادية يتقربون الى الله بذلك. وقصة المرأة التي الزموها بذلك وكانت جميلة ففعلت واجتمع اهل مكة للنظر اليها فطافت عارية ويدها

على فرجها وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا احله

مشهورة فهؤلاء الذين انحصر كفرهم وشركهم في تشفعهم بالصالحين عند ابن عبد الوهاب (ويتصدقون) مع تكذيبهم الرسل فما تنفعهم صدقاتهم (ويذكرون الله) أحياناً ان صح ذلك وفي غالب أحوالهم او كلها يعرضون عن ذكر الله ويذكرون اسماء أصنامهم كما كانوا يقولون (أعل هبل) وكانوا يذكرون اسماءها على ذبائحهم دون اسم الله وما أدري لم لم يقل ابن عبد الوهاب ويصلون ويزكون ولا يزنون ولا ينكحون ما نكح آباؤهم ولا يشربون الخمر ولا يعملون الميسر ولا الأنصاب ولا الأزلام ولا يأكلون الربا ولا يئدون البنات ويفعلون جميع شرائط الإسلام حتى صلاة التراويح ولا يصدر منهم الا أمر واحد وهو التشفع بذوي المكانة عند الله وجعلهم وسائط بينهم وبينه كالملائكة وعيسى فلذلك قاتلهم النبي (ص) وحكم بشركهم وكفرهم أليس كذلك أيها الإخوان ألم يقل الله تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية﴾ ألم يكونوا يكرهون فتياتهم على البغاء وهن يردن التحصن ألم يكونوا يفعلون جميع الموبقات والمنكرات وأفعال الجاهلية فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يقول ان رسول الله (ص) لم يقاتلهم الا على تشفعهم الى الله بالملائكة والأنبياء والصالحين.

(الثاني) ان حصره شرك وكفر من بعث اليهم النبي (ص) في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله جهل أو تمويه (أما مشركو قريش) فانهم وان اعتقدوا ان الرازق الخالق المحيي المميت المدبر الأمر المالك ما في السماوات والأرض هو الله كما دلت عليه الايات التي ذكرها الا أنه لا شيء يدلنا على أنهم لا يعتقدون في الأصنام والأوثان ومعبوداتهم من الجن والإنس والملائكة انه لا تأثير لها في الكون وان التأثير وحده لله تعالى وهي شافعة فقط اذ يجوز أن يعتقدوا ان لها تأثيراً بنفسها بغير ما في الايات المستشهد بها فتشفي المرضى وتنصر على الأعداء وتكشف الضر وغير ذلك وانها تشفع عند الله حتما ولا يرد شفاعتها أو ان الله تعالى جعل لها قسطاً من التأثير أوكله اليها بل ظاهر الايات هو ذلك مثل قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ بل ظاهر قوله تعالى: ﴿واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾ انهم كانوا لا يسجدون لغير

الأصنام ولا يعتقدون آلها غيرها وظاهر قوله تعالى حكاية عن أهل جهنم: ﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين﴾ اعتقادهم انها مساوية لرب العالمين وان لم يكن من جميع الوجوه بل يخرج عنه الأمور المذكورة في الايات المستشهد بها في كلام ابن عبد الوهاب وذلك كاف في الشرك والكفر وذلك ايضاً ظاهر جميع الايات الدالة على اتخاذهم آلهة من دون الله وشركاء لله ونحو ذلك. مثل: ﴿ان كان ليضلنا عن آلهتنا. أئنا لتاركوا آلهتنا. أإفكا الهة دون الله تريدون. أجعل الالهة الها واحداً. ويوم يناديهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون. وقالوا آلهتنا خير أم هو. أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا. وقالوا لا تذرن آلهتكم. وما نحن بتاركي آلهتنا. فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله. الذين يجعلون مع الله الهاً آخر. قل لو كان معه آلهة كما يقولون. واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً. واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾ الى غير ذلك.

وكيف يمكن حصر شركهم وكفرهم في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله وهم يكذبون رسول الله (ص) ويجعلونه ساحراً وينكرون ما جاء به من عند ربه من الأحكام والشرائع مع ظهور المعجزات على يديه ويتمسكون بدين الجاهلية كما مر أفلا يكفي هذا في كفرهم وشركهم وماذا ينفعهم الإقرار بوجوده تعالى والعبادة والحج والصدقة وذكر الله ان سلم صدور ذلك منهم وهل ينفي ذلك عنهم الكفر الذي أوضحناه ويحصر شركهم في تشفعهم بالصالحين هيهات.

وكيف يمكن حصر كفرهم في ذلك وقد بدلوا دين الله تعالى الذي جاءهم به ابراهيم عليه السلام فأحدثوا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والنسيء (١) وغير ذلك من

(١) (البحيرة) الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فان كان آخرها ذكراً بحروا اذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ولو لقيها المعيي لم يركبها (والسائبة) كان الرجل يقول اذا قدمت من سفري أو برأت من مرضي فناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في تحريم الانتفاع (والوصيلة) كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت ذكراً ذبحوه لالهتهم فان ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر (والحامي) الفحل كان اذا نتجت من صلبه عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى (والنسيء) كانوا اذا احتاجوا الى القتال في شهر حرام قاتلوا فيه وأخروه الى شهر غيره وجعلوه مكانه فتركوا فيه القتال.

مبتدعاتهم ومخترعاتهم وهذا ايضاً كاف في كفرهم مع أنهم قد عبدوا الأصنام والأوثان والملائكة وجعلوهم شركاء لله تعالى وعبادتهم لهم مشاهدة معلومة ولم تكن تلك العبادة مجرد التشفع والتوسل بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة وما يجري مجرى ذلك كما موه به ابن عبد الوهاب (أما عبادتهم للأصنام والأوثان) فانهم عمدوا الى أصنام من حجر أو نحاس أو خشب أو غيرها على صور قوم صالحين متوهمة أو غيرهم عملوها بأيديهم والى اشجار فعبدوها من دون الله وسجدوا لها ونحروا وذبحوا لها واهلوا بذبائحهم لها وذكروا اسماءها عليها دون اسم الله وطلوها بدمائها كما قال قائلهم.

اما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما

وطلبوا منها كل ما يطلب من الله وأعرضوا عن عبادة الله فكانوا يقولون لا طاقة لنا على عبادة الله فنحن نعبدها لتقربنا الى الله وهذا أيضاً صريح في ان عبادتهم لها غير طلب الشفاعة منها وتشفعوا بها وخالفوا امر الله وانبيائه في نهيهم عن عبادتها وطلب شيء منها عناداً وعتواً وخالفوا مقتضى عقولهم الحاكمة لو رجعوا اليها بأنها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تقرب ولا تشفع ولو كانت على صورة نبي أو صالح فان الشافع هو النبي أو الصالح لا صورته الموهومة ولا تدفع عن أنفسها بول الثعالب عليها ولا تروث الدواب فوقها فقد كان لبعضهم صنم فجاء ثعلب فبال عليه فقال قائلهم:

لرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ومنهم من عمل صنما من تمر فسجدوا له اول النهار وعبدوه فلما كان آخر النهار جاعوا فأكلوه. وكانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وا شياء منها لالهتهم فاذا زكا ما جعلوه لله رجعوا فجعلوه للالهة واذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه وذلك قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ ولم يفعل أحد من المسلمين شيئاً من ذلك مع نبي ولا ولي ولا قبر ولا غيره وانما تشفع المسلمون بمن جعله الله شافعاً وتوسلوا بمن جعل له الوسيلة وما التشفع سوى سؤال الدعاء الذي لا ينكره الوهابية وكذا الاستغاثة وما جرى مجراها لا تخرج عن سؤال الدعاء وأهدوا ثواب الصدقة بالمذبوح الى النبي أو الولي الذي ثبت جواز اهداء الثواب اليه ولم يذكروا اسمه عليه بل اسم الله تعالى كما سيأتي تفصيل ذلك كله في الفصول المختصة

بذلك. فهذه الاعتقادات والأعمال والتكذيب للرسل هي التي قاتلهم النبي (ص) عليها ودعاهم الى تركها لا على مجرد التشفع بنبي أو صالح والتوسل به الى الله تعالى (واما عبادتهم للملائكة) فقد اتخذوهم ارباباً من دون الله كما يدل عليه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ الى قوله تعالى: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون﴾ وفي هذا دليل على أنهم فعلوا أو اعتقدوا بالنسبة اليها ما هو من خصائص الربوبية ولا يليق الا بالله تعالى من سجود ونحوه من أنواع العبادات والاعتقادات وليس لنا ما يدل على انه لم يصدر منهم الا مجرد التشفع بالملائكة الى الله (وذكر) صاحب الكشاف في تفسير الاية انه (ص) كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك رباً قيل لهم ما كان لبشر الاية وقوله تعالى في ذيلها أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له (انتهى) وفي ذلك دليل على إن اتخاذهم الملائكة أرباباً كان من هذا السنخ بارادة عبادتهم لهم بالسجود وغيره كما أرادوا ان يتخذوه (ص) رباً ويسجدوا له (وكانوا) يقولون في الملائكة انهم بنات الله كما قالت اليهود والنصارى في عزير والمسيح انهما ابنا الله وقد أخبر الله تعالى عنهم بذلك كله بقوله في سورة الزخرف: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا. أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين. واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً. وقالوا لو شاء الله ما عبدناهم﴾ ففي قوله تعالى لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة أرباباً دليل على فعلهم معها ما هو من خصائص الربوبية كما مر وقوله تعالى: ﴿لو شاء الله ما عبدناهم﴾ صريح في عبادتهم لهم ولا شيء يدل على أنها كانت مجرد الاستغاثة والتشفع بل ما مر يدل على عدمه (وقوله) بما ضرب للرحمن مثلا دليل على جعلهم لها مماثلة لله تعالى ومشابهة له لأن الولد مماثل للوالد ومن جنسه وكذلك قوله من عباده جزءا (قال صاحب الكشاف) فجعلوهم جزءا له وبعضاً منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له (انتهى) وافتروا على الله في ذلك عدة افتراءات (احداها) نسبة الولد الى الله تعالى (ثانيتها) نسبتهم اليه أخس النوعين الذي كانوا اذا بشر به أحدهم ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ووأده حيا

(ثالثها) جعلهم لها من الملائكة الذين هم من أكرم عباد الله عليه فاستخفوا بهم (رابعتها) نسبتهم الى الله تعالى أنه رضي لهم عبادة الملائكة. وبذلك ظهر أن كفرهم ليس لمجرد استغاثتهم بالملائكة وتشفعهم وتوسلهم بهم وستعرف ان الملائكة ممن ثبتت لهم الشفاعة باعتراف الوهابية فالمتشفع بهم ليس مخطئاً فضلا عن ان يكون مشركا وكذا المتشفع بالنبي (ص) ومن جعل الله له الشفاعة فليس مخطئا فضلا عن ان يكون مشركا فكيف يقاس من يستغيث ويتشفع ويتوسل بنبي أو وصي ليشفع له الى الله تعالى بالمشركين في عبادتهم الملائكة وكون قريش لم تكن تعتقد في الملائكة انها تخلق وترزق وتدبر الأمر من دون الله بدليل ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض الى قوله فسيقولون الله﴾ لا يدل على ان كفرها وشركها لتشفعها وتوسلها واستغاثتها بالملائكة لأن الشرك يكون بغير اعتقاد الخلق والرزق مما مر في صدر الكلام ولو كان الصادر منها الاستغاثة بالملائكة والتشفع بها فقط لم يكن ذلك موجباً لشركها وكفرها (واما من عبد المسيح وامه) فلم يكن منه مجرد الاستغاثة والتوسل وطلب الشفاعة قطعا بل جعل المسيح (ع) الها مستحقا لجميع صفات الألوهية وقد أخبر الله تعالى عنهم في القرآن تارة بأنهم قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وتارة أنهم قالوا إن الله ثالث ثلاثة المسيح أحدهم وذلك انهم قالوا الأقانيم الثلاثة اله واحد وتارة أنهم اتخذوه وامه الهين من دون الله بقوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله﴾ وتارة ان المسيح ابن الله فتسوية ابن عبد الوهاب بين من يستغيث ويتشفع ويتوسل من المسلمين الى الله بنبي أو ولي جعل الله له الشفاعة والوسيلة وجعله مغيثا بدعائه وجاءت الأخبار بأنه حي بعد الموت وبين من يعبد المسيح وامه تمويه وتضليل.

(وأما قوم نوح (ع)) فقد فعلوا فعل مشركي قريش من تكذيب الرسل وانكار ما جاءت به وعبادة غير الله كما اخبر بذلك عنهم القرآن الكريم وكفى ذلك في كفرهم ولم يرد في دليل قوي ولا ضعيف ان عبادتهم لغير الله كانت مجرد التشفع والتوسل اليه بالصالحين وانهم كانوا يقيمون جميع شرائع الدين سوى هذه وان نوحا (ع) ما بعث الا لينهاهم عن التوسل بالصالحين والتشفع بهم وأي كتاب أو سنة نطق بذلك. بل انهم قد غلوا في الصالحين وعبدوهم بما نهى الله عنه كما اخبر الله عنهم في كتابه العزيز اما انه لم يصدر منهم الا مثل ما يصدر من المسلمين من الاستغاثة والتوسل والتشفع

بالصالحين فهو تخرص على الغيب بل افتراء محض وكـذا غيرهم من امم الأنبياء عليهم السلام.وظاهر قوله تعالى حكاية عن قوم هود في خطابهم لهود عليه السلام ﴿ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ اعتقادهم بأنها قادرة مختارة بنفسها على الضر والنفع والاعتراء بسوء فظهر ان عبادة المشركين للأصنام لم تكن مجرد الاستغاثـة والتـوسل والتشفع الى الله بذوي المكانة عنده كما توهم الوهابيون. وسيأتي كلام في مثل ذلك في رد كلام الصنعـاني ويأتي له مزيد توضيح في الباب الثالث (انش).

(قوله) فبعثه الله يجدد لهم دين ابيهم ابراهيم الخ قد ظهر بطـلانـه مما مـر فـان دين أبيهم ابـراهيم الـذي بعث محمـد (ص) لتجـديـده ليس هـو عبـارة عن عـدم التشفع بالصالحين ولا داخلا فيه (أما) انه ليس عبارة عن عدم التشفع بـالصـالحين فـلأن دين أبيهم ابراهيم الذي جدده لهم رسول الله (ص) هو ترك ما كانوا يفعلونه من المحـرمـات والموبقات التي مر بعضها كـالبحيرة والسـائبـة والـوصيلـة والحامي والنسيء والطـواف بالبيت عراة ونكاح أزواج آبائهم والخمر والميسر واكـراه فتيـاتهم على البغـاء ووأد بنـاتهم وسجودهم للأصنام وذكر اسمائها على ذبـائحهم وتـركهم الصلاة واستبـدالها بـالمكـاء والتصدية وغير ذلك فهذا وأمثاله مما بدلوه من دين أبيهم ابراهيم هو الذي بعث رسـول الله (ص) لتجديده لهم (واما) ان عدم التشفع والتـوسل بـالصـالحين ليس داخـلا فيما جدده لهم فلأن ذلك وما يجري مجراه لم ينههم الرسـول (ص) عنـه فضـلا عن أن يكـون بعثه محصوراً في ذلك بل اقرهم على التشفع والتوسل الذي هو نوع من طلب الدعاء منه بما حث عليه من سؤال الـدعـاء من المؤمنين وبما اخبرهم بـه من ان الله تعـالى جعل لـه الشفاعة والوسيلة واكرمه بذلك كما ستعرفه مفصلا في الفصول الخاصة بذلك ولا ينكره الوهابيون.

(قولـه) ويخبرهم ان هـذا التقـرب والإعتقـاد محض حق الله هـذا افتراء على الله وعلى ابـراهيم عليـه السـلام فمتى أمـر الله تعـالى محمـداً (ص) أن يخبرهم انـه لا يجوز طلب الشفاعة ممن له الشفاعة وان طلبها محض حق لله لا يجوز طلبهـا من غيره ومتى اخبرهم محمد (ص) بأن لا يطلبوا منه الشفـاعـة بل الأمـر بـالعكس فقـد أخبرهم بأنـه الشفيع المشفع وصاحب الوسيلـة ولازم ذلك ان يطلب منـه مـا جعلـه الله لـه ولم يقل لهم حين أخبرهم بذلك وان طلب الشفاعة منه شرك وكفر مع انه امرهم بطلب الـدعـاء من الغير

وطلب الشفاعة لا يخرج عن ذلك كما ستعرف وتشبث الوهابية للمنع بآية: ﴿لله الشفاعة جميعاً. فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ ستعرف انه من السخافة بمكان. فالذي أوجب شركهم وكفرهم وأحل قتالهم تبديلهم دين الله وتكذيبهم رسله وعبادتهم الصور والتماثيل من دون الله لا مجرد التشفع بالصالحين الى الله. وبذلك تعرف ان توحيد العبادة الذي جحدوه ليس هو عدم التشفع والتوسل بالصالحين الى الله وان هذا التشفع ليس عبادة لغير الله ولا منافيا لتوحيد الله في العبادة وان ما يسميه المسلمون الاعتقاد لا محذور فيه فانهم لم يعتقدوا في الأنبياء والصالحين الا بما جعلهم الله له اهلا (قوله) وكانوا يدعون الله ليلا ونهاراً ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم ليشفعوا له أو رجلا صالحا كاللات أو نبيا كعيسى. وعبادتهم للملائكة لم تكن مجرد تشفعهم بهم بل فعلهم معهم ما هو من خصائص الربوبية واعتقادهم مماثلتهم لله وأنهم بناته الى غير ذلك كما مر مفصلا. وعبادتهم للات الذي هو رجل صالح لم تكن مجرد التشفع به الى الله بل السجود وانواع العبادة لحجر زعموا انه على صورته مع نهي الله لهم عن ذلك على لسان انبيائه الى غير ذلك مما مر. وعبادة النصارى لعيسى عليه السلام ليست مجرد التشفع به الى الله بل أثبتوا له جميع صفات الالهية كما مر وكيف يتوهم عاقل ان عبادتهم له مجرد التشفع به ان هذا لمخالفة للمحسوس وتكذيب للقرآن وتمويه وتضليل (قوله) وأنه قاتلهم ليكون الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة وجميع العبادات كلها لله سيأتي الكلام على الأربعة المذكورة كل في فصله وما تقدم هنا حديث اجمالي وقد ظهر ان قوله: ان قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم كذب وافتراء على الله وعلى رسوله بل الذي أحل دماءهم واموالهم تبديلهم للأصنام بالوجوه التي ذكرناها من دون أمر من الله بل عناداً وخلافا عليه لا مجرد تشفعهم وتوسلهم بالصالحين.

ومن ذلك يعلم انهدام وفساد كل ما بناه على هذا الأساس الفاسد من تفسير كلمة التوحيد التي دعا النبي (ص) المشركين الى الإقرار بها بأن المراد بالإله فيها ما يعم من قصد لأجل الشفاعة ونحوها وأنه ليس المراد به الخالق الرازق المدبر فقط لأنهم كانوا يعلمون ان ذلك لله وحده فان المبنى في الكل واحد وهو توهم ان الاستغاثة والتشفع الى الله بذوي المكانة عنده يوجب اتخاذهم آلهة ويكون عبادة لهم وقد عرفت وستعرف

مفصلا فساد هذا التوهم وسخافته وأن التشفع بذوي المكانة وما يجري مجراه ليس عبادة لهم ولا يوجب اتخاذهم آلهة لهم وان قياسهم على عباد الأصنام والكواكب وعيسى ومريم والملائكة جهل أو عناد وأن تفضيل جهال مشركي قريش وعبدة الأصنام على المسلمين اليوم من أعظم الجهالات والافتراءات وأقبحها وأنه لا يظن ولا يحتمل أحد من المسلمين ان الإسلام هو التلفظ بكلمة التوحيد من دون اعتقاد معناها ولا يظن حاذق منهم ولا غيره ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله وكلهم يعلمون ان من كذب الرسل وخالفهم وعمل عمل عبدة الأصنام أو أنكر شيئاً من ضروريات الدين كافر لكنهم لا يعتقدون أن من عظم الذي أمر الله بتعظيمه واستشفع بمن جعله الله شافعاً وتوسل بمن جعل الله له الوسيلة كافر ومشرك مع أنه لم يخرج عن امر الله وطاعته فاي الفريقين احق بنسبة الجهالة اليه لو كانوا يعلمون (وكذلك) ظهر فساد قوله وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد فان المسلمين الذين سماهم المشركين لا يعنون بلفظ السيد معنى ينافي العبودية الخالصة وانما يعنون به ان له منزلة عند الله أوجبت امتيازه عن غيره وان يقبل الله شفاعته ويسمع دعاء من تشفع به اليه كرماً منه تعالى وفضلا فهم لم يثبتوا له الا ما أثبته الله اما الوهابية فنفوا عنه ما جعله الله له ونسبوا الى المسلمين ما هم منه براء فكانوا اشبه بالمشركين الذين خالفوا الله ورسله ونسبوا الى الرسل واتباعهم ما هم منه براء (أما) اطلاق السيد على غير الله تعالى بل والرب فلا مانع منه اذا لم يقصد به معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى كما ستعرفه في الفصل الخاص به مفصلا وحاش لله أن يقصد به أحد من المسلمين معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى.

ومما ذكرنا تعلم فساد المحكي في تاريخ نجد عن ابن عبد الوهاب واذا كان المشركون لم يزعموا أن الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض او ذرة من الذرات كما قال فلا دليل يدلنا على انهم لم يزعموا استقلالهم بشيء من التدبير والتأثير وآية: ﴿ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ لا تنفي ذلك اذ لم يظهر منهم الاعتراف بذلك بل الظاهر والله أعلم انه من قبيل الاحتجاج عليهم واظهار بطلان معتقدهم انها تكشف الضر وتمسك الرحمة فلا يدل على انهم لا يعتقدون أنها كذلك وبذلك يحسن موقع الاستفهام فيكون انكارياً لا تقريرياً وهم لم يقروا بجميع تلك الجمل مع انهم كانوا يعبدون صور الأنبياء والصالحين

لا أنفسهم وكانوا يقولون عن الملائكة انها بنات الله ومن عبد المسيح يعتقد فيه ما يعتقد في الله كما مر ذلك كله واذا كانوا لا يعتقدون في الأوثان ما ورد في الايات مما أقروا به فلا دليل على انهم لا يعتقدون غيره من صفات الربوبية كما مر مفصلا اما ما اطال به من قوله ان مجرد الإتيان بلفظ الشهادة الخ فهو تطويل بلا طائل فلسنا نكتفي بمجرد الإتيان بلفظ الشهادة كالكرامية ولكن أين العرش حتى تنقش وكون الإيمان مجرد التصديق عند الجهمية لا يظهر لذكره فائدة غير التطويل ومثله الاستشهاد بآية المنافقين التي لا مساس لها بما نحن فيه والإطالة في تفسيرها . ومما بيناه من عدم وقوع العبادة المنهي عنها من أحد من المسلمين لنبي ولا صالح ولا قبر ولا غيره تعرف انهدام ما بناه على ذلك من قوله من شهد ان لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له (ثبت العرش ثم أنقش) وكذا الاستشهاد بباقي الايات .

ثم قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات (١) اذا تحققت ان الذين قاتلهم رسول الله (ص) أصح عقولا واخف شركاً من هؤلاء فاعلم ان لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الينا وهي ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ان لا اله الا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد الشهادتين ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل اولئك (فالجواب) انه لا خلاف بين العلماء ان من صدق رسول الله (ص) في شيء وكذبه في شيء أو آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كافر كما قال الله تعالى: ﴿ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً﴾ ولما لم ينقد اناس للحج نزل فيهم: ﴿ولله على الناس حج البيت الى قوله ومن كفر الاية﴾ فاذا كان من صدق الرسول في كل شيء وكذبه في شيء واحد كالبعث او الصلاة او الصيام فهو كافر حلال الدم والمال فكيف اذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ثم استشهد بأن

---

(١) صفحة ٦٥ ـ ٧٠.

اصحاب رسول الله (ص) قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون الشهادتين ويصلون ويؤذنون (قال) فان قال انهم يقولون ان مسيلمة نبي قلنا هذا هو المطلوب اذا كان من رفع رجلا الى رتبة النبي كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان والصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السماوات والأرض كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (قال) وبنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون الشهادتين ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما اظهروا مخالفة الشريعة في اشياء دون ما نحن فيه اجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين (قال) واذا كان الأولون لم يكفروا الا انهم (كذا) جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وانكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه وذكروا انواعاً كثيرة كل منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم ذكروا اشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه او على وجه المزح واللعب (قال) والذين نزل فيهم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم كفرهم الله تعالى بكلمة مع انهم في زمن الرسول (ص) يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون والذين نزل فيهم: ﴿قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) كانوا مع رسول الله (ص) في غزوة تبوك وقالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين اناساً يشهدون ان لا اله الا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فانه من انفع ما في هذه الأوراق (واستدل ايضاً) بما حكاه الله تعالى عن بني اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم انهم قالوا لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة وقول ناس من الصحابة اجعله لنا ذات انواط (١) فحلف (ص) ان هذا نظير قول بني اسرائيل اجعل

---

(١) روى الترمذي عن ابي واقد الليثي خرجنا مع رسول الله (ص) الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله (ص) الله أكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة الاية لتتبعن سنن من كان قبلكم.

لنا الهاً (ثم قال) وللمشركين شبهة اخرى يقولون انكر النبي (ص) على اسامة قتل من قال لا اله الا الله وقال أقتلته بعدما قال لا اله الا الله (وقال) امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واحاديث اخرى في الكف عمن قال لا اله الا الله (قال) ومراد هؤلاء الجهلة ان من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل (واجاب) بان اليهود وبني حنيفة والذين حرقهم علي بن ابي طالب يقولون لا اله الا الله وهؤلاء الجهلة يقولون من جحد شيئاً من اركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف اذا جحد التوحيد قال ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث (فاما) حديث أسامة فانه قتل رجلا ادعى الإسلام لظنه أنه ما ادعاه الا خوفاً والرجل اذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ أي تثبتوا ولو كان لا يقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى وكذلك الأحاديث الأخر (والدليل) على هذا ان رسول الله (ص) الذي قال أقتلته بعدما قال لا اله الا الله وقال امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله هو الذي قال في الخوارج أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى ان الصحابة يحقرون انفسهم عندهم وتعلموا العلم من الصحابة فلم ينفعهم لا اله الا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة انتهى.

وقال ابن عبد الوهاب أيضاً فيما حكاه عنه الألوسي في تاريخ نجد: الكفر نوعان مطلق ومقيد فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول (ص) والمقيد أن يكفر ببعضه حتى ان بعض العلماء كفر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كتوريث الجد والأخت وان صلى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة (الى ان قال) فتشبيه عباد القبور بأنهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال بإسلامهم وإيمانهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون انتهى.

(والجواب) ان انكار شيء مما جاء به النبي (ص) بعد العلم بأنه جاء به لكونه مما ورد في القرآن أو جاءت به السنة القطعية وصار من ضروريات الدين لا ريب في أنه تكذيب للنبي (ص) موجب للكفر واذا وقع من مسلم حكم بارتداده ولا يحتاج الى الإطالة واكثار الشواهد عليه من الايات وغيرها وذكر العلماء باب المرتد وغير ذلك الذي اطال

به بدون طائل . انما الكلام في ان الاستغاثة والتشفع والتوسل بالصالحين هل هي موجبة لجحود التوحيد وللرفع في مرتبة جبار السماوات والأرض كما زعم وقد تبين بما شرحناه واوضحناه في هذا المقام وغيره وفي الفصول المختصة بتلك الأمور انه ليس فيها شيء مما ينافي التوحيد ولا توجب رفع مخلوق الى مرتبة جبار السماوات والأرض ولا تخرج عن طلب الدعاء ممن يرجى من الله اجابة دعائه لنا لما له من المنزلة عنده بإخلاصه في عبوديته . ولما قاس الوهابيون حال المسلمين المستغيثين بالصالحين على حال مشركي قريش فقالوا ان كليهما أقر بتوحيد الربوبية ولكنه تشفع واستغاث وتوسل بالمخلوقين فلم ينفعه اقراره بتوحيد الربوبية وان النبي (ص) لم يقاتل عبدة الأوثان الا على استشفاعهم بغير الله رجلا صالحا أو غيره فدل ذلك على ان الاستشفاع عبادة وعبادة غير الله شرك كما صرح به ابن عبد الوهاب في كلماته السابقة توجه عليهم حينئذ إعتراض بعض أهل الأحساء بأن هذا قياس مع الفارق فمشركو قريش لا يشهدون الشهادتين ويكذبون الرسل والقرآن وينكرون البعث وهذا هو الذي اوجب كفرهم وأحل قتالهم ونحن نقر بذلك كله فبطل القياس نعم لو كان الصادر من الأولين مجرد الاستغاثة والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً ولكن الصادر منهم غير ذلك مما يوجب الكفر والشرك ولا ينفع الجواب بأن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء كفر الذي لا ينكره أحد . ومن ذلك تعلم ان قوله سبحان الله ما أعجب هذا الجهل لا ينطبق الا عليه خاصة . وان قوله كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ليس أحد أولى به منه . ومع كون الشواهد التي استشهد بها وأطال بذكرها لا حاجة اليها بل هي تطويل بلا طائل اكثرها غير صحيح في نفسه كدعواه ان الفاطميين المصريين بني عبيد قد أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب فانه ادعاء باطل وافتراء على العلماء ولو كان ذلك صحيحاً لتمسك به أعداؤهم خلفاء بني العباس وجعلوه من أعظم الحجج لهم فأخذوا فتاوى العلماء بذلك ولو وقع ذلك لشاع وذاع ولذكره أهل السير والتواريخ ونقلة الأخبار مع أنه ليس له في كتبهم عين ولا أثر ولما كان بنو العباس يعدلون عنه الى كتابة محضر بعدم صحة نسبهم فقط شهد فيه جماعة من العلماء خوفاً على أنفسهم وامتنع من الشهادة الشريف الرضي وقصته في ذلك مع القادر العباسي مشهورة ذكرها المؤرخون ولا شيء أطرف من قوله وغزاهم المسلمون حتى

استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين فانا لا نعلم احداً من المسلمين غزاهم وهذه كتب التواريخ شاهدة بذلك وانما استنجد آخر خلفائهم الملقب بالعاضد بنور الدين ملك الشام لما خاف على بلاده من الأفرنج فارسل اليه صلاح الدين الأيوبي فكان انقراض دولتهم على يده بدون حرب ولا قتال ولا غزو بل على عادة الملوك في تغلبهم على ملك غيرهم اذا أنسوا منهم ضعفاً كما تغلب صلاح الدين على ملك مصر وخرج عن طاعة نور الدين مع انه هو الذي أرسله وكان بمنزلة العامل عنده ثم تغلب صلاح الدين على الشام بعد موت نور الدين وطرد ولده من الملك وخبر ذلك في التواريخ مشهور أفهذه ادلة محمد بن عبد الوهاب وهذا مبلغ علمه بالتاريخ (وقوله) غزاهم المسلمون طريف جداً فانه مناف لتكفير الوهابية المسلمين واشراكهم اياهم فان المسلمين في عصر الفاطميين المصريين مثلهم في عصر الوهابيين لا يزيدون عنهم بشيء فقد كانوا في ذلك العصر يبنون القباب على القبور ويعظمونها ويتشفعون بالصالحين فان كان هؤلاء مشركين فاولئك مشركون ولم يكن في عصر الفاطميين وهابية يغزون فكيف سماهم مسلمين . وهذا كقول صاحب المنار أيها المسلمون مع تصويبه اعتقاد الوهابية فيهم كما بيناه في غير هذا الموضع ولكن هؤلاء عند حاجتهم للمسلمين يعترفون بإسلامهم واذا استغنوا عن ذلك كفروهم واشركوهم . نعم ان المسلمين اجمعوا على ضلالة الوهابيين وخروجهم من الجماعة وقتالهم وغزاهم المسلمون بأمر خليفة الإسلام السلطان العثماني وعساكره وعساكر مصر والشام والعراق والعجم في عهد محمد علي باشا حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين كما فصلناه في تاريخهم فان كان ذلك دليلا على الكفر والارتداد فهو دال على كفر الوهابية وخروجهم من الدين كما انك قد عرفت في الباب الأول أقوال العلماء في حق ابن تيمية قدوة الوهابية وباذر بذور مذهبهم وأول من زقا بالقول بالتجسيم وصنف فيه (فاجماع) العلماء قائم على ضد قول ابن عبد الوهاب لا معه مع أنه لا قيمة لإجماع العلماء عنده وان تظاهر بالتمسك به (أما قوله) اذا كان الأولون لم يكفروا الا انهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل وغير ذلك فما معنى ذكر العلماء باب المرتد الخ ففيه كما مر ان المعترض لم يقل ان الأولين لم يكفروا إلاّ أنهم جمعوا بين هذه الأشياء بحيث لو نقص واحد منها لم يكفروا وانه ليس شيء سواها مكفراً بل لما قاس الوهابية حال المسلمين اليوم على حال مشركي قريش توجه عليهم الاعتراض بأن

هذا قياس مع الفارق كما عرفت . نعم لو كان الصادر من الأولين مجرد الاستغاثة والتوسل والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً ولكن الصادر منهم غير ذلك مما يوجب التكفير فلم يبق في ذلك دلالة على ان الاستشفاع ونحوه موجب للكفر وحينئذ فاستشهاده بذكر العلماء باب المرتد تطويل بلا طائل كما عرفت لعدم انكار أحد امكان حصول الارتداد مع الإقرار بالشهادتين انما الكلام في ان المتنازع فيه هو موجب للارتداد أم لا وهذا لا ينفع فيه ذكر العلماء باب المرتد على ان جميع علماء المذاهب الذين ذكروا باب المرتد وبينوا ما يوجب الارتداد لم يذكروا من جملته الاستغاثة والاستشفاع بالصالحين فدل على اجماعهم على أنه ليس موجباً للارتداد وبطل بذلك زعم الوهابية فما استشهد به شاهد عليه لا له (قوله) مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه (أقول) الذي ذكره علماء المذاهب في باب المرتد ان من تكلم بكلمة الكفر كقوله الله ثالث ثلاثة استهزاء أو عناداً أو اعتقاداً كفر (١) لا مطلق من قالها كما يقتضيه اطلاق كلامه قصداً لتهوين امر الارتداد (قوله) أو على وجه المزح واللعب ستعرف مما يأتي بعده شرح ذلك ورده وانه خيانة في النقل وتدليس .

(ومن الغريب) قوله بأن الذين نزل فيهم يحلفون بالله ما قالوا الاية كفرهم الله بكلمة مع انهم في زمن الرسول (ص) يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون فان هذه الاية مع كونها كغيرها من استشهاداته لا حاجة الى الاستشهاد بها كما عرفت نزلت في المنافقين (ففي) أسباب النزول للواحدي قال الضحاك : خرج المنافقون مع رسول الله (ص) الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله (ص) واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله (ص) فقال (ص) يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية إكذابا لهم وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من جهينة ورجلا من غفار اقتتلا فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال

(١) راجع الإقناع في حل الفاظ ابي شجاع وحاشيته ص ٢٢٩ ج ٢ في الفقه الشافعي وحاشية الشرقاوي على شرح التحرير لزكريا الأنصاري ص ٣٩٠ ج٢ في الفقه الشافعي ايضاً .

القائل سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فاخبر النبي (ص) فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية انتهى (وفي الكشاف) أقام رسول الله (ص) في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال له عامر ابن قيس الأنصاري أجل والله ان محمداً لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله (ص) فاستحضره فحلف بالله ما قال فنزلت الاية انتهى وهي قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا ولكونها نزلت في المنافقين قال صاحب الكشاف كفروا بعد اسلامهم أظهروا كفرهم بعد اظهارهم الإسلام انتهى والذي هموا به فلم ينالوه الفتك برسول الله(ص) عند مرجعه من تبوك توافق خمسة من المنافقين على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا صعد العقبة فرآهم عمار قائد ناقة النبي (ص) أو حذيفة سائقها وهم ملثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا ذكره الواحدي عن الضحاك وذكره الزمخشري فهؤلاء هم الذين قال عنهم ابن عبد الوهاب انهم يجاهدون ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون وما ينفعهم ذلك وهم منافقون يسبون رسول الله (ص) ويطعنون في الدين ويقولون في حقه (ص) سمن كلبك يأكلك ويحاولون قتله والقاءه عن راحلته الى الوادي فجعلهم كالمسلمين الذين يستشفعون الى الله تعالى ويستغيثون بالنبي (ص) الذي جعله شافعاً ومغيثا على السواء هذا علم ابن عبد الوهاب وهذه حججه وأدلته وكذلك قوله ان آية ابالله وآياته الخ نزلت فيمن قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح (١) تهويناً وتصغيراً وتخفيفاً لعملهم حتى يتسنى له تشبيه المسلمين بهم وهل ينفعهم ذلك وادعاؤهم المزح والحال انهم من المنافقين الذين انزل الله تعالى فيهم: ﴿يحذر المنافقون أن ينزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل

---

(١) يتبين مما سيأتي في سبب نزول الاية انهم لم يعترفوا بتلك الكلمة ولا ادعوا قولها لا على سبيل المزح كما يدعيه ابن عبد الوهاب ولا غيره بل أنكروها بتاتاً وادعوا أنهم كانوا يمزحون بشيء غيرها. ثم انه هنا يقول ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح وفي صفحة ٧٢ من كشف الشبهات يقول كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح فجزم بذلك فتناقض كلاماه وكلاهما مخالف للواقع فانظر الى تحريفه الأخبار ترويجاً لمقاصده.

استهزؤوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ في الكشاف بينا رسول الله (ص) يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولكن في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فنزلت الاية (وذكر) نحوه الواحدي في أسباب النزول عن قتادة وانهم قالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب (وذكر) الواحدي أيضاً عن زيد ابن اسلم ومحمد بن وهب ان رجلاً من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء يعني النبي (ص) وأصحابه أرغب بطونا ولا أكذب السناً ولا أجبن عند اللقاء فأخبر النبي (ص) فاعتذر القائل بانا كنا نخوض ونلعب فنزلت الاية انتهى أفبهؤلاء يقاس المسلمون المتشفعون الى الله تعالى بنبيه صاحب الشفاعة عنده ثم يتبجح بقول تأمل هذه الشبهة ثم تأمل جوابها فانه من أنفع ما في هذه الأوراق وهو كما عرفت لم يأت بجواب ولا شبه جواب وكذا استشهاده بحلف النبي (ص) ان قول بعض الصحابة له اجعل لنا ذات انواط نظير قول بني اسرائيل اجعل لنا الهاً كما لهم الهة لا محل له ولا فائدة فيه ومن الذي يشك في أن اتخاذ شجرة تناط بها الأسلحة وتعبد كما تعبد الأصنام هو نظير عبادة بني اسرائيل للأصنام وطلب بعض الصحابة ذلك من النبي (ص) هو نظير طلب قوم موسى منه ولكن هذا لا يثبت ان الاستغاثة والاستشفاع بالنبي (ص) نظير عبادة الأصنام.

وأما جوابه عن قصة اسامة وتنظيره باليهود وبني حنيفة والذين حرقهم علي بن ابي طالب والخوارج فهو مبني على الأساس الفاسد الذي أسسه من جعل الاستشفاع والتوسل بالصالحين عبادة لهم وشركاً فلا ينفع معها قول لا اله الا الله وحيث عرفت فساد هذا الأساس تعرف فساد ما بني عليه وتعرف ان من وصفهم باعداء الله وهو أحق بهذا الوصف منهم قد فهموا معنى الأحاديث وافنوا أعمارهم في فهمها ودراستها وانها تدل على أن من قال لا اله الا الله حرم دمه الا ان يثبت خروجه عن الإسلام بيقين ولا يجوز تكفيره واستحلال دمه بمجرد الظن والتخمين (فاليهود) أنكروا نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وجميع شرائع الاسلام (وبنو حنيفة) الذين قتلهم

خالد اعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من ضروريات الدين التي يكفر منكرها والذين اتبعوا مسيلمة ادعوا فيه النبوة وارتدوا عن الإسلام وجعله المسلمين أشد كفراً منهم باعتبار أن اولئك ادعوا النبوة في مسيلمة والمسلمون رفعوا المخلوقين الى درجة الالهية بسبب استغاثتهم وتشفعهم بهم من السخافة بكان لما عرفت ولما هو أوضح من الشمس في رائعة النهار من أن استغاثة المسلمين واستشفاعهم بذوي المكانة عنده تعالى وجميع ما يفعلونه ليس فيه شائبة رفع المخلوق عن درجة العبودية الى درجة الالهية وقد أوضحنا ذلك مكرراً فلا نطيل باعادته (والذين) حرقهم علي بن ابي طالب قالوا له أنت الله أما من توسل بنبي أو صالح الى الله ودعاه واستغاث به ليدعو الله له ويكون له شفيعاً فلم يكفر ولم يشرك ولم ينكر ضرورياً حتى يباح دمه الا عند الجاهل الذي لا يفهم معنى الأحاديث واما استشهاده بأخبار الخوارج وان الرسول (ص) أمر بقتلهم لما ظهر منهم من مخالفة الشريعة ففيه أن الذين ظهر منهم هو تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم واخافة السبيل واشهار الحرب على المسلمين لشبهة دخلت عليهم أعظم أسبابها الجمود واشبه الناس بهم في هذا الزمان كما مر من يكفر المسلمين ويستحل دمائهم واموالهم ويغزو بلاد الإسلام ويشهر الحرب على المسلمين ويخيف السبل بشبهة انهم يستغيثون ويستشفعون بذوي المكانة عند الله وتوهم ان ذلك شرك بالله والحال أنه ليس فيه من ذلك شائبة كما بيناه وأوضحناه: فاي الفريقين أحق بأن يشبه بالخوارج لو كانوا يعقلون.

(واما قوله) فيما حكي عنه في تاريخ نجد أن بعض العلماء كفر من انكر فرعا مجمعا عليه فهو اعتراف منه على نفسه وعلى اتباعه بالكفر فانهم قد انكروا فروعاً فضلا عن الفرع الواحد مجمعا عليها بين المسلمين كالاستشفاع بالنبي (ص) وتعظيم قبره والتبرك به وغير ذلك مما خالفوا فيه عامة المسلمين بعد اتفاقهم واجماعهم عليه اجيالا عديدة فتوى وعملا (قوله) فتشبيه عباد القبور الخ قد علمت مما بيناه وشرحناه انه ليس في ذلك تشبيه بل هو الحق الذي لا شبهة فيه وان تشبيه الوهابيين بان الاستشفاع والتوسل بالنبي (ص) الذي جعله الله شافعا وجعل له الوسيلة كفر وشرك مجرد تعميته على العوام وتلبيس لتنفق ضلالتهم التي كفروا بها المسلمين ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون.

ومما ذكره ابن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات (١) انه ما بعث الله نبيا بهذا التوحيد الا جعل الله له أعداء كما قال: ﴿وجعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن﴾ وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ فاذا عرفت ان الطريق الى الله لا بد له من اعداء قاعدين عليه اهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك ان تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا تقاتل هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم لاتينهم من بين ايديهم الاية﴾ ولكن اذا اقبلت على الله فلا تخف ﴿ان كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ والعامي من الموحدين يغلب الفا من علماء هؤلاء المشركين فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان والسيف والسنان ﴿ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا﴾ قال بعض المفسرين هذه الاية عامة في كل حجة يأتي بها اهل الباطل الى يوم القيامة.

(ونقول) جعله علماء المسلمين كالشياطين الذين يصدون عن سبيل الله وقدحه في علومهم وكتبهم وحججهم لأنهم لا يوافقونه على معتقده الفاسد كجملة من كلماته الشنيعة في حقهم السابقة والاتية خروج عن جادة الأدب وعما أمر الله تعالى به نبيه (ص) من المجادلة بالتي هي احسن والدعاء الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ولو كان له دليل واضح لاكتفى به ولم يحتج الى سوء القول في علماء المسلمين وحماة الدين وما أحقه بما وصمهم به واشد انطباقه عليه وعلى اتباعه.

قال وانا اذكر لك اشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا (فنقول) جواب اهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل اما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة وهو قوله تعالى: ﴿هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ وقد صح عنه (ص) اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم مثال ذلك اذا قال لك بعض المشركين ﴿الا إن

---

(١) صفحة ٥٩ ـ ٦١ طبع المنار بمصر.

اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وان الشفاعة حق والأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي (ص) يستدل به على شيء من باطلها وانت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بأن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وكون كفر المشركين بتعلقهم على المخلوقين وتشفعهم بهم محكم وما ذكرت لي لا اعرف معناه ولكن اقطع ان (كلام ظ) الله لا يتناقض وان كلام النبي لا يخالف كلام الله وهذا جواب سديد ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله فلا تستهونه فانه كما قال تعالى: ﴿ولا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾.

(ونقول) ما أحقه بهذه الأوصاف التي وصف بها المسلمين (واما) ايصاؤه من يتبعه بان يجعل كلام مخالفه من المتشابه ومعتقده هو من المحكم ليدهل مخالفه تحت ﴿واما الذين في قلوبهم زيغ الاية﴾ فطريف جداً وما ندري ما الذي يجعل الا ان أولياء الله لا خوف عليهم وكون الشفاعة حقاً والأنبياء لهم جاه عند الله من المتشابه (فالمتشابه) كما ذكرناه في الأمر الثاني من المقدمة الثانية ما لا يكون ظاهر المعنى لسبب من الأسباب وهذه الألفاظ معناها بين ظاهر فكيف جعلها من المتشابه (قوله) أو ذكر كلاماً للنبي (ص) يستدل به على شيء من باطلها (أي الشفاعة) فجاوبه الخ هذا خطأ منه في تعليم الاحتجاج والمجادلة فانه اذا كان الحديث مجملا متشابهاً والوهابي لا يفهم معناه مع كونه من أهل العلم والفهم فكيف يستدل به العلماء وأهل المعرفة والفهم واذا فرض فالجواب عنه سهل مختصر وهو انه لا دلالة فيه لإجماله من جهة كذا ولا يحتاج الى هذه المقدمة الطويلة العريضة والتبجح الزائد بقوله فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة وقوله فهذا جواب سديد الخ ولعله يكون ظاهر الدلالة والمخاطب لا يفهم معناه لكونه اعرابياً نشأ في البادية ولم يتعلم وان كان قلبه محشواً بالتوحيد فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يعلمه هذا الجواب (اما السر) في هذه الوصية فهو انه لما منى أصحابه الموحدين ان الواحد منهم يغلب الألوف من المشركين وعلم انهم لا بد ان يغلبوا في كثير من مجادلاتهم أراد ان يعلمهم طريقاً يرفع به عن نفسه خلف الوعد والكذب فيما وعدهم ومناهم به ويتخلصون به عندما يجابون بجواب فيعجزون عن رده وهو ان يقولوا لخصمهم هذا الذي ذكرته متشابه وما نعتقده محكم والمتشابه لا يجوز التمسك به ولا يعارض المحكم فهذه طريقة يمكن التخلص بها في كل مقام ومن كل ايراد ولم يعلم ان المتشابه لا يكون

متشابهاً بمجرد الدعوى بل له أسباب لا بد لمن يدعي التشابه من بيانها مثل كونه مشتركاً بين معنيين ولا قرينة على تعيين احدهما أو انه قامت قرينة على عدم ارادة المعنى الحقيقي ولم تعين المجازي ونحو ذلك (ونظير هذه الوصية) ما حكي ان رجلا طلب للمحاكمة مع آخر فاسترشد صديقا له ما الذي ينبغي ان يفعله حتى لا يغلب فأوصاه باستعمال الإنكار فلما حضر للمحاكمة ادعى عليه خصمه بمال فسأله القاضي عن اسمه فقال انا منكر فقال هل أخذت منه هذا المال قال نعم ولكن انا منكر فامره القاضي بدفع المال فقال انا منكر ولم يفهم المسكين ان الإنكار بعد الإقرار لا يفيد (اما) جعله كفر المسلمين وشركهم بتعلقهم على الصالحين وتشفعهم بهم من المحكم فقد عرفت وستعرف بما لا مزيد عليه انه من الوهي والوهن بمكان وانه لا إحكام فيه بل هو رقم على الماء وان جوابه لا شيء فيه من السداد.

قال (واما المفصل) فان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس (منها) قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له وان محمداً (ص) لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلا عن عبد القادر أو غيره ولكن انا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم (ص) مقرون بما ذكرت وبأن اوثانهم لا تدبر شيئا وانما ارادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه فان قال انها نزلت فيمن يعبد الأصنام فكيف تجعلون الصالحين اصناما فجاوبه بما تقدم فاذا اقر ان الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما ارادوا ممن قصدوا الا الشفاعة واراد ان يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره فاذكر له ان الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب﴾ ويدعون عيسى وامه واذكر قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون﴾ فان قال الكفار يريدون منهم وانا اشهد ان الله هو النافع الضار المدبر لا اريد الا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن ارجو شفاعتهم فالجواب ان هذا قول الكفار بعينه ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى. هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (قال) وهذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم.

(ونقول) يظهر فساد ما أطال به بلا طائل مما قدمناه من ان الذين قاتلهم رسول الله (ص) لم يقاتلهم على مجرد التشفع بالصالحين اليه بل على عدم قبولهم أحكام الإسلام وتكذيبهم له مع ظهور المعجزات على يديه وارتكابهم الموبقات والعظائم وغير ذلك مما مر في صدر الكلام حتى من يعبد صور الصالحين من الأحجار المنحوتة اما قوله تعالى: ﴿قل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ فنزلت على ما ذكره المفسرون في قوم من العرب كانوا يعبدون الجن فأسلم الجن أو كانوا يعبدون الملائكة وقيل كانوا يعبدون عيسى وعزيراً واعترضه الطبري في تفسيره بما حاصله: ان الاية دالة على وجودهم في عهد النبي (ص) وعزير وعيسى ليسا كذلك انتهى (وفي الكشاف) (اولئك) مبتدا و(الذين يدعون) صفته و(يبتغون) خبره و(أيهم) موصوله بدل من واو يبتغون يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله الذين هم أقرب منهم وازلف فكيف بغير الأقرب انتهى فالاية دالة على انهم اتخذوهم آلهة من دون الله وعبدوهم وليس فيها ما يدل على انه لم يصدر منهم في حقهم الا طلب شفاعتهم عند الله والتوسل بهم اليه وان اشتملت على لفظ الدعاء وان المدعوين يبتغون الى ربهم الوسيلة لكن قوله لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا دال على أنهم كانوا يعتقدون فيهم القدرة على كشف الضر وتحويله عنهم بأنفسهم ولذلك عبدوهم واتخذوهم آلهة من دون الله بدليل قوله تعالى الذين زعمتم من دونه ومع ذلك فقد كذبوا الرسل وعاندوهم (وأما) من يعبد عيسى وأمه فحالهم أوضح وأظهر والعجب كيف جعل عبادة عيسى وامه وجعله الهاً خالقا رازقا مدبراً للكون متحداً مع الله تعالى كمن يتشفع بصالح الى الله ما هذا الا الجهل أو العناد وكذلك جعله رجاء الشفاعة من الصالحين هو قول المشركين ما نعبدهم الا ليقربونا هؤلاء شفعاؤنا واضح الفساد بما عرفت من صراحة الايتين في وقوع عبادة منهم غير الشفاعة جعلت علة لها مرة وعطفت عليها اخرى والعلة غير المعلول ومقتضى العطف التغاير كما سيأتي في فصل الشفاعة.

وقال الصنعاني في تطهير الإعتقاد (١) ما حاصله بعد حذف تكريرات كثيرة وتقديم

(١) صفحة ٣ـ١٦.

وتأخير: التوحيد قسمان توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها أي ان الله وحده هو الرب الخالق الرازق للعالم وهذا لا ينكره المشركون وتوحيد العبادة أي افراد الله وحده بجميع انواع العبادات وعدم عبادة غيره معه وهذا الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى. والرسل والأنبياء من أولهم وهو نوح الى آخرهم وهو محمد بعثوا لتقرير توحيد الربوبية كقولهم: ﴿افي الله شك. هل من خالق غير الله. أغير الله اتخذ وليا. أروني ماذا خلق الذين من دونه. أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ استفهام تقرير لهم لأنهم به مقرون ولم ترد الايات في الغالب الا بصيغة استفهام التقرير. والدعاء الى توحيد العبادة واخلاصها والنهي عن شركها. قال الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله﴾ فأفاد ان جميع الأمم لم ترسل اليهم الرسل الا لطلب توحيد العبادة ﴿ان لا تعبدوا الا الله. وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ وكل رسول اول ما يقرع به اسماع قومه ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره. ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون﴾ ولم ترسل الرسل لطلب توحيد الربوبية لأن المشركين مقرون به بدليل قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله. ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم. قل من يرزقكم﴾ الايات المتقدمة في كلام ابن عبد الوهاب. وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السماوات والأرض ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق. ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ والعبادة اعتقادية كالاعتقاد بالتوحيد ولفظية كالنطق بكلمته وبدنية كالصلاة ومالية كالزكاة والعبادة أقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل الا في الخضوع لله لأنه مول أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع كما في الكشاف.

ورأس العبادة وأساسها التوحيد الذي تفيده كلمته والمراد اعتقاد معناها وهو إفراد الله بالعبادة والالهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه لا مجرد قولها وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان فقالوا (اجعل الالهة الهاً واحداً) وقالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده) أي لنفرده بالعبادة دون الأوثان فانكروا افراده بالعبادة وعبدوا معه غيره واتخذوا له انداداً قال تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون﴾ أي وانتم تعلمون انه لا ند له وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج:

لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك

فالمشركون انما أشركوا في العبادة ولم يشركوا في توحيد الربوبية وكانت عبادتهم للأصنام هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون ويقربونهم الى الله زلفى ويشفعون لهم عنده فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ولم يعبدوهم بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم الا لاعتقادهم انها تقربهم من الله زلفى وتشفع لهم لديه وقالوا وهم في النار ﴿تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين﴾ مع انهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين رازقين وكان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد فبعث الله محمداً (ص) يدعوهم الى افراد الله بالعبادة كما أفردوه بالربوبية وأن لا يدعوا مع الله أحداً قال تعالى: ﴿له دعوة الحق الاية﴾ وقال: ﴿وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾ أي من شرط الصدق (كذا) بالله ان يفردوه بالتوكل كما يجب افراده بالدعاء والاستغفار وهذه الحال التي أشرك بها السابقون بشرك العبادة هي بعينها حال المسلمين مع الأنبياء والصالحين وغيرهم فاعتقدوا فيهم انهم يضرون وينفعون ويقربون الى الله ويشفعون عنده فدعوهم ونادوهم في الشدائد والرخاء وهتفوا بأسمائهم واستغاثوا واستعانوا وتوسلوا وتشفعوا وحلفوا بهم وطلبوا منهم ما لا يطلب الا من الله من عافية المريض وقدوم الغائب ونيل المطالب ونذروا لهم باموالهم واولادهم ونحروا على قبورهم وطافوا بها وتبركوا وتمسحوا بها فصار الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام لأنه قد حصل منهم ما حصل من اولئك وساووهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد فلا فرق بينهم.

وكما أن السابقين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ولم ينفعهم ذلك لأنهم مشركون بالعبادة فلم ينفعهم اقرارهم بالله لأنه نافاه فعلهم كذلك المسلمون وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية لم ينفعهم اقرارهم لأنه نافاه عملهم.

فالمشركون لم يتخذوا الأصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وامه والملائكة شركاء لله لأنهم أشركوهم في الخلق بل لأنهم يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه وانهم شفعاء عند الله

قال الله تعالى: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ فجعل اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئا. فما يفعله المسلمون هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية وانما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً والأسماء لا تغير المعاني فمن شرب الخمر وسماها ماء ما شرب الا خمراً ولعل عقابه اشد للتدليس والكذب وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق (ص) فانه أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين ابليس فقال هل أدلك على شجرة الخلد فسمى الشجرة التي نهي آدم عن قربانها شجرة الخلد جذباً لطبعه اليها وتدليساً عليه بالاسم الذي اخترعه لها كما يسمي اخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلما ادباً فيقولون أدب القتل أدب التهمة أدب المكاييل والموازين أو بأسم النفاعة والسياقة وكذلك تسمية القبر مشهداً والرجل ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن لمعاملتهم لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت ويستلمونهم استلامهم لأركانه ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية كقولهم على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند عبد القادر الجيلي وأهل التهائم يقولون يا زيلعي يا ابن العجيل واهل مكة والطائف يا ابن العباس واهل مصر يا رفاعي يا بدوي والسادة البكرية واهل الجبال يا ابا طير واهل اليمن يا ابن علوان وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء وينادونه في الشدة والرخاء وهو عاكف على القبائح لا يحضر جمعة ولا جماعة ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ولا يكتسب حلالا ويضم الى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ويجلب ابليس اليه جماعة قد عشش في قلوبهم وباض فيها وفرخ يصدقون بهتانه ويعظمون شأنه ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلا.

فافراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله والنداء في الشدائد والرخاء والاستعانة واللجأ والنذر والنحر وجميع انواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا

والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كلها لله ومن فعل ذلك لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غيره ملكا او نبيا او ولياً او شجراً او قبراً او جنياً فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور الهاً لعابديه وصار بهذه العبادة او اي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان اقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب اموالهم ومن اعتقد في شيء من ذلك انه ينفع أو يضر او يقرب الى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل اليه تعالى الا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا (ص) (١) او نحو ذلك فقال اشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان وصار حلال المال والدم كما حلت دماء المشركين واموالهم قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره بل سمى الله الرياء في الطاعات شركا مع ان فاعلها ما قصد بها الا الله وانما أراد طلب المنزلة بها في قلوب الناس فلم تقبل وسماها شركا اخرج مسلم من حديث ابي هريرة (رض) عنه (ص) يقول الله تعالى: ﴿انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا واشرك فيه معي غيري تركته وشركه﴾ بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا بقوله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ اخرج الإمام احمد والترمذي من حديث سمرة عنه (ص) لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد طاف بها ابليس وقال لا يعيش لك ولد حتى تسميه بعبد الحارث فسمته فعاش وكان ابليس تسمى بالحارث.

ثم قال (٢) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز ان يعتقد الا في الله وجعلوا لهم جزءا من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عندها وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقرباً اليهم وهذه هي انواع العبادات التي عرفناك ولا ادري هل فيهم من يسجد لهم لا استبعد ان فيهم من يفعل ذلك بل اخبرني

---

(١) المراد حديث سؤال الأعمى الاتي في الفصل الثالث في التوسل (المؤلف).

(٢) صفحة ١٣.

من اثق به انه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيما له وعبادة. وقال (١) فان قلت القبوريون يقولون نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له نداً والالتجاء الى الأولياء ليس شركا قلت يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك فان تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك وما يفعلونه عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم نحن لا نشرك بالله شيئاً لأن فعلهم اكذب قولهم (ثم قال) فان قلت هم جاهلون انهم مشركون بما يفعلونه قلت قد خرج الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها وهذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصليا ومن نادى الله ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفا وطمعا ثم نادى معه غيره فقد اشرك في العبادة.

ثم أورد سؤالا بانهم اذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلكه (ص) في المشركين واجاب بأنه ذهب الى هذا طائفة من أهل العلم وقال انه يجب دعاؤهم الى التوحيد ويجب على العلماء بيان ان ما يفعلونه شرك وانه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم فاذا ابانت العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب عليهم بعث دعاة الى اخلاص التوحيد فمن رجع حقن عليه ماله ودمه وذراريه ومن اصر فقد اباح الله منه ما اباح لرسوله (ص) من المشركين (ثم قال) فان قلت لا سواء لأن هؤلاء قد قالوا لا اله الا الله وقد قال النبي (ص) امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال لأسامة قتلته بعدما قال لا اله الا الله وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين قلت قد قال (ص) الا بحقها وحقها افراد الألوهية والعبودية لله والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فانها لا تنفع الا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء وبنو حنيفة كانوا يشهدون الشهادتين ويصلون لكنهم قالوا مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم فكيف بمن يجعل للولي خاصة الالهية ويناديه للمهمات وهذا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب حرق اصحاب عبد الله بن سبأ وكانوا يشهدون الشهادتين

---

(١) صفحة ١١.

ولكن غلوا في علي واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون واجمعت الأمة على ان من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله فكيف بمن يجعل لله نداً وانكاره (ص) على اسامة قتله من قال لا اله الا الله لأن من قالها من الكفار حقن ماله ودمه حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله فان تبين لم تنفعه هذه الكلمة كما لم تنفع اليهود ولا الخوارج مع عبادتهم التي يحتقر الصحابة عبادتهم الى جنبها بل أمر (ص) بقتلهم وقال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت اديم السماء كما ثبتت به الأحاديث (فان قلت) القبوريون ومن يعتقد في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد الا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج (قلت) هذا جهل بمعنى العبادة فانها لا تنحصر فيما ذكرت بل رأسها واساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما سمعت مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك وقد ذكر العلماء ان من تزيا بزي الكفار صار كافراً ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولا وفعلا انتهى.

(والجواب) ان تقسيمه التوحيد الى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة تطويل بدون طائل فانه لا شك في وجوب توحيد الباري تعالى في ذاته وصفاته وعبادته وجميع ما هو من لوازم الربوبية وصفات الكمال ونفي صفات النقص عنه ولا يحتاج الى كل هذا التطويل والتكرير الذي اعتادوه ولا الى اكثار الشواهد القرآنية عليه ولا الى الاستشهاد بأياك نعبد وامثالها وانما الذي ينفع بيان ما هي العبادة التي لا تليق بغير الله واذا فعلت لغيره توجب الشرك والكفر هل هي مطلق التعظيم والخضوع والنداء والدعاء والاستعانة والاستغاثة والتشفع والتوسل والنذر والذبح والنحر وغير ذلك ليكون ما يفعله المسلمون داخلا فيها أو عبادة خاصة وهم لم يأتوا على ان ما يفعله المسلمون داخل في ذلك ببينة ولا برهان بل البرهان على خلافة قائم لما بيناه مراراً عند الكلام على هذه الأمور اجمالا وتفصيلا من أن مطلقها ليس ممنوعاً فضلا عن كونه كفراً وشركا وان تعظيم من هو عظيم عند الله والخضوع له والاستغاثة والتشفع والتوسل بمن جعله الله مغيثا شافعا وجعل له الوسيلة كلها عبادة لله وان النذر والذبح والنحر الذي يفعله المسلمون هو لله تعالى وعبادة وطاعة له فجميع هذه الأمور سواء سميت عبادة أو لا لا تعد شركا ولا كفراً

لأن الممنوع منه الموجب للشرك هي عبادة خاصة وهي ما كان عن غير أمر الله او عناداً له أو بقصد الاستحقاق الذاتي كاستحقاق الله أو نحو ذلك (مع) ان قوله ان جميع الرسل بعثوا لتقرير توحيد الربوبية والدعاء الى توحيد العبادة ولم يبعثوا للدعاء الى توحيد الربوبية جهل محض فان الأمم التي بعثت اليها الرسل (منها) من كان يعتقد في عيسى الإلهية ويثبت له جميع صفاتها كما مر في رد كلام ابن عبد الوهاب فكيف يقول ان جميع من بعثت اليهم الرسل موحدون بتوحيد الربوبية (ومنه) يعلم فساد قوله ان من اتخذوا المسيح وامه لم يتخذوهم لأنهم أشركوهم في الخلق بل لأنهم يقربونهم الى الله زلفى (ومنها) من كان ينكر الله تعالى وينكر البعث وهم الذين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: ﴿ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر﴾ (ففي تفسير الطبري) يقول الله مخبراً عن هؤلاء المشركين انهم قالوا وما يهلكنا فيفنينا الا مر الليالي والأيام وطول العمر انكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم (وفي مجمع البيان) أي ما يميتنا الا الأيام والليالي أي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع (وفي تفسير الرازي) ان الله حكى عنهم شبهتهم في انكار القيامة وفي انكار الإله القادر أما شبهتهم في انكار القيامة فهي قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى واما شبهتهم في انكار الإله الفاعل المختار فقولهم وما يهلكنا الا الدهر يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركة الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثير الطبائع وحركة الأفلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الإله وبين انكار البعث والقيامة (وفي تفسير النيشابوري) انهم لم يقنعوا بانكار المعاد حتى ضموا اليه انكار المبدأ قائلين وما يهلكنا الا الدهر انتهى. ثم ان قوله تعالى: ﴿اعبدوا الله ولا تعبدوا الا الله﴾ ليس صريحا في طلب توحيد العبادة فقط لجواز ان يعبر باللازم عن الملزوم فيكون قد طلب افراد الله بالعبادة وملزومه الذي هو افراده بالربوبية ثم ان تقسيمه العبادة الى اعتقادية ولفظية وبدنية الذي اختصرناه (وقوله) ان العبادة أقصى غاية الخضوع وان مستحقها الله تعالى لإيلائه أعظم النعم كما نقله عن الكشاف لا يظهر لذكره في هذا المقام فائدة بل هو تطويل بلا طائل كما هي عادتهم في التطويل بتكرير المعنى الواحد واعادته مراراً كثيرة

كما وقع في كلامه من تكرير القول بأن الأنبياء بعثوا للدعاء الى توحيد العبادة لا توحيد الربوبية مراراً كثيرة وقد اختصرناه ووجه كون ذلك تطويلا بلا طائل انه لا ينكر أحد ان الحقيق بغاية الخضوع والتذلل هو الله تعالى ولكن الذي ينفع هو إثبات كل خضوع وتذلل لغير الله هو عبادة له موجبة للشرك والكفر وانى لهم بذلك بل هو بكلامه هذا رد على نفسه فانه جعل العبادة الخاصة بالله تعالى هي غاية الخضوع والتذلل فدل على ان مطلق الخضوع والتذلل ليس كذلك وتقسيم العبادة لا مساس له بما هو بصدده وكذا قوله ان رأس العبادة واساسها التوحيد وان المراد معنى كلمة الشهادة لا مجرد قولها تطويل بلا طائل اذ لا ينكر أحد ذلك ومن التطويل بلا طائل قوله وقد علم الكفار هذا المعنى الخ كما لا يخفى (أما) رجز التلبية الذي استشهد به فهو عليه لا له فانهم بعدما جعلوا الأصنام شركاء لله يعبدونها بانواع العبادة التي نهى الله عنها ولم يقع شيء منها من أحد من المسلمين كما ستعرف لا ينفعهم قول: هو لك تملكه وما ملك (قوله) وكانت عبادتهم للأصنام اعتقادهم أنهم يضرون وينفعون الخ جعل تارة عبادة الأصنام هي اعتقاد انهم يضرون وينفعون ويشفعون المتفرع عنه النحر لهم والطواف بهم والنذر عليهم والذل والخضوع والسجود لهم وتارة جعل عبادتهم هي الخضوع والتقرب بالنحر والنذر المتسبب عن اعتقاد الشفاعة ولا يخفى تهافت ذلك وتناقضه وسواء كانت عبادة الأصنام هي الاعتقاد المذكور المتفرع عنه تلك الأفعال أو تلك الأفعال المتفرعة عن الاعتقاد المذكور أو هما معاً فقياس حال المسلمين بهم قياس فاسد وجهل محض كما علم مما مر في الرد على ابن عبد الوهاب (فالمشركون) كذبوا الرسول (ص) وانكروا ما جاء به ومنهم من قال عيسى هو الله (والمسلمون) أقروا بالله وبرسوله وبكل ما جاء به فكيف يقاس أحدهما بالاخر ويجعل مساوياً له هل هذا الا الضلال نعوذ بالله منه (والمشركون) اعتقدوا في أحجار واشجار وجمادات لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تغيث ولا تشفع سواء كانت صور صالحين أو غيرهم فالشافع الصالح لا صورته أنها تضر وتنفع وتغيث وتشفع فتشفعوا واستغاثوا بها وعظموها ولم يجعل الله لها شيئاً من ذلك بل نهى عن التشفع والاستغاثة بها وتعظيمها (والمسلمون) اعتقدوا ان الأنبياء والصالحين ينفعون بدعائهم وشفاعتهم احياء وامواتاً كما نصت عليه أحكام دينهم وادلته التي ستعرفها والتي اثبتت لهم الشفاعة والدعاء ويضرون بترك ذلك وبالبعد عن نيل بركتهم وهو

اعتقاد صحيح مطابق لأدلة الدين الإسلامي فطلبوا منهم ما جعله الله لهم من دعائه والشفاعة لديه (والمشركون) عظموا ما لا يستحق التعظيم سواء كان صورة صالح متوهمة او غيره فان الصورة لا تستحق تعظيما فانها ان كانت مجسمة فعملها حرام واتلافها واجب وان كانت غير مجسمة فعملها حرام او مكروه واتلافها واجب او مستحب وطافوا وتبركوا بها لم يجعله الله مباركا (والمسلمون) عظموا من امر الله بتعظيمه حيا وميتاً وجعله معظما من الأنبياء والصالحين وقبورهم وطافوا وتمسحوا وتبركوا بها لتشرفها باجسادهم الشريفة كما تشرف الجلد المعمول للمصحف فهل يسوي بين هؤلاء وهؤلاء الا جاهل مضل او معاند (والمشركون) عبدوا تلك الأحجار والأشجار بأنواع العبادات التي نهاهم الله تعالى عنها فسجدوا لها وذبحوا ونحروا لها مهلين بأسمائها على ذبائحهم دون اسم الله تعالى وطلوها بدمائها واعرضوا عن عبادة الله بالكلية وقالوا لا قدرة لنا على عبادته فنحن نعبدها لتقربنا اليه واعتقدوا ان لها شرفا ذاتيا واستحقاقا للعبادة بالاستقلال واختياراً وتدبيراً وكانوا يقولون (اعل هبل) قاصدين أن تكون كلمة الأصنام ودين الجاهلية هي العليا وكلمة الله ودين الإسلام هي السفلى فأجابهم النبي (ص) بقوله (الله أعلى وأجل) فأعرضوا عن ذكر الله واكتفوا بذكرها وكذبوا الرسل الذين نهوهم عن عبادتها ولم يكتفوا بذلك بل بدلوا دين الله وغيروا أحكامه ومنهم من عبد الملائكة وسماهم بنات الله (والمسلمون) لم يعبدوا نبياً ولا صالحا ولا قبره بل عبدوا الله وحده فلم يسجدوا لقبر ولا لولي ولم يذبحوا له ولم يذكروا اسمه على ذبيحتهم بل ذبحوا لله وحده وذكروا اسمه على المذبوح واهدوا ثواب الصدقة بالذبيحة اليه فهل يسوي بين عمل المسلمين هذا وعمل المشركين الا جاهل أو مكابر (وسيأتي) لهذا مزيد توضيح في الباب الثالث ومر في رد كلام ابن عبد الوهاب في هذا الباب ما له علاقة بالمقام فراجع ومن ذلك يظهر فساد استشهاده بآية ﴿اذ نسويكم برب العالمين﴾ وان المسلمين بتشفعهم وتبركهم وتعظيمهم لمن جعله الله شافعاً مباركاً عظيماً لم يسووه برب العالمين (قوله) ومنهم من كان يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد. قد عرفت في رد كلام ابن عبد الوهاب ان عبادتهم للملائكة لم تكن مجرد التوسل والتشفع الذي يقع مثله من المسلمين فلا نطيل باعادته (قوله) وان لا يدعوا مع الله احداً ستعرف في فصل الدعاء ان المنهي عنه ليس هو ما يقع من المسلمين من طلب الشفاعة وان آية له دعوة الحق لا دلالة فيها على شيء مما يزعمونه

(قوله) كما عرف من علم البيان ان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر. كيف ذكر ما قاله علماء البيان هنا ونسي ما قالوه في باب المجاز العقلي من ان قول أنبت الربيع البقل اذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً من باب الإسناد الى الزمان واذا قاله الدهري كان حقيقة ولم يعمل به في طلب المسلمين من النبي أو الولي عافية المريض او قدوم الغائب ونحو ذلك فيجعله مجازاً عقلياً من باب الإسناد الى السبب وقرينته ظهور حال المسلم كما جعل اهل البيان انبت الربيع البقل مجازاً عقلياً وقرينته صدوره من مسلم بل كفر به المسلمين واستحل اموالهم ودماءهم (قوله) فاعتقدوا انهم يضرون وينفعون تقدم الكلام على مثله آنفا فراجع (قوله) ويقربون الى الله ويشفعون عنده. نعم يقربون الى الله بدعائهم لنا ويشفعون لنا عنده ودعاء المؤمن لأخيه فضلا عن النبي والشفاعة لا ينكرهما الوهابية كما ستعرف أما الأحجار والأشجار فليست لها هذه الصفة فبطل القياس (قوله) فدعوهم الى قوله وتمسحوا بها سيأتي الكلام عليها مفصلا في الفصول الاتية (انتهى) وباقي كلامه يفهم رده مما مر (قوله) فجعل اتخاذهم للشفعاء شركا سيأتي الكلام عليه مفصلا في فصل الشفاعة وان هذه الدعوى محض افتراء على الله تعالى وان اتخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة كنبينا (ص) هو عين اطاعة الله تعالى وان جعله شركا من أعظم الموبقات واقبح الافتراءات عليه تعالى وكذا بقية كلامه الذي من هذا القبيل (قوله) والأسماء لا تغير المعاني (نعم) لا تغيرها فتسمية الوهابية الأنبياء والأولياء وقبورهم ومشاهدهم اوثانا لا تجعلها أوثانا وتسميتهم طاعة الله وما امر به من تعظيم اوليائه والتشفع بهم شركا لا تجعله شركا وتسمية انفسهم الموحدين لا تجعلهم كذلك بعد ما نسبوا الى الله التجسيم ولوازم الحدوث. وقياسه تسمية القبر مشهداً والرجل ولياً بمن يسمي الخمر نبيذاً والشجرة المنهي عنها شجرة الخلد والحشيشة لقمة الراحة والظلم أدبا قياس فاسد وجهل محض فالمسلمون سموا محل القبر مشهداً بكرم صاحبه على الله ومكانته عنده وشرفه لديه باخلاصه له في العبودية وتشرفه بجسده تشرف الأديم والورق والمداد بكلام الله تعالى وسموا من اخلص لله في العبودية والطاعة ولياً كما سماه الله تعالى بقوله: ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الاية. الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وغير ذلك. نعم قد يطلق اسم الولي على من لا يستحق ذلك لكونه معتوهاً أو مشعوذاً أو مع كونه جاهلا أو فاسقاً ولكن هذا لا يوجب أن يكون اطلاقه

على أهله خطأ و إثما (وكون) بعض الناس قد يعتقد في فسقة الأحياء وجهالهم لا يوجب فساد اعتقادهم في شفاعة الأنبياء والأولياء وطلب دعائهم (أما استدلاله) على كون ما يسمى مشهداً أو ولياً هو وثن وصنم بأنهم يعاملونها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت ويستلمونهم استلامهم لأركانه فيظهر فساده مما ستعرف في الفصول الاتية فان طوافهم بقبورهم واستلامهم لها تبركا بها وبمن فيها لمكانتهم عند الله وشرفهم عنده باخلاصهم له في العبودية وبذلهم أنفسهم في طاعته هو طاعة لله الذي جعلهم مباركين وميزهم عن عباده كما ميز البيت وأركانه وشرفها بالطواف والاستلام وهي أحجار وجماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ومن ذلك تعرف انه لم يعامل احد الأنبياء والأولياء وقبورهم معاملة الأصنام بل عاملوهم بما امر الله أن يعاملوهم به وان هتافهم بهم لطلب الدعاء والشفاعة الذي لا محذور فيه (أما قولهم) على الله وعليك فلا يراد به الا على الله قضاء حاجتي وعليك الشفاعة عنده ودعاؤه في قضائها وهذا مقصد صحيح لا مغمز فيه ولا محذور ولا يريدون مساواته بالله تعالى في القدرة والطلب منه فهو نظير قوله تعالى: ﴿ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ فكيف نسب الله الإيتاء اليه والى رسوله على السواء في ظاهر اللفظ وامر المسلمين أن يقولوا ذلك ولم يكن ذلك شركا وكان قوله على الله وعليك شركا وكفراً وهو مثله ونظيره ولو فرض جهل مقصدهم لوجب الحمل على ما ذكرنا لوجوب حمل أفعال المسلمين واقوالهم على الصحيح مهما امكن كما مر في المقدمات وكذا هتافهم بأسمائهم عند الشدائد لا يرد به الا ذلك كما تكرر بيانه واتفاق اهل جميع بلاد الإسلام على المناداة بذلك واستمرار سيرتهم عليه أقوى دليل على اجماع المسلمين على ذلك واخذ الخلف له عن السلف واجماع المسلمين وسيرتهم حجة كما مر في المقدمات (اما قوله) ان افراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الخ فهو على اطلاقه بالنسبة الى الدعاء والنداء والاستعانة والخضوع والتذلل وامثال ذلك فاسد لما عرفت وستعرف من أن مطلق هذه الأمور لا يكون عبادة منهياً عنها او موجباً للشرك وان الممنوع منه ما كان خلافا على الله ومعاندة لأمره وتعبداً بما لم يأذن به وان ما يفعله المسلمون خارج عن ذلك كله واما النذر والنحر فيأتي كل منهما في فصله (قوله) من اعتقد في شيء من ذلك انه ينفع أو يضر مر الكلام في مثله ويشمل كلامه هذا من سأل رجلا ان يدعو له واعتقد انه ينفعه بدعائه ومن

اعتقد في شخص انه يضره بدعائه عليه أو نحو ذلك ومن اعتقد في شخص حي انه ينفعه ببره أو يضره بشيء من مضار الدنيا فيلزم كفر الجميع (قوله) او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع الخ سيأتي الكلام عليه في فصل الشفاعة.

(اما الحديث) الذي قال ان فيه مقالا فهو حديث سؤال الأعمى الاتي في فصل التوسل حيث امره النبي (ص) ان يتوسل به الى الله وستعرف انتفاء كل مقال عنه واذا كان التوسل به (ص) في حياته ومماته شركا وكفرا كما يقتضيه قوله حي او ميت فيلزم القطع بكذب هذا الحديث لا ان يكون فيه مقال. أما استشهاده بالحديث القدسي انا اغنى الشركاء الخ فغريب لأنه وارد في الرياء كما صرح به بعد ذلك وانه تعالى لا يقبل عمل المرائي وتسمية الرياء شركا في الأخبار من باب المجاز والمبالغة كتسمية بعض الذنوب كفراً كما بيناه في الأمر الخامس من المقدمة الثانية والا فلم يقل احد بأن المرائي صار كافراً مشركا حلال المال والدم حتى يتوب ولا نظن ان الوهابيين يلتزمون بذلك وان كان لا يستبعد شيء من جمودهم وتعسفهم وتعنتهم وقد صرح بعضهم في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (١) بأن الرياء لا يخرج عن الملة وانه شرك أصغر ومن ذلك ظهر ان استشهاده اخيراً بتسمية الرياء شركا لا محل له (أما استشهاده) بتسمية حواء ولدها بعبد الحارث بأمر من ابليس الذي تسمى بالحارث وتسمية الله له شركا فعجيب فان ابليس ما أراد بأمرها ان تسميه بعبد الحارث اي عبد الشيطان الا ان يكون عبداً له كما هو عبد الله فاذا اطاعته حواء في ذلك فقد جعلت له شريكا فيما آتاها فهل يقاس بذلك المتشفع الى الله بمن جعل الله له الشفاعة والمعظم لمن جعله الله عظيما والمتبرك بمن جعله مباركا الى غير ذلك (قوله) والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم. لا كلام لنا فيمن يعتقد في جهال الأحياء والأموات وضلالهم فنحن لا نعتقد فيهم ونخطىء من يعتقد فيهم وانما كلامنا في الأنبياء والأولياء والصلحاء (قوله) فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز ان يعتقد الا في الله الى قوله ونحروا تقرباً اليهم. قد عرفت اننا لم نعتقد فيهم الا ما جعلهم الله له أهلا. وستعرف انه لم يجعل احد لهم جزءا من المال وانما ينذر الصدقة

---

(١) صفحة ٢٥.

واهداء الثواب اليهم الذي ثبت جوازه في الشرع وان زيارة قبور الأنبياء والصلحاء والقصد اليها مما يتقرب به اليه تعالى وان الطواف حول قبورهم التي بوركت بهم كما بورك جلد الشاة والورق بالمصحف والخضوع عندها احتراما لأهلها لا محذور فيه وهو اطاعة لله تعالى وان الهتاف بأهلها عند الشدائد لطلب دعائهم وشفاعتهم لا مانع منه وان النحر هو تقرب الى الله لا اليهم وانما يهدى ثواب الصدقة بالمنحور لهم وانه ليس في شيء من ذلك شائبة العبادة لغيره تعالى (أما السجود على العتبة) الذي حكاه عمن يثق به فالذي نظنه ان هذا المخبر رأى من يقبل العتبة فظنه سجوداً وتقبيل العتبة كتقبيل الضريح تعظيما له وتبركا به لا مانع منه ولا محذور فيه وان اباه جمود الوهابية وتعنتهم وستعرف ذلك في فصل التبرك بقبور الصالحين باللمس والتقبيل وغير ذلك وان صح ما نقل من السجود على عتبة مشهد الولي ولا نظنه صحيحا فيجب حمله على السجود لله تعالى شكراً له على التوفيق لزيارة النبي او الولي التي ثبت انها طاعة كما ستعرف اذ لا يظن ولا يحتمل بمسلم السجود لغير الله وهو يعلم انه غير جائز فما دام له محمل صحيح لا يجوز حمله على الفاسد ولا يجوز الحكم بكفر فاعله كما مر في المقدمات نعم الأرجح تركه لأنه موهم للسجود لغير الله (قوله) هذا جهل منهم بمعنى الشرك. قد ظهر بما عرفت وستعرف انه أحق بنسبة الجهل اليه (قوله) فان تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك. بل تعظيم من عظم الله من الأنبياء والأولياء والصلحاء من أعظم الطاعات لله تعالى ونسبة فاعلها الى الشرك وعدم تعظيمهم بل اهانتهم بهدم قبورهم وجعلها معرضا لكل هوان من أعظم الموبقات التي ان لم تكن كفراً لمخالفتها اجماع المسلمين بل ضرورة الدين لا تنقص عن الكفر والشرك وقد عرفت مما ذكرناه ان ما يفعله المسلمون بعيد عما فعله المشركون اكثر من بعد السماء عن الأرض وان افعالهم تصدق اقوالهم ولا تكذبها (قوله) خرج الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها. قد مضى في رد كلام ابن عبد الوهاب ان الذي ذكره الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر استهزاء او عناداً او اعتقاداً كفر لا مطلق من قالها (قوله) وهذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد بل ما عرفت دال على انه ومن تبعه لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا الشرك ويرمون المسلمين بما هم منه براء وافحش من هذا كله قوله فصاروا حينئذ كفاراً كفراً اصلياً افتراء تكاد السماوات يتفطرن

منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ان يكون المسلمون المقرون لربهم بالوحدانية ولنبيه بالرسالة والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة والقائمون بجميع فروض الإسلام كفاراً كفراً اصلياً موجباً لحل دمائهم واموالهم واعراضهم لماذا لأنهم يسألون الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة ويستغيثون بمن جعله الله مغيثاً ليدعو الله لهم في نجاح مطالبهم وهم لا يعتقدون الا انه نبي شرفه الله بالرسالة ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً الا بأمر الله تعالى (قوله) فمن نادى الله الى قوله فان الدعاء من العبادة الخ ستعرف تفصيل الجواب عنه بما لا مزيد عليه في فصل الدعاء والاستغاثة وان طلب الشفاعة والاستغاثة بمن جعله الله شافعا ومغيثا لا يدخل في ذلك وقد بان من ذلك انهدام ما بناه على هذا الوهم الفاسد من الأسئلة والأجوبة الفاسدة بقوله اذا كانوا مشركين وجب جهادهم الخ والسؤال الذي بعده المتضمن لقصة أسامة وجوابه المتضمن تشبيه المسلمين بطلبهم الشفاعة من النبي (ص) واستغاثتهم به ليدعو الله لهم باليهود المنكرين بعض الأنبياء المتمسكين بشريعة منسوخة وببني حنيفة القائلين ان مسليمة نبي او الذين اعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من الضروريات وبأصحاب عبد الله بن سبأ القائلين لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب انت الله وبمنكري البعث وبالخوارج الذين هم اشبه الناس بالوهابية كما عرفت في المقدمات والذين أنكروا حب علي بن ابي طالب وهو من ضروريات الإسلام واستحلوا دماء المسلمين وكفروهم كما انكر الوهابيون حرمة قبر رسول الله (ص) ووجوب تعظيمه وهي من ضروريات الدين وجعلوه وثناً وصنماً واستحلوا دماء المسمين وكفرهم (قوله) هذا جهل بمعنى العبادة فانها لا تنحصر فيما ذكرت بل رأسها واساسها الاعتقاد الخ كأنه يريد انهم يعتقدون فيهم انهم يقدرون على ما يطلب منهم فيصنعون ما يتفرع عن الاعتقاد من الدعاء والنداء الخ (فنقول) هذا جهل منه واضح فالمتشفعون والمتوسلون من المسلمين بالأنبياء والأولياء والصالحين لا يعتقدون فيهم انهم يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا وان الأمر كله لله وانما يعتقدون فيهم ما جعلهم الله له اهلا من الشفاعة والوسيلة واجابة الدعاء وانه ميزهم على غيرهم من الخلق وقربهم منه بطاعتهم له فمعتقد ذلك فيهم مصيب لا مخطىء فلذلك يدعونهم ليشفعوا لهم عند من جعل لهم الشفاعة ويتوسلون بهم الى من جعل لهم الوسيلة ويستغيثون ويستعينون بهم ليسألوا الله في قضاء حوائجهم ويحلفون بهم لأن

لهم قدراً وشأناً عند الله تعالى بإطاعتهم وستعرف في فصل الحلف انه لا محذور فيه وينذرون النذور ويهدون ثوابها اليهم الى غير ذلك فهذا الاعتقاد لا مساس له بالعبادة حتى يجعل اسها ورأسها والمتفرع عنه لا ضرر فيه ولا محذور (قوله) وقد ذكر العلماء ان من تزيا بزي الكفار صار كافراً فمع انا لم نر ذلك في كلام العلماء ولو فرض فلا دليل عليه وانما يكون آثما. فيه ان قياسه بما يفعله المسلمون قياس فاسد لما عرفت من ان ما يصدر من المسلمين لا محذور فيه والعجب من هؤلاء تارة يجعلون ما ينسبونه الى العلماء حجة وتارة يكفرون جميع المسلمين عالمهم وجاهلهم ولا يعبأون بما استمرت عليه سيرتهم جيلا بعد جيل (قوله) ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً (أقول) قد عرفت انهم يكفرونه بذلك اذا قالها استهزاءاً أو عناداً أو اعتقادا لا مطلقاً كما يقتضيه كلامه (قوله) فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولا وفعلا قد عرفت انه لم يعتقد الا ما هو الواقع ولم يقل ولم يفعل الا ما هو الصواب.

وقال ابن تيمية في رسالة الواسطة (١) في جواب مسألة عن رجلين تناظرا فقال أحدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك: ان أراد انه لا بد من واسطة تبلغنا امر الله فهذا حق (الى ان قال) وان أراد انه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار (الى ان قال) فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين (الى ان قال) ومن أثبت مشائخ العلم والدين وسائط بين الله وخلقه كالحجاب بين الملك ورعيته يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه فالله انما يهدي ويرزق بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله تأدبا أو لأن سؤالهم أنفع لقربهم فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل انتهى.

(١) صفحة ٦٦ ـ ٧٠ طبع المنار بمصر.

(والجواب) ان ما ذكره من القول بأنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار أو ان المشائخ وسائط كالحجاب بين الملك ورعيته والله لا يهدي ولا يرزق الا بتوسطهم غير موجود لأحد من المسلمين فسواء كان جعل ابن تيمية له كفرا وشركا صوابا أو خطأ لا يضر احداً وذكره له تطويل بلا طائل فلا نطيل برده وان كانت دعواه الإجماع على التكفير بالأول غير ثابتة ولا مستند لها ومن الذي عنون هذه المسألة الفرضية وتكلم على حكمها من المسلمين حتى يدعى اجماعهم على ذلك على ان مجرد سؤال غفران الذنب وتفريج الكرب ونحو ذلك لا يعد غلطا وخطأ فضلا عن أن يكون شركا وكفراً لأنه محمول على الصحة من باب المجاز في الإسناد بارادة الإسناد الى السبب كما فصلناه في المقدمات وفي تضاعيف ما مر كما ان حكمه بكفر وشرك من اثبت المشائخ واسطة على النحو المذكور واستحلال دمه ان لم يتب. لو فرض وجود من يعتقد ذلك لا دليل عليه وهو تهجم على الدماء وتقول على الله لأن الظاهر ان مراده انهم وسائط وشفعاء الى الله في ذلك لا انهم يفعلونه من أنفسهم كما صرح به في قوله ومن اثبت مشائخ العلم الى قوله فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله تأدبا (ودعوى) انها كعبادة الأصنام والاعتقاد فيها يدفعها ما مر ويأتي مفصلا من ان عبادة الأصنام واشراك عابديها ليس من هذا القبيل نعم اعتقاد ذلك غلط وخطأ اما ان معتقده كافر مشرك فلم يقم عليه دليل ان لم يقم على عدمه.

وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٨ ان الوهابي ارسل كتابا الى شيخ الركب المغربي ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته وفيها بعد المقدمة ما نصه: ان الرسول (ص) اخبرنا بأن امته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعا بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه (ص) لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن واخبر في الحديث الاخر ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الأرض والسماوات وكذلك التقرب اليهم بالنذر وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد

وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادة التي لا تصلح الا لله وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى اغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا كما قال تعالى: ﴿فاعبدوا الله مخلصين له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ فاخبر سبحانه انه لا يرضى من الدين الا ما كان خالصا لوجهه واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده واخبر انه لا يهدي من هو كاذب كفار وقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ فاخبر انه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم وذلك ان الشفاعة كلها لله ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه. فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم. يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ وهو لا يرضى الا التوحيد (١) ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله كما قال ﴿وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً. ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ فاذا كان الرسول (ص) وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع الا باذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر لله ساجدا فيحمده بمحامد يعلمه اياها ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من العلماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم واما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عنده واتخاذها أعيادا وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي اخبر بها النبي (ص) امته وحذر منها كما في الحديث. لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الأوثان وهو (ص) حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي

---

(١) ولا موحد الا الوهابيين فلا شفاعة الا لهم.

الى الشرك فنهى أن يجصص القبر وان يبنى عليـه كما ثبت في صحيح مسلم من حـديث جابر وثبت فيه أيضاً انه بعث علي بن ابي طالب وامره ان لا يدع قبراً مشرفا الا سـواه ولا تمثالا الا طمسه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها اسست على معصية الرسول (ص) فهذا هو الذي أوجب الاختـلاف بيننـا وبين النـاس وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله (ص) واجماع السلف الصالح من الأمة ممتثلين لقوله تعالى: ﴿وقاتلـوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (الى ان قال) ونعتقد أيضاً ان امة محمد المتبعين للسنـة لا تجتمع على ضلالـة وانـه لا تـزال طـائفـة من امتـه على الحق منصـورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك انتهى.

(والجواب) عما تضمنه هذا الكتاب مما روي عنـه (ص) من اتبـاع هـذه الأمـة سنن الأمم قبلها كاليهود والنصارى انه لا يبعد ان يكون النبي (ص) أشـار بـه الى الـوهـابيـة فاؤلائك اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد ورد في الحديث انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم وهؤلاء قلدوا محمد بن عبد الوهاب في كل ما يقوله فحرم عليهم حلالا كالتشفع والتوسل بذوي المكـانـة عنـد الله ونحو ذلك وحلل لهم حراما وهو سفك دماء المسلمين واستباحة أموالهم واعراضهم فاتبعوه بدون تحقيق ولا تمحيص للأدلة حتى كأن كلامه وحي منزل وهو ممن يجوز عليـه الخطأ وادلته التي يستدل بها كلها ضعيفة واهية كما بيناه في هذا الكتـاب وهم يأخـذونها بالقبول ولا يقبلون عليها رداً ولا في مقابلها دليلا ولا يحيدون عنها قيد انملة ولا يزيـدون عليها ولا ينقصون منها كلمة واحـدة ويتـوارثهـا آخـرهم عن أولهم بلفظ واحـد ومعنى واحد ويسمون انفسهم بـالسلفيين أي انهم اتبـاع السلف واذا اورد لهم شيء من اقـوال السلف يخالف معتقدهم لا يتحاشون من نسبة قائله الى الشرك والكفر ويقولون مقتدانا الكتـاب والسنـة فهم في خطأ على الحالين فـان اقـوال السلف ليست وحيـاً منـزلا ولا اصحابها معصومون من الخطأ حتى نقلدهم على كل حال واذا جاز تقليـدهم فما بـالنـا نقلدهم تارة ونكفرهم اخرى وستعرف في الفصول الاتيـة مخالفـة السلف للـوهـابيين في الشفاعة والتوسل وزيارة القبـور والبنـاء عليهـا وغير ذلك ممـا تجده في تضـاعيف هـذا الكتاب (وأما) ما تضمنه الكتاب المذكور من الحديث القائل ان الفرقة الناجيـة هي من

كان على مثل ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فهو من البديهيات والضروريات التي لا تحتاج الى الاستدلال بالأحاديث واطالة الكلام اذ لا شك في أن متبع النبي (ص) ناج ومخالفه هالك والا لم يكن نبيا وقد قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وما كان عليه النبي (ص) هو دين الإسلام واصحابه اقتدوا به واتبعوه عليه فالميزان في الحقيقة هو ما كان عليه النبي (ص) فقط لأن اتباع أصحاب النبي (ص) المتبعين له اتباع له (ص) وان خالفوه لم يجز اتباعهم وأي مسلم يشك في وجوب اتباع النبي (ص) دون غيره اللهم انا لا نتبع الا طريقة رسولك وسنته ونبرأ اليك ممن خالفها ولو ظهر لنا ان الاستغاثة والتشفع والتوسل بذوي المكانة عندك وتعظيم قبور الأنبياء والصالحين تخالف سنة نبيك (ص) لكنا أول من تبرأ منها وهذا ليس محلا للكلام ولا محطا للأنظار وانما محل الكلام معرفة ما كان عليه النبي (ص) واتبعه عليه اصحابه فقد وقع الاختلاف الكثير فيه بين المجتهدين وعلماء المسلمين فما اثبته هذا نفاه ذلك (وكل يدعي وصلا بليلى) وكل يقول ان قوله هو ما كان عليه الرسول (ص) واصحابه ولا يوجد من يقول اني لا اتبع ما كان عليه الرسول (ص) واصحابه بل الصحابة انفسهم اختلفوا في مسائل عديدة ليس هذا محل تفصيلها وستعرف ان الاستغاثة بذوي المكانة طلباً لدعائهم والاستشفاع بهم اليه والبناء على القبور والصلاة عندها سيرة المسلمين خلفا عن سلف وسيرة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وقد اعترف صاحب الكتاب بحجية اجماع السلف الصالح وان الأمة لا تجتمع على ضلالة وتقييده الأمة بالمتبعين للسنة لا يظهر له معنى ولا فائدة اذ لا يوجد مسلم تظهر له سنة رسول الله (ص) ويقول لا اتبعها وانما أراد بذلك ان يحفظ لنفسه خط الرجعة فيحصر اتباع السنة بالوهابيين فقط حينما يحتج عليه احد بإجماع الأمة وانى له ذلك فان ثبت قول الرسول (ص) لا تجتمع امتي على ضلالة كان ذلك دالا على ان ما اتفقوا عليه هو من سنته وعلى طبق شريعته فهذا القيد الذي قيد به فضول فاسد ومر في المقدمات ان سيرة المسلمين واجماعهم كاشف عن ان ذلك مما كان عليه النبي (ص) (قوله) وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين واجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ستعرف في الفصول الاتية عدم صحة هذه الدعوى وان الذي اجمع عليه السلف الصالح وعلماء المسلمين خلاف ما عليه

الوهابية (أما) باقي الكتاب فيفهم رده مما مر في كلام ابن عبد الوهاب والصنعاني فان كلماتهم كلها تدور على محور واحد.

وعن تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي انه حكى عن عبد اللطيف حفيد ابن عبد الوهاب انه قال: ذكر طرف من معتقد المغالين في القبور والصالحين. ونذكر لك طرفا من معتقد هؤلاء ليعلم الواقف عليه أي الفريقين احق بالأمن ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلا مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق. من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ودعاؤهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها الا الله والعكوف حول أجداثهم وتقبيل اعتابهم والتمسح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والأمطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار وسؤالهم تزويج الأرامل والأيامى واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية واعطاء تلك المراتب السامية. وجماهيرهم لما ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والإنابة اليه بل ليس ذلك عندهم الا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء والإنابة الى الله تعالى في كشف الشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقائق ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في اصول الديانات والتوحيد واما ميت القلب بليد الذهن وضيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد أهل المقابر والتنديد فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج وخطابه محض عناء ولجاج. ومن وقف على كتب المتصوفة ومناقب مشائخهم وقف على ساحل بحر من ضلالهم وفي حاشية البيجوري على السنوسية نقلا عن الدردير عن الشعراني ان الله وكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حاجة من سأل ذلك الولي فقف هنا وانظر الى ما آل اليه افكهم فاين هذا من قوله تعالى: ﴿واذا سألك عبادي عني الاية. ادعوا ربكم تضرعا وخفية. فاذا فرغت فانصب

والى ربك فارغب. ام من يجيب المضطر اذا دعاه. وقال ربكم ادعوني استجب لكم واي حجة في هذا الذي قاله الشعراني لو كانوا يعلمون ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة شمس الدين الجنفي انه قال في مرض موته من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب أن اقضيها له فانما بيني وبينه ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل وباب تصرف المشائخ والأولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الإسلام من أهل البسيطة وخرقه قد هلك في بحاره أكثر من سكن الغبراء واظلته المحيطة حتى نسي القصد الأول من التشفع والوساطة فلا يعرج عليه عندهم الا من نسي عهود الحمى فعاد الأمر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى الى هذه الغاية بل ذكر الله عز وجل انهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الإلهية. ومن عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله ان امرأة كف بصرها فنادت وليها أما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق الا حبك انتهى (وروى) ان بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين وكثير من علماء مصر يقول لا يدق وتد في القاهرة الا بإذن السيد احمد البدوي وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية ومن المعروف عندهم شراء الولدان من الولي بشيء معين يبقى رسما جاريا يؤدى كل عام وان كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه ولا يمانع هذا الا مكابر في الحسيات وان فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر وهذا أشد واشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ الاية وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تذبح وسوق الهدايا والقرابين الى مشاهد الأولياء وذبحها حبا للشيخ وتقربا اليه وهذا وان ذكر اسم الله عليه فهو أشد تحريما مما ذبح وذكر عليه اسم غير الله فان الشرك في العبادة اكبرمن الشرك بالاستعانة. ومن ذلك

ترك الأشجار والكلاء والعشب اذا كان بقرب المشهد وجعله من ماله (ومنها) الحج الى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون وبعض مشائخهم يأمر الزائر بحلق رأسه اذا فرغ من الزيارة وقد صنف بعض غلاتهم كتابا سماه حج المشاهد (ومنها) التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من اهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر بل فيه البحر الذي لا ساحل له والمهامه التي لا ينجو سالكها ولا يكاد ومن نحوه عرف الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له إلمام بالتواريخ ومبدأ الحوادث في الدين ومن شاهد ما يقع منهم عند مشهد علي والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد رضي الله عنهم عند رافضتهم والشيخ عبد القادر والحسن البصري والزبير وأمثالهم رضي الله عنهم عند سنتهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وانواع الموبقات علم أنهم من أجهل الخلق وأضلهم وانهم في غاية من الكفر والشرك ما وصل اليها من قبلهم ممن ينتسب الى الإسلام والله المسؤول ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويمحو هذه الضلالات حتى يعبد وحده فتسلم الوجوه له وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها انتهى.

(ونحن) نبين لك بأجلى بيان ان ما نسبه الى المسلمين والى زوار قبور الأئمة والصالحين بعضه زور وبهتان وبعضه لا يستلزم الشرك ولا العصيان ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن وبتسميته بالمسلم الموحد المطيع لله ولرسوله والمتبع سنة نبيه (ص) ان كان الواقف ممن سلم من العصبية والعناد وتقليد الأباء والأجداد ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لضلالهم ومحالهم توحيداً ولتعظيم من امر الله بتعظيمه شركا وكفراً ولمخالفة السنة واجماع المسلمين وطريقة السلف اتباعا للسنة وللسلف مع ما في ذلك من الهلاك المتناهي واستباحة الدماء والأموال التي حرمها الله تعالى عند من يعقل الحقائق. زعم ان المسلمين يحبون مع الله محبة تأله. نعم انهم يحبون في الله ولله وبأمر الله وتلك لا تخرج عن محبة الله اما انهم يحبون مع الله فان أراد المعية في الوجود فلا محذور فيه وان أراد المساواة لمحبة الله كما في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ فالمسلمون مبرؤون من ذلك واين محبة المشركين للأصنام واطاعتهم لهم المخبر عنها في الاية كما عن قتادة ومجاهد وأكثر

المفسرين الذين لا يستحقون محبة ولا اطاعة أو لرؤسائهم الذين كانوا يطيعونهم كما عن السدي من محبة المسلمين للأنبياء والأولياء والصلحاء التي هي محبة لله تعالى لأمره بها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم (ص) بقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى. ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا. فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم﴾ وقرن حب رسوله (ص) بحبه في قوله: ﴿أحب اليكم من الله ورسوله﴾ وعن انس ان رسول الله (ص) قال (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين) أخرجه البخاري ومسلم ولابن ماجة في سننه عن العباس بن عبد المطلب قال رسول الله (ص). (ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني) وقال رسول الله (ص) في علي (ع) يوم خيبر (لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) اخرجه الشيخان وقال له (يا علي حبك ايمان وبغضك نفاق) الى غير ذلك ولا يتم الحب لله تعالى الا بحب هؤلاء لأن حبهم من حبه تعالى لأنه عن أمره ولأن المؤمن انما يحبهم لأنهم عباد الله المطيعون لأمره المتفانون في طاعته المجاهدون بأموالهم وانفسهم في سبيله ولأعلاء كلمته واحياء دينه فكلما كمل ايمان المؤمن وإسلامه كملت محبتهم في قلبه وهيهات ان يكمل إسلام المسلم وإيمانه بدون كمال محبتهم فمن جعل كمال محبتهم من اسباب الشرك كهذا الرجل واهل نحلته فهو بعيد عن الإسلام والإيمان مستحق لسخط الرحمن بنص قوله (ص) لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب اليه من ولده ووالده فحبهم مع الله لله ولقرابتهم من رسول الله (ص) من متممات الإسلام والإيمان فأي الفريقين أحق بالأمن أمن يجعل كمال حبهم من اسباب الشرك أم من يعتقده من متممات الإيمان كما جعله الله ورسوله (ومنه يعلم) ان قوله محبة تأله افك وافتراء وان ما يحكى عن كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب من قوله: ان من يحقق محبة مشركي زماننا لالهتهم التي يسمونها بالأولياء يعلم يقيناً انهم يحبونها أكثر من محبتهم لله ويتصدقون لوجهها مما لا يقدرون ان يتصدقوا بعشرة في وجه الله ـ أيضاً كذب وافتراء فليس احد من المسلمين الذين سماهم مشركين يحب احداً من الناس نبياً أو وليا الا في حبه تعالى لكونه محبوبا له مقربا عنده بطاعته له تعالى فحبه حب لله غير خارج عنه فضلا عن ان يكون اكثر من حبه تعالى ولا يتصدق واحد لوجوههم وانما يتصدق عنهم

لوجهه تعالى فيهدي الثواب اليهم (قوله) وخضوع ورجاء أما الخضوع فحاصل ولا محذور فيه واما الرجاء فيرجون منهم الدعاء والشفاعة ومنه تعالى إجابة دعائهم وقبول شفاعتهم وهذا لا محذور فيه أيضاً وهو عين اطاعته تعالى وعبادته كما مر مراراً (قوله) ودعائهم مع الله في المهمات والملمات الخ قد عرفت انهم لا يدعونهم لكشف المهمات ودفع الملمات ليكشفوها بأنفسهم وانما هو طلب الدعاء والشفاعة (قوله) والعكوف حول اجداثهم سمى زيارة قبورهم وتلاوة القرآن والصلاة والدعاء وطلب الحوائج من الله تعالى عندها والتبرك بها ونحو ذلك عكوفا تشبيهاً بالعكوف على الأصنام كما سماه غيره من أصحاب نحلته على ما مر وقد عرفت وستعرف ان ذلك كله مطلوب مرغوب فيه شرعا لا مانع منه ولا محذور فيه سواء سماه عكوفا او لا. وقد روى البخاري في صحيحه لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته على قبره قبة ولبثت هناك سنة كاملة (قوله) وتقبيل أعتابهم والتمسح بآثارهم ستعرف في فصل التبرك بالقبور ان تقبيل الأعتاب والقبور والتمسح بها وبآثار الصالحين تبركا وتعظيما جائز وراجح لا مانع منه ولا محذور فيه طلباً للغوث بالشفاعة والدعاء واستجابة الدعاء منه تعالى ببركة المكان والمكين (قوله) واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة وهذا لا مانع منه فالثلاثة حاصلة منا لله تعالى بلا ريب واظهارها عند قبر النبي او الولي لشرفه وحاصلة منا للنبي أو الولي لطلب دعائه وشفاعته (قوله) واستنزال الغيث والأمطار لا مانع من ذلك ببركتهم ودعائهم وشفاعتهم وهو نظير ما يأتي من ان اهل المدينة قحطوا فقالت عائشة انظروا قبر النبي (ص) فاجعلوا منه كوة الى السماء فمطروا (قوله) وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار ولا مانع منه بتسببهم بالدعاء والشفاعة وسيأتي في فصل الدعاء والاستغاثة استغاثة من اضل شيئاً أو اراد عونا في ارض ليس فيها انيس بقول يا عباد الله اعينوني أو اغيثوني ففيه طلب السلامة من شدائد البراري والبحار من غير الله تعالى (قوله) وسؤالهم تزويج الأرامل والأيامى الى قوله المطالب العالية لا مانع من ذلك بطلب دعائهم وشفاعتهم ولو كان ظاهر اللفظ اسناد الأفعال اليهم حملا لفعل المسلم وقوله على الصحة من باب المجاز في الإسناد كما مر في المقدمات (قوله) وتأهيلهم لمغفرة الذنوب الخ هذا كذب وافتراء منه على المسلمين فكلهم يعلم انه لا يغفر الذنوب ولا ينجي من الهاوية ولا يعطي المراتب السامية في الجنان الا الله قد قرأوا ذلك في كتاب

ربهم وعرفه عامتهم وخاصتهم وهيهات ان يؤهل أحد منهم احداً من المخلوقين نبيا فمن دونه لمغفرة الذنوب وانما يرجون بتوسلهم بالأولياء والصالحين وتشفعهم بهم وطلب دعائهم واستغفارهم وزيارة قبورهم ومحبة الرسول (ص) واهل بيته ان يغفر الله لهم وينجيهم من الهاوية ويعطيهم المراتب السامية وقد وعد الله تعالى على لسان نبيه (ص) المتمسك بهم النجاة بقوله (ص) مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى. مثل اهل بيتي كمثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله كان آمنا ولكن يأبى قصد ترويج الباطل لهؤلاء الا الكذب والافتراء وقذف المسلمين بما هم منه براء (قوله) وجماهيرهم لما الفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والإنابة اليه بل ليس ذلك عندهم الا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء والإنابة الى الله تعالى في كشف الشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب والكلام مع ذكي القلب ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في اصول الديانات والتوحيد واما ميت القلب بليد الذهن ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد اهل المقابر فذاك فاسد الفطرة وخطابه محض عناء. هذا ايضاً افتراء منه على المسلمين فكلهم يعلم ان القادر المختار على كل شيء هو الله تعالى وحده وان النبي فمن دونه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرا الا باذن الله وانه لا ينفع الا قصده تعالى والإنابة اليه وهذا راسخ في نفوسهم خاطر دائما ببالهم مطابق لأفعالهم واقوالهم وليس للولي ولا لمشهد الشيخ في نفوسهم شيء غير ما جعله الله له من البركة والشفاعة واستجابة الدعاء فيقصدون مشهده وينادونه طلباً لذلك الذي لا يخرج عن قصد الله تعالى والإنابة اليه كما لم يخرج سؤال الدعاء من المؤمن عن ذلك (واما قوله) حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج للاستسقاء فهو كسابقه في انه كذب وافتراء فكلهم يخرجون الى الاستسقاء عند احتباس قطر السماء ويدعون الله مع ذلك في المشاهد المباركة كما يدعونه في المساجد وفي كل مكان هو مظنة اجابة الدعاء ولم نر ولم نسمع عنهم غير ذلك نعم يوجد في الناس من يدعي الولاية لمن ليس اهلا لها ولكن لا يقاس به من أثبت الولاية لأهلها

ودخل البيوت من ابوابها فيعمم الكلام لجميع المسلمين ولكن الوهابية لما الفت طباعهم شبهات ابن عبد الوهاب وفسدت بها فطرهم وعز عنها امتناعهم لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من احترام من جعل الله له الحرمة والتشفع والتوسل والتبرك بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة والبركة حتى جعلوا قبور الأنبياء والأولياء أصناما واوثاناً ومن عظمها وتبرك بها كافراً مشركا فهل سمعت من جاهلية العرب أو من احد من أهل الملل والنحل مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب والكلام مع المسلم الذكي القلب المتبع طريقة المسلمين المنصف العارف بمنزلة الأنبياء والأولياء عند الله تعالى ورفيع درجتهم أما ميت القلب بليد الذهن جامد القريحة الذي نبذ ما عليه المسلمون كافة وخالف اجماعهم وطريقتهم وجهل منزلة الأنبياء والأولياء وقصر بهم عن المرتبة التي جعلها الله لهم وتمحل وعاند ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد لشخص واحد يجوز عليه الخطأ والتعلق على ما يقوله والاتباع لشبهة سنها وضلالة ابتدعها حتى كأنها وحي منزل فذلك ميت القلب بليد الذهن فاسد الفطرة وخطابه محض عناء (أما المتصوفة) فاذا فرض نقلهم بعض المناقب المكذوبة عن مشائخهم فهل يوجب ذلك بطلان مناقب الأنبياء والأولياء على العموم ومع ذلك فالظاهر انهم لا يعتقدون في مشائخهم الاستقلال في التصرف ولا يزيدون عن اعتقاد انهم عباد مكرمون ومع الشك يجب حملهم على ذلك لوجوب حمل أفعال المسلمين واقوالهم على الصحة مع الإمكان وما نقله عن حاشية البيجوري لا يوجب اعتقاده كفراً ولا شركا لأنه ممكن فيجب قبوله اذا دل عليه النقل وهب ان ناقله كاذب فلا يكون كافراً بل عاصيا (اما امكانه) فلتواتر النقل بأنه تعالى يستعمل الملائكة في نظام عالم التكوين بلا حاجة منه اليهم فجبرائيل أمينه على وحيه واسرافيل نافخ الصور ورضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران والكروبيون حملة العرش وعزرائيل قابض الأرواح والزبانية موكلون بأهل النار والحفظة موكلون باعمال الخلائق ومنكر ونكير بحساب القبر (وفي الصحيفة الكاملة) لزين العابدين علي بن الحسين (ع) في الصلاة على الملائكة (قال) وخزان المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود واذا سبحت به خفيفة السحاب التمعت صواعق البروق ومشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر اذا نزل والقوام على خزائن الرياح والموكلين بالجبال فلا تزول والذين عرفتهم مثاقيل المياه

وكيل ما تحويه لواعج الأمطار وعوالجها ورسلك من الملائكة الى اهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء والسفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين وملك الموت واعوانه ومنكر ونكير ورومان فتان القبور والطائفين بالبيت المعمور ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان (الى ان قال) والزبانية الذين اذا قيل لهم خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ابتدروه سراعا ولم ينظروه (الى ان قال) ومن منهم على الخلق انتهى. فلا مانع من أن يوكل الله تعالى ملكا لقضاء حوائج الخلق ولا يكون معتقده كافراً اذا كان مخطئا فضلا عن المصيب ولا ينافي ذلك الايات التي ذكرها فمجيب الدعوة وقاضي الحاجة حقيقة هو الله تعالى كما انه تعالى تارة قال: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها. والله خلقكم ثم يتوفاكم﴾ وتارة قال: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت. الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم. الذين تتوفاهم الملائكة طيبين. توفته رسلنا. اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة. فكيف اذا توفتهم الملائكة. حتى اذا جائتهم رسلنا يتوفونهم﴾. فكما لا تناقض بين هذه الايات لا تناقض بين ما ذكره بعد صحة النقل المذكور ومنه يعلم انه أولى بنسبة نبذ كتاب الله وراء ظهره اليه وما ذكره الشعراني في ترجمة الحنفي لا يوجب اسقاط حرمة الأنبياء والأولياء وشفاعتهم واستغفارهم ودعائهم ووسيلتهم رأساً واذا تجاوز الشعراني في بعض شطحه لا يتعدى ذلك الى غيره (واذا) اعتقد بعض الناس في المشائخ والأولياء الذين بعضهم من الدجالين والمحتالين أو المجانين ما لا ينبغي اعتقاده فليس لنا ان نأخذ بذنبهم غيرهم ممن اعتقد في الأنبياء والأولياء والصلحاء الحقيقيين (أما قوله) ولم يبلغ شرك الجاهلية الى هذه الغاية فقد مر نظيره في كلام الصنعاني ومر الكلام عليه (وأما حكاية المرأة التي كف بصرها) فلا يقاس عليها غيرها مع أنه يمكن ان يلتمس لكلامها وجه صحيح ان صحت الحكاية وهو ان الله تعالى قد اقتضت مشيئته كف بصرها فلم يبق الا ان تتوسل بهذا الولي وبحبه الى الله ليرد عليها بصرها (أما ما حكاه) عن بعض المغاربة فغير بعيد انه من الأكاذيب نظير ما مر حكايته من ان رجلا صلى الى ضريح ابن عباس وترك القبلة عامداً فانا لم نر ولم ينقل لنا وقوع شيء من هذا في شيء من البلدان والأزمان ولو صح لم يقس عليه غيره وهو خاص بفاعله كقول من قال لا يدق وتد في القاهرة الا باذن السيد البدوي مع ان من يقول هذا لا يصح ان يسمى عالما فهل اذا غلطت امرأة كف بصرها أو بعض المغاربة أو بعض علماء مصر نغلط كافة الأمة

ونكفرهم (قوله) وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد مر الكلام عليه في هذا الباب عند الرد على الصنعاني (قوله) لا يمنع حقيقة العبادة الصورية المدار على العبادة الحقيقية لا الصورية والأعمال بالنيات أما شراء الولد بشيء معين والمرأة بشيء من مهرها فلم نسمع بذلك ولم نره ولو فرض صحته فيختص بفاعله مع ان له وجهاً صحيحا وهو قصد التصدق عن الولد أو المرأة بمال واهداء ثواب الصدقة الى الولي فيجب الحمل على الصحة ما امكن ولا يوجب ذلك شركا ولا كفراً ولا يقاس بفعل جاهلية العرب الذين جعلوا لشركائهم نصيباً كما حكى الله تعالى عنهم كما مر الكلام على نظير ذلك في كلام الصنعاني فراجع (وأما السوائب) فلم نرها ولم نسمع بها في شيء من بلاد الإسلام (واما سوق الهدايا) والقرابين الى مشاهد الأولياء وذبحها فستعرف في فصل الذبح انه يقصد ذبحها لله وتقربا اليه لا للشيخ وانما يهدى له ثواب الصدقة بها فجعله ذلك وان ذكر اسم الله عليه أشد تحريما مما ذكر عليه اسم غير الله جهل محض وتعليله بأن الشرك في العبادة اكبر من الشرك بالاستعانة لا يكاد يظهر له معنى (اما ما ادعاه) من ترك الشجر والعشب اذا كان بقرب المشهد فمع صحته لا مانع منه فترك الشجر لاستظلال الزائرين والمارة اكراما لصاحب المشهد وترك العشب لنزهتهم ورعي دوابهم (قوله) ومنها الحج الى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله. اخذ هذا الكلام من ابن تيمية الذي قال في كتابه منهاج السنة: الرافضة يعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون اليها كما يحج الى البيت ومنهم من يجعل الحج اليها أعظم بل يسبون من لا يستغني بالحج اليها عن الحج الذي فرضه الله وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن وقد صنف شيخهم المفيد كتابا سماه مناسك المشاهد جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة والبيت الحرام الذي جعله الله قياما للناس (ونقول) قد ثبت بما سنذكره في فصل الزيارة استحباب زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصلحاء وشد الرحال اليها رغما عن تشددات ابن تيمية واتباعه الوهابية فسواء سموا زيارتها حجا قصداً للتشنيع او لم يسموها وسواء سمى ابن تيمية الصلاة لله ودعاءه عندها عكوفا او لا لا يضرنا شيئا وكون الزيارة في اوقات مخصوصة لا قبح فيه لأن تلك الأوقات مما ثبت فضلها وشرفها والله تعالى قد فاوت بين مخلوقاته في الفضل حتى الأزمنة كما مر في المقدمات فيتضاعف

أجر الزيارة بفضل الزمان فقصدهم الى التشنيع بذلك بأنه كالحج الذي هو في اوقات مخصوصة لا شناعة فيه الا عليهم كقوله مضاهاة لبيت الله وكقول ابن تيمية انهم يحجون اليها كما يحجون الى البيت فهم يزورونها اقتداء بنبيهم (ص) الذي سن الزيارة وفعلها واتبعه المسلمون عليها وسن شد الرحال اليها خلافا للوهابية كما ستعرف في فصل الزيارة فهم مقتدون بسنة نبيهم (ص) التي خالفها هو وشنع على من اقتدى بها فهم لم يبنوا كعبة يضاهون بها بيت الله لم يأذن الله ببنائها ولا بزيارتها بل ذهبوا لزيارة قبور أنبيائهم واوليائهم حسبما أمرهم ربهم فسواء ضاهى ذلك بيت الله او لم يضاهه لا ضرر فيه وهل هذه المشاهد المشرفة بشرف من فيها ليست بيوت الله كلا بل هي بيوت الله والكعبة بيت الله والمساجد بيوت الله وكلما كان عن أمر الله فهو لله وستعرف في فصل البناء على القبور رجحان بناء المشاهد والإمامية توجب الحج على كل من استطاع اليه سبيلا ولا تجعل شيئا مغنيا عنه لا زيارة مشهد ولا غيرها وتسب من لا يعتقد ذلك ومن نسب اليها غير ذلك فقد أفك وافترى وهذه كتبها الفقهية التي تعد بمآت الألوف وطبع منها الملايين شاهدة بذلك وناصة عليه حتى انهم يوجبون القضاء عمن مات مستطيعا ولم يحج وحجاجها في كل عام من بلاد المشاهد وغيرها تنبو عن الحصر فان كان الحج اليها أعظم او مغنيا عن الحج المفروض كما افتراه ابن تيمية فلماذا يتحملون كل هذه المشاق لأجل الحج (قوله) فيطوفون حول الضريح نعم يطوفون تبركا به ولا ينكر بركته الا من أعمى الله بصيرته (قوله) ويستغيثون ستعرف في فصل الاستغاثة انه لا محذور في ذلك (قوله) ويهدون لصاحب القبر ويذبحون. كلا بل يذبحون لله ويتصدقون على الفقراء ويهدون الثواب لصاحب القبر (قوله) وبعض مشائخهم يأمر الزائر بحلق رأسه. ابى شيطان هؤلاء الا ان يزين لهم ترويج ضلالتهم ولو بالكذب والافتراء فبعد ان سمى زيارة الأنبياء والأولياء حجاً وانها في اوقات مخصوصة كالحج وانهم يطوفون ويهدون كالحجاج اراد ان يتمم حجهم بالفرية التي نقلها من ان بعض المشائخ يأمر الزائر بحلق رأسه ما رأينا هذا ولا سمعنا به ان هذا الا اختلاق وكان ينبغي له ان يتمم احكام الحج من الإحرام ورمي الجمار والسعي وغير ذلك (اما قوله) وقد صنف بعض غلاتهم كتابا سماه حج المشاهد فمأخوذ من كلام ابن تيمية الذي سمعته على عادتهم في تقليد الخلف للسلف في كل ما يقول وهي فرية كفرية حلق الرأس ابن تيمية كان بالشام والمفيد

بالعراق وبينهما نحو من ثلاثمئة سنة فأين رأى كتابه الموهوم المسمى حج المشاهد واين رآه حفيد ابن عبد الوهاب المنحاز في بادية نجد نعم يوجد بعض الكتب التي فيها آداب الزيارة وفيها الأدعية التي يدعى بها الله تعالى في المشاهد اما كتاب حج المشاهد فهو من عنديات ابن تيمية وحفيد ابن عبد الوهاب والله تعالى يجزي كلا بعمله (قوله) ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من اهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين (اقول) هذا التعريف لم نسمع له بتعريف وهو ثالث الفريتين ان يوم عرفة من الأيام الشريفة كيوم الجمعة وغيره من الأيام وقد ورد استحباب صومه والإكثار من دعاء الله تعالى فيه والخضوع وطلب الحاجات منه تعالى في اي موضع كان الإنسان واذا كان ذلك في مكان شريف كالمسجد او المشهد المشرف بمن فيه كان اولى وافضل فهذا الذي عابه على المسلمين ونسبهم فيه الى الشرك والكفر (قوله) والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر الخ وهذا ايضاً مبني على اساسهم الفاسد الذي اسسوه من المنع من زيارة قبور الأئمة والأولياء وتعظيمهم وتعظيم قبورهم وبناء المشاهد والقباب لهم وعمل الضرائح وجعل الخدمة والسدنة والصلاة عند قبورهم ودعاء الله تعالى عندها والتوسل باصحابها اليه تعالى في قضاء حوائج الدنيا والآخرة وما يجري هذا المجرى ولما كان تعظيم المسلمين لقبور أئمة أهل البيت في العراق وهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب بنجف الكوفة وولده الحسين السبط الشهيد بكربلا والإمام موسى الكاظم وحفيده الإمام محمد الجواد في بغداد وابنه الامام علي بن محمد الهادي وابنه الإمام الحسن العسكري في سامراء عليهم السلام والمواظبة على زيارتهم والصلاة ودعاء الله تعالى في مشاهدهم بالغاً الغاية لما لهم عند الله تعالى من المكانة ولما لهم من الفضل العظيم في حماية الدين ونشر علوم سيد المرسلين وكذلك قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني والإمام ابي حنيفة ومعروف الكرخي في بغداد والحسن البصري والزبير أحد الصحابة العشرة في البصرة عظم على هذا النجدي ذلك فقال ان في العراق من ذلك الحظ الأكبر والمهامة التي لا ينجو سالكها ولا يكاد وأنى يكون المتمسك بولاية اهل البيت الطاهر وزائر قبورهم والمتعبد ربه بانواع العبادة عندها غير ناج وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى وباب حطة الذي من دخله كان آمنا بنص جدهم (ص) وتكون النجاة محصورة في أهل نجد مطلع قرن الشيطان ومحل الزلازل والفتن والذين جعلوا

دأبهم وديدنهم غزو العراق وغيره من بلاد الإسلام ومن أعمالهم ذبح المجاورين لقبر ابن بنت رسول الله (ص) في كربلاء وهدم ضريحه وهتك حرمته وربط الخيل والدواب في صحنه ودق القهوة و إشعال النار في مشهده وفوق رأسه كما مر في تاريخهم (أما قوله) إن من نحو العراق عرف الكفر وظهر الشرك والفساد فيكذبه أن العراق ما زال ولم يزل مهبط الدين ومنبع الإيمان والإسلام وحب أهل البيت وموالاتهم ولم يظهر الكفر والفساد إلا من بلاد نجد بلاد مسيلمة وبلاد الوهابية المجسمة والذين ما فتئوا يعيثون في الأرض فساداً يسفكون الدماء وينهبون الأموال ويحتقرون المسلمين ويرمونهم بالكفر والشرك ويحتقرون الأنبياء والمرسلين وعظماء الدين يهدمون قبورهم ويجعلونها معرضاً لدوس الأقدام وترويث الدواب والكلاب ووقوع القاذورات ويهينون من يزورها او يحترمها او يتبرك بها او يصلي لربه عندها فأي فساد اعظم من هذا وهم يقولون إن من العراق ظهر الفساد ومن نجدهم ظهر الصلاح وقد عرف صحة ما قلناه كل من له أدنى إلمام بتاريخ الوهابية وقدوتهم ابن تيمية ومبدأ حوادثهم في الدين أما ما يقع من شيعة أهل البيت الطاهر الذين نبزهم بالرافضة عند مشاهد الأئمة الطاهرين بالعراق الذين حرم من حلاوة مودتهم ومحبتهم والفوز بولايتهم فلا يعدو عبادة لله تعالى وتوحيده والخضوع لعظمته فالقاصدون لتلك المشاهد الشريفة منهم الزائر لقبورهم المعدد لمناقبهم ومآثرهم في خدمة الدين والإسلام ومنهم المصلي لربه الراكع الساجد الخاشع ومنهم الداعي لله تعالى القائم في خدمته الباكي من خشيته المتضرع اليه المتوسل والمتشفع اليه بمن اعطاهم الشفاعة وجعل لهم الوسيلة ومنهم الخاطب الواعظ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الى غير ذلك من انواع العبادات والطاعات لله تعالى ولا يعبدون احدا منهم بشيء مما حظره الله تعالى لكن الوهابيين لما اقتضى جمودهم وغباوتهم وعنادهم ان تعظيم القبور واهلها والصلاة لله ودعاءه عندها والتشفع والتوسل بأهلها عبادة لغير الله موجبة للشرك والكفر عدوا فعل المسلمين بالعراق عند المشاهد كفرا وشركا وحيث قد بينا مرارا بما لا مزيد عليه خروج ذلك عن العبادة لغير الله الموجبة للشرك والكفر بل هو عين الطاعة لله تعالى ظهر ان عد ذلك شركا من اعظم الموبقات وان من عده كذلك من اجهل الخلق واضلهم بمخالفته لما اجمع عليه المسلمون خلفا عن سلف وان مخالف اجماع المسلمين وسيرتهم ومثبت الوجه واليدين والعينين لله تعالى والاستواء على العرش الذي هو فوق

السماوات على الحقيقة من دون تأويل اولى بغاية الكفر والشرك التي ما وصل اليها قبله احد ممن ينتسب الى الإسلام واي شرك او كفر وعبادة لغير الله تعالى تحصل في مشاهد الأئمة بالعراق واول كلام يقال عند فتح ابواب مشاهدهم هو لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين الخ ولا تشتمل الزيارات والأدعية التي تقرأ في تلك البقاع الطيبة الا على توحيد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه وما يشتمل منها على التوسل والتشفع وطلب الحوائج والعطايا والمواهب من صاحب القبر لا يخرج عن سؤال الدعاء والشفاعة الذي بينا في فصله جوازه ورجحانه واذا فرغ الزائر من الزيارة يصلي لله تعالى ركعتين مستحبتين يهدي ثوابهما للمزور ويقول بعدهما كما هو مأثور عن ائمة اهل البيت الطاهر (اللهم اني صليت وركعت وسجدت لك وحدك لا شريك لك لأن الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لك لأنك انت الله الذي لا إله الا انت اللهم وهاتان الركعتان هدية مني الى سيدي ومولاي (ويسمي المزور) اللهم فتقبلهما مني باحسن قبولك وأجرني على ذلك بأفضل أملي ورجائي فيك وفي وليك يا ارحم الراحمين) ورجاؤه فيه تعالى الثواب والمغفرة وفي وليه الدعاء والشفاعة والله المسؤول ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويمحو هذه الضلالات التي جاء بها هؤلاء ويرد عاديتهم عن المسلمين ويردهم الى سبيل الرشد ويريح المسلمين من تشدداتهم وتعنتاتهم حتى تبقى السهلة السمحاء كما كانت وينزه الباري تعالى عن نسبة ما لا يليق بجلاله وتبقى البيضاء كما كانت ليلها كنهارها .

الباب الثالث

في تفصيل الأمور التي كفر بها الوهابية المسلمين

ورد كل واحد منها بخصوصه

حيث ظهر لك ان منشأ شبهة الوهابية في حكمهم بشرك جميع المسلمين وكفرهم واستحلال دمائهم واموالهم هو زعمهم انهم يعبدون القبور بتعظيمهم لها بالتقبيل والطواف والتمسح وبناء القباب والإسراج وغير ذلك من انواع التعظيم وأنهم يعبدون الأموات بدعائهم لهم وطلبهم منهم قضاء حوائجهم وانهم ينذرون وينحرون لهم كما كان اهل الجاهلية يفعلون مثل ذلك مع اصنامهم فكان ذلك عبادة لغير الله وشركا به وقد عرفت فساد ذلك بوجه العموم في الباب السابق فلنتكلم على كل واحد من هذه الأمور التي هي منشأ شبهتهم بخصوصه مضافا الى ما مر في الباب السابق لأن اكثرها يختص بها لا يشاركه في غيره وذلك في ضمن فصول.

الفصل الأول

في الشفاعة

اعلم ان طلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين والملائكة الذين أخبر الله تعالى ان لهم الشفاعة مما منعه الوهابيون وجعلوه كفراً وشركا صرح بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدم في رسالة أربع القواعد التي قال ان الخلاص من الشرك يتم بها بقوله (الثانية) انهم يقولون ما دعونا الأصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة. وفي رسالة كشف الشبهات (بقوله) لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم القرب الى الله وشفاعتهم عنده (وقوله) ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم الى الله ليشفعوا له او رجلا صالحاً كاللات او نبيا كعيسى (وقوله) ان قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي أحل دمائهم واموالهم (وفيما) حكاه الألوسي عنه حيث جعل طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب وفي كلامه الأخير في كشف الشبهات الذي علم به الاحتجاج على المسلمين بقوله: إن الذين قاتلهم (ص) مقرون بما ذكرت وبأن اوثانهم لا تدبر شيئا وانما

ارادوا الجاه والشفاعة وانهم ما ارادوا ممن قصدوا الا الشفاعة وان طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا . هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى غير ذلك (والصنعاني) في كلامه السابق حيث جعل من جملة عبادة المشركين الأصنام اعتقادهم انها تشفع عنده وجعل من جملة عبادة الأنبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم (وقوله) فجعل اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لأنه لا يشفع عنده أحد الا بإذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها ومن اعتقد في حي او ميت انه يقرب الى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به فقد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل كما اعتقد المشركون في الأوثان وصار حلال المال والدم وجعل من جملة الشرك الاعتقاد في شيء انه يشفع في حوائج الدنيا بمجرد التشفع (والوهابيون) في كتابهم الى شيخ الركب المغربي بقولهم فأخبر ان من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم الى قولهم فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله وجعلهم سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم شركا وعبادة للأوثان . وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (١) ونثبت الشفاعة لنبينا محمد (ص) يوم القيامة ولسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد ونسألها من المالك لها والأذن فيها بان نقول اللهم شفع نبينا محمداً (ص) فينا يوم القيامة او اللهم شفع فينا عبادك الصالحين او ملائكتك او نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم فلا يقال يا رسول الله او يا ولي الله أسألك الشفاعة او غيرها مما لا يقدر عليه ا لا الله تعالى فاذا طلبت ذلك في ايام البرزخ كان من اقسام الشرك اذ لم يرد بذلك نص من كتاب او سنة ولا أثر من السلف الصالح بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله (ص) وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ان الشفاعة وان كانت حقاً في الآخرة فلها انواع مذكورة في محلها ووجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته (ص) بل وغيره من الشفعاء فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدا الشفاعة العظمى فانها لأهل الموقف عامة وليس منها ما يقصدون فالوصف من مات لا

(١) صفحة ٤٢ .

يشرك بالله شيئا كما في البخاري من حديث ابي هريرة (رض) لكل نبي دعـوة مستجـابـة واني خبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا (الى ان قال) واذا كانت بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه ان يشفع فيه نبيه هو المطلوب (قال) فالمتعين على كل مسلم صرف همته الى ربه بالإقبال اليـه والاتكـال عليـه والقيـام بحق العبودية له فاذا مات موحدا استشفع الله فيه نبيـه بخـلاف من اهمل ذلك وتـركـه وارتكب ضده من الإقبال الى غير الله بالتوكل عليه ورجـائه فيما لا يمكن وجـوده الا من عند الله والالتجاء الى ذلك الغير مقبلا على شفاعته متوكـلا عليهـا طـالبـا لها من النبي (ص) او غيره فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد (الى ان قال) ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحـد بغير اذن الإلـه وحده فلا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما (الى أن قـال) ولهذا قـال عز من قائل: ﴿قل لله الشفاعة جميعا. ومـا نـرى معكم شفعـاءكم الـذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ وطلبها من غير الله في هـا الدار زعم بعدم تعلقها بالإذن من الله والرضا عن المشفوع له وقال تعالى: ﴿مـا لكم من دونه من ولي ولا شفيع * وأنذر به الـذين يخافـون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونـه ولي ولا شفيع﴾ والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب انتهى.

وقال محمد بن عبد الوهاب أيضا في رسالة اربع القواعد (١): الشفـاعـة شفـاعتـان منفية ومثبتة فالمنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله لقولـه تعـالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعـة والكافرون هم الظـالمون﴾ والمثبتـة هي التي تطلب من الله والشـافع مكـرم بـالشفـاعـة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال: ﴿من ذا الذي يشفع عنـده الا بإذنه﴾ انتهى وفصل في مقام آخر ما اجمله هنا فقال في رسالة كشف الشبهات (٢) عند تعليمه اتباعه الاحتجاج على غيرهم في تتمـة كـلامـه السـابق؛ فـان قـال: (أي بعض المشركين من المسلمين الذين لا يقولون بمقالة الوهابية) أتنكر شفاعـة رسـول الله (ص)

(١) صفحة ٢٥. (٢) صفحة ٦٢ طبع المنار بمصر.

وتبرأ منها فقل لا بل هو الشافع والمشفع وارجو شفاعته لكن الشفاعة كلها لله ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ ولا يشفع لأحد الا من بعد ان يأذن الله فيه ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ وهو لا يرضى الا التوحيد فاذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا بعد اذنه ولا يشفع النبي (ص) ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الا لأهل التوحيد (١) فالشفاعة كلها لله فأطلبها منه واقول اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه في وامثال هذا فان قال النبي (ص) اعطي الشفاعة وانا اطلبه مما أعطاه الله (كذا) فالجواب ان الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا وقال: ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ وايضا الشفاعة أعطيها غير النبي (ص) فصح ان الملائكة والأولياء يشفعون فان قلت الله اعطاهم الشفاعة واطلبها منهم رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وان قلت لا بطل قولك هذا.

وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (٢) في تتمة كلامه المتقدم في الباب الثاني: وان قال أنا اسأله لكونه أقرب الى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور لأني اتوسل الى الله كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من أفعال الذين يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم والمشركين الذين أخبر الله عنهم انهم قالوا: ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعا. ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع. من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾ فبين الفرق بينه وبين خلقه فان من عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته اما رغبة واما رهبة واما حياء واما مودة واما غير ذلك والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل الا ما شاء الله وشفاعة الشافع من اذنه فالأمر كله له (الى ان قال) وقد أمرنا ان نصلي على النبي (ص) في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا انتهى.

---

(١) ولا موحد الا الوهابيون فلا شفاعة الا لهم.

(٢) صفحة ١٥٦.

«ونقول» الشفاعة من الشفيع عبارة عن طلبه من المشفوع اليه امراً للمشفوع له فشفاعة النبي (ص) أو غيره عبارة عن دعائه الله تعالى لأجل الغير وطلبه منه غفران الذنب وقضاء الحوائج فالشفاعة نوع من الدعاء والرجاء (وحكى) النيسابوري في تفسير قوله تعالى (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) عن مقاتل انه قال الشفاعة الى الله انما هي الدعوة لمسلم لما روي عن النبي (ص) من دعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك انتهى (وحينئذ) فطلب الشفاعة من الغير كطلب الدعاء منه وقد ثبت جواز طلب الدعاء من أي مؤمن كان واعترف بذلك الوهابية وقدوتهم ابن تيمية في طلبه من الحي بل هو من ضروريات دين الإسلام (وحينئذ) فيجوز طلب الشفاعة الى الله تعالى من كل مؤمن فضلا عن الأنبياء والصالحين وفضلا عن سيد المرسلين (ولو قيل) ان الشفيع لا بد ان يكون له قدر وجاه عند المشفوع اليه (فنقول) ان الله تعالى جعل حرمة لكل مؤمن يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه فلم يبق فرق على أنه قد ورد ثبوت الشفاعة لأحاد المؤمنين وللملائكة وانها ليست من خواص الأنبياء وثبتت شفاعة الملائكة بما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وقهم السيئات الاية﴾ قال الرازي في تفسيره هذه الاية تدل على حصر الشفاعة من الملائكة للمذنبين كما وقعت الشفاعة من النبي (ص) وغيره من الأنبياء وامره الله تعالى بها فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وحكى عن نوح انه قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين وللمؤمنات (انتهى) وفيه تصريح بأن الشفاعة لا تزيد عن الدعاء وطلب المغفرة كما قلناه (بل روي) ان الحجر الأسود شافع مشفع (ففي الجامع الصغير) للسيوطي (١) ما نصه: الشيرازي في الألقاب وأبو نعيم في مسلسلاته وقال صحيح

---

(١) صفحة ٢٢٥ ج ل شرح الجامع الصغير.

ثابت عن علي اشهدوا هذا الحجر خيراً فانه يوم القيامة شافع مشفع لـه لسـان وشفتـان يشهد لمن استلمـه (وزاد) العـزيـزي في الشرح فيمن رواه الـرافعي وقـال (أشهـدوا) أي اجعلوا الحجر الأسود شهيداً لكم في خير تفعلونه عنده كتقبيل واستلام أو دعاء أو ذكـر (فانه يوم القيامـة شـافع) أي فيمن اشهـده خيراً انتهى فإشهـاده الخير ليشفع في معنى طلب الشفاعة منه مع أنه جماد لا يعقل ولا ينطق وقـد أمـرنـا بإشهـاده الخير كما امـرنـا بتقبيله واستلامه ولم يكن ذلك شركا والا لم يغيره الأمر لأن الحكم لا يغير الموضوع كما مر في المقدمات.

فظهر ان الشفاعة والدعاء من واد واحـد وكـذا طلبهما من الغير وليس حتما على الله قبول الشفاعة ولا اجابة الدعـاء وانما ذلك من ألطـافـه ومنـه ورأفتـه بعبـاده فجعل لهم وسائل كثيرة الى نيل رضاه وعفوه وخيره وبره وهذا منها ولا شفاعة الا بـاذنـه ورضـاه كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنـده الا بـاذنـه. ولا يشفعـون الا لمن ارتضى﴾ وغير ذلك.

وظهر ان طلب الشفاعة من النبي (ص) بل ومن آحاد المؤمنين في دار الدنيـا أحيـاء وامواتا ليشفعوا في الدنيا في امور الدنيا والاخرة أو يوم القيامة جائز لا محذور فيه لأنها من قبيل الدعاء فيرجع طلبها الى التماسـه وذلك جـائز من الأحيـاء بـالاتفـاق (أمـا) طلب الدعاء من الأموات فمنعه ابن تيمية والوهابية والحق جوازه كما يأتي في الفصل الثالث.

والأخبار الواردة في ثبوت الشفاعة للنبي (ص) يوم القيامة وانه الشفيع المشفع ولغيره مستفيضة أو متواترة رواها البخاري ومسلم وغيرهم. مثل من سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة. من سمع الأذان ودعا بكذا حلت له شفـاعتي يـوم القيـامـة. أعطيت خمسا وعد منها الشفاعة. انا أول شافع وأول مشفع. أتـاني آت من ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فـاخترت الشفـاعـة. يـدخل بشفـاعتي رجال من امتي اكثر من بني تميم. ان الله يقـول فـرغ الشـافعـون من الشفـاعـة شفعت الملائكة وشفع النبيـون وشفع المؤمنـون ولم يبق الا ارحم الـراحمين. يجلس المؤمنـون يـوم القيامة فيقولون لو استشفعنا فيأتون آدم فيعتذر بخطيئته ثم ابراهيم (ع) فيعتذر بثلاث كذبات كذبهن ثم مـوسى (ع) فيعتـذر بقتل النفس ثم عيسى (ع) فيقـول لست هنـاك فيقول الله سبحانه بعد ان اسجد له اشفع تشفع (الخبر) ومن ادلة شفاعته لنا بعد مـوتـه

(ص) حديث وفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم (الى قوله) وما رأيت من شر استغفرت لكم لما عرفت من ان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء لنا والاستغفار واذا كان (ص) يستغفر لنا بعد موته جاز لنا ان نطلب منه الاستغفار الذي هو الشفاعة بعينها.

وشفاعة النبي (ص) يوم القيامة لا ينكرها الوهابية فلا حاجة الى اكثار الأدلة عليها وانما منعوا من جواز طلبها منه (ص) في الدنيا وان كانت ثابتة له وقد اعطاه الله الشفاعة وهو الشفيع المشفع وجعلوه شركا وكفراً.

(ومرجع) شبهتهم في ذلك على ما يستفاد من مجموع كلماتهم التي سمعتها الى ان طلب الشفاعة من النبي (ص) عبادة له وكل عبادة لغير الله شرك (أما الثاني) فلوجوب توحيد الله في العبادة كما يجب توحيده في الخالقية والرازقية (واما الأول) فلأن شرك الكفار الذين بعث اليهم رسول الله (ص) كان بطلبهم الشفاعة من الأصنام بدليل قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا. ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا﴾ ولأنهم لا ينكرون توحيد الخالقية والرازقية لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله وشفاعتهم عنده ولم يفرق النبي (ص) بين من كان يدعو الملائكة ليشفعوا له أو رجلا صالحاً كاللات أو نبياً كعيسى او يدعو غيرهم فقاتل الكل فهذا دليل على ان التشفع بالنبي او الصالح شرك كالتشفع بغيره. ويدل أيضاً على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله قوله تعالى: ﴿لله الشفاعة جميعا. من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾ واذا كانت الشفاعة كلها لله لم يجز طلبها من غيره وقوله تعالى: ﴿فلا تدعوا مع الله احداً﴾ وطلب الشفاعة من النبي (ص) دعاء له فيكون منهيا عنه مع كون الدعاء عبادة بنص الكتاب والسنة بل مخها كما يأتي واذا كان طلب الشفاعة دعاء والدعاء عبادة كان شركا فالجمع بين ثبوت الشفاعة له (ص) وعدم جواز طلبها منه ان يقول المستشفع به (ص) اللهم شفعه في او لا تحرمني شفاعته او ارزقني شفاعته او نحو ذلك وهذا معنى قولهم فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله (ويفهم) مما مر عن الرسالة الأولى من الهدية السنية الاحتجاج لذلك بأن طلب الشفاعة من غير الله في الدنيا مناف لكونه لا يشفع عنده احد الا باذنه والا لمن ارتضى.

والجواب عن شبهتهم هذه انها شبهة سخيفة فطلب الشفاعة ليس عبادة للمطلوب

منه وشرك اهل الجاهلية الذي احل دماءهم واموالهم لم يكن سببه اتخاذهم الشفعاء كما زعموا وليس في الآيتين المستشهد بهما ان الموجب لشركهم هو تشفعهم ولا ان عبادتهم لهم هي تشفعهم بهم بل الآيتان صريحتان في ان عبادتهم لهم كانت غير التشفع فانه جعل في الاية الأولى العبادة علة التقريب الذي هو الشفاعة والعلة غير المعلول ببديهة العقول وعطف في الاية الثانية قول هؤلاء شفعاؤنا على قوله ويعبدون والعطف يقتضي تغاير المعطوف والمعطوف عليه كما قرر في علم العربية مع أن عبادتهم لهم بغير التشفع من السجود والإهلال باسمائها وغير ذلك مشاهدة معلومة كما ذكرناه مراراً وقد ذكرنا مرارا ان قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دون الله أولياء الاية. ويعبدون من دون الله الاية﴾ صريح في ان عبادتهم لها كانت مع الإعراض عن الله والمخالفة لأمره وقوله ما لا يضرهم ولا ينفعهم اشارة الى انهم عبدوا احجاراً واشجاراً هي من الجمادات وطلبوا منها النصر والشفاعة ولم يجعل الله لها ذلك ولو كانت على صور قوم صالحين فلا يقاس بها من جعله الله شافعاً وقادراً على الشفاعة ولا من تشفع به بمن تشفع بها ويجب على قياس قولهم بمنع يا رسول الله اشفع لي بل يقول اللهم شفعه في أو ارزقني شفاعته ان يمنعوا يا فلان ادع لي بل يقول اللهم اجب دعاءه في أو ارزقني دعاءه لي مع اعترافهم بجوازه ومنعه يشبه الأكل من القفا أي ايصال اللقمة الى الفم من وراء الرقبة (أما) جعل طلب الشفاعة منافيا لكونه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فستعرف فساده عند رد هذا الكلام وقد ظهر من ذلك فساد قول ابن عبد الوهاب: ان طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا هؤلاء شفعاؤنا لما عرفت من صراحة الآيتين في مغايرة العبادة لطلب الشفاعة. وبطلان ما يفهم من قوله انهم يقولون ما دعونا الأصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة (وقوله) لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منه القرب الى الله وشفاعتهم عنده الدال على ان سبب الشرك طلب الشفاعة لما عرفت من صراحة القرآن ودلالة الوجدان على خلافه (وبطلان) قوله ومنهم من يدعو الملائكة ليشفعوا له أو صالحاً كاللات أو نبياً كعيسى (وقوله) ومنهم من يدعو الصالحين والأولياء لما عرفت في الباب الثاني من ان دعاء الملائكة لم يكن بطلب شفاعتهم بل عبادتهم بغير ذلك وقول انهم بنات الله ودعاء اللات لم يكن بالتشفع به لأنه رجل صالح بل بعبادة حجر على صورته الموهومة

بالسجود وغيره والتشفع بذلك الحجر الذي لم يجعل الله له شفاعة . ولو كان على صورة صالح مزعومة ودعاء عيسى (ع) لم يكن مجرد التشفع به بل اعتقاد انه هو الله الخالق الرازق بأحد الوجوه التي سبق بيانها وأي جهل اعظم من جعل الإشراك بعيسى مجرد التشفع به وهل يمكن صدوره من عاقل فضلا عن عالم (وقوله) ان قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم هو الذي أحل دماءهم واموالهم قد عرفت انه كذب وافتراء وان الذي احل ذلك تكذيبهم للرسل وانكارهم للشرائع وعبادتهم للأوثان بغير مجرد التشفع وكذلك جعله طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب وان الذين قاتلهم (ص) انما أرادوا الجاه والشفاعة .

ومما يدل على ان عبادتهم كانت غير طلب الشفاعة ما حكاه الوهابية أنفسهم في الرسالة الثالثة من الهدية السنية (١) عن الإمام البكري عند قوله تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض الاية﴾ من قوله : فان قلت اذا اقروا بذلك فكيف عبدوا الأصنام قلت كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة ففرقة قالت ليس لنا أهلية عبادة الله بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا اليه زلفى وفرقة قالت الملائكة ذوو منزلة عند الله فاتخذنا اصناما على هيئتها لتقربنا اليه زلفى وفرقة قالت جعلنا الأصنام قبلة لنا في العبادة كما ان الكعبة قبلة في عبادته وفرقة اعتقدت ان لكل ملك (كذا) شيطانا موكلا بأمر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله والا اصابه الشيطان بنكبة بأمر الله انتهى (والعجب) ان المستشهد بهذا الكلام من الوهابية قال بعد نقله فانظر الى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما ارادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عنده انتهى ولم يدر ان عبادة غير الله لا يحتاج التكفير بها الى الاستشهاد بكلام احد سواء كانت بقصد التقرب الى الله وطلب شفاعتهم او بدون ذلك ولكن الذي ينفع اثبات ان طلب الشفاعة عبادة او ان ما يفعله المسلمون هو عين ما كان يفعله عبدة الأصنام والكلام الذي استشهد به صريح بخلافه فليس في المسلمين من يعتقد بواحدة مما كانت تعتقده تلك الفرق هذا في رد زعمهم ان

---

(١) صفحة ٥٨ .

طلب الشفاعة عبادة واما استدلال ابن عبد الوهاب على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله بآية لله الشفاعة جميعاً وآية فلا تدعوا مع الله أحداً فاستدلال فاسد اما آية لله الشفاعة جميعا فليس معناها ان الله وحده هو الذي يشفع وغيره لا يشفع لأنه تعالى لا يشفع عند احد وثبت ان الأنبياء والصالحين والملائكة يشفعون عنده وليس معناها انه لا يجوز طلب الشفاعة ممن جعله الله شافعا بل معناها والله العالم ان الله مالك أمرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾ ولا يشفع الا لمن ارتضاه الله ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ وصدر الاية هكذا ﴿ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا الاية﴾ فهو في مقام الرد على الذين اتخذوا الأصنام والأحجار شفعاء الى الله تعالى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله مع انهم لا يملكون شيئا فكيف يملكون الشفاعة ولا عقل لهم حتى يشفعوا وفي الكشاف (من دون الله) من دون اذنه ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا وها هنا الشرطان مفقودان جميعا انتهى (وحكى) الطبري عن مجاهد ﴿لله الشفاعة جميعا﴾ أي لا يشفع احد الا باذنه انتهى.

فحمل ابن عبد الوهاب واتباعه له على ان معناه طلب الشفاعة من الله وحده وعدم طلبها من المخلوق وان كان له ان يشفع حمل مستهجن مستقبح لا يساعد عليه اللفظ ولا فهم أهل العرف ولم يذكره احد من المفسرين ولا تقتضيه الحكمة ولا يخرج عن التمحل والتحكم والعبث فكأن الله تعالى يقول اطلبوا من الناس كل ما يقدرون عليه واطلبوا منهم الدعاء لكم الذي لا تخرج الشفاعة بل هي نفسه ولكن لا يجوز لكم ومحظور ومحجور عليكم ان تطلبوا من النبي (ص) ان يشفع لكم في الدنيا أو في الاخرة ويدعو الله لكم وان كانت له الشفاعة وقد أعطاه الله اياها وهو الشفيع المشفع واذا طلبتموها منه فقد كفرتم واشركتم فانظر ايها المنصف هل يحسن ان يصدر ذلك من عاقل وهل يصدر الا من سفيه جاهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

واما آية فلا تدعوا مع الله فستعرف في فصل الدعاء أنها اجنبية عن المقام مع انه لو صح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الشفاعة من العبد لصح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الدعاء منه لأن كلا منهما دعاء لغير الله يشمله قوله تعالى: ﴿فلا تدعوا

مع الله احدا﴾ فأي فارق بين قول يا فلان اشفع لي و يا فلان ادع لي وطلب الدعاء من الغير لا ينكره الوهابية ولا قدوتهم ابن تيمية اذا كان من الحي كما ستعرف مع شمول الاية له (وجاء) في احاديث كثيرة صلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني وسيأتي حديث صلوا عليّ ثم اسألوا الله لي الوسيلة فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة. والصلاة منا الدعاء ومنه تعالى الرحمة ورفع الدرجة فقد طلب منا (ص) ان ندعو له برفع الدرجة واعطاء الوسيلة وهو كطلبنا منه الشفاعة بان يدعو الله ان يغفر ذنوبنا ويدخلنا جنته فكيف صار طلبه منا توحيداً وطلبنا منه شركا ونحن أحوج الى شفاعته ودعائه منه الى دعائنا فأي فارق بينهما لولا الجمود وقلة الانصاف.

(أما) جعل الصنعاني من جملة عبادة المشركين الأصنام اعتقادهم انها تشفع عند الله ومن جملة عبادة الأنبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم ففاسد لأن اعتقاد المشركين في الأصنام انها تشفع وطلبهم منها الشفاعة خطأ وغلط اذ لم يجعل الله لها شفاعة سواء كانت على صورة صالح أو غيره فان الشافع هو الصالح لا الحجر الذي على صورته كما عرفت بخلاف الاعتقاد بان الأنبياء والصالحين يشفعون فانه صحيح مطابق للواقع ليس فيه خطأ ولا غلط فضلا عن كونه عبادة وشركا وكذلك التشفع بهم على ان الاعتقاد في حجر او شجر انه يشفع وطلب الشفاعة منه لم يعلم كونه عبادة له انما هو خطأ وغلط والمشركون لم يعلم ان هذا سبب في شركهم لأنه لم يصدر منهم وحده بل صدر معه ما هو كاف في الشرك والكفر من انكار الرسل والشرائع والعبادة للأصنام بغير ما ذكر كما بيناه غير مرة وتعليل الصنعاني وغيره كون اتخاذ الشفعاء شركا بأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فاسد فان قوله الا باذنه مثبت للشفاعة فكيف يكون اتخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة واذن لهم فيها شركا (وقوله) فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها رد عليه فاتخاذ الشفيع الذي ذمهم الله عليه هو اتخاذ حجر أو شجر أو صورة شفيعاً مع ان الله لم يجعل لها شفاعة ولا هي أهل لها اما الأنبياء الذين أثبت الله لهم الشفاعة التي هي نوع من الدعاء كما عرفت وجعلهم اهلا لها كما تواترت به الأخبار ودل عليه قوله تعالى: ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى. من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه. ما من شفيع الا من بعد اذنه. يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا. ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له. لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ

عند الرحمن عهدا﴾ قال البيضاوي عهداً من الإيمان والعمل الصالح أو اذنا فيها انتهى ﴿لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ في تفسير البيضاوي الا من شهد بالحق بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالأصنام انتهى فهذه الايات مثبتة للشفاعة جزما مع اذن الله ورضاه ولسنا نطلب منهم ان يشفعوا لنا قهراً وحتما على الله ومثبتة لشفاعة من اتخذ عند الرحمن عهدا ومن شهد بالحق فلاذم على طلب الشفاعة منهم ولا شرك فيه . وظهر من ذلك بطلان قول الصنعاني ان الاعتقاد في حي أو ميت انه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل اليه تعالى شركا كالاعتقاد في الأوثان وقوله بمجرد التشفع لا يظهر له معنى ولا للتقييد به فائدة فانه ان أراد منه انه يشفع بغير اذن الله ويجبر الله على قبول شفاعته فهذا لا يعتقده مسلم ولا يقول به أحد فما فائدة هذا التقييد وكيف رتبوا عليه استحلال دماء المسلمين واموالهم واعراضهم نعم لا يبعد أن يكون عبدة الأصنام يعتقدون مثل ذلك في أصنامهم واوثانهم كما بيناه في غير هذا الموضع وان أراد انه يشفع بمجرد التشفع ويشفعه الله لأن الله اذن له اذنا عاما في الشفاعة عندما يتشفع به أحد ووعده قبول شفاعته لكل من يتشفع به فهذا أيضاً لا يعتقده احد من المسلمين وان كان ممكناً وجائزاً ان دل عليه النقل وانما يقولون ان الله تعالى جعل النبي (ص) شافعاً ومشفعا كما دلت عليه صحاح أخبارهم لكن لا بلا قيد ولا شرط فقد يتشفع به احد ويشفع له وقد لا يشفع له لأنه ليس أهلا للشفاعة او لأن الله لم يأذن له أن يشفع فيه وقد يأذن له في الشفاعة التي هي نوع من الدعاء رجاء ان يشفع فيشفعه الله وليس ذلك حتمياً ولا قطعياً فجعل ذلك كالاعتقاد في الأوثان التي ثبت بصريح العقل ونص الشرع عدم قدرتها على الشفاعة والدعاء وعدم جواز طلبها منها خطأ واضح فما فائدة هذا التقييد أبمثل هذا تستحل دماء المسلمين واموالهم واعراضهم سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

ومما ذكرنا يعلم أن قولهم في الكتاب الى شيخ الركب المغربي بعد ذكر آية ويعبدون من دون الله الاية . فأخبر ان من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم تقول على الله وافتراء عليه فالله تعالى في هذه الاية أثبت لهم شيئين عبادتهم الأصنام وقولهم هؤلاء شفعاؤنا واخبر انهم أشركوا ولم يخبر ان عبادتهم هي طلب الشفاعة

ولا ان طلبها هو الشرك بل أخبر بان عبادتهم الأصنام غير قولهم ذلك لاقتضاء العطف المغايرة كما مر وقد ابطلوا في كتابهم المذكور احتجاجهم بآية ﴿ان الشفاعة لله جميعا﴾ بذكرهم معها الايات الأخر تفسيراً لها وهي ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه. لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ فبينت ان معنى كون الشفاعة كلها لله انها لا تكون الا بإذنه وليس لأحد ان يشفع قهراً عنه وبدون رضاه ويلجئه الى قبولها حياء أو خوفا أو غير ذلك كما يقع بين المخلوقين لا ان معناها عدم جواز طلب الشفاعة ممن له الشفاعة اما ذكرهم في جملة الايات المستدل بها على ابطال طلب الشفاعة من غير الله آية فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم فغريب لأن هذه الاية لا ربط لها بطلب الشفاعة وانما تدل على عدم قبول عذر او توبة بعد الموت من الظالمين ولكن هؤلاء يظنون ان تكثيرهم لسرد الايات يدل على انهم شديدو التمسك بالقرآن (أما قولهم) وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيد بعد ذكر آية فيومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فنعم هو والله لا يرضى بنسبة الشرك الى اهل التوحيد لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة ولا ينفع الناسبين تسمية انفسهم بالموحدين (أما قولهم) فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله فاذا كانت حقاً فما المانع من طلبها أفيجعل الله طلب الحق باطلا وشركا تعالى الله عن ذلك فطلب الحق لا يكون الا حقا وطلب الباطل لا يكون الا باطلا والتقييد بقولهم في دار الدنيا دال على جواز طلبها في الاخرة كما يدل عليه حديث تشفع الناس بالأنبياء واعتذار كل منهم ثم تشفعهم بمحمد (ص) الاتي نقله واذا كان طلبها شركا لم يجز في الدنيا ولا في الآخرة وهل منع الناس من الشرك في الدنيا وابيح لهم الشرك في الاخرة (قولهم) فاذا كان الرسول (ص) وهو سيد الشفعاء لا يشفع الا باذن الله فكيف بغيره لا يظهر له معنى بل هو تطويل بلا طائل ولا علاقة له بالمقصود فمن الذي ينكر ان الرسول (ص) لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً الا بأمر الله ولا يشفع الا باذن الله فضلا عن غيره فهذا ليس محل نزاع بيننا وبينهم انما النزاع في ان طلب الشفاعة من الرسول (ص) الذي جعل الله له الشفاعة من بعد اذنه وتفضله وهدايته وتعليمه له كيفية الشفاعة وتحديده له حداً هل يكون طلبنا الشفاعة منه التي جعلها الله له واذن له فيها شركا وكفراً ومعصية او لا فهل اذا انتفت الشفاعة الا باذن الله يكون طلبها شركا وكفرا وما وجه الملازمة ومن الذي يقول انه (ص) يشفع قهراً على الله ولكن

كل ما يذكره سلفهم لا بد ان يذكره خلفهم ولو لغير فائدة فانظر رعاك الله بعين البصيرة والانصاف الى هذه الاستدلالات الواهية التي بها استحلوا دماء المسلمين واموالهم واعراضهم هل يسوغ التمسك بها والتهجم على الدماء والأموال والأعراض بمثلها (قولهم) وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين واجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة والأربعة وأتباعهم فيا ليت شعري من هو الذي قال وافتى من علماء المسلمين بان طلب الشفاعة من رسول الله (ص) كفر وشرك ومتى أجمع على ذلك علماء المسلمين وفي أي عصر من الأعصار وقع ذلك وفي أي كتاب وجدوه منقولا وهل أحد عنون هذه المسائل قبل الوهابيين وابن تيمية حتى يدعى فيها الاجماع أو عدم الخلاف ومن هو الذي افتى بها من الأصحاب أو التابعين ومن الذي افتى بها من الأئمة والأربعة واين موضعها من كتب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة غير الوهابية ليدلونا على مكانها ان كانوا صادقين. وكيف خالف اتباع الأئمة الأربعة أئمتهم فيها واتبعهم الوهابية خاصة.

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات ابناؤها أدعياء

فدعواهم هذه افتراء منهم على علماء المسلمين وعلى الأصحاب والتابعين وعلى الأئمة الأربعة واتباعهم بل الإجماع حاصل من الأنبياء والمرسلين ومن الصحابة والتابعين على خلاف ما يقوله الوهابية فقد تشفع وتوسل آدم (ع) برسول الله (ص) قبل خلقه وتشفع وتوسل رسول الله (ص) بمن قبله من الأنبياء وتشفع الأصحاب بالنبي (ص) وبفتح كوة بين قبره وبين السماء وتشفع عمر بالعباس كما سيأتي ذلك كله في الفصل الثالث في التوسل ويأتي في هذا الفصل انه (ص) أقر الأعرابي على قوله انا نستشفع بك على الله وفي الفصل الثاني انهم طلبوا من النبي (ص) بعد موته ان يستسقي لهم فسقوا.

ومما تقدم تعلم فساد كلام صاحب الرسالة الثانية من الهدية السنية حيث أثبت الشفاعة للنبي (ص) يوم القيامة ولسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال ومنع من طلبها منهم وقال أنها تطلب من الله فقد بان لك انه لا مانع من طلبها منهم بعد ان ثبتت لهم الشفاعة وان منع طلبها منهم جهل وغباوة أو عناد ومكابرة (أما تعليله) كون طلب ذلك في البرزخ شركا بأنه لم يرد به نص من كتاب أو سنة أو اثر من السلف

الصالح فغريب لأن عدم ورود النص والأثر من السلف لا يستلزم كونه شركا بشيء من وجوه الاسلتزام بل لا يسلتزم تحريمه فضلا عن كونه شركا لما عرفت في المقدمات من اصالة الاباحة فيما لا نص فيه (قوله) بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف انه شرك أكبر قاتل عليه رسول الله (ص) افتراء على الكتاب والسنة والسلف لما عرفت مفصلا من ورودها كلها بخلاف ما قالوه وانه (ص) لم يقاتل أحداً على الاستشفاع بمن له الشفاعة وكذا كلام صاحب الرسالة الأولى منها يظهر فساده مما مر فانه اعترف بان الشفاعة حق في الاخرة وانه يجب على كل مسلم الإيمان بها وبشفاعة سائر الشفعاء فمنع طلبها بعد الاعتراف بها تمحل وعناد وما لفقه للمنع من طلبها لا يخرج عن العناد كقوله ان لها انواعاً مذكورة في محلها وانها ثابتة بالوصف وهو من مات لا يشرك بالله شيئاً لا بالشخص عدى الشفاعة العظمى فانها لأهل الموقف عامة وتفريعه على ثبوتها بالوصف لزوم طلبها من الله بان يشفع فيه نبيه فان ذلك كله تمحل في تمحل فما هي تلك الأنواع التي يدعيها والحال ان الشفاعة مرجوة لكل مذنب لم يشرك بالله كما دل عليه حديث ابي هريرة الذي ذكره تصديقاً لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقد جاء عنه (ص) شفاعتي لأهل الكبائر من امتي وثبوتها بالوصف لا بالشخص لا يظهر له معنى محصل وكأنه يريد به ان من ثبتت له معلوم بالوصف وهو عدم الشرك لا بالشخص وهو زيد أو عمر ومثلا لجواز ان لا يموت على التوحيد فكيف يطلب الشفاعة ولا يخفى ما في ذلك من التمحل والتعسف فاذا كانت الشفاعة ثابتة بصفة عدم الشرك حال الموت فكل موحد يرجو ثبوتها له فما المانع من أن يطلبها وما وجه الملازمة بين ثبوتها بالوصف وعدم جواز طلبها من غير الله فان كان وجهه عدم العلم بثبوت الوصف فذلك لا يقتضي المنع من طلبها رجاء لثبوته ولا يقتضي كون طلبها شركا وكفراً ولا يلزم على من طلب شيئا ان يكون عالما بحصوله وبتحقق شروطه وهل هذا الا مكابرة وتضييق فيما وسع الله فيه (وقوله) إنها ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدى الشفاعة العظمى فانها لأهل الموقف عامة أيضا لا يظهر له معنى محصل فان أراد ان هناك شفاعتين عظمى لأهل الموقف عامة مشركهم وموحدهم وغيرها لخصوص الموحدين نافى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى فاذا كان الله لا يغفر للمشرك ولا يرتضيه فما معنى هذه الشفاعة وما فائدتها (قوله) وليس منها ما يقصدون اذا كانت لأهل الموقف

غامة فما وجه خروج ما يقصدون عنها واذا كانت لمن مات غير مشرك فالمتشفع يرجو أن يكون كذلك (قوله) فالمتعين على كل مسلم صرف همته الى ربه الى قوله طالبا لها من النبي أو غيره. هذا تمويه وتضليل فالمتشفع بمن جعله الله شافعاً لم يصرف همته الا الى ربه ولم يقبل الا اليه ولم يتكل الا عليه ولم يفعل شيئاً ينافي القيام بحق العبودية له بل ذلك من تمام القيام بحقها لأنه عن أمر الله الذي جعله شافعا فنحن لم نطلب منه الا ما جعله الله له وما جعله له الا ليطلب منه كما كان طلب الدعاء من الغير كذلك مع عدم الفرق بينهما فنسبة المسلمين الى انهم بطلبهم الشفاعة من النبي (ص) أهملوا ذلك والتجأوا الى غير الله مقبلين على شفاعته متوكلين عليها افتراء عليهم وكيف يتصور عاقل ان طلب الشفاعة الى الله في غفران الذنب ونيل الخير منه تعالى ممن جعل الله له الشفاعة هو اعراض عن الله والتجاء الى غيره وتوكل على غيره وكيف لم يكن طلب الدعاء من الغير كذلك وطلب الشفاعة لا يخرج عن طلب الدعاء والكل من الله والى الله وفي الله (قوله) فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم قد عرفت بما كررناه مراراً أنه لا مساس لذلك بفعل المشركين ولا باعتقادهم فانهم كذبوا الرسل وعبدوا الأصنام وعظموا من لا يستحق التعظيم من تمثال وشجر ونحوه (قوله) ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد لا يجوز دخول لا النافية على الماضي الا مكررة أو مسبوقة بنفي واعتقاد ان النبي (ص) شافع مشفع وصاحب الوسيلة عند الله وانه يستغفر للمذنبين من امته بعد وفاته كما أخبر عن نفسه (١) وانه مجاب الدعوة وان دعاءه لنا أرجى في الإجابة من دعائنا لأنفسنا هو عين الحق والصواب فجعله سببا لكل فتنة نشأت في الوجود ضلال وخذلان نعوذ بالله منه نعم ان اعتقاد الوهابيين ان ذلك كفر وشرك واستحلالهم به الدماء والأموال كان سببا لكل فتنة في الوجود بغزوهم بلاد الإسلام واراقتهم الدماء ونهبهم الأموال وتفريق كلمة المسلمين وكسر شوكتهم وزيادتهم ضعفا الى ضعفهم فانا لله وانا اليه راجعون (قوله) ولهذا حسم مادة الشفاعة عن كل أحد بغير اذن الإله لا يتوهم عاقل ولا جاهل ان الشفاعة تكون بغير اذن الله وقهرا عليه فالتعبير بقوله حسم مادة الشفاعة بغير

---

(١) بقوله ووفاتي خير لكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت لكم كما مر في المقدمات.

اذنه لا مناسبة له ولا محل فحسم المادة يكون بنفي كل شفاعة والله تعالى بآية من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه قد أثبت الشفاعة باذنه ونفاها بغير اذنه فلم يحسم مادتها وما وجه الربط بين هذه العلة والمعلول فاذا كان الله تعالى قد نفى الشفاعة بغير اذنه أو حسم مادتها بغير اذنه كما يقول هذا الوهابي فهل يلزم ان يكون طالب الشفاعة من النبي (ص) الذي جعل الله له الشفاعة واذن له فيها كافراً ومشركاً. وهل طالب الشفاعة من النبي (ص) يقول له اشفع لي قهراً على الله رضي أم ابى اذن أم لم يأذن (بالدبوس) كدين الوهابية كلا فانظر رعاك الله الى هذه التعليلات والى هذه النتائج والمقدمات التي استحلوا بها الدماء والأموال واعجب ثم اعجب (قوله) ولهذا قال لله الشفاعة جميعاً قد عرفت ان المراد بها انه تعالى مالك أمرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه فلا تزيد عن الاية الأولى (أما قوله تعالى) وما نرى معكم شفعاؤكم الخ فالمراد بشفعائهم الأصنام والأحجار التي كانوا يزعمون انها شركاء فيهم ولها نوع اختيار معه تعالى وتصرف في الكون وهي جماد لا الأنبياء والمرسلين الذين لا يعتقد مسلم فيهم شيئا من ذلك سوى ما جعله الله لهم من الشفاعة عنده والمنزلة لديه فانهم حاضرون مع اممهم يشفعون لها ولم يتقطع ما بينهم وبينها ولا ضلت عنهم لا سيما نبينا محمد (ص) الذي هو وسيلة الخلق يوم القيامة دون الأنبياء (قوله) وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعلقها بالإذن الخ لا ندري ولا المنجم يدري لماذا كان طلبها في هذه الدار زعما بعدم تعلقها باذن الله ولماذا كان تعلقها باذن الله منافياً لطلبها وبأي وجه يدل قولنا يا رسول الله اشفع لي على ارادة اشفع لي رغما عن الله وقهراً عليه وبدون اذنه وهل اذا طلبنا منه الشفاعة يمتنع ويستحيل ولا يمكن أن يستأذن ويشفع فيكون طلب الشفاعة منافيا لتعلقها بالإذن ونفي الولي والشفيع في الآيتين يراد به النفي المقيد الذي هو من دون الله وفي قباله وبغير أمره واذنه لا مطلق الشفيع الثابت بالاستثناء في قوله تعالى الا باذنه وبالضرورة من دين الإسلام ولا مطلق الولي الثابت بقوله تعالى: ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الاية﴾ وغير ذلك (قوله) والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كلام لا يرتبط بالمقصود ولا يثمر غير التطويل بلا طائل سمعه ولم يعرف موضعه فسواء كانت الآيتان واردتين في مورد خاص أو لا لا تدلان على منع طلب الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة كما عرفت.

أما قول ابن عبد الوهاب ان الشفاعة شفاعتان منفية ومثبتة وجعله المنفية ما تطلب من غير الله واستشهاده على ذلك بآية لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والمثبتة ما تطلب من الله فهو تخرص على الغيب وتفسير للقرآن بالرأي والهوى وبغير الوجه الذي يجب أن يفسر به فان قوله تعالى ولا شفاعة عام أو مطلق يجب تخصيصه أو تقييده بالايات الأخر مثل ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى. من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه﴾ لوجوب حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد كما بيناه في المقدمات فيحمل قوله ولا شفاعة على الشفاعة لغير من يرتضي كالمنكر له تعالى أو المشرك به أو من يشفع بغير اذنه أو نحو ذلك أما حمل قوله تعالى ولا شفاعة على نفي الشفاعة المطلوبة من غير الله فلا دليل عليه ولا يساعده العرف مع أنه تعالى أمر بالانفاق من قبل ان يأتي يوم لا شفاعة فيه والمراد به يوم القيامة فهو تعالى نفى الشفاعة في يوم القيامة ولم ينف الشفاعة المطلوبة في الدنيا ولا يمكن ان يراد بهذا اللفظ نفي الشفاعة في الدنيا.

وقد ظهر مما مر ويأتي في فصل الدعاء فساد قول ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج: إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا أي ان تطلبها منه وقال فلا تدعوا مع الله أحداً لما ستعرف من ان الدعاء المنهي عنه في الاية لا يشمل طلب الشفاعة كما لا يشمل طلب الدعاء التي هي نوع منه ولا يمكن ان يكون شاملا لذلك اذ يكون محصله ان الله تعالى أباح لك ان تطلب من كل احد ما اعطاه الله اياه الا الشفاعة فحجر عليك طلبها من النبي (ص) وان أعطيها تحكما من غير فارق الا توهم كون طلبها عبادة وهو توهم سخيف كما عرفت وهذا لا يليق ان يصدر من سفيه فضلا عن رب العزة جلّ وعلا. وظهر أيضاً ان قوله في تعليمه الاحتجاج: الشفاعة اعطيها غير النبي (ص) فصح ان الملائكة والأولياء يشفعون فان قلت الله اعطاهم الشفاعة واطلبها منهم رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه ـ كلام فارغ لا يرجع الى محصل بل هو افتراء على الله تعالى وعلى كتابه فمتى ذكر الله تعالى في كتابه ان طلب الشفاعة من الصالحين عبادة وفي اي سورة أم في اي آية ورد هذا أم اي مفسر ذكر ذلك غاية ما عند ابن عبد الوهاب ان اللات اسم رجل صالح وان المشركين كان لهم صنم على صورته وانهم قالوا ما نعبد الأصنام الا ليقربونا الى الله وان الله قال عنهم ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا وقد اتضح لك ان ذلك أبعد مما يرومه ابن

عبد الوهاب من السماء عن الأرض لصراحة الايات كما مر في عبادتهم الأصنام وانها غير طلب الشفاعة وانهم طلبوا الشفاعة من الصنم الذي هو حجر لا من الصالح الذي ذلك الحجر على صورته وكون بعض الأصنام المعبودة كانت على صورة موهومة لرجل صالح لا يوجب ان يكون الصادر منهم مجرد التشفع برجل صالح ولا يرتبط به ولا يستلزمه بشيء من وجوه الاسلتزام فجعله طلب الشفاعة من الصالحين رجوعا الى عبادتهم التي زعم انه تعالى ذكرها في كتابه قريب من الهذيان فالملائكة والأولياء وان ثبتت لهم الشفاعة كما سبق الا ان من سألهم الشفاعة والاستغفار له لا يكون عابدا لهم ولا يزيد على من يسأل اخاه الاستغفار له والذين أشركوا من العرب بعبادتهم الملائكة لم يشركوا بطلبهم منهم الشفاعة بل اتخذوهم أربابا وقالوا انهم بنات الله كما مر.

ثم ان ابن عبد الوهاب صرح فيما يأتي في فصل الدعاء والاستغاثة بأن طلب المقدور من غير الله تعالى ليس شركا ولا محرما وانما الموجب للشرك ان يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه الا الله وحينئذ فمنعه من طلب الشفاعة من النبي (ص) مع اعترافه بأن له الشفاعة وانه يقدر عليها ولو بعد الاستئذان من الله تعالى وانه الشفيع المشفع تناقض ظاهر كما سيأتي بيانه وما الذي فرق بين الشفاعة وغيرها حتى منع الله تعالى من طلب الشفاعة من غيره وان كان قادراً عليها وجوز طلب الدعاء من المؤمن الذي هو مثلها وغير ذلك مما يقدر عليه هل هو الا نسبة التحكم الى الله تعالى والعبث تعالى الله عن ذلك.

(أما) كلام ابن تيمية في رسالة زيارة القبور الذي فتح به هذا الباب للوهابية بقوله: وان قال انا اسأله لكونه اقرب الى الله مني ليشفع لي وجعله التشفع والتوسل الى الله كما يتوسل الى السلطان بخواصه من افعال الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم شفعاء والمشركين وعبدة الأصنام الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا واستشهاده على ذلك بآيات الشفاعة وزعمه انه تعالى بين الفرق بينه وبين خلقه ففساده أوضح من ان يبين بعدما اثبت الله الشفاعة رأفة بالمذنبين من عباده ليتسببوا الى نيل رضاه وعفوه وجعلها لمن يكرم عليه من انبيائه واوليائه كما يستشفع ويتوسل الى السلطان بخواصه ومن يكرم عليه لكن السلطان يقضي حاجته رغبة أو رهبة أو حياء أو غير ذلك والله تعالى يقضي حاجته كرماً ورحمة ورأفة ولا ينافي ذلك كونه لا يشفع عنده أحد الا باذنه وان الأمر كله له والذين

اخبر الله عنهم انهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله لم يكن ذلك لأجل طلبهم منهم الشفاعة بل انهم احلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم كما جاء في بعض الأخبار فهو نظير قوله تعالى: ﴿اتخذ الهه هواه﴾ والذين عبدوا الأصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا تشفعوا باحجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع فذمهم الله تعالى بقوله: ﴿ام اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ وبين وجه ذمهم بقوله: ﴿أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾ فجعل التشفع بأنبياء الله واوليائه الذين يعقلون ويملكون امر الشفاعة حيث انه تعالى جعل لهم الشفاعة وملكهم أمرها واذن لهم فيها كالتشفع بالأصنام التي لا تعقل ولا تملك شفاعة جهل محض.

(وما بينه) ابن تيمية في تفسير ﴿لله الشفاعة جميعاً. ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع. من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾ من الفرق بين الشفاعة عند الله وعند خلقه يبطل استدلالهم بآية ﴿لله الشفاعة جميعاً﴾ على عدم جواز طلبها من غير الله لأنه ذكر في وجه الفرق ان عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه فيقضي حاجته رغبة أو رهبة أو حياء أو مودة أو غير ذلك والله تعالى لا يشفع عنده احد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل الا ما شاء الله وشفاعة الشافع من اذنه والأمر كله له فهذا معنى ان الشفاعة كلها لله لا انه لا يجوز طلبها من غيره.

هذا مع دلالة جملة من الأخبار على جواز طلب الشفاعة من النبي (ص) وغيره في دار الدنيا لأمور الدنيا والاخرة فعن صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس عن النبي (ص) ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً (١) الا شفعهم الله فيه. وعن صحيح مسلم عن عائشة عن النبي (ص) ما من ميت يموت يصلي عليه امة من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه وهذان الخبران يدلان على جواز الشفاعة في الدنيا من أحاد المؤمنين وانها لا تختص بالاخرة ولا بالأنبياء فهل اذا أوصى رجل جماعة من اخوانه اربعين او مائة ان يقوموا على جنازته ويشفعوا فيه أو يصلوا عليه ويشفعوا فيه يكون مشركاً وآثما مخطئا عند محمد بن عبد

---

(١) بناء على اشراك جميع المسلمين يلزم ان يكون الأربعون من اعراب نجد حتى تقبل شفاعتهم.

الوهاب واتباعه لأنه طلب منهم الشفاعة وخالف قوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا كما يكون طلبها من النبي (ص) كذلك سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

(وعن الترمذي) عن أنس سألت النبي (ص) ان يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قلت فأين اطلبك قال اولا على الصراط قلت فان لم القك قال عند الميزان قلت فان لم القك قال عند الحوض فاني لا اخطي هذه المواضع (فهذا) انس قد طلب الشفاعة من النبي (ص) في دار الدنيا ولم يطلبها من الله كما يريد ابن عبد الوهاب واقره النبي (ص) على ذلك افهل كان انس بذلك آثماً ومشركا والنبي (ص) لم يسمع بقوله تعالى لله الشفاعة جميعا. ولا تدعوا مع الله احدا ولذلك لم ينه أنساً عن طلب الشفاعة منه او سمعه النبي (ص) ولم يفهم معناه وفهمه محمد بن عبد الوهاب واتباعه لأنهم اعلم بكتاب الله تعالى من رسول الله (ص) واصحابه.

وقد طلب سواد بن قارب وهو من الصحابة الشفاعة من النبي (ص) بقوله كما سيأتي في الفصل الثالث في التوسل:

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولم ينكر عليه رسول الله (ص) ولم ينهه ولم يقل له لم طلبت الشفاعة مني ودعوت غير الله فاشركت مع ان الشفاعة كلها لله ولا يجوز ان يدعى أحد مع الله فادع الله واطلب الشفاعة منه وقل يا الله شفعه في كما يقوله ابن عبد الوهاب.

وفي السيرة الحلبية (١) عن ابن اسحق في كتاب المبدأ ان تبعا الحميري آمن بالنبي (ص) قبل مولده وكتب كتابا فوصل الى النبي (ص) بعد مبعثه وفيه وان لم ادركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني وان النبي (ص) قال مرحبا بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات (انتهىٰ) ولو كان هذا شركا وكفرا لوجب ان ينكره لا ان يرحب بصاحبه ثلاثا ويسميه الأخ الصالح ولو انكره لنقل عنه.

وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور (٢) ما لفظه في الحديث ان اعرابيا قال للنبي

---

(١) صفحة ٨٨ ج ٢.

(٢) صفحة ١٥٥.

صلى الله عليه وآله وسلم جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فسبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك. قال فأقره على قوله انا نستشفع بك على الله وانكر عليه نستشفع بالله عليك لأن الشافع يسأل المشفوع اليه والعبد يسأل ربه ويستشفع اليه والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به انتهى فاقرار النبي (ص) له على قوله انا نستشفع بك على الله دليل على جواز طلب الشفاعة من النبي (ص) في دار الدنيا وانه ليس فيها شائبة منع.

واتضح فساد قول الوهابيين ان الشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله فقد اقر النبي (ص) على طلبها منه في دار الدنيا لأمور الدنيا ولغيرها ومع هذا كله يعاند الوهابيون ويصرون ويتمحلون ويخالفون صريح السنة ليستحلوا دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ويزعمون انهم بها يتمسكون فانا لله وانا اليه راجعون (لا يقال) الذي انكره الوهابية طلب الشفاعة من النبي (ص) في دار الدنيا بعد موته وهذه الروايات كلها في طلب الشفاعة من الأحياء فلا يتم الاستدلال (لأنا نقول) الدليل الذي استدلوا به على عدم جواز طلب الشفاعة في دار الدنيا وانها شرك ان تم لا يفرق بين طلبها من الحي وطلبها من الميت وهو قوله تعالى: ﴿لله الشفاعة جميعاً فلا تدعوا مع الله احداً﴾ (مع) انها قد وردت اخبار في طلب الشفاعة منه (ص) بعد موته (وهي) ما سيأتي من ان ابن حنيف علم رجلا ان يقول في دعائه في خلافة عثمان يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان تقضي حاجتي ويذكر حاجته وانه فعل ذلك فقضيت حاجته (وما رواه) المفيد في المجالس عن ابن عباس ان أمير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من غسل النبي (ص) كشف الإزار عن وجهه ثم قال بأبي انت وامي طبت حيا وطبت ميتا (الى ان قال) بأبي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك ثم أكب عليه فقبل وجهه (وفي خلاصة الكلام) صح انه لما توفي (ص) أقبل ابو بكر (رض) فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله وقال بأبي انت وامي طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك انتهى وهذا استشفاع به (ص) في دار الدنيا بعد موته كل هذا والوهابية واتباعهم يزعمون انهم سلفيون متمسكون بأقوال السلف وبأقوال الصحابة (وفي خلاصة الكلام)

عن شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللهم اني أستشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له انتهى وسيأتي في فصل التوسل من جملة الدعاء الذي ذكره العلماء في باب آداب الزيارة خطاباً له (ص) جئناك لقضاء حقك الى قوله والاستشفاع بك فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك فاستغفر لنا واشفع لنا الخ ويأتي هناك أن كثيراً من علماء المذاهب الأربعة ذكروا في كتب المناسك عند ذكر الزيارة استحباب التشفع به (ص).

الفصل الثاني

(في دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعانة به وطلب الحوائج منه)

وهذا مما صرح الوهابية وقدوتهم ابن تيمية بأنه موجب للشرك والكفر ففي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (١) ان قول ادركني أو اغثني او اشفني او انصرني على عدوي ونحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى اذا طلب في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك وادعى ورود الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله (ص) وصرح بذلك ابن تيمية في كلامه المتقدم في الباب الثاني المنقول عن رسالة الواسطة وصرح به في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور في عدة مواضع وهي جواب لمن سأله عمن يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به أو بفرسه أو بعيره يطلب ازالة ذلك ويقول يا سيدي انا في جيرتك انا في حسبك فلان ظلمني فلان قصد اذيتي ويقول ان المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالى وفيمن يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع وفيمن يجيء الى شيخه ويستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ويمسح القبر بيديه ويمسح بهما وجهه وامثال ذلك وفيمن يقصده بحاجته ويقول يا فلان ببركتك او يقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ وفيمن يعمل السماع ويجيء الى القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدي شيخه على الأرض ساجداً وفيمن قال ان ثم قطباً غوثا جامعا في الوجود.

(١) صفحة ٤٠.

ومما جاء في الجواب قوله(١): من يأتي الى قبر نبي او صالح ويسأله حاجته ويستنجده مثل ان يسأله ان يزيل مرضه او يقضي دينه او نحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل فهذا شرك صحيح «صريح ظ» يجب ان يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ثم ذكر(٢) عن وثيمة وغيره ان وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً اسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناماً وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ولهذا قال النبي (ص): (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) الى ان قال (٣): وهذا ما يظهر الفرق بين سؤال النبي (ص) والرجل الصالح في حياته وسؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك أنه في حياته لا يعبده احد في حضوره الى ان قال(٤): ولم يكن احد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك العكوف قال ومن أعظم الشرك ان يستغيث الرجل بميت وغائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب يا سيدي فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره أو جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ومعلوم ان خير الخلق واكرمهم على الله نبينا محمد (ص) واعلم الناس بقدره وحقه اصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك لا في مغيبه ولا بعد مماته. وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة زيارةالقبور(٥) وقول كثير من الضلال: هذا اقرب الى الله مني وانا بعيد من الله لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك ـ من أقوال المشركين فان الله تعالى يقول: ﴿واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان﴾ (الى ان قال) وامر الله العباد ان يقولوا ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ واخبر عن المشركين انهم قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ثم يقال لهذا المشرك أنت اذا دعوت غير الله فان كنت تظن انه أعلم بحالك واقدر على عطاء سؤالك أو ارحم بك عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره (الى ان قال) وان كنت تعلم انه

---

(١) صفحة ١٥٦. (٢) صفحة ١٦١. (٣) صفحة ١٦٢. (٤) صفحة ١٦٣ طبع المنار بمصر.
(٥) صفحة ١٥٧.

أقرب الى الله منك واعلى درجة فانما معناه ان يثيبه الله ويعطيه اكثر مما يعطيك ليس معناه انك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوت انت الله فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول وان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته كما تقول للحي ادع لي وكما كان الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء فهذا مشروع في الحي دون الميت الى آخر ما يأتي في هذا الفصل.

وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة زيارة القبور(١) ما حاصله: مطلوب العبد ان كان مما لا يقدر عليه الا الله فسائله من المخلوق مشرك من جنس عباد الملائكة والتماثيل ومن اتخذ المسيح وامه الهين مثل ان يقول لمخلوق حي أو ميت اغفر ذنبي أو انصرني على عدوي او اشف مريضي او عافني او عاف اهلي او دابتي او يطلب منه وفاء دينه من غير جهة معينة أو غير ذلك وان كان مما يقدر عليه العبد فيجوز طلبه منه في حال دون حال فان مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهياً عنها قال الله تعالى: ﴿فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب﴾ واوصى النبي (ص) ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واوصى طائفة من أصحابه ان لا يسألوا الناس شيئاً فكان سوط احدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد ناولني اياه وقال فهذه المنهي عنها والجائزة طلب دعاء المؤمن لأخيه الخ.

وصرح محمد بن عبد الوهاب في كلامه السابق في الباب الثاني بأن دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله موجب للارتداد عن الدين والدخول في عداد المشركين وعبدة الأصنام واستحلال المال والدم الا مع التوبة بقوله: أن النبي (ص) قاتل المشركين لتكون جملة اشياء كلها لله وعد منها الدعاء والاستغاثة وغير ذلك من كلماته السابقة.

وقال في رسالة كشف الشبهات(٢) عند تعليمه الاحتجاج على المسلمين المشركين بزعمه: فان قال (أي الخصم من المسلمين الذي هو مشرك بزعمه): انا لا اعبد الا الله

---

(١) صفحة ١٥٣ ـ ١٥٥ طبع المنار بمصر.
(٢) صفحة ٦٢ ـ ٦٤ طبع المنار بمصر.

والالتجاء الى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له أنت تقرأن الله فرض عليك اخلاص العبادة فبين لي هذا الذي فرض عليك فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فبينها له يقوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ اذا عملت بهذا هل هو عبادة فلا بد ان يقول نعم والدعاء مخ العبادة فقل اذا دعوت الله ليلا ونهاراً خوفا وطمعا ودعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل اشركت في عبادة الله فلا بد ان يقول نعم فقل له وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك والا فهم مقرون انهم عبيد الله تحت قهره وان الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة ثم قال فان قال انا لا اشرك بالله شيئا حاش وكلا والالتجاء الى الصالحين ليس بشرك فقل اذا كنت تقر ان الله حرم الشرك أعظم من الزنا وان الله لا يغفره فما هو فانه لا يدري فقل كيف تبرىء نفسك من الشرك ولا تعرفه فان قال الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبدها فقل ما معنى عبادتها أتظن انهم يعتقدون ان تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فهذا يكذبه القرآن يعني قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض الاية﴾ أو هو قصد خشبة او حجر او بنية او غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون انه يقربنا الى الله زلفى ويدفع عنا ببركته وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها وايضا قولك الشرك عبادة الأصنام هل تريد ان الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا فهذا يرده ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين.

(وقال) في الرسالة المذكورة أيضا(١): ولهم شبهة اخرى وهي ما ذكر النبي (ص) ان الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلّهم يعتذر حتى ينتهوا الى رسول الله (ص) فهذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله ليست شركا (قال) والجواب ان نقول سبحان من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدو﴾) وكما يستغيث الإنسان باصحابه في الحرب وغيره في اشياء يقدر عليها المخلوق ونحن انكرنا استغاثة

---

(١) صفحة ٧٠ طبع المنار بمصر.

العباد عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليهاالا الله فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنّة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والاخرة ان تأتي عند رجل صالح تقول له ادع الله لي كما كان اصحاب رسول الله (ص) يسألونه في حياته واما بعد مماته فحاش وكلا انهم سألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه .

ثم قال (١) ولهم شبهة اخرى وهي قصة ابراهيم لما القي في النار اعترض له جبرائيل في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على ابراهيم (واجاب) بأن جبرئيل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فانه كما قال الله فيه (شديد القوى) فلو اذن له أن يأخذ نار ابراهيم ويلقيها في المشرق أو المغرب او يضيع ابراهيم عنهم في مكان بعيد أو يرفعه الى السماء لفعل وهذا كرجل غني يعرض على رجل محتاج ان يقرضه أو يهبه فيأبى ويصبر حتى يأتيه الله برزق لامنة فيه لأحد فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون انتهى .

وصرح الصنعاني في كلامه السابق في الباب الثاني بأن من فعل ذلك أي الدعاء والنداء والاستعانة والالتجاء لمخلوق فقد اشرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور الهاً لعابديه سواء كان ملكا أو نبيا أو ولياً او شجراً أو قبراً أو جنيا أو حيا أو ميتا وصار بهذه العبادة أو اي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده ولم يخرجه اقراره وعبادته عن الشرك وعن وجوب سفك دمه وسبي ذراريه ونهب أمواله كما لم يخرج المشركين (وذكر) الصنعاني في تطهير الاعتقاد سؤال استغاثة الناس بآدم عليه السلام يوم القيامة بما يقرب مما تقدم عن ابن عبد الوهاب الا انه قال فان قلت الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث فانه قد صح ان العباد يستغيثون بآدم الخ وقال بدل ليست شركا ليست بمنكر وقال قلت هذا تلبيس فان الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد (الى ان قال) وانما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم اموراً لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية المريض وغيرها (الى ان قال) نعم

(١) صفحة ٧١ .

استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء انما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف وهذا لا شك في جوازه اعني طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض وأمرنا سبحانه ان ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم يعني قوله تعالى: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾.

(قال) وقد قالت ام سليم (رض) يا رسول الله خادمك انس ادع الله له وقد كان الصحابة (رض) يطلبون الدعاء منه (ص) وهو حي وهذا امر متفق على جوازه والكلام في طلب القبوريين من الأموات او من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً ان يشفوا مرضاهم ويردوا غائبهم وينفسوا على حبلاهم ويسقوا زرعهم ويدروا ضروع مواشيهم ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها الا الله تعالى هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون. ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم﴾ وصرح بذلك الوهابية في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني.

ثم ان حاصل استدلال الوهابيين على عدم جواز دعاء غير الله تعالى بنحو الاستغاثة والاستعانة وطلب الحوائج على أحد الوجوه المبينة في صدر الجواب وانه كفر وشرك اكبر كدعاء الأصنام على ما يفهم من كلماتهم المار ذكرها وكما في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية(١) انه تعالى قال: ﴿وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً. له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء. والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون. ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم. والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير. والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الاية. قل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه. ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك الاية. ان تدعوهم لا

(١) صفحة ٨٦.

يسمعوا دعاءكم الاية. ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الاية﴾.

وقال الصنعاني في تنزيه الاعتقاد وقد سمى الله الدعاء عبادة بقوله ﴿ادعوني استجب لكم. ان الذين يستكبرون عن عبادتي الاية) وفي الهدية السنية (١) عنه (ص) الدعاء مخ العبادة رواه الترمذي وفي رواية الدعاء هو العبادة ثم قرأ (ص) وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي الاية رواه احمد وابو دواد والترمذي انتهى.

ومن هتف باسم نبي أو صالح عند الشدائد كقول يا رسول الله يا ابن عباس بدون ان يتبعه بشيء او قال اشفع لي الى الله في حاجتي أو استشفع بك الى الله في حاجتي أو نحو ذلك أو قال اقض ديني أو اشف مريضي أو نحو ذلك فقد دعا ذلك النبي والصالح والدعاء عبادة بل مخها كما عرفت فيكون قد عبد غير الله وصار مشركا اذ لا يتم التوحيد الا بتوحيده تعالى في الإلهية باعتقاد ان لا خالق ولا رازق غيره وفي العبادة بعدم عبادة غيره ولو ببعض العبادات وعباد الأصنام انما اشركوا بعدم توحيد الله في العبادة كما مر مفصلا.

(والجواب) ان الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى يكون على وجوه ثلاثة (الأول) ان يهتف باسمه مجرداً مثل ان يقول يا محمد يا علي يا عبد القادر يا أولياء الله يا اهل البيت ونحو ذلك (الثاني) ان يقول يا فلان كن شفيعي الى الله في قضاء حاجتي او ادع الله ان يقضيها أو ما شابه ذلك (الثالث) ان يقول اقض ديني او اشف مريضي او انصرني على عدوي وغير ذلك (وليس) في شيء من هذه الوجوه الثلاثة مانع ولا محذور فضلا عما يوجب الإشراك والتكفير لأن المقصود منها طلب الشفاعة وسؤال الدعاء سواء صرح بذلك كما في الوجه الثاني أولا كما في الوجهين الباقيين للعلم بحال المسلم الموحد المعتقد ان من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً فبسبب ذلك نعلم انه لم يقصد سوى طلب الشفاعة والدعاء ولو فرض اننا جهلنا قصده لوجب حمله على ذلك سواء صدر من عارف او عامي لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة مهما امكن حتى يعلم الفساد وعدم جواز تكفير المقر بالشهاذتين الا بما يوجب كفره على

---

(١) صفحة ٨٦.

اليقين وعدم جواز التهجم على الدماء والأموال والأعراض بغير اليقين كما مر في المقدمات فيكون ذلك هو المحذوف المطلوب من المدعو في الوجه الأول ويكون اسناد الفعل الى المدعو مجازاً في الإسناد في الوجه الثالث من باب الإسناد الى السبب لكونه بدعائه وشفاعته سبباً في ذلك كما في بنى الأمير المدينة وشفى الطبيب المريض فان ذلك صحيح في لغة العرب كثير فيها وفي القرآن الكريم وهو المسمى عند علماء البيان بالمجاز العقلي وهو اسناد الفعل الى غير ما هو له من سبب او غيره والقرينة عليه هنا ظاهر حال المسلم فان كون المتكلم به مسلما يعتقد ويقر بأن من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً الا بإقدار الله تعالى يكفي قرينة على ذلك ولهذا ذكر علماء البيان ان مثل انبت الربيع البقل اذا صدر من الدهري كان حقيقة واذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً كما تقدم تفصيله في المقدمات واي فارق بين انبت الربيع البقل وبين ما نحن فيه فليكون هذا الإسناد كإسناد الرزق وما يجري مجراه الى غير الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فارزقوهم منها. ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله. وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله﴾ والإغناء لا يقدر عليه الا الله فكيف نسبه الى الرسول (ص) وجعله شريكا لله في ذلك وهل هو الا كالرزق الذي لا يقدر عليه الا الله تعالى وهم قد جعلوا قول ارزقني شركا وكفراً وقد نسب الله تعالى الى عيسى عليه السلام الخلق وإبراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله بقوله حكاية عنه ﴿اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الأكمه والأبرص واحيي الموتى باذن الله﴾ فكيف جاز نسبة ذلك اليه ولم يكن كفراً ولا شركا ولم يجز نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق ونحو ذلك الى النبي او الولي باذن الله فان كان المانع انه لا يقدر عليه الا الله فالكل كذلك وان كان عدم القدرة بعد الموت فهي حاصلة بما دل على حياة الأنبياء بل وغيرهم في عالم البرزخ كما مر في المقدمات.

(والى) ما ذكرنا اشار عالم المدينة السمهودي الشافعي في كتابه وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى (١) بقوله: وقد يكون التوسل به (ص) بطلب ذلك الأمر منه بمعنى انه

---

(١) صفحة ٤٢١ ج٢ طبع عام ١٣٢٦ بمصر.

(ص) قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته الى ربه فيعود الى طلب دعائه وان اختلفت العبارة ومنه قول القائل له اسألك مرافقتك في الجنة الحديث ولا يقصد به الا كونه (ص) سبباً وشافعا انتهى وفي قول القائل اسألك مرافقتك في الجنة في الحديث المشار اليه رد لما توهموه من كفر من قال اشف مريضي وانصرني على عدوي ونحوه حتى ادعى ابن تيمية اجماع المسلمين على ذلك كما مر في الباب الثاني فمرافقته في الجنة لا يقدر عليها غير الله نظير غفران الذنب وشفاء المريض بل لو فرض انه ليس ظاهر حال القائل ما ذكرنا وتساوى الاحتمالان أو ضعف الاحتمال الصحيح لم يجز الحكم بالكفر والشرك لوجوب الحمل على الصحة ولو مع الاحتمال الضعيف وعدم جواز التكفير الا مع اليقين (نعم) لو قصد في الوجه الأول والثالث ان المستغاث به هو الفاعل لذلك اختياراً واستقلالاً بدون واسطته تعالى واقداره فالمسلمون منه براء ولكنه لا يوجد بين المسلمين احد يقصد ذلك نعم ربما يوجد من لا يخطر بباله شيء تفصيلا فيجب حمله أيضاً على الوجه الصحيح من طلب الدعاء والشفاعة دون غيره لأنه وان لم يقصد ذلك ولم يلتفت اليه تفصيلا الا انه مقصود له اجمالا ولهذا لو سئل انك هل تعتقد انه قادر على ذلك بلا واسطته تعالى لقال كلا لا اعتقد ذلك وتبرأ ممن يعتقده ولو قيل له هل مرادك طلب الدعاء والشفاعة لقال نعم .

وحيث ظهر ان مرجع ذلك الى طلب الشفاعة وسؤال الدعاء (فنقول) أما الشفاعة فمضى الكلام فيها في الفصل السابق وانها لا تخرج عن سؤال الدعاء (واما سؤال الدعاء) فلا مانع منه عقلا ولا شرعا من حي ولا ميت اما من الحي فاعترف الوهابيون (والمنة لله) بجوازه ولم يجعلوه شركا ولا كفراً ولا بدعة صرح بذلك ابن عبد الوهاب والصنعاني وقبلهما ابن تيمية . قال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور(١) ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل يدعو له اخوه بظهر الغيب دعوة الا وكل الله بها ملكا كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك ولك مثل ذلك) ومن المشروع في الدعاء اجابة غائب لغائب(٢) ولهذا أمر (ص) بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ففي الحديث اذا سمعتم

---

(١) صفحة ١٥٥ .

(٢) كأن صوابه ومن المشروع في اجابة الدعاء دعاء غائب لغائب .

المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي فان من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو ان أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة ويشرع طلب الدعاء ممن هو فوقه ودونه فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودع عمر الى العمرة وقال لا تنسنا من دعائك يا اخي وثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر اويس القرني وقال لعمر إن استطعت ان يستغفر لك فافعل وفي الصحيحين كان بين ابي بكر وعمر (رض) شيء فقال ابو بكر لعمر استغفر لي لكن في الحديث ان ابا بكر ذكر انه حنق على عمر وثبت في الصحيحين ان الناس لما أجدبوا سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستسقي لهم فدعا الله لهم فسقوا انتهى ثم ذكر حديث الأعرابي الذي قال للنبي (ص) ادع لنا ولم ينكر عليه وقد مر في فصل الشفاعة.

وأما طلب الدعاء من الميت فمنعه ابن تيمية وتبعه ابن عبد الوهاب وسائر الوهابية. قال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور(١) وان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه أعظم مما يجيبه اذا دعوته كما تقول للحي ادع لي وكما كان الصحابة يطلبون من النبي (ص) الدعاء فهذا مشروع في الحي وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسأل لنا ربك ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا امر به احد من الأئمة ولا ورد فيه حديث بل الذي ثبت في الصحيح انهم لما اجدبوا زمن عمر (رض) استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ولم يجيئوا الى قبر النبي (ص) قائلين يا رسول الله ادع الله لنا ونحن نشتكي اليك مما أصابنا ونحو ذلك لم يفعل ذلك احد من الصحابة قط بل هو بدعة ما انزل الله بها من سلطان بل كانوا اذا جاؤوا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلمون عليه فاذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر بل ينحرفون عنه ويدعون الله وحده لا شريك له كما يدعونه في سائر البقاع انتهى (وقال) ابن عبد الوهاب في كلامه السابق في هذا الفصل ان أصحاب رسول الله (ص) كانوا يسألونه

---

(٢) صفحة ١٥٨.

الدعاء في حياته أما بعد وفاته فحاش وكلا انهم سألوا ذلك (وقال) الصنعاني في كلامه السابق ايضاً كان الصحابة يطلبون الدعاء منه (ص) وهو حي وهذا امر متفق على جوازه (وفي) الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية بل يطلب من احدهم (أي الأولياء) الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم انتهى (فابن تيمية) جعله بدعة وابن عبد الوهاب والصنعاني في كلاميهما السابق في صدر الفصل زادا في نغمة الطنبور فجعلاه كفراً وشركا والحق جوازه كما جاز من الحي لعدم ظهور مانع منه «فان كان منعه» لأنه خطاب للمعدوم وهو غير قادر على سماع الكلام ولا على الدعاء فيرده ما مر في المقدمات من انه (ص) وسائر الأنبياء أحياء بعد الموت وانه يسمع الكلام ويرد الجواب ويبلغه صلاة وتسليم من يصلي ويسلم عليه وان علمه بعد وفاته كعلمه في حياته وان أعمال امته تعرض عليه وانه يستغفر لهم. وكما يدعو لهم بالمغفرة يدعو لهم بغيرها من خير الدنيا والاخرة لأنه (ص) كما وصفه الله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم فأي مانع ان نطلب منه الاستغفار بعد موته أو غيره من الدعاء بخير الدنيا والاخرة وهل منعه الا تحكم ومكابرة وعناد وان الوهابية لا ينكرون حياته(ص) بعد الموت وحديث رد روح الميت حتى يرد السلام وما يأتي قريباً من ان بعض الصحابة دعاه أن يستسقي لأمته فجاء الى بعضهم في النوم واخبره أنهم مسقون فسقوا وقد نص القرآن الكريم على ان الذين قتلوا في سبيل الله احياء عند ربهم يرزقون ودرجة النبوة اعظم من درجة الشهادة بل ورد ان مداد العلماء افضل من دماء الشهداء فلا يبعد في حق الأنبياء ما ثبت في حق الشهداء مع ان الروح باقية غير فانية ويمكنها السؤال والدعاء مع ان اعتقاد ان الميت يسمع أو لا ليس من الواجبات فمن اعتقده اما مصيب مأجور أو مخطىء معذور فلا يوجب اعتقاده شركا ولا إثما ولو فرض عدم سماعه الكلام وعدم قدرته على الدعاء فطلبه منه لا محذور فيه لأنه ليس مما لا يقدر عليه الا الله فيكون كطلب القراءة من الأعمى بظنه بصيراً والمشي من المقعد بظنه سليما او مناداة ميت وطلب شيء منه بظنه نائما وكل ذلك لا يوجب شركا ولا إثما (وان كان منعه) باعتبار انه بدعة لم يرد به نص ولم يفعله السلف فيكفي في رفع البدعة عنه ورود النص في الحي بعد دلالة النصوص على حياته (ص) في قبره كما سمعت مع ان دعوى عدم فعل السلف له يكذبها ما ذكره

السمهودي الشافعي عالم المدينة في كتابه وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى(١) بقوله: وقد يكون التوسل به (ص) بعد الوفاة بمعنى طلب ان يدعو كما كان في حياته وذلك فيما وراه البيهقي من طريق الأعمش عن ابي صالح عن مالك الدار ورواه ابن ابي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار (وفي غير وفاء الوفاء عن مالك الدار خازن عمر) قال اصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب (رض) جاء رجل الى قبر النبي (ص) فقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله (ص) في المنام فقال أئت عمر فأقرأه السلام واخبره أنهم مسقون الحديث قال وروى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة (رض) قال ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه (ص) وهو في البرزخ ودعاؤه لربه في هذه الحالة غير ممتنع وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد فلا مانع من سؤاله الاستسقاء وغيره كما كان في الدنيا انتهى (وان كان منعه) لتوهم أنه عبادة للمطلوب منه الدعاء فهو فاسد لأن طلب الدعاء ليس عبادة والا لكان طلبه من الحي عبادة لعدم تعقل الفرق مع أن طلبه من الحي جائز بالإجماع بل بالضرورة فتشدد ابن تيمية وأتباعه فيه وسرده الدعاوى المنفية بلا دليل على عادته بقوله غير مشروع. لم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر به أحد من الأئمة ولا ورد فيه حديث. لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط. بدعة ما أنزل الله بها من سلطان. تشدد بارد فاسد كسائر تشدداته واتباعه من الوهابيين فيما لا ينبغي التشدد فيه وتساهلهم فيما يجب التشدد فيه كتكفير المسلمين واستحلال دمائهم واموالهم ودعواه أنه بدعة ماانزل الله بها من سلطان من أشنع البدع التي ما انزل الله بها من سلطان مع أن دعوى ابن تيمية وابن عبد الوهاب انه لم يفعل ذلك أحد من الصحابة شهادة على النفي وهي غير مقبولة كما تقرر في محله وهل عاشروا جميع الصحابة واطلعوا على جميع أحوالهم حتى عرفوا انه لم يصدر منهم ذلك كلا ومن الذي يدعي الإحاطة بجميع ما صدر من الصحابة والعادة قاضية بأنه لا بد أن تكون خفيت علينا من أحوالهم امور كثيرة لم تنقل الينا لا اقل من الاحتمال سلمنا عدم فعل الصحابة له

(١) ج ٢ صفحة ٤٢١ طبع عام ١٣٢٦ بمصر.

لكن ليس كل ما لم يفعله الصحابة يكون بدعة فالبدعة كما مر في المقدمات ادخال ما ليس من الدين في الدين ومجرد عدم فعل الصحابة له لا يدل على انه ليس من الدين اذا لم يكن من الواجبات لجواز ان يترك الصحابة المستحب أو المباح وهل اذا أردنا ان ننشيء الفاظا ندعوا الله تعالى بها تكون بدعة لأن الصحابة لم يدعوا بها أو اذا اردنا ان ندعوا الله تعالى مستلقين على ظهورنا يكون بدعة لأنه لم يفعله الصحابة الى غير ذلك مما لا يحصى سبحانك اللهم ما هذا التضييق على العباد فيما وسع الله عليهم فيه بل اذا لم يفعل النبي (ص) شيئاً لا يدل ذلك على تحريمه لجواز تركه المستحب والمباح فالإسراع الى قوله بدعة والمبالغة بأنه ما انزل الله بها من سلطان تقول على الله تعالى بغير علم ولو سلمنا جدلا عدم فعل الصحابة لذلك وان ما لم يفعلوه يكون بدعة فما الذي أوجب ان يكون شركا وكفراً كما زعمه ابن عبد الوهاب وما الدليل على ذلك أهو قوله حاش وكلا فظهر انه لا فرق بين طلب الدعاء منه (ص) في حياته وبعد وفاته وان التفرقة بينهما محض جمود أو عناد وان ما هو شرك لا يمكن ان يكون توحيداً وبالعكس.

(والجواب) عن احتجاجهم على عدم جواز دعاء غير الله والاستعانة والاستغاثة به بآية فلا تدعوا مع الله أحداً وما ذكر معها ـ ان الدعاء في اللغة مطلق النداء قال الله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ ويطلق الدعاء على سؤال الله تعالى والرغبة اليه وطلب حوائج الدنيا والاخرة منه باعتقاد انه مالك أمر الدنيا والاخرة وبعبارة اخرى باعتقاد الوهيته واستحقاقه العبادة والتعبد والخضوع له بذلك اطاعة لأمره واطلاق الدعاء على ذلك اما لأنه أحد أفراد المعنى اللغوي أو لصيرورته حقيقة عرفية في ذلك أو مجازاً مشهوراً وقد ورد في الشرع الحث على دعاء الله تعالى وطلب حوائج الدنياو الاخرة منه وسمي عبادة قال قال الله تعالى: ﴿آدعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وقال زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه بعد ذكر الاية (فسميت دعاءك عبادة وتركه استكباراً وتوعدت عليه دخول جهنم داخرين) حتى ورد ان الدعاء مخ العبادة أو هو العبادة كما ذكروه في احتجاجهم وبمضمونه عدة روايات. وانما كان كذلك لما فيه من اظهار نهاية الخضوع والتذلل لله تعالى والافتقار اليه وان الأمور كلها بيده ولهذا أمر بالدعاء وحث عليه مع انه اعلم بحوائجنا منا وارأف بنا من كل احد

ولكنه اراد ان نظهر له غاية الخضوع والعبودية وننزل به حوائجنا جليلها وحقيرها حتى ورد انه أوحى الى موسى (ع) يا موسى اسألني حتى علف دابتك وقوت يومك او ما هذا معناه.

ولا شك ان مطلق الدعاء والمناداة وطلب الحاجة من غير الله لا يكون عبادة ولا ممنوعا منه فمن دعا رجلا ليأتي اليه أو ليعينه وينصره او ليناوله شيئاً او يقضي له حاجة لم يكن عابداً له ولا آثما. فقوله تعالى ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ لا يراد به مطلق الدعاء قطعا بل دعاء خاصاً وهو الدعاء المساوي لدعاء الله تعالى باعتقاد ان المدعو قادر مختار مساو لله في ذلك كما كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك في بيعها وكنائسها او دعاء من نهى الله عن دعائه من الأصنام والأوثان التي هي احجار واشجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تسأل ولا تشفع كما كان يفعله المشركون في الكعبة او دعاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون أن لهم تأثيراً في الكون مع الله بأنفسهم او يشفعون عنده اضطراراً بحيث لا يرد شفاعتهم او نحو ذلك مما لم يجعله الله لهم وكذلك قوله (ص) الدعاء مخ العبادة او هو العبادة لا يراد به مطلق الدعاء بل دعاء خاص كما اريد بالاية الكريمة بل لا يبعد ان يراد بالدعاء فيه خصوص دعاء الله تعالى اي ان دعاء الله تعالى مخ عبادة الله تعالى وذلك لاشتماله على نهاية الذل والخضوع والعبادة أقصى نهاية الخضوع والذل لأنها مأخوذة من قولهم طريق معبد أي مذلل فتكون الألف واللام فيه نائبة عن الإضافة فهي عهدية لا جنسية. وآيات ﴿والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون. ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ دالة على انهم كانوا يعتقدون انهم قادرون على نصرهم بأنفسهم لا بدعائهم وشفاعتهم والا لم تكن الآيتان رداً عليهم ولكان لهم ان يقولوا انهم وان لم يقدروا على نصرنا بأنفسهم فهم قادرون عليه بالتسبب بدعاء الله لنا الذي وعد اجابة الدعاء ونحن لم نطلب منهم غير ذلك وانهم وان كانوا عباداً أمثالنا فهم قادرون على ان يشفعوا لنا عند الله الذي جعل لهم الشفاعة بإذنه فيستأذنونه ويشفعون هذا ان كانوا من الأنبياء أو الصلحاء.

اذا عرفت ذلك ظهر لك ان من دعا نبياً أو ولياً واستغاث به فذلك لا يدخل في الدعاء المنهي عنه في الاية لأن هذا الدعاء والاستغاثة لا يخرج عن طلبه منه ان يدعو الله

له أو يشفع له عنده الذي هو في معنى الدعاء فمن طلب ذلك مع اعتقاد ان الأمر فيه لله ان شاء اجاب دعاءه وقبل شفاعته وان شاء رد لا يدخل في النهي قطعاً بعد ما عرفت ان المنهي عنه ليس مطلق الدعاء بل دعاء مخصوص مع ان طلب الدعاء والشفاعة ممن جعل الله له ذلك لا يخرج عن دعاء الله تعالى وعبادته وتعظيم شأنه والتوسل اليه بأنواع الوسائل وفي ذلك مبالغة في التضرع اليه والطلب منه الذي علم انه يحبه ويرضاه وانه مخ العبادة له (والمعية) في الاية ظاهرة في المساواة ومن يدعو النبي (ص) ليدعو الله له ويشفع اليه في حاجته لم يدعه مع الله ولم يساوه به بل في الحقيقة دعا الله الذي امر بطلب الدعاء من الغير وجعل له الشفاعة وليس المراد بالمعية مجرد المشاركة في الوجود والا لحرم دعاء غير الله في المساجد أو مطلقاً مع الله بان يقول يا الله اغفر لي ويا فلان اسقني ماء وحينئذٍ فقول يا محمد ادع لي الله أو اشفع لي عنده الذي هو في معنى ادعه لا يزيد عن قوله يا فلان اسقني ماء (وبعبارة اخرى) معنى مع الله ان يكون دعاؤه في عرض دعاء الله لا في طوله والأصنام لو فرض ان دعاءها ليس كذلك فالله نهى عن دعائها بكل حال لأنها جماد ولأن دعاءها خلاف على الله وتكذيب للرسل ودعاء باقي المعبودات كعيسى والملائكة والجن هو مثل دعاء الله قطعاً فعيسى (ع) اتخذ شريكاً في الربوبية والملائكة والجن اعتقد ان لهم قدرة وتأثيراً مع الله كما مر.

أما قوله تعالى: ﴿له دعوة الحق﴾ الاية فمعناه والله العالم ان المدعو بحق هو الله تعالى وما يدعون من دونه من حجر أو شجر أو يعتقدون إلهيته كعيسى فيدعونه ليرزقهم بدخلهم الجنة ويفعل معهم فعل الرب مع عبيده او ملك أو جني يعتقدون ان له تأثيراً مع الله أو شفاعة اضطرارية او غير مردودة او نحو ذلك لا يستجيبون لهم أما الأحجار والأشجار فلأنها جماد لا تقدر على شيء سواء كانت على صورة صالح او لا لأن الدعاء والشفاعة للصالحين لا لصورهم واما من يدعي فيه الإلهية أو التأثير مع الله من ملك او جني فلأنه ليس الهاً أو لا تأثير له ولا يبعد ان يكون المراد الأصنام خاصة وأن تكون واردة في مشركي قريش ولذلك شبه حالهم بباسط كفيه الى الماء يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واين ذلك من طلب الدعاء من الصالحين الذي أمر الله بطلب الدعاء منهم

ودلت الايات والأخبار على حياتهم بعد الموت وقدرتهم على ذلك كما مر ويأتي وسؤال الشفاعة منهم التي جعلها الله لهم واخبر انهم قادرون عليها وبذلك ظهر جلياً ان قياس دعاء الصالحين على دعاء الأصنام والأوثان وعيسى ومريم وغير ذلك قياس باطل وتوهم فاسد.

اذا عرفت هذا فلنعد الى الجواب عن كلماتهم السابقة كل منها على حدته (اما قوله ابن تيمية) بشرك من يسأل النبي او الصالح ازالة مرضه أو قضاء دينه او نحو ذلك ولزوم قتله ان لم يتب ففاسد لما عرفت من عدم جواز التهجم على تكفير المسلم واستحلال دمه بغير اليقين ووجوب حمل قوله وفعله على الصحيح مهما امكن ولا يقين هنا لوجود المحمل الصحيح وهو ارادة الإسناد الى السبب بالدعاء والشفاعة وان مثل ذلك وارد في كلام العرب والقرآن الكريم (واما) روايته ان وداً وسواعا الخ اسماء قوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم الى ان اتخذوا تماثيلهم اصناما فهو حجة عليه لا له فان موجب تكفيرهم اتخاذ تماثيلهم اصناماً لا التبرك بقبورهم (قوله) وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو اصل الشرك وعبادة الأوثان. يأبى الخذلان الذي اصاب ابن تيمية الا ان يسمي المداومة على زيارة قبور الأنبياء والصلحاء بالعكوف تنظيراً له بالعكوف على الأصنام وستعرف في فصل الزيارة ان استحباب زيارة قبر النبي (ص) وقبور سائر الأنبياء والصلحاء ودعائه تعالى عندها من ضروريات دين الإسلام واذا ثبت استحباب ذلك ثبت استحباب الإكثار منه فانه لا سرف في الخير كما لا خير في السرف فسواء سماه ابن تيمية عكوفا او غيره لا يضر الا نفسه اما جعله ذلك اصل الشرك وعبادة الأوثان (فان اراد به) انه سبب تام في ذلك ففساده ظاهر لما نشاهده من تعظيم المسلمين قبور الأنبياء والصالحين وتبركهم بها اجيالا عديدة ومع ذلك لم يتخذوا صورهم وتماثيلهم اصناما.

وان كان يقول ان هذا التعظيم والتبرك عبادة للقبور كما تقول الوهابية فقد رجع عن قوله انه اصل الشرك وعبادة الأوثان وسببه (وان اراد) انه قد يؤدي الى عبادة الأوثان والشرك كما ادى في قوم نوح الذين اتخذوا صور الصالحين اوثانا بعد ما عظموا قبورهم وتبركوا بها فهذا لا يوجب تحريمه كما انه اذا ادى ظهور المعجزة او الكرامة على يد نبي او صالح الى اتخاذه الهاً لا يكون اظهارهما محرما بعد وجود الأدلة من العقل والنقل على عدم

الهيته القاطعة للعذر (وان اراد) بكونه اصل الشرك انه نفسه شرك وعبادة للأوثان كما تقوله الوهابية فقد علم فساده بما اقمناه من البراهين على انه ليس كذلك وبوجود الفرق الواضح بينه وبين عبادة الأصنام (اما قوله) ولهذا قال (ص) اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد فتخرص على الغيب فمن الذي اخبره ان علة قوله (ص) ذلك الخوف من ان يصل تعظيم قبره والتبرك به وتقبيله الى اتخاذه وثناً يعبد بل هو دعاء بان يعصم امته من اتخاذ قبره وثناً يعبد بما كانت تعبد به الجاهلية اوثانها لا بمجرد تعظيم المسلمين له وتبركهم به الذي قد بينا مراراً انه ليس عبادة له (اما تفرقته) بين سؤال النبي والصالح في حياته وسؤاله بعد موته او في مغيبه بأنه في حياته لا يعبده احد في حضوره فمما يضحك الثكلى (اولا) ان السبائية قد عبدت امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في حضوره حتى حرقهم بالنار فزاد ذلك اعتقادهم بالهيته لما سمعوه منه لا يعذب بالنار الارب النار المحمول على الكراهة في غير المقام الذي يناسبه شدة العقاب او غيره من المحامل (ثانيا) احتمال ان يترتب على فعل المباح او الراجح امر محرم لا يوجب تحريمه والا لحرم جميع ما في الكون من فعل (قوله) ولم يكن احد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء. ما اهون الدعاوى المنفية وتتابع ادوات النفي على ابن تيمية اذا حاول ما طبع عليه من انتقاص قدر الأنبياء والصلحاء كأنما الله تعالى اوجده في جميع العصور واطلعه على كل كائنات الدهور وانا نسأله هل كان مالك بن أنس إمام دار الهجرة والذي قيل فيه لا يفتى ومالك في المدينة وحجة الله على خلقه بشهادة الإمام الشافعي(١) من سلف هذه الأمة ومن التابعين أو تابعي التابعين حين قال لأبي جعفر المنصور وقد سأله قائلا يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم أستقبل رسول الله (ص) فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم (ع) الى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به (الحديث) وهل أنكر احد ذلك على مالك من علماء المدينة وهي ملئى بالتابعين وتابعي التابعين أو من علماء سائر الأقطار وهل تحتاج فضيلة المكان المدفون فيه جسد النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) كما في خلاصة تذهيب الكمال صفحة ٣١٣ طبع مصر.

وسلم وهو سيد الكائنات واشرف ولد آدم الى رواية خاصة ونص مخصوص واذا ثبتت فضيلته ثبتت فضيلة الصلاة فيه أفيلزم مع ذلك ان ينزل ملك على ابن تيمية يخبره بفضيلة الصلاة في المكان الفاضل ولكن تكفير المسلمين واستحلال أموالهم ودمائهم تكفي فيه الظنون والأوهام وسرد الدعاوى المنفية بلا دليل. وسيأتي في فصل التوسل ان جميع أصحاب المناسك من علماء الإسلام ذكروا استحباب المجيء الى قبر رسول الله (ص) والدعاء: اللهم انك قلت في كتابك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الخ وتقدم مجيء رجل الى قبره (ص) وسؤاله ان يستسقي لأمته فسقوا (قوله) ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم هذه الدعوى يكذبها مضافا الى ما تسالم عليه المسلمون خلفاً عن سلف من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم كما يظهر مما ذكرناه في تضاعيف هذا الكتاب ما ذكره عالم المدينة السمهودي الشافعي في كتابه وفاء الوفا حيث قال في كلامه الاتي في الفصل الثالث ان الاستغاثة بالنبي (ص) من فعل الأنبياء والمرسلين وسيرالسلف الصالحين وما ذكره في خاتمة الباب الثامن (١) من استغاثة جماعة من السلف به (ص) بعد وفاته حيث قال (خاتمة) في نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبي (ص) أو طلب منه شيئا عند قبره فأعطي مطلوبه ونال مرغوبه مما ذكره الإمام محمد بن موسى بن النعمان في كتابه مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام (فمن ذلك) ما قال اتفق لجماعة من علماء سلف هذه الأمة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين. قال محمد بن المنكدر أودع رجل أبي ثماني ديناراً وخرج للجهاد وقال له ان احتجت انفقها واصاب الناس جهد من الغلاء فأنفقها فقدم الرجل وطلبها فقال له عد الي غداً وبات في المسجد يلوذ بقبر النبي (ص) مرة وبمنبره مرة حتى كاد أن يصبح يستغيث بقبر النبي (ص) فبينما هو كذلك واذا بشخص في الظلام يقول دونكها يا ابا محمد فمد يده واذا صرة فيها ثمانون ديناراً (وقال) الإمام ابو بكر ابن المقري كنت انا والطبراني وابو الشيخ في حرم رسول الله (ص) وأثر فينا الجوع فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي (ص) وقلت يا رسول الله الجوع (الى ان قال) فدق الباب علوي معه

(١) صفحة ٤٢٥ ج ٢.

غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير وقال أشكوتم الى رسول الله (ص) فاني رأيته في المنام فأمرني ان احمل بشيء اليكم ثم ذكر السمهودي بعد نحو من نصف ورقة أن هذه الواقعة رواها ابن الجوزي في كتابه الوفاء بإسناده الى ابي بكر المقري قال (وقال ابن الجلاد) دخلت المدينة وبي فاقة فتقدمت الى القبر وقلت ضيفك فغفوت فرأيت النبي (ص) فأعطاني رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الاخر (وقال أبو الخير الأقطع) وذكر نحوه (وقال ابو عبد الله محمد بن ابي زرعة الصوفي) سافرت مع ابي ومع ابي عبد الله بن خفيف الى مكة فأصابتنا فاقة شديدة فدخلنا المدينة فأتى ابي الحظيرة وقال يارسول الله انا ضيفك الليلة (الى ان قال) فقال رأيت رسول الله (ص) فوضع في يدي دراهم وبارك الله فيها الى ان رجعنا الى شيراز وكنا ننفق منها (وقال احمد بن محمد الصوفي) تهت في البادية ثلاثة أشهر فانسلخ جلدي فدخلت المدينة وجئت الى النبي (ص) فسلمت ثم نمت فرأيته (ص) في النوم فقال لي جئت قلت نعم وانا جائع وانا في ضيافتك قال افتح كفيك فملأهما دراهم فانتبهت وهما مملوءان. ثم نقل السمهودى ما يزيد على عشر وقائع من هذا القبيل ومنها واقعتان نقلهما عن نفسه يطول الكلام بذكرها فيلطلبها من أرادها ويستفاد من ذلك أيضاً ان الاستغاثة بالنبي (ص) عليها سيرة المسلمين خلفاً عن سلف بدون تناكر بينهم فيكشف عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما عرفت في المقدمات مع انه لا يحتاج جواز الاستغاثة الى ورود الدليل بل المانع عليه اقامة الدليل (قوله) ومن أعظم الشرك الخ قد عرفت انه لا شرك فيه بوجوب حمله على الوجه الصحيح فضلا عن كونه من أعظم الشرك (قوله) وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم. بل هذا حال الوهابية في اتباعهم رؤساءهم على غير بصيرة ولا هدى فأشبهوا الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الذي ورد فيها انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما حرموا عليهم حلالا واحلوا لهم حراما فاتبعوهم ومما مر تعلم فساد قوله ان خير الخلق الى قوله ولا بعد مماته.

(قوله) وقول كثير من الضلال هذا أقرب الى الله مني وانا بعيد لا يمكنني ان أدعوه الا بهذه الواسطة من أقوال المشركين الخ.

أما قول هذا اقرب الى الله مني فصحيح ليس فيه شيء من الضلال فان درجات الناس متفاوتة في القرب منه تعالى بالطاعة الذي هو بمعنى القرب المعنوي تشبيها بقرب

المكان واما قول لا يمكنني ان أدعوه الا بهذه الواسطة فلا يقوله ولا يعتقده احد من المسلمين فضلا عن ان ينسب الى كثير من الضلال ولم نسمع الى الان من احد ولا عنه انه يقول ذلك بل يدعون الله مرة بلا واسطة ومرة بواسطة نعم قد يقولون ان هذا أقرب الى الله مني فدعاؤه ارجى للإجابة من دعائي وهذا لا بأس به ولا مانع منه فقد ثبت ان دعاء الغير أرجى للإجابة ولو لم يكن اقرب وروي ان الله تعالى أوحى الى موسى (ع) ﴿ادعني على لسان لم تعصني به﴾ كما كانت الصلاة على النبي ﴿ص﴾ التي أمرنا الله تعالى بها في الدعاء من اسباب إجابته كما صرح به ابن تيمية في كلامه السابق والله تعالى قادر على إجابة الدعاء بدون الصلاة على النبي (ص) فكيف أمر بها لتكون سببا في اجابة الدعاء ولم يكن ذلك منافيا لقربه من الداعي وكان التشفع اليه بذوي المكانة الذي جعل الله لهم الشفاعة منافيا لذلك (وخلاصة القول) ان الله تعالى امر عباده بدعائه ووعدهم الإجابة قصداً لتذللهم وتعبدهم له من دون حاجة منه الى دعائهم مع قدرته على ان يعطيهم بدون دعاء مع رأفته بهم لكنه اراد ان يتعبدوا له بانواع التعبد والتذلل ويتوسلوا اليه وجعل لهم من لطفه بهم ورحمته اسبابا لنيل فضله ونعمه مثل الصلاة على النبي (ص) في دعائهم والتشفع اليه بذوي المكانة عنده ومن ذلك اعطاؤه الشفاعة لذوي الشفاعة مع عدم حاجة منه الى شيء من ذلك ولو فرض ان احداً قال لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الواسطة لكان مخطئا وغالطا ولم يكن مشركا وكافراً كما يزعمه ابن تيمية واتباعه الوهابية (اما استدلاله) بآية واذا سألك عبادي عني الاية على امكان دعاء الله بلا واسطة فمن فضول الكلام فانه لا ينكر احد امكان ذلك وانه تعالى قريب ممن دعاه ولكن لا ينافي ذلك كون بعضهم أقرب من بعض ولا كون دعاء الغير ارجى للإجابة (واما) استشهاده بآية اياك نعبد وآية انما نعبدهم ليقربونا فلا محل له فلا أحد يعبد غير الله ولا يستعين بغيره وانما هو سؤال الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن عبادته تعالى والاستغاثة به لأنه عن امره (قوله) ان كنت تظن انه اعلم بحالك واقدر على عطاء سؤالك او ارحم بك فهذا جهل وضلال وكفر. ليس في المسلمين من يعتقد هذا فذكره فضول وتطويل وبدون طائل (قوله) وان كنت تعلم ان الله اعلم واقدر وارحم فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره. لم يعدل احد عن سؤاله تعالى الى سؤال غيره وانما هو طلب الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن سؤاله تعالى لأنه عن امره كما مر (ونقول)

له النبي (ص) يعلم ان الله تعالى أعلم بحاله واقدر على عطاء سؤاله وارحم به من عمر فلم عدل عن سؤاله الى سؤال عمر وقال له حين ودعه الى العمرة لا تنسنا من دعائك يا اخي حسبما رويت واذا كان (ص) يعلم ذلك فلماذا طلب منا ان نصلي عليه ونسأل الله تعالى له الوسيلة ولماذا لم يطلبها هو من الله ولماذا امر عمر ان يسأل أويساً القرني ان يستغفر له ولماذا قال ابو بكر لعمر استغفر لي ولماذ لم يطلب ابو بكر المغفرة منه تعالى بغير واسطة عمر والله تعالى أعلم بحاله واقدر على عطاء سؤاله وارحم به من عمر ولماذا سأل الناس النبي (ص) أن يستسقي لهم لما اجدبوا ولم يستسقوا بأنفسهم والله تعالى أعلم بحالهم واقدر على عطاء سؤالهم وارحم بهم من النبي (ص) وقد روى ذلك كله ابن تيمية فيما مر قريباً واعترف به وهو هنا يقول فلم عدلت عن سؤله الى سؤال غيره وان كان يزعم ان المسلمين يسألون غيره تعالى لأنه القادر المختار الفاعل لما يشاء فهذا افتراء على المسلمين لما عرفت من ان ذلك لا يخرج عن طلب الدعاء وسؤال الشفاعة ويكاد الإنسان يقضي عجباً من تمحلات هؤلاء وتهافت كلامهم (قوله) وان كنت تعلم انه أقرب الى الله منك فانما معناه انه يثيبه أكثر مما يثيبك لا انك اذا دعوته يقضي الله حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوت انت الله. نعم ان دعاء الغير للعبد ارجى في الإجابة من دعائه نفسه كما مر فلهذا ينبغي له الجمع بيننه يعلم انها كلمة حق لم يرد بها الا الحق (قوله) فانك اذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله والا فالله أولى بالرحمة والقبول مما يضحك الثكلى فانك قد عرفت ان المطلوب من النبي او الصالح الدعاء والشفاعة التي لا تخرج عن الدعاء وهو قد سلم ان طلب الدعاء من الغير مشروع فيقال له اذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالذي تسأله الدعاء لك لا يعين على ما يكرهه الله والا فاة اولى بالقبول والرحمة فلماذا تسأل الغير ان يدعو لك أو لم يعلم ابن تيمية ان مستحق العقاب قد يرحمه الله تعالى بالدعاء من الغير الذي هو أرجى في الإجابة ومستحق رد الدعاء قد يجيب الله دعاء غيره فيه ويقال له ايضاً اذا كان العبد مستحقا للعقاب ورد الدعاء فلماذا أمر الله تعالى بالدعاء على وجه العموم والله تعالى لا يأمر بما يكرهه ولا يعين عليه ولم لم يرحم بدون دعاء وشفاعة ولم أمر في الدعاء بالصلاة على النبي (ص) وجعلها سبباً لقبوله ولم جعل الشفاعة واذن فيها وكون الله أولى بالرحمة والقبول لا ينافي التوسل إليه بدعاء الغير بل هذا من أتم أسباب

رحمته ورأفته (قوله) وان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته. قد عرفت ان هذا هو الحاصل من المسلمين الذي أمر به الشرع ودل عليه النقل لا غيره (قوله) فهذا مشروع في الحي دون الميت. قد مضى الكلام عليه مفصلا وانه لا فرق بين الحي والميت.

ومما ذكر تعلم فساد تفصيله في رسالة زيارة القبوريين طلب مالا يقدر عليه الا الله وما يقدر عليه غيره فاذا كان المطلوب هو الدعاء والشفاعة لم يكن المطلوب غير مقدور وكلما طلب فيه غير المقدور يجب حمله على طلب الدعاء والشفاعة حملا لفعل المسلم على الصحة فالتفصيل المذكور ساقط من اصله.

(وأما قوله) ان مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهياً عنها أراد بالنهي نهي الكراهة والتنزيه لا نهي المنع والتحريم فله وجه بمعنى انه لا ينبغي مسألة الناس والاستعانة بهم مع امكان الاستغناء عنهم وسمع بعض أئمة اهل البيت عليهم السلام من يقول اللهم لا تحوجني الى خلقك فنهاه وقال ما معناه انه لا بد من احتياج الخلق بعضهم لبعض ولكن قل اللهم لا تحوجني الى لئام خلقك وان اراد غير ذلك فهو مردود عليه ولكن ذلك كله خارج عما نحن فيه فان كلامنا في الاستغاثة بالمخلوق ليكون شافعاً الى اللهووسيلة اليه ولا شك ان ذلك راجح لا كراهة فيه اذا كان المستغاث أهلا لذلك فان ذلك لا يخرج عن عبادة الله ودعائه والاستغاثة به بل هو المستغاث حقيقة والله تعالى يحب دعاءه والتوسل اليه بكرام خلقه لأن ذلك من انواع العبادة له والتذلل له والا فالله تعالى قادر على ان يعطينا بدون دعائنا وتوسلنا وتضرعنا ويعفو عنا بغير شفاعة شفيع فلماذا امرنا بالدعاء وقبل شفاعة الشفعاء واذن لهم فيها.

واما ما ذكره ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج من قوله انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة الى قوله فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها (فجوابه) ان علماء المسلمين اعرف بربهم وبعبادته وانواعها منه ونسبته لهم الى الجهل بالعبادة وانواعها جهل وسوء أدب وتخرص على الغيب واذا كان لا يعرف العبادة ولا انواعها فكيف جزم بأنه لا بد ان يقول ان الدعاء عبادة وانه مخ العبادة (قوله) اذا دعوت الله ودعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل اشركت في عبادة الله الخ قد علم بما بيناه انه ليس كل دعاء عبادة وان من يدعو غير الله في حاجة من نبي أو صالح حي او ميت ليدعو الله له في

قضاء حاجته ويشفع له عنده ليس بعابد لذلك النبي او الصالح وليس مشركا في عبادة ربه احداً ولا خارجاً عن دعاء الله وعبادته فلا نطيل بأعادته (قوله) وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء قد عرفت ايضاً ان عبادتهم لهم كانت بالسجود والذبح والإهلال بأسمائهم على الذبائح والالتجاء الى الأحجار والأشجار للجاه والشفاعة التي نهى الله عن الالتجاء اليها على لسان انبيائه ولم يجعل فيها صفة تصحح الالتجاء اليها ولا جاه لها عنده سواء قصد طلب شفاعتها او التجيء اليها لأنها فاعلة بنفسها ولأنها جمادات لا قدرة لها على شيء اصلا ولا تسمع ولا تعقل او بعبادة ملك او جني واعتقاد ان له تأثيراً مع الله وقدرة بنفسه لم يجعلها الله له .

(قوله) اذا كنت تقر ان الله حرم الشرك الخ فما هو فأنه لا يدري قوله لا يدري حكم على غائب وتخرص على الغيب وما الذي اعلمه انه لا يدري وهل الله اشركه في علم الغيب بل الشرك الذي حرمه الله تعالى معلوم معروف عند جميع المسلمين لا يجهله عوامهم فضلا عن علمائهم فنسبتهم الى انهم لا يعرفون معنى الشرك افتراء باطل وإساءة ادب مع علماء الأمة الذين قال رسول الله (ص) فيهم علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل او افضل من انبياء بني اسرائيل ومع الأمة عموماً التي قال الله تعالى عنها انها خير امة اخرجت للناس فجعلهم يجهلون معنى الشرك ويعرفه اعراب نجد فقط (وقد عرفت) ان الشرك والكفر يتحقق بأحد الأمور المتقدمة في الأمر الرابع عشر من المقدمة الثانية وما في حكمها وتحقق الشرك بذلك اوضح من ان يبين او يجهله مسلم .

ويمكن ان نقلب هذا الاستدلال على ابن عبد الوهاب واتباعه (فنقول) لأحدهم انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة وحرم عليك الشرك فبين لنا هذا الذي فرض عليك وحرم عليك فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فان قال اخلاص العبادة هو ان لا يدعوغير الله ولا يستغيث الا بالله ولا ينحر ولا يذبح الا لله والشرك دعاء غير الله والتشفع والاستغاثة به فقل له هل مطلق دعاء غير الله وندائه عبادة فان قال نعم فقل له اذاً لا يسلم احد من الشرك وان قال بل هو دعاء مخصوص فقل بينه لي فان قال هو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فقل فلماذا كفرتم المسلمين في طلب الشفاعة من النبي (ص) وهو قادر عليها وهو الشفيع المشفع فانه لا يهتدي الى جوابه . وقل له هل كل تعظيم عبادة موجبة للشرك فأن قال نعم فقل اذاً تعظيم الأبوين وتعظيم النبي (ص) في

حياته شرك وكفر وإن قال هو تعظيم مخصوص فقل له بينه لي فانه لا يعرفه فقل له انه تعظيم غير الله بما نهى عنه الله وكان مساوياً لتعظيم الله وهذا لا يفعله مسلم. وقل له هل كل ذبح ونذر لغير الله أو هو ذبح ونذر مخصوص فلا بد ان يقول انه نذر وذبح مخصوص فقل له فما هو فأن قال هو نذركم وذبحكم للأولياء فقل اذا نذرنا ان نذبح شاة ونتصدق بها على الفقراء فهل هذا النذر والذبح لله أو لغير الله فلا بد ان يقول انه لله فقل له وكذلك النذر والذبح الذي تزعمون انه للولي هو نذر وذبح لله ليتصدق به على الفقراء ويهدي ثوابه للنبي أو الولي.

(قوله) أتظن انهم يعتقدون ان تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق الخ فيه انهم وان لم يعتقدوا انها تخلق وترزق الا انهم عبدوها وعظموها بما نهاهم الله عنه واعتقدوا ان لها شرفا ذاتياً واختياراً وتدبيراً كما أوضحناه مراراً فلا نطيل بإعادته وليس هذا هو فعل المسلمين عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها كما زعم وتوهم على ما سبق مفصلا (فأين) الاستغاثة بذوي المكانة عند الله ودعاؤهم من عبادة الأصنام واين فعل المسلمين من فعل عباد الأصنام (فالمسلمون) بتعظيمهم من أمر الله بتعظيمه وتبركهم بمن أثبت الله له البركة واستغاثتهم وتشفعهم بمن جعله الله مغيثاً وشافعاً وطلبهم دعاءه واستغفاره هم لم يعبدوا غير الله تعالى ولم يعظموا غير الله ولم يستغيثوا الا بالله ولم يدعوا غير الله لأن كل ما كان عن أمر الله تعالى فهو اطاعة له ولو تعلق بالمخلوقين واشتمل على تعظيمهم كما كان سجود الملائكة لآدم ويعقوب وأولاده ليوسف وتعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الأسود وتقبيله واستلام الأركان وتعظيم حجر اسماعيل ومقام ابراهيم والصلاة عنده وتعظيم الحرم والمساجد وهي جمادات كلها عبادة لله تعالى وتعظيما له (قوله) هل تريد ان الشرك مخصوصا بهذا أي عبادة الأصنام وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا فهذا يرده ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين. قد عرفت ان كفر من تعلق على الملائكة لم يكن لمجرد التشفع بهم وطلب دعائهم وان كفر من تعلق على عيسى لأنه جعله الهاً مستحقا لجميع صفات الألوهية لا مجرد الاستغاثة به بطلب دعائه وشفاعته فراجع فتعبيره بالتعلق المجمل وعدم بيانه المراد منه جهل أو تضليل فأين هذا ممن استغاث بنبي أو ولي دل الشرع على انه حي يسمع الكلام فطلب دعاءه وشفاعته.

(واما) من تعلق على الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التي ورد أنها اسماء قوم صالحين فقد اقام لهم تماثيل من احجار يعبدها ويسجد لها ويذبح الذبائح ويهل بها لها ويذكر اسماءها عليها ويطليها بدمائها ويتقرب بها الى تلك الأحجار ويستغيث بها ويعتقد ان لها تأثيراً وقدرة الى غير ذلك ولم يكن منه مجرد الاستغاثة والتشفع الى الله بأصحابها الذين هم قوم صالحون ولهم مكانة عند الله بل تشفع واستغاث بأحجار على صورهم الموهومة لم يجعل الله لها حرمة ولا شفاعة ولم يقتصر على ذلك بل زاد عليه انواعاً من العبادة كما مر مراراً واين هذا من الاستغاثة والتوسل بالنبي أو الولي الذي دل الشرع على انه حي بعد الموت (قوله) في جواب استغاثة الناس بالأنبياء يوم القيامة الدالة على انها ليست شركا: سبحان من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها الخ (ونقول) سبحان من طبع على قلبه فجعله لا يلتفت الى التناقض والتهافت في كلامه فانه كما عرفت في الفصل الثاني يمنع من طلب الشفاعة من النبي (ص) ويجعله شركا ويوجب طلبها من الله تعالى بقوله اللهم شفعه في أو ارزقني شفاعته مع تسليمه بأنه (ص) قادر عليها وان له الشفاعة وانه الشفيع المشفع وهنا يقول لا ننكر الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه فأي جهل وتنقض وتهافت أعظم من هذا وهو مع ذلك يقول سبحان من طبع على قلوب اعدائه مع انك عرفت مراراً ان الاستغاثة الحاصلة بالمخلوق ليست الا فيما يقدر عليه وهو الدعاء والشفاعة وان عبر بقوله أرزقني واشف مريضي وغير ذلك كما مر آنفاً (لا يقال) انما منع من طلب الشفاعة من النبي (ص) تمسكا بقوله تعالى ان الشفاعة لله جميعا. فلا تدعوا مع الله أحدا فيكون عدم جواز طلبها منه وان كان قادراً عليها لنص شرعي تعبدي وهو الآيتان الشريفتان (لأنا نقول) معنى الاية الأولى كما عرفت في الفصل الأول ليس عدم جواز طلب الشفاعة منه (ص) بل انه تعالى مالك أمرها فلا يشفع عنده احد الا بإذنه والا لمن ارتضى ولا يلجئه أحد الى قبول شفاعته كما يقع من المخلوقين المنهي عنه في الاية الثانية دعاء مخصوص لا مطلق الدعاء كما عرفته في هذا الفصل (وأول) كلامه بالنسبة الى الاستغاثة وغيرها مطلق شامل للمقدور وغيره مع انه في مقام البيان ولكن لما اعترض عليه بالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة التي لم يجد لها جوابا قيد حينئذ الاستغاثة الممنوعة بغير المقدور والا فما باله لم يقيدها من أول الأمر ويسلم من الاعتراض مع كونه في مقام البيان (ومنه) يظهر بطلان

جواب الصنعاني السابق الراجع الى التفصيل بين الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه وغيرها لما عرفت من ان الاستغاثة الحاصلة لا تخرج عن المقدور (قوله) واما بعد مماته فحاش وكلا انهم سألوا ذلك فيه انه يناقض قوله الأول: ونحن انكرنا استغاثة العباد عند قبور الأنبياء والأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها الا الله فانه يدل على ان الموجب للإنكار كونها لا يقدر عليها الا الله وحينئذ فلا فرق بين طلبها من الحي أو الميت فلو طلب من الحي مالا يقدر عليه الا الله لكان شركا عنده وقوله وأما بعد مماته فحاش وكلا الخ يدل على عدم جواز طلب شيء من الميت مطلقاً ولو كان مما يقدر عليه غير الله كالدعاء والشفاعة وهو تناقض ظاهر فتارة جعل المناط عدم قدرة غير الله وتارة الحياة والموت والغيبة والحضور (كما) ان تقييد الصنعاني بالأحياء مشعر بعدم جواز الاستغاثة بالأموات حتى في المقدور (وكيف) كان فقد عرفت ان التفصيل بين ما يقدر عليه غير الله وما لا يقدر عليه الا الله لا يرجع الى محصل بعد ما كان المراد سؤال الدعاء وطلب الشفاعة المقدورين فكما ان استغاثة الناس بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف واستغاثة المسلمين بهم في الدنيا يريدون منهم ان يدعوا الله ويشفعوا عنده حتى يقضي حوائجهم وهذا امر مقدور لهم بعد مماتهم لما عرفت في المقدمات من حياة النبي (ص) في قبره واستغفاره لأمته (ومن) ذلك يعلم فساد تفرقته بين استغاثة ابراهيم بجبرئيل عليهما السلام لو فعلها واستغاثتنا بالنبي (ص) بأن الأولى استغاثة في أمر مقدور بخلاف الثانية لأن الثانية هي أيضاً في أمر مقدور وهي طلب الدعاء والشفاعة وليس فيها عبادة وشرك لو كان يفقه (كما ان) التفصيل بين الاستغاثة بالأحياء والاستغاثة بالأموات ولو في المقدور لغير الله تحكم محض لم يأت الصنعاني عليه بدليل ولم يزد ابن عبد الوهاب في دليله على قوله فحاش وكلا انهم سألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فضلا عن دعائه نفسه وهي دعوى مجردة عن الدليل لم يأت عليها بشاهد ولا اثر مروي بل عرفت انها دعوى كاذبة وان الأمر بالعكس فانهم أنكروا على من لم يدع الله عند قبره ولم يستقبله في دعائه ويتوسل به كما وقع لمالك امام دار الهجرة مع المنصور العباسي وان سيرة السلف والخلف دعاء الله تعالى عند قبره الشريف والتبرك به فمن هم السلف الذين يزعم ابن تيمية وابن عبد الوهاب انهم أنكروا على من دعا الله تعالى عند

قبر النبي (ص) وهل مالك إمام المذهب وإمام دار الهجرة الذي قيل فيه لا يفتى ومالك في المدينة والذي قال فيه الإمام الشافعي حجة الله على خلقه لا يعد منهم فظهر بذلك ان ما قاله افتراء على السلف وانه لا فرق بين طلب الدعاء منه (ص) في حياته وبعد وفاته وان التفرقة بينهما محض جمود أو عناد وان ما هو شرك لا يمكن ان يكون توحيداً وبالعكس.

مما يدل على جواز الاستغاثة بغير الله من النقل ما في خلاصة الكلام انه رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود (رض) قال قال رسول الله (ص) اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله عباداً يجيبونه (وفي حديث آخر) رواه الطبراني انه (ص) قال اذا أضل احدكم شيئاً او اراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني وفي رواية اغيثوني فان لله عباداً لا ترونهم وقال ان الفقهاء ذكروا ذلك في آداب السفر انتهى وهو موجود في كتب اصحابنا أيضاً وأورده بعض الوهابية في الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ببعض التغيير (١) (قال) ومما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله قوله (ص) وأورد الحديث الأول لكنه قال احبسوها بدل احبسوا (قال) وفي رواية اذا اعيت فليناد يا عباد الله أعينوا (ثم اجاب) بأجوبة طويلة جلها لا يرجع الى محصل ولا يليق ان يسطر ولا يرتبط بالمقصود فلذلك أعرضنا عن نقله (ومما ذكره) القدح في السند برواية الطبراني له في الكبير بسند منقطع عن عقبة وان النووي عزاه لابن السني وفي إسناده معروف بن حسان قال ابن عدي منكر الحديث مع ان اخذ الفقهاء له بالقبول وذكرهم مضمونه في آداب السفر وايراد أئمة الحديث له في كتبهم كالطبراني والنووي مغن عن تصحيح سنده لو سلم ما قاله وكيف خفي على الفقهاء والمحدثين ان مضمونه شرك أو حرام وظهر ذلك لأعراب نجد (وأجاب) صاحب المنار في الحاشية بأن المتبادر ان النداء لمن عساه يوجد من الناس في الفلاة ولم يره وهو معتاد انتهى ولما كان الحديث المذكور في رسالة الوهابية اشارة الى ما رواه الطبراني والنووي كما نص عليه صاحب الرسالة عند قدحه في السند كان تأويل صاحب المنار هذا مصادماً لصريح

---

(١) صفحة ٣٠.

الحديث فان قوله: فان لله عباداً لا ترونهم صريح أو كالصريح في انهم ليسوا ممن يرى لدلالة المضارع على الاستمرار ودلالة التأكيد بان على تحقق وجودهم وكذا قوله فان لله عباداً يجيبونه دال على ان وجودهم واجابتهم محقق أو غالب لا محتمل احتمالا بعيداً أو مقطوعا بعدمه كما هو حال الفلاة والأرض التي ليس فيها أنيس ولو اراد ذلك لقال فليناد لعله يوجد احد يجيبه أو نحو ذلك.

(وفي خلاصة الكلام) صح عن بلال بن الحارث (رض) انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه وامحمداه انتهى وقال أنه استغاثة به (ص) لاندبة (قال) وصح أيضاً ان اصحاب النبي (ص) لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه وامحمداه انتهى وهو اظهر من السابق في الاستغاثة لأنه وقع في حياته (ص) (قال) وفي الشفا للقاضي عياض ان عبد الله بن عمر خذلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله انتهى وهو من نوع الاستغاثة. أما ما يروى من ان ابا بكر قال قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال (ص) انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله فهو على تقدير صحة سنده محمول على ان المستغاث به الحقيقي هو الله تعالى لأنه القادر المختار الفاعل لما يشاء فقال ذلك تواضعاً لله تعالى فهو نظير (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (ص) ما انا حملتكم ولكن الله حملكم فلا يعارض مادل على جواز الأستغاثة ووقوعها كما مر مع انه خارج عن محل النزاع فان الذي يعارض فيه الوهابيون كما صرحوا به الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله واستغاثتهم برسول الله (ص) من ذلك المنافق كانت في امر مقدور قطعاً وهو دفع مفسدة نفاقه بضربه او قتله أو غير ذلك.

الفصل الثالث

في التوسل الى الله تعالى بالأنبياء والصلحاء

وهذا يكون على وجوه (احدها ان يقول اتوسل به الى الله أو اتوجه به اليه او أتشفع او اقدمه بين يدي حاجتي او نحو ذلك (ثانيها) ان يقول اسألك بفلان أو بحق فلان او بحقه عليك او بجاهه عندك او ببركته أو بحرمته عندك أو نحو ذلك (ثالثها) أن يقول

اقسمت عليك او اقسم عليك بفلان أو نحو ذلك وكلها تؤول الى شيء واحد وهو جعله وسيلة وواسطة بينك وبين الله تعالى لما له من المنزلة عنده والكرامة لديه (والوجهان) الأخيران يدخلان في الإقسام على الله بمخلوق الذي يأتي في الفصل الرابع وذكرناهما هنا لعدم خروجهما عن التوسل وكونهما من انواعه (والتوسل) بأنواعه مما منعه الوهابية وجعلوه شركا لأنه نوع من التشفع الممنوع عندهم والموجب للشرك وجريان أدلتهم فيه. وقد صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب في المحكي عنه في كتاب التوحيد حيث قال بعد ذكر آية (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب) بين فيها الرد على المشركين الذي يدعون الصالحين ففيها بيان ان هذا الشرك الأكبر انتهى وصرح به أيضاً الصنعاني في تطهير الاعتقاد حيث قال في جملة كلامه المتقدم في الباب الثاني بأن من توسل بمخلوق فقد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان وعد من جملة العبادة الموجبة للشرك والكفر التوسل بالمخلوق (وقد) صرح ابن تيمية في كلامه المتقدم في الفصل الأول في الشفاعة بأن من توسل بعظيم عند الله كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من افعال الكفار والمشركين (وقال) في مقام آخر من رسالة زيارة القبور(١) وأما قول بجاه فلان عندك او ببركة فلان او بحرمة فلان عندك افعل بي كذا فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه الا ما رأيت في فتاوى الفقيه ابي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز فعل ذلك الا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان صح الحديث في النبي (ص) ثم قال قد روى النسائي والترمذي وغيرهما انه (ص) علم بعض اصحابه ان يدعو فيقول (اللهم اني اسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوسل بك الى ربي في حاجتي ليقضيها لي اللهم فشفعه في) فان هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل به (ص) في حياته وبعد مماته قالوا وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق وانما هو دعاء واستغاثة به تعالى لكن فيه سؤال بجاهه كما في سنن ابن

(١) صفحة ١٦٤.

ماجة عن النبي (ص) في دعاء الخارج للصلاة (اللهم ان اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا) الى آخر ما يأتي في الفصل الرابع قالوا فسأله بحق السائلين عليه وبحق ممشاه الى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً بقوله ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين. كان على ربك وعداً مسؤولا﴾ قال وفي الصحيح عن معاذ بن جبل عن النبي (ص) حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم وجاء في غير حديث كان حقا على الله كذا وكذا كقوله في حديث شارب الخمر فان عاد في الثالثة أو الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار وقالت طائفة ليس في هذا جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه بل في حياته بحضوره كما في صحيح البخاري ان عمر (رض) استسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وقد بين عمر انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون وذلك التوسل به انهم كانوا يسألونه ان يدعو الله لهم فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه (الى ان قال) فهذا كان توسلهم به ولما مات توسلوا بالعباس وما كانوا يستسقون به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره ولا قبر غيره (الى ان قال) ولم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا الانتصار ولا غير ذلك من الأدعية والدعاء مخ العبادة ومبناها على الاتباع لا الابتداع انتهى.

(ونقول) التوسل ثابت بنص القرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة﴾ وهي بعمومها شاملة لكل توسل اليه تعالى بما يكرم عليه (وقد) دلت الأخبار الكثيرة على ثبوت الوسيلة للأنبياء والأوصياء والصالحين وقد مر قول النبي (ص) اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون ذلك العبد ويأتي في فصل الحلف بغير الله قوله (ص) عن الخوارج يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة (والمراد) بالوسيلة الدرجة والمكانة عنده تعالى ولذلك يتوسل ويتشفع به اليه (والتوسل) بذوي المكانة عند الله تعالى احياء

واموانا من سنن المرسلين وسيرة الصالحين بأي وجه كان من الوجوه الثلاثة السابقة (١) بل هو ثابت في الشرائع السابقة (فعن القسطلاني) في شرح صحيح البخاري عن كعب الأحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم انتهى وليس فيه شائبة شيء من العبادة الموجبة للشرك او المنهي عنها فان التوسل لو كان عبادة وكل عبادة لغير الله شرك لأن صرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها كما هو محور كلام الوهابية لم يتفاوت الحال بين التوسل بالحي كما اعترف به ابن تيمية في كلامه السابق وصرحت به الأحاديث السابقة التي أوردها وفيها امره بالتوسل به (ص) الى الله تعالى وبسؤاله بحق السائلين عليه وبحق ممشى المصلي الى الصلاة وصرحت بالحق على الله وبالتوسل بالنبي (ص) وبالعباس وجاء ذلك في الأخبار الآتية أيضاً وفيها قول عمر في العباس هذا والله الوسيلة الى الله والمكان منه واذا ثبت ان التوسل بالحي ليس عبادة ولا شركا فالتوسل بالميت كذلك لعدم تعقل الفرق فان جواز التوسل به الى الله ان كان لمكانته عند الله فهي لم تذهب بالموت وان كان التوسل به لأجل ان يدعو الله فهو ممكن في حق الميت ولو فرض عدم امكانه لم يوجب الشرك بل يكون مثل طلب المشي من المقعد بزعم انه صحيح كما بيناهما مراراً فالتفرقة بين التوسل بالأحياء والأموات تحكم محض وجمود بحت وقد فهم الصحابة الذين هم اعلم بالسنة من ابن تيمية وأتباعه عدم الفرق كما يأتي في حديث ابن حنيف وحصلت الإجابة لهم بتوسلهم بالنبي (ص) بعد موته بإبصار الأعمى وصرحت الأخبار الاتية ايضاً بعدم الفرق بين الحي والميت بل الموجود والمعدوم كما ستعرف وأمر مالك امام المذهب ابا جعفر المنصور ان يتوسل بالنبي (ص) ويستشفع به بعد موته وقال هو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم كما سيأتي كل هذا والوهابية يراوغون ويتمحلون ويكفرون المسلمين بما لم يجعله الله مكفراً فاذا قيل لهم هذا قد ثبت في الشرع قالوا ثبت في حق الأحياء الحاضرين دون الأموات والغائبين كأن الله جوز عبادة الأحياء الحاضرين والإشراك بهم ولم يمنع الا من عبادة الأموات والغائبين

---

(١) ولا يخرج عنها ما ذكره ابن تيمية في كلامه الانف الذكر من ان توسلهم به (ص) في حياته انهم يسألونه الدعاء لهم فيدعو ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه فانه اذا جاز التوسل بعمله من الشفاعة والدعاء جاز التوسل به نفسه (ص) وان كان تفسيره للتوسل بذلك قصداً لتوهين امره غير صحيح بل معناه ما ذكرناه في مآل الوجوه الثلاثة السابقة.

(ويمنع) ابن تيمية من التوسل بالنبي (ص) بعد موته ويعده بدعة ويقول ثبت في الحياة والحضور دون الغيبة وبعد الموت (ونقول لهم) هل زالت حرمة رسول الله (ص) بعد موته وبطلت مكانته عند الله ولم يعد مقرباً لديه اذاً فلماذا يعلن باسمه في المآذن في اليوم والليلة خمس مرات وعلى رؤوس المنابر وفي الصلوات كلها مفروضها ومسنونها مقرونا باسمه تعالى في الكل ولماذا يصلى عليه كلما ذكر ولماذا ولماذا . . . واذا كان التوسل به بعد موته وفي غيبته ايام حياته شركا فكيف صار في حياته وحضوره عبادة وتوحيداً فما يكون شركا لا يكون توحيداً وبالعكس (فان قلتم) الفارق ورود النص بالأمر به في الحياة وعدم وروده في غيره (قلنا) النص لا يوجب التفريق في الشيء الواحد بين فرديه بحسب الزمان فيجعل أحدهما شركا في زمان وتوحيداً في آخر واذا كان التوسل شركا قبل الأمر لم يجز الأمر به ولا يمكن ان يغيره لأن الحكم لا يغير الموضوع واذا لم يكن شركا قبل الأمر فهو ذلك في الحياة والحضور والغيبة وبعد الموت وأين قياسكم الذي تتمسكون به في أحكام الدين وكيف ضاق عن هذا الحكم فتورعتم عن الاستدلال به فيه لتستحلوا دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم مع ان العلة في التوسل هنا ظاهرة وهي الجاه والمكانة عند الله فتعم كل ذي جاه ومكانة عنده بإطاعته له تعالى ويخرج عن القياس المستنبط العلة ويلحق بمنصوصها بل العلة في ذلك قطعية وهي المكانة الحاصلة بالقرب والطاعة لما هو المعلوم ضرورة ونصاً من أنه ليس بين الله وبين أحد هوادة وأن اكرم العباد عنده أتقاهم وليس احد خيراً من احد الا بالتقوى فتوقف ابن تيمية في ذلك معتلا بأنه لم ينقل توسلهم به بعد موته ولا في مغيبة وتورعه عنه خوفا من الابتداع جمود في غير محله وكذ ما نقله عن ابن عبد السلام من عدم تجويز ذلك الا للنبي (ص) معلقا على صحة الخبر فيه وينبغي لهؤلاء ان يقتصروا على التوسل به في حياته وحضوره في المدينة دون مكة وفي يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا وساعة كذا وفصل كذا دون الباقي أبمثل هذه الأدلة الواهية الواهنة تستحل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ويحكم بكفرهم وشركهم وان دارهم دار حرب .

هذا مع ان الأخبار صرحت بعدم الفرق بين الحي والميت بل الموجود والمعدوم بل والعاقل وغيره كالأعمال فصرحت بوقوع التوسل من آدم بالنبي (ص) قبل وجوده وبالتوسل بالأعمال وبتوسل النبي (ص) بالأنبياء قبله وهم أموات وبتوسل الصحابة

بقبر النبي (ص) بفتح كوة بينه وبين السماء واليك بيانها.

قال السمهودي الشافعي عالم المدينة في كتابه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (١) الفصل الثالث في توسل الزائر وتشفعه به (ص) الى ربه تعالى واستقباله (ص) في سلامه وتوسله ودعائه اعلم ان الاستغاثة والتشفع بالنبي (ص) وبجاهه وبركته الى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين واقع في كل حال قبل خلقه (ص) وبعد خلقه في حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة (الحال الأول) أي قبل خلقه ورد فيه آثار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولنقتصر على ما رواه جماعة منهم الحاكم وصحح اسناده عن عمر بن الخطاب (رض) قال قال رسول الله (ص) لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلاّ الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الي إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك (قال) ورواه الطبراني وزاد وهو آخر الأنبياء من ذريتك انتهى (وفي خلاصة الكلام) ورواه البيهقي بإسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر (رض) (وفيها أيضاً) قال في المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب الله آدم اذ دعا ... ونجي في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره ... ومن أجله نال الفداء ذبيح

(وفيها أيضاً) قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ ان الكلمات هي توسله بالنبي (ص) انتهى (وفي مجمع البيان) في تفسير الاية بعد نقل جملة من الأقوال ما لفظه: وقيل وهي رواية تختص بأهل البيت ان آدم رأى مكتوبا على العرش اسماء مكرمة معظمة فسأل عنها فقيل له هذه أجل الخلق عند الله منزلة والأسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم الى ربه بهم في قبول توبته ورفع

---

(١) ج ٢ صفحة ٤١٩.

منزلته انتهى وفي ذلك يقول الواسطي (ره).

قوم بهم غفرت خطيئة آدم   وهم الوسيلة والنجوم الطلع

والى هذا التوسل أشار الإمام مالك بقوله للمنصور؛ ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى في الحديث الاتي ثم قال السمهودي: قال السبكي واذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح(١) وهي مخلوقة فالسؤال بالنبي (ص) أولى وفي العادة ان من له عند شخص قدر فتوسل به اليه في غيبته فانه يجيب اكراماً للمتوسل به وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سبباً للاجابة ولا فرق في هذا بين التعبير بالتوسل او الاستغاثة او التشفع او التوجه ومعناه التوجه به في الحاجة وقد يتوسل بمن له جاه الى من هو اعلى منه (الحال الثاني) التوسل به (ص) بعد خلقه في مدة حياته في الدنيا منه ما رواه جماعة منهم النسائي والترمذي في الدعوات من جامعه عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال ادع الله لي ان يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (اللهم اني أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي

---

(١) الإشارة بذلك الى ما رواه البخاري في صحيحه في الجزء الرابع منه في باب اجابة دعاء من بر والديه من كتاب الأدب عن النبي (ص) قال بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فأنحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعل الله يفرجها فقال أحدهم اللهم انه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فاذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي اسقيهما قبل ولدي وانه نأى به الشجر فما أتيت حتى امسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما اكره ان اوقظهما من نومهما وأكره ان ابدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وقال الثاني اللهم انه كانت لي ابنة عم احبها كأشد ما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها اللهم فان كنت تعلم اني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها ففرج لهم فرجة وقال الاخر اللهم اني كنت استأجرت اجيراً بفرق أرز فلما قضى عمله قال اعطني حقي فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه فلم ازل أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها فجاءني فقال اتق الله ولا تظلمني واعطني حقي فقلت اذهب الى ذلك البقر وراعيها فقال اتق الله ولا تهزأ بي فقلت اني لا اهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه فانطلق فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج ما بقي ففرج الله عنهم انتهى.

الـرحمة يـا محمـد اني تـوجهت بك الى ربي في حـاجتي لتقضي لي اللهم شفعـه في) قـال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وصححه البيهقي وزاد فقام و قد أبصر وفي رواية ففعل الرجل فبرأ انتهى (وفي خلاصة الكلام) رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسنـاد صحيح عن عثمان بن حنيف وهـو صحـابي مشهـور انتهى (قال) وخرج هذا الحديث ايضاً البخاري في تـاريخه وابن مـاجـة والحاكم في المستـدرك بإسناد صحيح وذكره الجلال السيـوطي في الجامع الكبير والصغير انتهى وفي الـرسـالـة الأولى من رسائل الهدية السنية(١) انه رواه الترمذي والحاكم وابن ماجـة عن عمـران بن حصين ثم اجاب عنه بأجوبة طويلة تشبه كلام المبرسمين لم نر فائدة في نقلهـا وقـد فهم الصحابة من هذا الحديث العموم لحالتي الحياة والوفاة كما ستعرف في الحال الثالث ومر في الفصل الأول في الشفاعة حديث الأعرابي الذي قال للنبي (ص) فـادع الله لنـا فـانـا نستشفع بك على الله فأقره النبي (ص) على ذلك فهذا هو التوسل بـالنبي (ص) الـذي يعبر عنه تارة بالتوسل واخرى بالاستشفاع وغير ذلك (ومن) التوسل به (ص) في حياتـه ما ورد في قصة سواد بن قارب التي رواها الطبراني في الكبير كما في خلاصة الكلام ورواها غيره ايضاً وفيها انه انشد النبي (ص) قصيدته التي يقول فيها :

فأشهد ان الله لا رب غيره ... وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة ... الى الله يا ابن الأكرمين الأطائب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله (ص) قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قـولـه وكن لي شفيعـا (ومن) التوسل به (ص) في حياته مـا رواه البيهقي كما في خـلاصـة الكـلام عن أنس ان اعرابيا جاء الى النبي (ص) يستسقي به وأنشد

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت ام الصبي عن الطفل

الى ان قال :

(١) صفحة ٣٧.

وليس لنا الا اليك فرارنا وابن فرار الخلق الا الى الرسل

وهذا صريح في التوسل به (ص) ولم ينكره عليه بل قال أنس لما انشده الأبيات قام يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر (وروى) البخاري في صحيحه انه (ص) قال لما امطرت السماء لو كان ابو طالب حياً لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله كأنك اردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلل وجه النبي (ص). واستسقاء الغمام بوجهه هو عين التوسل والتوجه به وهذا البيت من قصيدة مدح بها أبو طالب النبي (ص) فأمطرت السماء وذلك قبل البعث وهذا أيضاً من ادلة التوسل بالأحياء. قال السمهودي (الحال الثالث) التوسل به (ص) بعد وفاته روى الطبراني في الكبير عن عثمان بن حنيف ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان (رض) في حاجة له وكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكا اليه ذلك فقال له ابن حنيف أئت الميضاة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل ركعتين ثم قل (اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبينا محمد (ص) نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك ان تقضى حاجتي) وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قال ثم اتى باب عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخل على عثمان (رض) فأجلسه معه على الطنفسة فقال حاجتك فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها ثم خرج الرجل من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت الي حتى كلمته في فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله (ص) وأتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره فقال له النبي (ص) ان شئت دعوت او تصبر فقال يا رسول الله انه ليس لي قائد وقد شق علي فقال له النبي (ص) ائت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط (قال) ورواه البيهقي من طريقين بنحوه (قال) السبكي والاحتجاج من هذا الأثر بفهم عثمان ومن حضره الذي هم كانوا أعلم بالله ورسوله وبفعلهم انتهى

وفاء الوفا (وفيه) في مقام آخر(١) ما لفظه: وفي الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح عن أنس بن مالك قال لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله (ص) فجلس عند رأسها فقال رحمك الله يا امي بعد امي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده قال ثم دعا رسول الله (ص) أسامة بن زيد وابا ايوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً اسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله (ص) بيده واخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله (ص) فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي (الحديث) (وفي خلاصة الكلام) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه انتهى (اقول) قوله بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي صريح في جواز التوسل بالأحياء والأموات وعدم اختصاص التوسل بالنبي (ص) كما مر نقله عن ابن عبد السلام.

ومن التوسل به (ص) بعد موته قول صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها في مرثيتها للنبي (ص) التي رواها اهل السير وعلماء الأثر.

الا يا رسول الله انت رجاؤنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا

وقولها يا رسول الله انت رجاؤنا صريح في التوسل والاستغاثة به (ص) اي انت رجاؤنا في الشفاعة الى الله وانت وسيلتنا اليه قالت ذلك بمسمع من الصحابة ولم ينكر عليها احد ولا يصح هذا على رأي الوهابية لأنه دعاء ونداء لغير الله تعالى واستغاثة وتوسل بالأموات جهلته صفية عمة النبي (ص) وصاحبته وسائر الصحابة الذين سمعوه وعلمته الوهابية ومع ذلك يسمون أنفسهم السلفية ويقولون ان قدوتهم السلف. وفي وفاء الوفا(٢) مالفظه: وفي الوفاء لابن الجوزي من طريق ابي محمد الدارمي بسنده عن ابي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديداً فشكوا الى عائشة (رض) فقالت فانظروا قبر النبي (ص) فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من

(١) صفحة ٨٩ ج٢. (٢) ج١ صفحة ٣٩٨.

الشحم فسمي عام الفتق (قال) قال الزين المراغي: واعلم ان فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الان يفتحون كوة في سفل قبة الحجرة أي القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف وبين السماء قلت وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة والاجتماع هناك (انتهى وفاء الوفا) فهذا توسل به (ص) بعد موته وبقبره الشريف بالفعل كما يتوسل به بالقول وهو مستمر من عصر الصحابة الذين هم اعلم بالله وبرسوله وأحكامه وبحرمته وحرمة قبره من الوهابية ومن وافقهم وتبعهم عليه المسلمون في كل عصر كما صرح به الزين المراغي من غير نكير ثم قال السمهودي في وفاء الوفا(١) (الحال الرابع) التوسل به (ص) في عرصات القيامة فيشفع الى ربه تعالى وذلك مما قام الاجماع عليه وتواردت به الأخبار روى الحاكم وصححه عن ابن عباس (رض) قال أوحى الله الى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من ادركته من امتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا اني خلقت محمداً ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن (قال السمهودي) قلت فكيف لا يستشفع ولا يتوسل بمن له هذا المقام والجاه عند مولاه بل يجوز التوسل بسائر الصالحين كما قاله السبكي وان نقل بعضهم(٢) عن ابن عبد السلام ما يقتضي ان سؤال الله بعظيم من خلقه ينبغي ان يكون مقصوراً على نبينا (ص) انتهى (وفي خلاصة الكلام) احاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الإطالة بذكرها انتهى.

ومن أخبار التوسل بالملائكة والأنبياء ما في خلاصة الكلام عن الأذكار للنووي ان النبي (ص) أمر ان يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا (اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل ومحمد (ص) أجرني من النار) قال في شرح الأذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء والا فهو سبحانه رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع انتهى.

واما التوسل بغيره (ص) من الأحياء فقد جاء في حديث استسقاء عمر بالعباس

---

(١) ج٢ صفحة ٤٢٢. (٢) الناقل ابن تيمية كما مر.

الذي اشار اليه ابن تيمية في كلامه السابق وقال ابن تيمية في مقام آخر من رسالة زيـارة القبور(١) ما لفظه: وفي الصحيحين ان عمـر بن الخطـاب (رض) استسقى بـالعبـاس فدعا فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتـوسل بنبينـا فتسقينـا وانـا نتـوسل اليك بعم نبينـا فاسقنا فسقوا اهـ وقال السمهودي في وفاء الوفـا(٢) مالفظه: وقـد روى ابن النعمان في مصباح الظلام قصة استسقاء عمر (رض) بالعبـاس عم رسـول الله (ص) نحـو مـا في الصحيح وان الحافظ ابا القاسم هبة الله بن الحسن رواها من طرق وفي بعضها عن أنس بن مالك (رض) قال كان عمر بن الخطاب (رض) اذا قحط استسقى بالعباس بن عبد المطلب (رض) ويقول اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينـا فتسقينـا وانـا نتـوسل اليك بعم نبينا (ص) فاسقنا قال فيسقون وفي رواية له عن ابن عباس ان عمر قال اللهم انا نستسقيك بعم نبيك (ص) ونستشفع اليك بشيبته فسقوا وفي ذلك يقـول عبـاس بن عتبة بن ابي لهب.

بعمي سقى الله الحجاز وأهله ... عشية يستسقي بشيبته عمر

وروي ان العباس (رض) قال في دعائه وقـد تـوجـه بي القـوم اليك لمكـاني من نبيك (ص) انتهى وفاء الوفا وعن كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري قال استسقى عمر بن الخطاب بالعباس (رض) عام الـرمـادة لما اشتـد القحط فسقـاهم الله تعالى واخصبت الأرض فقال عمر هذا والله الوسيلة الى الله والمكان منه وقال حسـان بن ثابت:

سأل الأنام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس

عم النبي وصنو والده الذي ... ورث النبي بذاك دون الناس

احيىٰ الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأجناب بعد الياس

ولما سقي الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين انتهى

وفي خلاصة الكلام واستسقى عمر بالعباس لما اشتـد القحط عـام الـرمـادة فسقـوا وذلك مذكور في صحيح البخـاري من روايـة أنس بن مـالك وذلك من التـوسل بل في

---

(٢) صفحة ١٥٥.	(٣) ج٢ صفحة ٤٢٢.

المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر لما استسقى بالعباس قال يا ايها الناس ان رسول الله (ص) كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً بالأحياء والأموات وقول من منع ذلك بغير النبي (ص) الى آخر ما قال (لا يقال) لو كان التوسل بالميت جائزاً لتوسل عمر بالنبي (ص) بعد موته ولم يتوسل بالعباس لأن التوسل بالنبي (ص) أقرب الى الإجابة (لأنا نقول) لا يلزم على الإنسان دائما توخي الأقرب الى الإجابة في التوسل والدعاء كما لا يلزم توخي الأفضل في العبادة بل له ان يختار ما شاء ويدل على ذلك ما ذكره ابن تيمية كما مر من ان النبي (ص) طلب الدعاء من عمر فلم لم يطلبه من أبي بكر الذي هو افضل من عمر وانه (ص) أمر عمر ان يطلب الاستغفار لنفسه من أو يس فلم لم يأمره ان يطلبه من ابي بكر الذي هو أفضل من او يس بل من النبي (ص) الذي هو أفضل الكل وان ابا بكر قال لعمر استغفر لي فلم لم يطلب ذلك من النبي (ص) الذي هو افضل من عمر على ان قول عمر انا نتوسل اليك بعم نبينا لا يخرج عن التوسل بالنبي (ص) أي نتوسل اليك بمن له عندك حرمة لكونه عم نبينا المقرب عندك كما تقول لغيرك اتوسل اليك بقرابة الملك أو بمرضعة ابنك او بصهر اخيك او نحو ذلك ولذلك لم يقل نتوسل اليك بالعباس وهذا كما في قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن ولم يقل على الوالد قصداً لبيان العلة في ثبوت ذلك عليه وهي ان الولد له والله العالم ويرشد الى ذلك قول العباس على بعض طرق هذا الحديث المتقدمة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك (وفي خلاصة الكلام) وانما خص عمر العباس من بين الصحابة لإظهار شرف أهل بيت الرسول (ص) ولبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان علياً كان موجوداً وهو أفضل من العباس انتهى (لا يقال) ظاهر قوله كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا ان هذه كانت عادتهم وقوله وانا نتوسل اليك بعم نبينا أي حيث لا يمكن التوسل الان بنبينا لموته فانا نتوسل اليك بعمه فهذا يدل على عدم جواز التوسل بالميت (لأنا نقول) ظهور قوله وانا نتوسل الخ في انه حيث لا يمكننا التوسل بنبينا لموته ممنوع وأي قرينة دلت على هذه المحذوفات لا سيما بعد ملاحظة ما دل على جواز التوسل بالميت بل بالأعمال مما مر.

ومما يكذب ما زعمه ابن تيمية من انه لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبي

والصالح بعد موته ولا استحبوا ذلك ما نقل عن أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها من التوسل به (ص) في مماته ورجحان ذلك واستحبابه قال السمهودي في وفاء الوفا(١) وغيره في غيره: قال عياض في الشفا بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله (ص) فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوماً فقال ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ (الاية) ومدح قوما فقال ﴿ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ الاية وذم قوماً فقال ﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الاية وان حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها ابو جعفر فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله (ص) فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ﴿ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم﴾ الاية انتهى (وفي خلاصة الكلام) ذكره اي الحديث القاضي عياض في الشفا وساقه بإسناد صحيح وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الأنام والسيد السمهودي في خلاصة الوفا والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكر كثير من ارباب المناسك في آداب زيارة النبي (ص) قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد بإسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب (قال) ومراده بذلك الرد على من نسب الى مالك كراهية استقبال القبر انتهى قال السمهودي: فانظر هذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من امر الزيارة والتوسل بالنبي (ص) واستقباله عند الدعاء وحسن الأدب التام معه انتهى فهذا قول مالك امام المذهب مخاطباً به المنصور الخليفة العباسي حتى استكان لكلامه مع أنه خليفة الوقت وسلطانه مبيناً به ان حرمة رسول الله (ص) ميتا كحرمته حيا مخاطباً له بخطاب التوبيخ بقوله لم تصرف وجهك عنه ناصاً على حسن التوسل به

---

(١) ج٢ صفحة ٤٢٢.

ورجحانه وانه الوسيلة للخلق ووسيلة أبيهم آدم آمراً له باستقبال قبره والتشفع به ضامنا له عليه الشفاعة ناصا على ان آية ولو انهم اذ ظلموا الاية عامة للحياة والمات كل هذا وابن تيمية يقول انه لم يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته ولا استحبوا ذلك ويتورع ويخاف من الابتداع بزعمه ويقول الدعاء مخ العبادة ومبناها على الاتباع لا الابتداع ولا يتورع عن نسبة لوازم التجسيم اليه تعالى وعن تكفير المسلمين ونسبتهم الى الشرك (ثم) حكى السمهودي عن ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامري الحنبلي في المستوعب في آداب زيارة النبي (ص) انه يجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ويقول في دعائه؛ اللهم انك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام ﴿ولو انهم اذا ظلموا انفسهم جاؤك﴾ الاية واني قد اتيت نبيك مستغفراً فاسألك ان توجب لي المغفرة كما أوجبت لمن اتاه في حياته اللهم اني اتوجه اليك بنبيك (ص) وذكر دعاء طويلا (ثم قال) وقال ابو منصور الكرماني من الحنفية ان كان احد اوصاك بتبليغ التسليم تقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يستشفع بك الى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع (وقال السمهودي) في وفاء الوفا(١) مالفظه: وفي كلام اصحابنا (يعني الشافعية) ان الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل انتهى محل الحاجة (وفي خلاصة الكلام(٢) والدرر السنية) كلاهما لأحمد بن زيني دحلان: قال العلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان في مناقب الإمام ابي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الإمام الشافعي ايام هو ببغداد كان يتوسل بالامام ابي حنيفة (رض) يجيء الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته قال وقد ثبت ان الامام احمد توسل بالامام الشافعي (رض) حتى تعجب ابنه عبد الله ابن الامام احمد فقال له ابوه ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعي ان أهل المغرب يتوسلون الى الله بالامام مالك لم ينكر عليهم انتهى (وفي الصواعق المحرقة) لابن حجر ان الامام الشافعي (رض) توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:

---

(١) ج٢ صفحة ٤٢٥. (٢) صفحة ٢٥٢.

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم اعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي (انتهى)

فهذا الامام مالك إمام المالكية والسامري الحنبلي والكرماني الحنفي وعلماء الشافعية قائلون بحسن التوسل والتشفع به صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته والامام الشافعي توسل بأهل البيت بعد موتهم وتوسل بالامام ابي حنيفة بعد موته وأقر اهل المغرب على توسلهم بالامام مالك بعد موته وأحمد توسل بالشافعي بعد موته فضلا عن النبي (ص) وكل هؤلاء من أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها وابن تيمية يقول انه لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته (وفي خلاصة الكلام) المرجح عند الحنابلة جواز التوسل بالنبي (ص) بعد موته لصحة الأحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عندهم موافقاً لما عليه أهل المذاهب الثلاثة (قال) وأما ما ذكره الألوسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام ابي حنيفة (رض) انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عنه احد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر (قال) وقد بسط الإمام السبكي نصوص المذاهب الأربعة في استحباب التوسل في كتابه شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام فراجعه (قال) وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف (ص) وقال: اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعني من المؤمنين اذهب فقد اعتقتك (قال) ثم قال في المواهب عن الحسن البصري وقف حاتم الأصم على قبره (ص) فقال: يا رب انا زرنا قبر نبيك (ص) فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم وقال ابن ابي فديك وهو من اتباع التابعين ومن الأئمة الثقات المشهورين ومن المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما: سمعت بعض من ادركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي (ص) فقال هذه الاية (انا الله وملائكته آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة (قال) وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن ابي فديك رواه عنه البيهقي (قال) ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة انه يستحب ان يجدد الزائر التوبة في

ذلك الموقف الشريف يستشفع به (ص) الى ربه عز وجل في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية ويقولون (نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما اثقل ظهورنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا) (قال) وفي الجوهر المنظم ايضاً ان اعرابياً وقف على القبر الشريف وقال (اللهم ان هذا حبيبك وانا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك وانت يا رب اكرم من ان تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره يا ارحم الراحمين) فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال (قال) وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي (ص) انه يسن للزائر ان يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به (ص) قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي وهو مروي ايضاً عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشائخ الشافعي (رض) قال العتبي كنت جالساً عند قبر رسول الله (ص) فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول (وفي رواية) يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك الى ربي (وفي رواية) واني جئتك مستغفراً ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وانشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي (ص) في المنام فقال يا عتبي الحق الأعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده انتهى وذكر حكاية الأعرابي هذه السمهودي في وفاء الوفا وسيأتي نقلها في فصل الزيارة وحكى السمهودي (١) عن

(١) ج ٢ ص ٤١١.

السبكي ان الاية دالة على الحث بالمجيء اليـه (ص) والاستغفـار عنـده واستغفـاره لهم وهذه رتبة لا تنقطع بموته وقـد حصل استغفـاره لجميع المؤمنين لقـولـه تعـالى استغفـر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنـات فـاذا وجـد مجيئهم واستغفـارهم تكملت الأمـور الثـلاثـة الموجبة لتوبة الله ولـرحمتـه وقـولـه واستغفـر لهم معطـوف على جـاؤك فـلا يقتضي كـون استغفاره بعد استغفارهم مع انا لا نسلم انه لا يستغفـر بعـد الموت لما سبق من حيـاتـه ومن استغفاره لأمته بعد الموت عند عرض اعمالهم عليه ويعلم من كمال رحمته انه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه انتهى ثم قال في خلاصة الكلام: قال العلامة ابن حجر في الجوهـر المنظم روى بعض الحفـاظ عن ابي سعيـد السمعـاني انـه روى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه (ص) بثلاثة ايام جاءهم أعـرابي فـرمى بنفسـه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزله عليك ولـو انهم اذ ظلمـوا أنفسهم الايـة وقـد ظلمت نفسي وجئتك تستغفـر لي الى ربي فنـودي من القبر الشريف انه قد غفر لك قال وجاء ذلك عن علي أيضاً من طريق اخرى انتهى وفي وفـاء الوفا(١) قـال الحافظ ابـو عبـد الله محمـد بن مـوسى بن النعمان في مصبـاح الظـلام ان الحافظ ابا سعيد السمعاني ذكر فيها روينا عن علي بن ابي طالب قال قدم علينـا أعـرابي وذكر مثله ثم قال في خلاصة الكلام ويؤيد ذلك مـا صح عنـه (ص) حيـاتي خير لكم تحدثون واحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم مـا رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم انتهى.

فهذه أقوال علماء المذاهب الأربعة وسيرة المسلمين خلفا عن سلف متفقة على التبرك بقبر النبي (ص) والتوسل والاستشفاع به (ص) سيما عند قبره ودعاء الله عنده واخبارهم ورواياتهم طافحة بذلك وابن تيمية يقول لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل به بعد موته ولا استحبوا ذلك (أما أئمة اهل البيت الطاهر) النبوي فأدعيتهم المأثورة عنهم التي تبلغ حد التواتر طافحة بالتوسل بجدهم صلى الله عليه وآله وسلم وبآله وبحقه وحقهم

(١) ج ٢ صفحة ٤١٢.

والإقسام عليه تعالى بهم وهم اعرف بسنة جدهم وبأحكام ربهم من ابن تيمية وابن عبد الوهاب واتباعهم من اعراب نجد فهم باب مدينة علم المصطفى وورثة علمه والذين امرنا بان نتعلم منهم ولا نعلمهم لأنهم أعلم منا «فمنه» قول امير المؤمنين علي عليه السلام في الصحيفة العلوية التي جمعها الشيخ عبد الله السماهيجي من ادعيته عليه السلام في الدعاء الذي علمه أو يسا (وبحق السائلين لك والراغبين اليك المتعوذين بك والمتضرعين اليك وبحق كل عبد متعبد لك في بر أو بحر او سهل أو جبل) وفي دعائه (ع) عند لقاء العدو وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله اتوجه (وبعد الثامنة من صلاة الليل) اللهم اني اسألك بحرمة من عاذبك منك ولجأ الى عزك واستظل بفيئك واعتصم بحبلك ولم يثق الا بك (وبعد الزوال) واتقرب اليك بمحمد عبدك ورسولك واتقرب اليك بملائكتك المقربين وانبيائك المرسلين (وفي اليوم السادس عشر) واتوجه اليك اللهم لا اله الا انت بنبيك محمد النبي (وفي اليوم الثالث والعشرين) اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وآله الطيبين الأخيار يا محمد اني اتوجه بك الى الله ربك وربي في قضاء حاجتي (وفي دعاء) الحسين بن علي عليهما السلام يوم عرفة المستفيض نقله عنه. اللهم انا نتوجه اليك في هذه العشية التي شرفتها وعظمتها بمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك (وقول) علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام في الصحيفة الكاملة التي كفى دليلا على صحة نسبتها بلاغة الفاظها فضلا عن صحة اسانيدها وعظيم شهرتها في دعائه عليه السلام اذا دخل شهر رمضان: اللهم إني اسألك بحق هذا الشهر وبحق من تعبد لك فيه من ابتدائه الى وقت فنائه من ملك قربته أو نبي ارسلته أو عبد صالح اختصصته (وفي يوم عرفة) بحق من انتجبت من خلقك وبمن اصطفيته لنفسك بحق من اخترت من بريتك ومن اجتبيت لشأنك بحق من وصلت طاعته بطاعتك ومن جعلت معصيته كمعصيتك بحق من قرنت موالاته بموالاتك ومن نطت معاداته بمعاداتك (وفي دعائه) عند زيارة جده أمير المؤمنين عليهما السلام اللهم فاستجب دعائي واقبل ثنائي واجمع بيني وبين أوليائي بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومين من ذرية الحسين (وفي الدعاء الثلاثين) من ادعية الصحيفة الخامسة له (ع) اللهم فأن وسيلتي اليك محمد وآله وبعدهم التوحيد (وفي الدعاء الأربعين) واتوجه اليك واتوسل اليك واستشفع اليك

بنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليما وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عبديك وأمينيك الخ الى غير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه اذ قلما يوجد دعاء من الأدعية المأثورة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام على كثرتها لا يوجد فيه شيء من هذا القبيل وكفى به حجة دامغة لمن انكر ذلك.

ومن انواع التوسل به (ص) في حياته وبعد موته تقديم الصلاة عليه قبل الدعاء الذي ورد انه من أسباب اجابة الدعاء كما اعترف به ابن تيمية فيما نقلناه عنه في فصل الاستغاثة وجرت عليه سيرة المسلمين واصبح من ضروريات الدين فانه لا معنى له الا التوسل به (ص) وبالصلاة عليه الى الله في اجابة الدعاء.

ومن انواع التوسل به (ص) استقبال قبره الشريف وقت الدعاء فانه في الحقيقة توسل به (ص) وبقبره الشريف وقد جرت عليه سنة المسلمين خلفاً عن سلف وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وافتى باستحبابه الإمام مالك إمام دار الهجرة في قوله للمنصور لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به كما مر (وفي خلاصة الكلام) ذكر علماء المناسك ان استقبال قبره الشريف (ص) وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال ابن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة واما ما نقل عن الإمام ابي حنيفة (رض) ان استقبال القبلة افضل فمردود بما رواه الإمام نفسه في مسنده عن ابن عمر (رض) انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الإمام ابي حنيفة ايضاً وورد قول الكرماني انه يستقبل القبلة وقال ليس بشيء قال في الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر ايضاً بانا متفقون على انه (ص) حي في قبره يعلم زائره وهو (ص) لو كان حياً لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف ثم نقل قول مالك للمنصور المشار اليه آنفاً (ثم قال) قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبراً للقبلة ثم نقل عن مذهب الإمام ابي حنيفة والشافعي (ره) والجمهوز مثل ذلك (قال) واما مذهب الامام احمد ففيه اختلاف بين علماه مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل القبر الشريف كبقية المذاهب انتهى محل الحاجة من خلاصة الكلام ومر ما نقله السمهودي

عن ابي عبد الله السامري الحنبلي وعن كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك ان الزائر يستقبل القبر ويستدبر القبلة وقال السمهودي ايضاً في وفاء الوفا (١) قال عياض قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي (ص) ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة (قال) وفي رواية نقلها عياض عن المبسوط انه قال لا أرى ان يقف عند القبر يدعو لكن يسلم ويمضي قال السمهودي قلت وهي مخالفة ايضاً لما تقدم في مناظرة المنصور لمالك وكذا لما نقله ابن المواز انه قيل لمالك فالذي يلتزم اترى له ان يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع قال لا ولكن يقف ويدعو قيل له وكذلك عند قبر النبي (ص) قال نعم (ثم قال) نقل ابن يونس المالكي عن ابن حبيب انه قال ثم اقصد القبر من وجاه القبلة فادن منه وسلم على رسول الله (ص) واثن عليه وعليك السكينة والوقار فانه (ص) يسمع ويعلم وقوفك بين يديه الخ (قال) وقال النووي في رؤوس المسائل عن الحافظ ابي موسى الأصبهاني انه روى عن مالك انه قال اذا أراد الرجل ان يأتي قبر النبي (ص) فيستدبر القبلة ويستقبل النبي (ص) ويصلي عليه ويدعو (قال) وقال ابراهيم الحربي في مناسكه تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر (قال) وروى ابو القاسم طلحة بن محمد في مسند ابي حنيفة بسنده عن أبي حنيفة قال جاء ايوب السختياني فدنا من قبر النبي (ص) فاستدبر القبلة وأقبل بوجهه الى القبر وبكى بكاء غير متباك (قال) وقال المجد اللغوي روي عن الإمام الجليل ابي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك قال سمعت ابا حنيفة يقول قدم ايوب السختياني وأنا بالمدينة فقلت لأنظرن ما يصنع فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله (ص) وبكى غير متباك فقام مقام رجل فقيه (ثم قال) قلت فهذا يخالف ما ذكره ابو الليث السمرقندي في الفتاوى عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن ابي حنيفة من ان المسلم عليه (ص) يستقبل القبلة وقال السروجي الحنفي يقف عندنا مستقبل القبلة قال الكرماني الحنفي يقف عند رأسه بين المنبر والقبر مستقبل القبلة (قال) وعن أصحاب الشافعي وغيره يقف وظهره الى القبلة ووجهه الى الحظيرة وهو قول ابن حنبل (قال) وقال محقق الحنفية الكمال ابن الهمام

---

(١) صفحة ٤٢٣ ج٢.

ما نقل عن ابي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى ابو حنيفة في مسنده عن ابن عمر قال من السنة ان تأتي قبر رسول الله (ص) من قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة وتستقبل القبر وتسلم وقال ابن جماعة في منسكه الكبير ومذهب الحنفية الى ان قال ثم يدور الى ان يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة فيسلم وشذ الكرماني فقال يقف للسلام مستدبر القبر مستقبل القبلة وتبعه بعضهم وليس بشيء ثم حكى السمهودي عن السبكي انه قال وقول أكثر العلماء هو الأحسن فان الميت يعامل معاملة الحي والحي يسلم عليه مستقبلا فكذلك الميت وهذا لا ينبغي ان يتردد فيه ثم حكى عن المطري انه لما ادخل بيت رسول الله (ص) وحجرات أزواجه في المسجد وقف الناس مما يلي وجه النبي (ص) واستدبروا القبلة للسلام عليه قال السمهودي وذلك لتعذر استقبال الوجه الشريف قبل ادخال البيت في المسجد ثم قال فاستدبار القبلة في هذه الحالة مستحب كما في خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة كما قاله ابن عساكر في التحفة (الى ان قال) وفي كلام أصحابنا (يعني الشافعية) ان الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل ثم يقف مستقبل القبلة والقبر عن يساره والمنبر عن يمينه فيدعو أيضاً (انتهى وفاء الوفا).

وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية اختلفوا في التوسل اليه تعالى بشيء من مخلوقاته هل هو مكروه أو حرام والأشهر الحرمة انتهى (وفي الرسالة الثانية) منها وأما التوسل وهو ان يقول القائل اللهم اني اتوسل اليك بجاه نبيك محمد (ص) أو بحق نبيك أو بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من اقسام البدعه المذمومة ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي (ص) عند الأذان (انتهى) فذاك حكى تحريمه وهذا جعله بدعة ولم يجعله شركا (والحمد لله) كما مر عن الصنعاني وقد عرفت مما تقدم ورود النصوص الصريحة بذلك واتفاق المسلمين عليه فتوى وعملا حتى بلغ الى حد الضرورة فجعله من البدعة جمود بارد وتشدد في غير محله كرفع الصوت بالصلاة على النبي (ص) اذا كانت سنة لم يكن رفع الصوت بها بدعة وكان فاعلها مخيراً بين رفع الصوت وخفضه والإخفات بها لإطلاق الدليل ويلزم على قياس قوله ان نبحث عن مقدار الصوت بها الذي كان في عصر السلف فلا نزيد عليه ولا ننقص لئلا نقع في البدعة ومع الجهل نتركها بالكلية لعدم العلم بما ليس بدعة.

الفصل الرابع

في الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق ونحوه

مثل اقسمت عليك او اقسم عليك بفلان او بحق فلان او سألتك او اسألك بفلان وهذا داخل في التوسل المذكور في الفصل السابق وانما أعدنا ذكره في فصل خاص لكونه نوعا مخصوصاً من التوسل وللوهابية كلام فيه بعنوانه الخاص وادلة خاصة به وهو مما منعه الوهابية وحرموه على عادتهم في التشدد والتضييق على عباد الله فيما وسع الله فيه عليهم وعدم رضاهم بتعظيم من عظمه الله ما وجدوا لذلك حيلة ولا ندري هل يجعلونه كفرا وشركا لا يستبعد منهم ذلك بعد ان جعلوا سؤال الشفاعة من النبي (ص) شركا مع تسليمهم بأن الله اعطاه الشفاعة وانه الشفيع المشفع كما مر بيانه في محله وقد جعل الصنعاني التوسل كفراً وشركا كما مر وهذا منه ومر في اواخر الفصل السابق ان بعض الوهابية جعل التوسل بدعة وبعضهم قال ان الأشهر تحريمه وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية المنسوبة لعبد العزيز بن محمد بن سعود ان الإقسام على الله بمخلوق منهي عنه باتفاق العلماء (١) قال وهل هو نهي تنزيه أو تحريم قولان أصحهما انه كراهة تحريم واختاره العز بن عبد السلام في فتاويه ثم نقل عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لأحد ان يدعو الله الا به وأكره ان تقول بمعاقد العز من عرشك او بحق خلقك وعن ابي يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا وأكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك ثم حكى عن القدوري ان المسألة بحق المخلوق لا تجوز لأنه لا حق للمخلوق على الخالق (قال) صاحب الرسالة واما قوله وبحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ومع صحته فمعناه بأعمالهم لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والإجابة انتهى (وقال) صاحب المنار في الحاشية المتبادر من معنى هذه الجملة انها سؤال الله تعالى بوعده للسائلين ان يستجيب دعاءهم بمثل قوله: ﴿أدعوني استجب لكم﴾.

---

(١) يا عجباً لهؤلاء تارة يستدلون باتفاق العلماء واجماعهم وتارة بقول الصنعاني احد مؤسسي مذهبهم ان وقوعه محال كما مر في المقدمات.

(ونقول) الإقسام على الله تعالى بكريم عليه من نبي او ولي او عبد صالح او عمل صالح او غير ذلك نوع من التوسل الذي تقدم الكلام فيه في الفصل الثالث وبينا جوازه ورجحانه وانه ليس ببدعة وانه محبوب لله تعالى وانه تعالى يحب ان يتوسل اليه عبده بأنواع الوسائل وكلها لا تخرج عن دعائه وعبادته ومن اجل ذلك جعل الله الشفاعة التي لا ينكرها الوهابية وقبلها وأذن فيهاوالا فأي حاجة له الى الشفيع وهو اعلم بحال عبده وأرأف به واحنى عليه من كل احد فجعل الشفاعة كرامة للشفيع ورحمة بالمشفوع به ولأنه نوع من عبادته ودعائه والتضرع اليه فهو يحب ذلك كله سواء كان من العبد نفسه أو على لسان غيره ولذلك قبل الدعاء بلسان الغير بل جعله أرجى للإجابة (وقول) صاحب الرسالة ان الإقسام على الله بمخلوق منهي عنه باتفاق العلماء جزاف من القول ولم يأت بما يثبته سوى ما نقله عن ابي حنيفة وابي يوسف وابن عبد السلام والقدوري كأن علماء الاسلام في جميع الأعصار والأمصار انحصرت في هؤلاء الأربعة واين فتوى الشافعي ومالك واحمد بن حنبل لم لم ينقلها ان كانوا موافقين واين فتوى باقي العلماء الذين لا يحصي عددهم الا الله هل اطلع على فتاواهم فوجدهم موافقين او لا فكيف تجرأ على دعوى اتفاقهم وكيف يدعي الاتفاق بفتوى اربعة احدهم القدوري وابن عبد السلام وسلفه محمد ابن اسماعيل الصنعاني ينكر تحقق الاجماع بعد عصر الصحابة كما مر في المقدمات واذا كنت تريد ان تعرف مبلغ هؤلاء من العلم والتثبت والتورع في النقل وغيره فخذ لك نموذجا من هذا واذ عرفت ان الإقسام على الله بمخلوق لا يخرج عن التوسل به الى الله تعالى فكان يلزم على الوهابية ان يجعلوه شركا كما جعلوا التوسل لكنهم يلقون الفتاوى جزافا ويفرقون بين المتفقات ويوافقون بين المتفرقات (والحق) انه لا كراهية ولا تحريم في ذلك بل هو راجح مستحب لأنه نوع من دعاء الله تعالى وعبادته الثابت رجحانه بعموم ادلة الدعاء ولم يثبت شيء يخرجه عن العموم بل وردت النصوص فيه بالخصوص (مثل) ما مر في الفصل الثالث مما رواه الحاكم وصحح اسناده والطبراني من قول آدم عليه السلام يا رب اسألك بحق محمد لما غفرت لي (وما) رواه الحاكم في الكبير والأوسط من قول رسول الله (ص) اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي (وما) سيأتي قريباً من قوله اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا وقد ورد في أدعية أئمة اهل البيت عليهم السلام

اسألك بمعاقد العز من عرشك بكثرة وهو ينفي احتمال الكراهية كما أنه ورد في ادعيتهم عليهم السلام الإقسام على الله بالمخلوق وقد مر في الفصل الثالث وهم أحق بالاتباع واعلم بسنة جدهم (ص) من ابن عبد الوهاب وامثاله (أما) استدلال القدوري على تحريمه بأنه لا حق للمخلوق على الخالق فباطل (اولا) لأن الإقسام على الله بالمخلوق لا يلزم ان يقال فيه اسألك بحق فلان عليك بل يكفي بحق فلان او بفلان فان الحق في اللغة الأمر الثابت الواجب من حق يحق حقاً اذا ثبت فتارة يكون ثابتاً للانسان في نفسه من فضل وعلم وشرف وعبادة وزهادة وغير ذلك وتارة يثبت له على غيره (ثانياً) دعواه انه لا حق للمخلوق على الخالق ان اريد ان له عليه حقاً حتميا الزامياً شاء أو ابي وتسلطا كحق الدائن على المديون فمسلم ولكن هذا لا يقول به احد وان أريد ان له عليه حقا جعله الله على نفسه واكرم به عبده فاي مانع منه واي دليل يقتضي نفيه بل الدليل على ثبوته موجود قال الله تعالى ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين كان على ربك وعداً مسؤولا﴾ افنترك قول الله تعالى في كتابه ونتبع قول القدوري والطناجري (وفي) الجامع الصغير للسيوطي (١) من رواية الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله (وفي النهاية الأثيرية) الحق ضد الباطل ومنه الحديث (اتدري ما حق العباد على الله) اي ثوابهم الذي وعدهم به فهو واجب الانجاز ثابت بوعده الحق انتهى ومر في الفصل الثالث ما ذكره ابن تيمية من حديث كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال وقوله جاء في غير حديث كان حقا على الله كذا وكذا وما نقله في الصحيح حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم وما حكاه من رواية ابن ماجة في دعاء الخارج للصلاة اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا الخ وفي خلاصة الكلام(٢) انه رواه ابن ماجة باسناد صحيح عن ابي سعيد الخدري (رض) قال قال رسول الله (ص) من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك واسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولارياء ولا سمعة

---

(١) صفحة ٢٢٠ ج ٢ طبع مصر. (٢) صفحة ٤٢٠.

خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك (قال) وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير وكثير من الأئمة في كتبهم بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو به (قال) ورواه ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله (ص) وفيه اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي مع بعض التفاوت (وقال) ورواه الحافظ ابو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث ابي سعيد بلفظ رواية ابن السني (انتهى) فاذا كان الله تعالى ورسوله قد صرحا بالحق على الله تعالى فهل نتركه ونتبع قول القدوري والمغر في أيها الوهابيون. ومع كل هذا التصريح من الله تعالى ورسوله فهم يتمحلون في رد الأحاديث بالقدح في اسنادها أو مفادها لأنه يعظم عليهم ان يعظموا احداً ممن عظم الله فيردون ما دل على ذلك بكل وسيلة ترويجا لشبهتهم وتمسكا بها (اما) قدح صاحب الرسالة في حديث بحق السائلين عليك بأن فيه عطية العوفي وفيه ضعف فمردود حكى الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (١) عن ابن سعد انه قال وكان ثقة انشاء الله وله أحاديث صالحة وحكى فيه عن الدوري عن ابن معين انه صالح انتهى وفي خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال للحافظ احمد بن عبد الله الأنصاري(٢): عطية بن سعد بن جنادة العوفي ابو الحسن الكوفي عن ابي هريرة وابي سعيد وابن عباس وعنه ابناه عمر والحسن واسماعيل بن ابي خالد ومسعر وخلق ضعفه الثوري وهشيم وابن عدي وحسن له الترمذي احاديث انتهى وحكى في الحاشية عن التهذيب التهذيب: قال أبو حاتم وابن سعد ومع ضعفه يكتب حديثه انتهى وفي تهذيب التهذيب عن ابن عدي وابي حاتم انه مع ضعفه يكتب حديثه انتهى فدل ذلك على ان أحاديثه مقبولة ليس فيها مناكير والذين ضعفوه لم يضعفوه الا لكونه من شيعة علي عليه السلام فرموه بما رموه به (ففي تهذيب التهذيب) عن ابن عدي انه كان يعد مع شيعة أهل الكوفة (وفيه أيضاً) قال ابو بكر: البزار كان يعده في التشيع روى عنه جلة الناس وقال الساجي ليس بحجة وكان يقدم علياً على

---

(١) راجع ج ٧ صفحة ٢٢٤ـ٢٢٦ طبع الهند. (٢) راجع صفحة ٢٢٦ طبع مصر.

الكل انتهى فدل على ان سبب القدح تقديمه علياً على الكل وكفى بـه قـدحـا عنـدهم (وفيه) عن ابن سعد بسنده عن عطية قال لما ولدت اتى بي ابي علياً ففـرض لي في مـائة وقال ابن سعد خـرج عطيـة مع ابن الأشعث فكتب الحجـاج الى محمـد بن القـاسم ان يعرضه على سب علي فان لم يفعل فاضربه اربعمائة سوط واحلق لحيته فاستدعاه فأبى ان يسب فأمضى حكم الحجاج فيه انتهى أفهذا الذي هذه حـالـه وصفتـه في التصلب في الدين وصبره على البلاء خوفا من الله تعالى يصدق في حقه قول ابن حبان كما حكاه عنـه في تهذيب التهذيب انه سمع من ابي سعيد أحاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي فاذا حدث الكلبي عن رسول الله (ص) يحفظه وكناه ابا سعيد ويروي عنـه فـاذا قيل لـه من حدثك بهذا يقول حدثني ابو سعيد فيتـوهمون انـه الخدري وانما أراد الكلبي انتهى ولعل الكلبي كان يكنى بأبي سعيد أو هو كناه به كما يـدل عليـه مـا في تهذيب التهـذيب عن الكلبي انه قال قال لي عطية كنيتك بأبي سعيد فأنا أقول حدثنا ابو سعيد. وما عليـه اذا كنى الكلبي بأبي سعيد وأخبره بذلك فاذا تـوهموا انـه الخدري فما ذنبـه ولـو كـان مـراده التدليس لم يخبر الكلبي بذلك هذا ان صح النقل لكن الغالب على الظن انـه افتراء فمن يتحمل ضرب اربعمائة سوط وحلق لحيته ولا يسب عليا هل يتعمـد ابـدال الكلبي بأبي سعيد ليتوهموا انه الخدري ان هذا مالا يكون وما الذي يدعوه الى ذلك (وابن حبان) هذا هو الذي قال في حق الامام علي بن موسى الرضا إمـام أهل البيت في عصره الـذي حين روى لعلماء نيسابور حديث سلسلة الذهب المشهـور كتب عنـه ذلك الحديث من أهل المحابر والدوي ما ينـوف عن عشرين الفـاً وكـان المستملي ابـو زرعـة ومحمـد بن اسلم الطوسي والناس ما بين صارخ وباك ومتمـرغ في التراب ومقبل لحافـر بغلتـه. فقـال ابن حبان في حقه كما في كتاب الأنساب للسمعـاني المطبـوع ببـلاد المانيـا: يـروي عن ابيـه العجائب كان يهم ويخطىء انتهى وتعقبه بعض العلماء في الحاشية بقوله: انظر الى هـذه الجرأة العظيمة من هذا المغرور كيف يوهم ويخطىء ابن رسـول الله ووارث علمـه واحـد علماء العترة النبوية وإمامهم المجمع على غزارة علمـه وشرفـه وليت شعـري كيف ظهـر لهذا الناصبي الذي أفنى عمره في علم الـرسـوم لأجل الـدنيـا حتى نـال بها قضـاء بلخ وغيرها وهم علي بن موسى الرضا وخطاؤه وبينهما نحو مـائة وخمسين عـامـا لـولا بغض القربى النبوية التي أمر الله بحبها ومودتها وامر رسوله عليه السلام بالتمسك بها قـاتلهم

الله انى يؤفكون انتهى ومما يدل على وثاقة عطية رواية جلة الناس عنه كما اعترف به اا‌البزار وكثرة من روى عنهم ورووا عنه من الصحابة وغيرهم (ففي تهذيب التهذيب) روى عن ابي سعيد وابي هريرة وابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم وعكرمة وعدي بن ثابت وعبد الرحمن بن جندب وقيل ابن جناب. روى عنه ابناه الحسن وعمر والأعمش والحجاج بن ارطاة وعمرو بن قيس الملائي ومحمد بن جحادة ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى ومطرف بن طريف واسماعيل بن ابي خالد وسالم بن ابي حفصة وفراس بن يحيى وابو الجحاف وزكر بن ابي زائدة وادريس الأودي وعمران البارقي وزياد بن خيثمة الجعفي وآخرون انتهى وقد أورد حديثه أئمة الحديث في صحاحهم كالبخاري في الأدب المفرد وابو داود والترمذي وابن ماجة القزويني كما يدل عليه وضع صاحب مختصر تذهيب الكمال على اسمه رمز (بخ د ت ق) الذي هو رمز الى هؤلاء أما قول صاحب الرسالة ومع صحته فمعناه بأعمالهم الخ فلا يظهر له معنى محصل ومع ذلك ففيه اعتراف بثبوت الحق لهم على الله بمعنى الثواب والاجابة وجواز القسم به وقول صاحب المنار في الحاشية ان المتبادر من هذه الجملة انها سؤال لله تعالى بوعده للسائلين ان يستجيب دعاءهم الخ لا ينفي الحق على الله تعالى بل يؤيده وهو ما جعله على نفسه بوعده الصادق من اجابة دعاء من دعاه.

الفصل الخامس

في الحلف بغير الله تعالى

وهذا منعه الوهابية وبعضهم جعله شركا على الإطلاق وبعضهم شركا أصغر فممن صرح به بأنه شرك على الاطلاق الصنعاني في تطهير الاعتقاد فانه بعدما ذكر انالقبوريين سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة وعد أعمالهم الموجبة لذلك قال (١) ويقسمون بأسمائهم بل اذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فاذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عبادة الأصنام (واذا ذكر الله وحده

(١) صفحة ١٤.

اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله او ليصمت) وسمع رسول الله (ص) رجلا يحلف بالات فأمره ان يقول لا اله الا الله ـ وهذا يدل على انه ارتد بالحلف بالصنم فأمره ان يجدد اسلامه فانه قد كفر بذلك انتهى . ثم قال(١) بعدما ذكر ان رأس العبادة واساسها الاعتقاد وقد حصر في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد وعد من جملته الحلف وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية (٢) الشرك شركان أكبر وله انواع ومنه الذي تقدم (يعني طلب الشفاعة من المخلوق والتوسل وغيره) واصغر كالرياء والسمعة ومنه الحلف بغير الله لما روى بن عمر (رض) عن رسول الله (ص) من حلف بغير الله فقد اشرك اخرجه الإمام احمد وابو داود والترمذي والحاكم وصححه وابن حبان وقال (ص) ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله او ليصمت اخرجه الشيخان قال والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة وتجب التوبة منه انتهى .

ونقول قد وقع القسم بغير الله تعالى من الله تعالى ومن النبي (ص) ومن الصحابة والتابعين وجميع المسلمين خلفاً عن سلف (اما من الله تعالى فانه قد اقسم في كتابه العزيز بكثير من مخلوقاته كما أقسم بذاته وبعزه وجلاله مثل قوله تعالى : ﴿والعصر أن الانسان لفي خسر. والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا . والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحاً فالسابقات سبقا فالمدبرات امراً . والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقا فالملقيات ذكراً . والذاريات ذروا فالحاملات وقراً فالجاريات يسرا فالمقسمات امراً . والصفات صفا فالزاجرات زجرا فالملقيات ذكرا . والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين . والضحى والليل اذا سجى . والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى . والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها . والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع . والسماء ذات الحبك . والسماء ذات البروج

(١) صفحة ١٥ . (٢) صفحة ٢٥ .

واليوم الموعود وشاهد ومشهود. والسماء والطارق. والنجم اذا هوى. والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر. ن والقلم وما يسطرون. والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور. لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة. لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد. فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم. فلا اقسم بالخنس الجواري الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس. لا أقسم بيوم الدين. فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون. فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق. لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ - لا يقال صدوره من الله تعالى لا يستلزم جواز صدوره منا فهو لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (لأنا نقول) انا نريد ان صدوره منه تعالى يدل على انه لا قبح فيه لأنه تعالى منزه عن فعل القبيح فلا يكون صدوره منا قبيحاً ونعم القدوة الله تعالى واذا كان الله تعالى قد جعل لنفسه شريكا واشرك بالشرك الأصغر (تعالى عن ذلك) فما على من اقتدى به في ذلك بأس (وقول القسطلاني) في ارشاد الساري (١): لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ليعجب به المخلوقين ويعرفهم قدرته لعظيم شأنها عندهم ولدلالتها على خالقها واما المخلوق فلا يقسم الا بالخالق قال:

ويقبح من سواك الشيء عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا

انتهى - كلام قشري لما عرفت من ان ما يقبح من العبد لكونه شركا أصغر وتشبيهاً للخلق في العظمة به تعالى لا يمكن ان يحسن منه تعالى اذ صدوره منه تعالى لا يخرجه عن تلك الصفة ان كانت والشعر الذي أورده لا يرتبط بما نحن فيه كما لا يخفى (واما من النبي (ص)) فعلا وتقريراً فما رواه مسلم في صحيحه (٢) انه جاء رجل الى النبي (ص) فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم اجراً فقال اما وأبيك لتنبأنه ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء (الحديث) وروى مسلم أيضاً في كتاب الإيمان(٣) انه جاء رجل الى رسول الله (ص) من اهل نجد يسأل عن الإسلام فقال

---

(١) صفحة ٣٥٨ ج ٩. (٢) صفحة ٤١٩ ج ٤. (٣) صفحة ٢٢٤ - ٢٢٧ ج ل بهامش ارشاد الساري.

رسول الله (ص) خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحدة يقول هل علي غيرها وهو (ص) يقول لا الا ان تطوع فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا انقص منه فقال رسول الله (ص) افلح وأبيه ان صدق او دخل الجنة وابيه ان صدق (وحكى) القسطلاني في ارشاد الساري (١) عن ابن عبد البر أن هذه اللفظة منكرة غير محفوظة تردها الاثار الصحاح انتهى (أقول) بل يعضدها حديث اما وأبيك لتنبأنه قال وقيل انها مصحفة من قول والله قال القسطلاني وهو محتمل ولكن مثل هذا لا يثبت بالاحتمال لا سيما وقد ثبت من لفظ ابي بكر الصديق في قصة السارق الذي سرق حلي ابنته فقال وابيك ما ليلك بليل سارق أخرجه في الموطأ وغيره انتهى (قال القسطلاني) واحسن الأجوبة ما قاله البيهقي وارتضاه النووي وغيره ان هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير ان يقصدوا به القسم او ان التقدير أفلح ورب ابيه انتهى (وفيه) ان العرب تقصد به القسم والا كان أتيانه عبثاً وهذراً والحذف لا دليل عليه وقال ابو طالب عم النبي (ص):

كذبتم وبيت الله نبزي محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

سمع ذلك رسول الله (ص) ولم ينكره (واما الحلف بغير الله من الصحابة والتابعين وجميع المسلمين) فقد سمعت قول ابي بكر وأبيك ووقع الحلف من الكل بلفظ لعمري او لعمر ابيك ونحو ذلك في الشعر والنثر بكثرة لا يمكن معها ضبطه وهو قسم باتفاق اهل اللغة وحلف بالعمر بفتح العين وهو الحياة او الدين كما فسره اهل اللغة بل جعله النحويون نصا في القسم قال ابن مالك في ألفيته:

وبعد لولا غالبا حذف الخبر ... حتم وفي نص يمين ذا استقر

وقال ابنه في الشرح الثاني خبر المبتدأ الصريح في القسم نحو لعمرك لأفعلن انتهى وكذا ذكر ابن هشام في كتبه وغيرهم من النحويين (ففي كتاب علي الى معاوية) لعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان (وفي كتاب آخر له اليه) فلعمري لو كنت الباغي لكان لك ان تخوفني (وفي كتاب معاوية اليه) فان كنت ابا

---

(٣) صفحة ٣٥٧ ج٩.

حسن انها تحارب عن الإمارة والخلافة فلعمري لو صحت لكنت قريبا من ان تعذر في حرب المسلمين وللحسين بن علي عليهما السلام :

لعمرك انني لأحب داراً تحل بها سكينة والرباب

وقال ولده علي بن الحسين (ع) من كلام يخاطب به اهل الكوفة ولعمري ما هي منكم بنكر (وقال) اخوه علي بن الحسين الأكبر يوم كربلا .

انا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

ولما سمع عبد الله بن عمر العنسي وكان من عباد اهل زمانه رواية عمرو بن العاص عن النبي (ص) ان عماراً تقتله الفئة الباغية خرج ليلا فأصبح في عسكر علي وحدث الناس بقول عمرو وقال من جملة ابيات :

والراقصات بركب عامدين له ان الذي جاء من عمرو لمأثور

ما في مقال رسول الله في رجل شك ولا في مقال الرسل تحيير

رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين مسنداً عن رجاله «ومما» يدل على جواز الحلف بغير الله من العظماء ما رواه احمد بن حنبل في مسنده عن عائشة قال لها مسروق سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول الله (ص) يعني في حق الخوارج قالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة . فان قوله سألتك بصاحب هذا القبر بمنزلة قوله أقسمت عليك به ولا فرق بين ان يقول القائل اقسم بفلان واقسم عليك بفلان (وقوله) واقربهم عند الله وسيلة من ادلة جواز التوسل كما مر.

أما حديث من حلف بغير الله فقد اشرك فهو في مسند احمد عن ابن عمر كان يحلف وابي فنهاه النبي (ص) قال من حلف بشيء دون الله فقد اشرك وقال الاخر وهو شرك انتهى(١) أما المنقول عن الترمذي وصححه الحاكم فهو ان ابن عمر سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال لا تحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله (ص) يقول من حلف بغير الله فقد كفر أو اشرك (وهو) محمول اما على الكراهة الشديدة واطلاق الشرك عليه من باب

---

(١) كذا وجدنا هذه العبارة في المسودة ولم تحضرنا نسخة مسند احمد عند تبييضها فلتراجع .

المبالغة بيانا لشدة الكراهة فقد ورد اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل لـه كما بيناه في مقام آخر ويؤيده قوله في الرواية كان يحلف وابي الدال على ان ذلك كان عادة له مستمرة فهو شبه الإعراض عن الله تعالى ويؤيده مافي الـروايـات الأخـر كما يأتي كـانت قريش تحلف بآبائها وقـول عمـر وابي وابي (قـال القسطـلاني) في ارشـاد السـاري شرح صحيح البخـاري (١) بعـد نقل روايـة الترمـذي والتعبير بـذلك يعني الكفـر والشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ وهل النهي للتحريم أو للتنزيه المشهور عند المالكية الكراهة وعند الحنابلة التحريم وجمهور الشافعية انه للتنزيـه وقـال إمـام الحرمين المذهـب القطع بالكراهة وقال غيره بالتفصيل فان اعتقد فيه من التعظيم مـا يعتقـده في الله حـرم وكفـر بذلك الاعتقاد وان حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به على مـا يليق بـه من التعظيم فـلا يكفر انتهى (واما) على الحلف بالأصنام كما يشير اليـه الحديث الانف الـذكـر في كـلام الصنعاني فيمن حلف باللات مما يدل على ان ذلك كان يقع منهم بعد اسلامهم لقـرب عهدهم بالشرك لكن ذلك لا يتأتى على رواية احمد لأن فيها انـه كـان يحلف وأبي او على الحلف بغير الله باعتقاد مساواته لله تعالى او على الحلف بالبراءة ونحـوهـا كأن يقـول ان فعل كذا فهو يهودي او بريء من الإسلام او من الله او من رسوله فانـه امـا محرم فقط أو موجب للكفر ان قصد الرضا بذلك اذا فعله ولكنه لا يتأتى على رواية احمد كما عرفت أو على الحلف في مقام القضاء والمرافعة لإثبات حق او نفيـه الـذي لا يجوز بغير الله تعـالى وجعله شركا لتأكيد التحريم او غير ذلك من المحامل فان جواز الحلف بغير الله تعالى في غير ذلك قطعي بل من ضروريـات الإسـلام يعـرف جـوازه الخواص والعـوام والنســاء والصبيان ولو كان حراما لاشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهـار لكثـرة الابتـلاء بـه ولم يخف على الناس كلها ويظهر للوهابيـة وحـدهـم وستعـرف اتفـاق الأئمـة الأربعـة على الجواز (أمـا حـديث) النهي عن الحلف بـالأبـاء فـرواه احمد في مسنـده ايضـاً كما رواه الشيخان وصدره ان النبي (ص) سمع عمر وهـو يقـول وابي وفي روايـة وابي وابي مكـرراً فقال ان الله ينهاكم الخ وفي رواية لمسلم الاقتصار على من كان حالفاً فلا يحلف الا بالله

---

(١) صفحة ٣٥٨ ج٩.

(قال) وكانت قريش تحلف بآبائها فقال لا تحلفوا بآبائكم وهو كالذي سبق محمول اما على الكراهة او على عدم الانعقاد فيكون ارشادياً كما في النهي عن بيع الغرر اي بيع المجهول اي انه لا يترتب عليه آثار اليمين من وجوب الوفاء ولزوم الكفارة بمخالفته وغير ذلك او على الحلف في مقام المرافعة او غير ذلك (قال النووي) في شرح صحيح مسلم(١) في شرح ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فيه النهي عن الحلف بغير اسمائه تعالى وصفاته وهو عند اصحابنا (يعني الشافعية) مكروه وليس بحرام انتهى (وصرح) الخطيب الشربيني الشافعي في الإقناع بان اليمين بالمخلوق مكروه ومثله عن شرح المنهاج «وافتى» احمد ابن حنبل الذي ينسب الوهابية انفسهم اليه ويقولون انهم على مذهبه بجواز الحلف بالنبي (ص) وانه ينعقد لأنه احد ركني الشهادة فهذا امامهم ومقلدهم وأحد ائمة مذاهب الإسلام الأربعة يفتي بجواز الحلف بالمخلوق وانعقاده وهم يجعلونه شركا او شركا اصغر «قال الشعراني» في ميزانه: ومن ذلك قول احمد انه لو حلف بالنبي (ص) انعقد يمينه فان حلف لزمته الكفارة انتهى بل الأئمة الآربعة قائلون بجواز الحلف بالنبي (ص) بل وغيره من المخلوقات لكنه مكروه انما الخلاف في انعقاد الحلف بالنبي (ص) ولزوم الكفارة بالحنث (والحاصل) ان الحلف بالله تعالى له أحكام خاصة لا تترتب على غيره كفصل الخصومات به وترتب الإثم والكفارة على مخالفته (ومذهب) ائمة اهل البيت عليهم السلام جواز الحلف بغير الله تعالى عدا البراءة فيحرم الحلف بها ولكنه لا ينعقد بغير الله تعالى ولا تسقط به الدعوى (اما) قول الصنعاني انه اذا حلف من عليه حق باسم الله لم يقبل منه واذا حلف باسم ولي قبلوه وصدقوه (فجوابه) انه انما يصدر ذلك من عوام الناس وجهالهم واهل المعرفة براء منه فهل تستحل دماء المسلمين واموالهم لأمر يصدر من بعض جهالهم مع كونه أيضاً لا يوجب شركاً ولا كفراً وان كان خطأ (واما) استشهاده بحديث من حلف باللات فأمره (ص) ان يقول لا اله الا الله فعجيب فانه ما حلف باللات الا على عادته التي كانت له قبل الإسلام من جعلها آلهة وعبادتها من دون الله وهي حجر لا تضر ولا تنفع وليس لها شرف

---

(١) صفحة ١١٩ ج٧ بهامش ارشاد الساري.

يصحح الحلف بها فأمره بقول لا اله الا الله ردعا له عن ذلك الحلف فقياسه الحلف بعظيم عند الله على ذلك بمكان من الغرابة سواء كان ذلك موجباً للكفر اولا (اما قوله) رأس العبادة واساسها الاعتقاد الخ فقد مر الكلام عليه في الباب الثاني.

الفصل السادس

في التعبير عن غيره تعالى بالسيد والمولى ونحو ذلك (بصيغة الخطاب وغيره)

وهذا أيضاً مما جعله الوهابية موجباً للشرك ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية(١) بعدما ذكر تحريم عمارة القبور قال ويضاف الى عمارتها دعاء اصحابها الى ان قال وخطابهم يا سيدي يا مولاي افعل كذا وكذا وبهذا عبدت اللات والعزى الى آخر ما قال وتقدم في الباب الثاني قول محمد بن عبد الوهاب وانما يعنون (أي المشركون) بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد وفي خلاصة الكلام ان محمد بن عبد الوهاب يزعم ان من قال لأحد مولانا او سيدنا فهو كافر.

و(نقول) اطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى ونداؤه به صحيح لا محذور فيه فانه لا يراد به الملكية الحقيقية المساوية لملكيته تعالى ولا يقصد احد من المسلمين ذلك ولو فرض انا جهلنا قصدهم لوجب حمل كلامهم على الصحيح وقد ورد اطلاق السيد على غيره تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى في يحيى بن زكريا: ﴿وسيداً وحصوراً. والفيا سيدها لدى الباب﴾ وفي كلام النبي (ص) بما يبلغ حد التواتر (روى البخاري) في الأدب المفرد من حديث جابر عنه (ص) من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس (وعن ابي هريرة) عنه (ص) انا سيد ولد آدم يوم القيامة (وفي رواية) انا سيد ولد آدم ولا فخر (وعن عائشة) عنه (ص) أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب (وعن ابي سعيد الخدري)عنه (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة (وعن الترمذي) عن فاطمة اخبرني النبي (ص) اني سيدة نساء العالمين) وعن ابي نعيم الحافظ) في حلية الأولياء عنه

---

(١) صفحة ٢٨.

(ص) ادعوا لي سيد العرب علياً (وعن الحلية أيضاً) انه (ص) قال لعلي مرحباً بسيد المؤمنين (وعن عائشة) انه (ص) سار الزهراء فقال لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين (وعنه ص) سادات النساء أربعة خديجة وفاطمة ومريم واسية (وفي الفائق للزمخشري)(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه ارأيتم لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا كيف يصنع به فقال سعد بن عبادة والله لأضربنه بالسيف ولا انتظر ان آتي باربعة شهداء فقال رسول الله (ص) انظروا الى سيدنا هذا مايقول وروي الى سيدكم (وفي النهاية) في الحديث قالوا يا رسول الله من السيد فقال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام قالوا فما في امتك من سيد قال بلى من آتاه الله مالا ورزق سماحة فادى شكره وقلت شكايته في الناس (قال) وفيه انه (ص) قال للحسن بن علي ان ابني هذا سيد وفيه انه قال للأنصار قوموا الى سيدكم يعني سعد انتهى واشار بحديث معاذ الى ما رواه احمد بن حنبل (٢) بسنده عن ابي سعيد الخدري نزل أهل قريضة على حكم سعد بن معاذ فارسل اليه رسول الله (ص) فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال (ص) قوموا الى سيدكم أو خيركم (الحديث) ورواه البخاري(٣) نحوه (وكذلك في كلام الصحابة) فعن البخاري عن جابر ان عمر كان يقول ان ابا بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا (وعن ابي بكر) انه قال أتقولون هذا شيخ قريش وسيدهم (وعن علي) انا سيد البطحاء (وفي الفائق) للزمخشري قالت ام الدرداء حدثني سيدي ابو الدرداء (وفي النهاية) في حديث عائشة كان سيدي رسول الله (ص) الخ.

هذا وفي بعض الأخبار ما يوهم عدم جواز اطلاق السيد على غير الله. أورد السيوطي في الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس عن علي. السيد الله واورد العزيزي في شرح الجامع الصغير عن مسند ابي داود انه جاء وفد بني عامر الى النبي (ص) فقالوا انت سيدنا فقال السيد الله الحديث (والجمع) بينه وبين ما مر باختلاف القصد في معنى السيد او بأنه قال ذلك تواضعا أي السيد الحقيقي هو الله (وفي النهاية) أي هو الذي تحق له السيادة كأنه كره ان يحمد في وجهه واحب التواضع انتهى (وكذا)

---

(١) صفحة ٣٠٨ طبع الهند. (٢) صفحة ٢٢ ج ٣. (٣) صفحة ١٤٦ ج٩ ارشاد الساري.

ما ورد من النهي عن قول السيد عبدي وامتي روى البخاري في حديث (١) ولا يقل احدكم عبدي وامتي (وفي رواية) لمسلم لا يقولن أحدكم عبدي فان كلكم عبيد الله (وفي رواية) لأبي داود والنسائي فانكم المملوكون والرب الله مع قوله تعالى: ﴿والصالحين من عبادكم وامائكم. عبدا مملوكا. اذكرني عند ربك﴾ فهذه المناهى للتنزيه قصداً للتواضع (وحاش لله) ان يقصد المسلمون من اطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى معنى ينافي اخلاص العبادة كيف وهم يعلمون ان ما عداه لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً الا بأمره تعالى وارادته واقداره (فقول) ابن عبد الوهاب وانما يعنون بلفظ الإله ما يعني المشركون بلفظ السيد افتراء على المسلمين فلا يريد المسلمون الذين سماهم المشركين بلفظ السيد غير ما اريد في الاستعمالات الواردة في كلامه تعالى وفي كلام النبي (ص) والصحابة التي مر نقلها من الرئيس والأفضل ونحو ذلك أما ما يريده المشركون لفظ الإله فقد عرفت بما بيناه مراراً انه يخالف ذلك فراجع.

الفصل السابع

في النحر والذبح

وهذا مما كفر به الوهابية المسلمين ونسبوهم الى الشرك فزعموا انهم يذبحون وينحرون للأموات والقبور ويقربون لها القرابين وان ذلك كالذبح والنحر للأصنام الذي كانت تفعله أهل الجاهلية الموجب للشرك (صرح) بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدم في الباب الثاني المنقول عن رسالته كشف الشبهات حيث قال ان النبي (ص) قاتل المشركين لتكون جملة أشياء لله تعالى وعد منها الذبح وقال في الرسالة المذكورة (٢) في أثناء كلام له علم به اصحابه كيف يحتجون على غيرهم: فقل هل الصلاة والنحر لله عبادة اذ يقول ﴿فصل لربك وانحر﴾ فلا بد ان يقول نعم فقل اذا نحرت لمخلوق نبي او جني او غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله فلا بد ان يقول نعم فقل المشركون هل

(١) صفحة ٣١٢ ج٤ ارشاد الساري. (٢) صفحة ٦٢ طبع المنار بمصر.

كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغيرها فلا بد ان يقول نعم فقل وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء والا فهم مقرون انهم عبيد الله تحت قهره (وصرح) بذلك الصنعاني في عدة مواضع من كلامه المتقدم في الباب الثاني (كقوله) ان افراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الا ان تكون أشياء لله وعد منها النحر (وقوله) ان تعظيمهم الأولياء ونحرهم لهم النحائر شرك والله تعالى يقول: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أي لا لغيره كما يفيده تقديم الظرف (وقوله) ان النحر على القبر بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثناً وصنما وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً الخ (وقوله) ونحرهم النحائر لهم شرك (وقال الصنعاني) في رسالة تطهير الاعتقاد أيضاً فان قال انما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه فقل ان كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه هل أردت بذلك تعظيمه ان قال نعم فقل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره وان لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه أنت تعلم يقينا انك ما أردت ذلك أصلا ولا أردت الا الأول ولا خرجت من بيتك الا قصده (الى أن قال) فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب انتهى (وصرح) بذلك الوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني حيث عدوا من جملة أسباب الشرك التقرب الى الموتى بذبح القربان.

ونقول النحر والذبح (قد يضاف لله تعالى) فيقال ذبح لله ونحر لله ومعناه أنه نحر لوجهه تعالى امتثالا لأمره وتقربا اليه كما في الأضحية بمنى وغيرها والفداء في الإحرام والعقيقة وغير ذلك وهذا يدخل في عبادته تعالى أو نحر باسمه تعالى فذكر اسمه على المنحور وهذا لا ربط له بالعبادة انما هو شرط في حلية الذبيحة مع التفطن لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (وقد يضاف الى المخلوق) فيقال ذبحت الدجاجة للمريض ونحرت البعير أو ذبحت الشاه للأضياف أو ذبحت كذا لفلان تريد الذي أمرك بالذبح وهذا لا محذور فيه (وقد يضاف الى المخلوق) بقصد التقرب اليه كما يتقرب الى الله طلباً للخير منه مع كونه حجراً وجماداً لا يضر ولا ينفع ولا يعقل ولا يسمع سواء كان تمثالا لنبي أو صالح أو غير ذلك ومع نهي الله تعالى عن ذلك ويذكر اسمه على المنحور والمذبوح ويعرض عن اسم الله تعالى فيجعل نظيراً لله تعالى ونداله ويطلى بدم المنحور أو المذبوح قصد التقرب اليه مع كون ذلك عبثا ولغواً نهى عنه الله تعالى كما كان

يفعل المشركون مع أصنامهم وهـذا قبيح منكـر بل شرك وكفـر سـواء سمي عبـادة اولا (وهذا) ما توهم الوهـابيـة ان المسلمين يفعلـون مثلـه لـلأنبيـاء والأوصيـاء والصلحـاء فينحرون ويذبحون لهم عند مشاهدهم أو غيرها ويقربـون لهم القـرابين كما كـان عبـدة الأصنام والأوثان يفعلون ذلك باصنامهم واوثـانهم وهـو تـوهم فـاسـد فـان مـا يفعلـه المسلمون لا يخرج عن الذبح والنحـر لله تعـالى لأنـه يقصـد اني أذبح هـذا في سبيل الله لأتصدق بلحمه وجلده على الفقراء او مطلق عباد الله وأهدي ثواب ذلك لرب المشهـد والذبح الذي يقصد به هذا يكون راجحاً وطاعة لله تعالى وعبادة له سـواء اهـدي ثـواب ذلك لنبي أو ولي او اب او ام او أي شخص من سـائر النـاس ونظيره من يقصـد اني أطحن هذه الحنطة لأعجنها وأخبزها وأتصدق بخبزها على الفقراء واهـدي ثـواب ذلك لأبوي فأفعاله هذه كلها طاعة وعبادة لله تعالى لا لأبويـه ولا يقصـد احـد من المسلمين بالذبح لنبي أو غيره ما كانت تفعله من ذكر اسمها على الذبيحـة والإهـلال بها لغير الله وطليها بدمها مع نهي الله تعـالى لهم عن ذلك ولـو ذكـر أحـد من المسلمين اسم نبي أو غيره على الذبيحة لكان ذلك عندهم منكراً وحرمت الذبيحة فليس الذبح لهم بل عنهم بمعنى انه عمل يهدي ثوابه اليهم كسائر أعمال الخير او لهم بـاعتبـار ثـوابـه ولـذلك لا ينافيه قولهم ذبحت لفلان أو اريد ان اذبح لفلان او عندي ذبيحة لفلان لو فرض وقوعه فالمقصود في الكل كونها له باعتبار الثواب وهذا كما يقال ذبحت للضيف او للمريض أو لفلان الامر بالذبح او نحو ذلك بل لو قصد بالذبح امتثال امر الآمر بـه من المخلـوقين وطلب رضاه واتى به على وجهه من شرائط الذبح الشرعية لم يكن بـذلك آثماً ولا عـابـداً للآمر ولا مشركا مع انه لو وقع مثل ذلك امتثالا لأمـره تعـالى كما في الأضحيـة ونحـوهـا لكان عبادة له تعالى كما مر وكل من يأمرهم السلطان ابن سعود بـالـذبح او النحـر من خدمه وعبيده واتباعه حالهم كذلك مع انهم هم الموحدون الوحيدون.

(والحاصل) ان المسلمين لا يقصدون من الذبح للنبي أو الولي غير اهداء الثواب أما العارفون منهم فحالهم واضح في انهم لا يقصدون غير ذلك واما الجهال فانما يقصـدون ما يقصد عرفاؤهم ولو اجمالا حتى لو فرض وقوع اضافة الذبح الى النبي أو الولي كما مـر فليس المقصود الا كون ثوابها له لا يشك في ذلك الا معاند ولو سألنا عارفا او عاميـا ايـاً كان هل مرادك الذبح لصاحب المشهد تقربا اليه كما كان المشركون يذبحـون لأصنـامهم

او مرادك اهداء الثواب له لقال معاذ الله ان اقصد غير اهداء الثواب ولو فرضنا اننا شككنا في قصده او خفي علينا وجه فعله لما جاز لنا ان نحمله الا على الوجه الصحيح لوجوب حمل أفعال المسلمين واقوالهم على الصحة حتى يعلم الفساد ولم يجز لنا ان ننسبه الى الشرك ونستبيح دمه وماله وعرضه بمجرد ظننا ان قصده الذبح لها كالذبح للأصنام لما عرفت في المقدمات من وجوب الحمل على الصحة مهما امكن(١) (اما) اهداء ثواب الخيرات والعبادات الى الأموات فأمر راجح مشروع لم يمنع منه كتاب ولا سنة بل وردت به السنة في صحاح الأخبار وقامت عليه سيرة المسلمين وعملهم في كل عصر وزمان من عهد النبي (ص) والصحابة الى اليوم وهذا منه ولا اظن الوهابية يخالفون فيه ومن أولى بالهدايا من انبياء الله واوليائه (روى) مسلم في صحيحه في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت اليه بعدة أسانيد عن عائشة ان رجلا اتى النبي (ص) فقال يا رسول الله ان امي افتلتت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت أفلها اجرا إن تصدقت عنها قال نعم (قال) النووي في الشرح نفسها نائب فاعل أو مفعول به اي ماتت فجأة. ثم قال وفي هذا الحديث ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء انتهى (وروى) احمد بن حنبل في مسنده عن عائشة ان رجلا قال للنبي (ص) ان امي افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت لتصدقت فهل لها أجر أن اتصدق عنها قال نعم (وروى) احمد بن حنبل ايضاً عن ابن عباس ان بكراً أخا بني ساعدة توفيت امه وهو غائب عنها فقال يا رسول الله ان امي توفيت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت بشيء عنها قال نعم فقال اشهدك ان حائط المخرف صدقة عليها (وعن) احمد وابي داود والترمذي ان النبي (ص) ذبح بيده وقال اللهم هذا عني وعن من لم يضح من امتي (وعن) سيف وابي داود ان علياً كان يضحي عن النبي (ص)

---

(١) قال الشيخ محمد عبده الشهير في كتابه الإسلام والنصرانية صفحة (٥٥) ان من اصول الأحكام في الدين الإسلامي البعد عن التكفير وان مما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد احكام دينهم انه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر انتهى فما رأى الأستاذ صاحب المنار في الجمع بين هذا الكلام الصادر ممن يسميه الأستاذ الإمام حكيم الاسلام وبين اقوال اسياده الوهابية الذين ينشر لهم كتب دعوتهم التي يكفرون بها المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم بقولهم يا رسول الله اشفع لي اقض حاجتي مع انه لو احتمل الكفر من وجه واحد فهو يحتمل الإيمان من مائة وجه كما تعلمه من تضاعيف هذا الكتاب.

بكبش وكان يقول اوصاني ان اضحي عنه دائماً (وعن) على ان النبي (ص) أوصاني ان اضحي عنه (وعن) بريدة ان امرأة سألت النبي (ص) هل تصوم عن امها بعد موتها وهل تحج عنها قال نعم (وعن) ابن عباس انه قال تفي البنت نذر امها (وروي) ان العاص بن وائل اوصى بالعتق فسأل ابنه النبي (ص) عن العتق له فأمر به (وعن) عائشة ان النبي (ص) قال عند الذبح: اللهم تقبل من محمد وآل محمد وامته وهذا امر لا يشك احد من المسلمين في جوازه وعليه جرت سيرتهم خلفا عن سلف وقد سمعت دعوى النووي اجماع العلماء عليه فهذا حال الذبح والنحر عن الأنبياء والأولياء الذي اعظم الوهابية امره واستحلوا لأجله الدماء والأموال والأعراض لا يخرج عن مندوبات الشرع ومستحباته ومن ذلك يظهر فساد قول الصنعاني: ان كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب المشهد الخ فان اختيار الذبح في جوار المشهد (اولا) لطلب زيادة الثواب لتشرف البقعة بمن فيها ان كان نبياً او وليا فيزداد ثواب العمل بذلك لما ورد من ان الأعمال يتضاعف اجرها لشرف الزمان والمكان وانكار شرف المكان بشرف المكين انكار للضروري (ثانيا) لما كان المراد اهداء الثواب اليه ناسب كون هذا العمل الذي هو عبادة وصدقة لله في المكان الذي فيه قبره لأن الهدية يؤتى بها عادة للمهدى اليه نظير قراءة القرآن عند قبره واهداء ثواب القراءة اليه وليس في ذلك منافاة للدين ولا محذور لأن ذلك ان لم يكن راجحا فلا أقل من كونه مباحا (ثالثاً) ان مريد الذبح يأتي غالبا للزيارة التي هي راجحة ومشروعة سواء بعدت المسافة أو قربت كما ستعرف في فصل الزيارة فيحضر ما يريد ذبحه واهداء ثوابه الى المزور معه وليس في واحد من هذه الوجوه الثلاثة محذور ولا مانع ولا منافاة للحنيفية السهلة السمحاء التي تشدد فيها الوهابيون تشدد الخوارج (وظهر) ايضاً فساد قوله ان اردت بذلك تعظيمه فهذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره وان لم ترد فهل أردت توسيخ باب المشهد الخ فان مراده لا يخرج عن الوجوه الثلاثة المذكورة مع انه لو أراد بذلك اظهار تعظيمه بإهداء الثواب اليه وانه أهل لذلك الذي لا يظهر الا بالذبح عند مشهده لم يكن فيه محذور ولا منه مانع أليس هو اهلا للتعظيم ومحلا لإهداء الثواب الا ان يكون كل تعظيم لمخلوق شركا وكفراً كما تقتضيه حجج الوهابية فيعمهم الشرك اترى لم ان السلطان ابن سعود او احد عظماء اعراب نجد زاره امير من الأمراء فأتى بالإبل والغنم ونحر وذبح لضيافة زائره

و إكرامه و إظهار تعظيمه وذكر اسم الله على الذبيحة يكون كافراً ومشركا لأنـه ذبح لغير الله وقصد بالذبح تعظيم المذبوح له كلا حتى لو كان هـذا الأمير الـزائر ظـالما لم يكن في الذبح له قصداً لتعظيمه كفر ولا شرك مع انه ليس اهـلا للتعظيم فكيف بمن هـو اهل لكل تعظيم حيا وميتا كالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين فقوله هذا شرك بـلا رِيب افك وافتراء بلا ريب (وظهر) ايضا فساد ماموه به ابن عبد الوهاب من قوله هل الصلاة والنحر لله عبادة اذ يقول فصل لربك وأنحر الخ الذي حـاصلـه ان النحـر لله عبـادة لله فالنحر للمخلوق عبادة للمخلوق فاذا نحرت لمخلوق فقد اشركت في هذه العبـادة غير الله كما اشرك الذين كانوا يذبحون للأوثان فان النحر والذبح الذي يفعله المسلمون نحـر وذبح لله بالوجه الذي بيناه وتوهم انه مثل نحر عبدة الأصنام فاسد كما عرفته بما لا مزيد عليه والنحر لله معناه كونه لوجه الله وامتثالا لأمره فيما يكون مأموراً به وباسمـه في مطلق النحر (قال في الكشاف) وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر لـلأوثـان انتهى وما يفعله المسلمون جامع للأمرين فيذكر عليه اسم الله وينحر للصدقـة واهـداء الثواب بخلاف ما ينحر للأوثان الذي يذكر اسمها عليه ويقصد به التقـرب اليهـا لا الى الله (مع) ان النحر في الاية ليس متعيناً لإرادة نحـر الأنعـام (ففي الكشـاف) انـه نحـر البدن وقيل هي صلاة الفجر بجمع والنحـر بمنى وقيل صـلاة العيـد والتضحيـة وقيل جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال انتهى (وفي مجمع البيان) بعدما ذكـر انها صلاة العيد ونحر الهدي والأضحية عن عطاء وعكرمة وقتـادة أو صـلاة الفجـر بجمع ونحـر البـدن بمنى عن سعيـد بن جبير ومجاهـد نقل عن الفـراء ان معنـاه صل لـربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك تقول العرب منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا اي يستقبله وانشد .

ابا حكم هل انت عم مجالد   وسيد أهل الأبطح المتناحر

اي ينحر بعضه بعضا قال واما ما رووه عن علي (ع) ان معناه ضع يـدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة فمما لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة قد رووا عنه ان معناه أرفع يديك الى النحر في الصلاة اي حـال التكبير ثم اورد الـروايـات الـدالـة على ذلك .

الفصل الثامن

في النذر لغير الله

وهذا مما صرح ابن تيمية قدوة الوهابية بعدم جوازه فانه سئل في ضمن السؤال المتقدم في الفصل الثاني عمن ينذر للمساجد والزوايا والمشائخ حيهم وميتهم بالدراهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك يقول ان سلم ولدي فللشيخ علي كذا وكذا وامثال ذلك (فأجاب) بأنه قال علماؤنا لا يجوز ان ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء لا من درهم ولا من زيت ولا من شمع ولا من حيوان ولا غير ذلك كله نذر معصية وقد ثبت في الصحيح عنه (ص) من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه واختلف العلماء هل على الناذر كفارة يمين على قوالين انتهى (وصرح) الوهابية بأنه موجب للشرك صرحوا به في كتابهم الى شيخ ركب الحاج المغربي المتقدم في الباب الثاني حيث جعلوا من جملة أسباب الشرك التقرب الى الموتى بالنذور باعتبار انه نوع من العبادة وصرف شيء من العبادة لغير الله كصرف جميعها (وصرح) به الصنعاني في تطهير الاعتقاد في كلامه المتقدم في الباب الثاني بقوله بعد ما عد اشياء منها النذر: ومن فعل ذلك لمخلوق فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له الها الخ (وقوله) بعد ما ذكر ان اعتقاد النفع والضر في المخلوق اوالشفاعة شرك فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي الى قوله فهذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام والنذور بالمال على الميت هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية (وقال) في الرسالة المذكورة(١) فان قلت هذه النذور والنحائر ما حكمها واجاب بأن الأموال عزيزة على اهلها والناذر ما اخرج من ماله الا معتقداً لجلب نفع اكثر منه او دفع ضرر ولو عرف بطلان ما اراده ما اخرج درهما فالواجب تعريفه بانه اضاعة لماله ولا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضرراً وقد قال (ص) ان النذر لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل ويجب رده اليه ويحرم قبضه ولأنه تقرير للناذر على شركه الى آخر ما ذكره من هذا القبيل وقال في موضع آخر من تلك الرسالة (٢) انه يجب على العلماء بيان ان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه

---

(١) صفحة ١٦ . (٢) صفحة ١٢ .

النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم وانه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم.

(والجواب) عن هذا كالجواب عن سابقه من النحر والذبح بأن من ينذر لنبي او ولي او رجل صالح دراهم او خلافها لا يقصد الا نذر الصدقة واهداء ثوابها الى النبي او الولي اوالصالح ولا يقصد التقرب اليه بالنذر بل التقرب الى الله تعالى وكيف يقصد التقرب اليه وهو يعلم انه ميت لا يمكنه الانتفاع بالمنذور لا بأكله ان كان طعاماً ولا بصرفه ان كان نقوداً ولا بلبسه ان كان ثياباً ولا بشيء من الانتفاع مهما كان المنذور مع وجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة مهما أمكن وعدم جواز التهجم على الدماء والأموال والأعراض بمجرد الظنون والأوهام كما مر في المقدمات فلا يزيد هذا النذر على من نذر لأبيه وامه أو حلف أو عاهد ان يتصدق عنهما كما روي عنه (ص) انه قال للبنت التي نذرت لأبيها عملا (ف) بنذرك فان كان النذر للاباء والأمهات كفراً كان هذا كفراً وإلا فلا اختيار بعض الأمكنة للنذر طلباً لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات لا بأس به بل لا بأس بتخصيص بعض الأمكنة كما يستفاد مما روي عن ثابت بن الضحاك عن النبي (ص) ان رجلا سأله انه نذر ان يذبح ببوانة فقال هل كان فيها وثن يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم فقال لا فقال ف بنذرك (وفي القاموس) بوانه كثمامة هضبة وراء ينبع (وفي النهاية الأثيرية) في حديث النذر ان رجلا نذر ان ينحر ابلا ببوانة هي بضم الباء وقيل بفتحها هضبة من وراء ينبع انتهى وكأن سؤاله (ص) عن انه هل كان فيها وثن يعبد أو عيد من اعياد الجاهلية خشية ان يكون النذر جاريا على عادة اهل الجاهلية لقرب العهد بهم وان كان السائل مسلما فقد قالوا له (ص) اجعل لنا ذات انواط وهم مسلمون وقال اصحاب موسى له حين مروا على قوم يعكفون على الأصنام اجعل لنا الها كما لم آلهة او انه اذا كان فيه وثن يعبد او عيد من اعيادهم يكون النذر مرجوحا فلا ينعقد لأن شرطه الرجحان او تساوي الطرفين والله اعلم وقد ظهر بذلك بطلان ما قاله ابن تيمية ناقلا له عن علمائهم من عدم جواز النذر للقبر ولا للمجاورين وعده نذر معصية حتى فرط بعضهم فيما نقله عنه فأوجب على الناذر كفارة يمين أما النذر للقبر فلا يفعله أحد بل ولا لصاحب القبر وانما النذر لله والصدقة به عن صاحب القبر بمعنى اهداء ثوابه اليه ولو فرض صدور ما يوهم خلاف ذلك فهو محمول عليه حملا لفعل المسلم على الصحة

كما مر واما النذر للمجاورين فان المجاورة عند القبر لا مانع منها شرعاً لو لم تكن راجحة طلباً لشرف البقعة التي تشرفت بصاحب القبر وانكار شرف القبر مصادمة للضرورة ويكفي في رده دفن الصحابيين عند النبي (ص) حتى عد ذلك منقبة عظيمة لهما ومنع بني امية وبعض امهات المؤمنين من دفن الحسن عند جده قائلين ايدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده واصرار بني هاشم على ذلك حتى كاد يؤدي الى اراقة الدماء كما سنبينه في غير هذا الموضع والمجاورون عند القبر عباد الله يجوز التصدق عليهم كالصدق على غيرهم إن لم يكن أولى ولم يخرجوا بمجاورتهم عن استحقاق الصدقة وليست المجاورة عند القبر عبادة له حتى تكون محرمة لما بيناه مراراً من انه ليس كل تعظيم واحترام عبادة وقياس ابن تيمية ذلك فيما مر من كلامه في الفصل الثاني على ما ذكروه من ان وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً اسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناما قياس فاسد فان اولئك صوروا صورهم في المساجد وكانوا يصلون اليها ثم اتخذوها أوثانا وعبدوها فسبب عبادتهم لها تصويرهم تلك الصور وصلاتهم اليها لا احترام قبورهم وليس في المسلمين من يفعل مثل فعلهم ومجرد احتمال ان يؤدي الشيء الى محرم لا يوجب تحريمه والا لم يبق في الدنيا حلال.

كما ظهر بذلك بطلان ما هول به اليماني في أمر النذر فجعل اخذه حراما وتقريراً للمشرك على شركه وقد عرفت بما ذكرنا صحة النذر وانه لا يزيد عن نذر الصدقة عن الميت الثابت جوازه ورجحانه وانه لا يحرم أخذه وانه ليس فيه شيء من الشرك حتى يكون اخذه تقريراً للشرك وان النفع حاصل به وهو الثواب منه تعالى والضرر يندفع به كما يندفع بالصدقة اذ هو لا يخرج عنها (أما الحديث) الذي استشهد به فمع فرض سلامه سنده وان قال صاحب المنار في الحاشية انه متفق عليه من حديث ابن عمر يجب طرحه لمخالفته العقل والنقل فمن نذر ان يتصدق بمال او ينفقه في سبيل الله أو نحو ذلك فقد اتى له نذره بخير الدنيا والاخرة ودفع عنه الله به ضرر الدنيا والاخرة فلا يمكن ان يحكم (ص) بأنه لا يأتي بخير.

الفصل التاسع

في بناء القبور والبناء عليها وتجصيصها وعقد القباب
(فوقها وعمل الصندوق والخلعة لها)

وهذا مما حرمه الوهابية وأوجبوا هدم القبور والقباب التي عليها والبناء الذي حولها بل جعلوا ذلك شركا وكفراً (وصرح) الصنعاني في تطهير الاعتقاد بان المشهد بمنزلة الوثن والصنم في كلامه المتقدم في الباب الثاني بقوله: ان ما كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثنا وصنما هو الذي يفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبراً ومشهداً وذلك لا يخرجه عن اسم الوثن والصنم الخ (وصرح) بذلك الوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك بقولهم: ان ما حدث من تعظيم قبور الأنبياء وغيرهم ببناء القباب عليها وغير ذلك من حوادث الأمور التي اخبر عنها النبي (ص) بقوله لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى يعبد فئام من امتي الأوثان (وزعم) الوهابيون ان البناء على القبور بدعة حدثت بعد عصر التابعين (وقال) قاضي قضاتهم عبد الله بن سليمان بن بليهد في مقالته التي نشرتها جريدة ام القرى في عدد جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ لم نسمع في خير القرون ان هذه البدعة حدثت فيها بل بعد القرون الخمسة انتهى (واتبع الوهابية) في ذلك قدوتهم وباذر بذور مذهبهم احمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية الذي عنه اخذو به اقتدى (قال) ابن القيم على ما حكي عنه في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد (١) ما حاصله: انه يجب هدم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ولا يجوز ابقاؤها بعد القدرة على هدمها وابطالها يوماً واحداً فانهابمنزلة اللات والعزى أو أعظم شركا عندها وبها ويجب على الإمام صرف الأموال التي تصير الى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين كما أخذ النبي (ص) أموال اللات وكذا يجب عليه هدم هذه المشاهد وله ان يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين وكذا حكم أوقافها فان الوقف عليها باطل وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين انتهى.

---

(١) صفحة ٦٦١.

ولذلك هدم الوهابيون ما استطاعوا هدمه من مشهد الحسين (ع) وقبره الشريف ايام استيلائهم على كربلا وهدموا قبة أئمة البقيع من اهل البيت الطاهر عند استيلائهم على المدينة المنورة في المرة الأولى وفي هذه المرة وهدموا قبورهم الشريفة وسووها بالأرض وشوهوا محاسنها وتركوها معرضاً لوطىء الأقدام ودوس الكلاب والدواب وكذلك قبر سيد الشهداء حمزة بأحدو قبته والمسجد الذي عنده وقبور سائر الصحابة والتابعين وغيرهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجميع الحجاز كما فصلناه في المقدمة الأولى في تاريخ الوهابية لكنهم في المرة الثانية لما عزموا على هدمها أرادوا ان يظهروا مبرراً وعذراً لعملهم في هدم قباب أئمة المسلمين وقبورهم وانكار فضلها وفضل أهلها وإهانة من أوجب الله تعظيمه واحترامه حيا وميتا باهانة قبره من نبي أو ولي أو صديق أو شهيد عملا بشبهتهم الواهية من ان تعظيمها عبادة لها وانها صارت كالأصنام تعبد من دون الله تعالى وانه تعالى نهى عن البناء على القبور فأرسلوا قاضي قضاتهم المسمى الشيخ عبد الله بن بليهد الى المدينة المنورة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ وبعد دخوله المدينة وجه الى علمائها هذا السؤال :

(السؤال الموجه الى علماء المدينة في هدم القبور)

ما قول علماء المدينة زادهم الله فهما وعلما في البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز ام لا واذا كان غير جائز بل ممنوع منهي عنه نهيا شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها ام لا واذا كان البناء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليها فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم ام لا وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح والنذر لها وايقاد السرج عليها هل هو جائز ام لا وما يفعل عند حجرة النبي (ص) من التوجه اليها عند الدعاء وغيره والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها وكذلك ما يفعل في المسجد من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع ام لا أفتونا مأجورين وبينوا لنا الأدلة المستند اليها لا زلتم ملجأ للمستفيدين .

وهذا نص الجواب المنسوب لعلماء المدينة

أما البناء على القبور فهو ممنوع اجماعا لصحة الأحاديث الواردة في منعه ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين على ذلك بحديث علي انه قال لأبي الهياج ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) ان لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفا الا سويته رواه مسلم وأما اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها و إيقاد السرج عليها فممنوع لحديث ابن عباس لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه أهل السنن (١) وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب اليها بالذبائح والنذور ودعاء أهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعا لا يجوز فعله أصلا واما التوجه الى حجرة النبي (ص) عند الدعاء فالأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب ولأن أفضل الجهات جهة القبلة واما الطواف والتمسح بها وتقبيلها فهو ممنوع مطلقاً واما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة فهو محدث هذا ما وصل اليه علمنا انتهى.

ولسنا نعتقد ولا نظن ان جميع علماء المدينة المنورة موافقون على هذا الجواب وما فيه من الحجج الواهية كما ستعرف وانما هو من الوهابية واليهم وألفاظه ألفاظهم متوافقة مع عبارات رسائلهم التي نقلنا جملة منها وجل علماء المدينة ساكتون خائفون من نسبة الإشراك اليهم الذي به تستحل دماؤهم واموالهم واعراضهم فان وافق موافق منهم فخوفا من السوط والبندق..

ونحن نتكلم على بطلان هذه الفتوى ودليلها (فنقول) يرجع استدلالهم على ذلك الى امور (الأول) الإجماع المشار اليه بقولهم البناء على القبور ممنوع اجماعا (والجواب) بطلان دعوى الإجماع بل هو جائز اجماعا لاستمرار عمل المسلمين عليه من جميع المذاهب في كل عصر وزمان عالمهم وجاهلهم مفضولهم وفاضلهم أميرهم ومأمورهم رجالهم ونسائهم سنيهم وشيعيهم قبل ظهور الوهابية توافقوا عليه في جميع الأجيال والأعصار والأمصار والنواحي والأقطار بدون منع ولا إنكار والسيرة اجماع عملي يشملها ما دل على

---

(١) هذه العبارة في رسائل الوهابية وهذا مما يدل على ان الجواب من الوهابية واليهم.

حجية الإجماع لكشفها كشفا قطعيا لا يعتريه شك عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع ومتبوع المسلمين كما مر في المقدمات فلا يتطرق اليها بعض الشبهات الموردة على الإجماع وليس في الإسلام أمر حصلت فيه السيرة حصولها في هذا الأمر واتفق عليه جميع المسلمين من كل فرقة ولا يضر بهذه السيرة ما قد يوجد في بعض الكتب مما ينقله الوهابيون من القول بالمنع استناداً الى بعض الروايات الشاذة التي لا عامل بها أو لا دلالة فيها او لم تثبت صحتها غفلة منهم عن هذه السيرة المستمرة التي سبقتهم ولحقتهم فأقوالهم مردودة بها كما يرد القول المسبوق بالإجماع والملحوق به ولعلنا نشير اليها فيما سيأتي انشاء الله تعالى (وقد) اعترف بهذه السيرة الصنعاني في رسالته تطهير الاعتقاد (١) حيث أورد على نفسه سؤالا بأن هذا أمر عم البلاد وطبق الأرض شرقا وغربا بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام الا وفيها قبور ومشاهد بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو مشهد ولا يسع عقل عاقل ان هذا منكر يبلغ الى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا (واجاب) بأنك ان أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت ان الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه العوالم جيلا بعد جيل فاعلم ان هذه الأمور صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الاباء بلا دليل ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة والحكومة معظما لما يعظمونه مكرماً ما يكرمونه ولا يخفى ان سكوت العالم او العالم على وقوع منكر ليس دليلا على جوازه (قال) ولنضرب لك مثلا المكوس المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قد ملأت الأرض حتى في اشرف البقاع ام القرى تقبض المكوس من القاصدين لإداء فريضة الإسلام وسكانها من العلماء والحكام ساكتون (قال) وهذا حرم الله افضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع العلماء احدث فيه بعض ملوك الشراكسة هذه المقامات الأربعة التي فرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة بدعة قرت بها عين ابليس وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين وقد سكت الناس عليها ووفد علماء

---

(١) صفحة ١٧ ـ ١٩ طبع المنار بمصر.

الافاق والأبدال والأقطاب اليها افهذا السكوت دليل على جوازها هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريين (الى ان قال) ما حاصله: لو فرض انهم علموا بالمنكر وسكتوا لما دل سكوتهم على جوازه لأن مراتب الإنكار ثلاثة اذا تعذرت واحدة وجبت الأخرى. الإنكار باليد ثم باللسان ثم بالقلب فاذا مر عالم بمن يأخذ المكوس لم يستطع الإنكار باليد ولا باللسان فيجب على من رآه ساكتاً ان يعتقد انه انكر بقلبه فان حسن الظن بالمسلمين اهل الدين والتأويل لهم ما امكن واجب فالداخلون الى الحرم الشريف والمشاهدون لمقامات المذاهب الأربعة معذورون عن الإنكار الا بالقلب كالمارين على المكاسين والقبوريين فهذه الأمور اسسها من بيده السيف ودماء العباد واموالهم واعراضهم تحت لسانه وقلمه فكيف يقوى احد على دفعه انتهى (وفيه) اعتراف بوقوع السيرة على اكمل وجوهها واتمها بحيث لم يقع في الإسلام سيرة مثلها بما اختصرناه من عبارته فضلا عما اطال به من باقي عباراته المسجعة كعادته وعادة اصحابه الوهابية وقد اعترف في جوابه بوقوع ذلك من جميع طبقات الناس من العوام والعلماء والفضلاء والقضاة والمفتين والمدرسين والأولياء والعارفين والأمراء والحكام بدون نكير ولم يخرج عنه باعترافه طبقة من الطبقات فأي سيرة أقوى من هذه واشمل (أما جوابه) بأن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه الأجيال ففيه ان اتفاق الأمة جيلا بعد جيل دليل قطعي لا دليل أقوى منه حتى يعارضه (وقوله) ان سكوت العالم او العالم على منكر ليس دليلا على جوازه فيه ان ذلك اذا علم انه منكر والبناء على القبور محل النزاع فانتم تدعونه منكراً ونحن نقول انه معروف ونستدل بسيرة المسلمين الكاشفة بوجه القطع عن أخذه من صاحب الشرع فاذا سكت العلماء والعالم عن امر مع قدرتهم على الإنكار علمنا انه ليس منكراً (أما) المثل الذي ضربه من اخذ المكوس حتى في مكة المكرمة وسكوت العلماء (ففيه) انه قياس مع الفارق (اولا) ان الاخذين للمكوس هم الحكام وذوو الشوكة وحدهم والبانون للقبور وللقباب عليها والمعظمون لها المتبركون بها هم جميع طبقات الناس فبطل القياس (ثانيا) ان المكوس امور دولية تعارض فيها الحكام الذين تخاف سطوتهم لمنافاة تركها لمصلحتهم واخلاله بأمور دولتهم بخلاف بناء القبور وتعظيمها فانها امور دينية صرفة مرجعها العلماء واهل الدين فسكوت العلماء عن الأول لا يدل على الرضا بخلاف الثاني (ثالثاً) ان العلماء وجميع

المتدينين غير ساكتين عن الإجهار بتحريم المكوس وذم قابضها وتفسيقه والتجنب عنها وعدها من السحت يجيبون بذلك كل من يسألهم ويثبتونه في كتبهم ويتحدثون به في مجتمعاتهم وها هو يصرح بتحريمه في رسالته هذه ويندد بفاعليه ويذمهم أشد الذم مع وجوده في زمانه وعدم قدرته على منعه وها هي رسالته تطبع وتنشر في الافاق ولا يخاف طابعها وناشرها من الحكام الاخذين المكوس أفيقال بعد هذا انهم ساكتون نعم هم ممسكون عن المنع لعدم قدرتهم كما امسك الاخوان الوهابيون المجددون ما انمحى من آثار الإسلام والرافعون البدع والمحرمات بالسيف والسنان عن منع حكومتهم من أخذ المكوس المحرمة عندهم في جدة وغيرها حتى عن التتن والتنباك المحرم تدخينه عندهم والمعاقب مدخنه واخذت في العام الماضي من كل قاصد لحج بيت الله الحرام ليرة عثمانية ذهباً وفي هذا العام ازيد من ذلك عدا عما شاركت به أصحاب الجمال والسيارات والبيوت والباعة وغير ذلك والإخوان ساكتون لعدم قدرتهم على المنع لكنهم يصرحون بالتحريم وان كانوا قادرين فقد تركوا أعظم واجب في الدين (أما تمثيله) بالمقامات الأربعة ففساده أظهر من مسألة المكوس فان المكوس مما قام على تحريمها اجماع المسلمين بل ضرورة الدين وانكرها جميع العلماء واهل الدين ان لم يكن باليد فباللسان مع أنها امور دولية يخاف منكرها كما عرفت وليس كذلك المقامات الأربعة فلم يسمع عن أحد انكارها قبل الوهابية مع كونها دينية صرفة ولم يقم دليل على كونها بدعة محرمة كما قام على تحريم المكوس فان جعل مقامات أربعة لأئمة أربعة يقلدهم اربعة اخماس المسلمين ويرون اقوالهم وفتاواهم حجة وجلهم الا من شذ يمنع الاجتهاد بعدهم ليس فيه شيء من البدعة فهو كاصطلاح أهل بلد على ان يصلي بهم اربعة اشخاص احدهم يوم كذا أو في مكان كذا أو صلاة كذا والاخر في خلاف ذلك مع كون الكل صالحين للإمامة وجعلهم لكل واحد محرابا اومسجداً فانه ليس منكراً ولا بدعة ولا ادخالا في الدين ما ليس منه لدخوله في عموم جواز الصلاة في أي مسجد كان واي محل كان وعموم جواز الصلاة خلف اي امام كان بعد اعتقادهم وتصريحهم بأن ذلك ليس بأمر واجب وان لكل ذي مذهب ان يصلي خلف من شاء منهم وكل ما دخل في عموم أو اطلاق خرج عن البدعة وليس كل ما لم يكن في زمن النبي (ص) من الهيئات وبعض الكيفيات ولا كل ما لم يرد به بخصوصه نص بدعة بعد دخوله في عمومات أدلة الشرع واطلاقاتها كما

مر في المقدمات (وجعل) المحاريب للأئمة الأربعة لا يـزيـد على جعل المذاهب اربعـة وكتب المذاهب اربعة والمنتمين اليهـا اربعـة والمفتين من اهل المذاهب اربعـة فـان كـان ذلك بدعة فليكن هذا بدعة لأن كـلا من ذلك لم يكن على عهـد رسـول الله (ص) وان كان جعل اربعة مقامات لأهل المذاهب كل امام منهم يصلي في واحـد منهـا بـدعـة فما رسمه الوهابية بعـد استيـلائهم على الحجـاز في المرة الأولى وهـذه المرة بأن يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء من شاء ـ بـدعـة لأن ذلك لم يكن على عهـد رسـول الله (ص) وان كـان المانع منـه تكـرار صـلاة الجماعـة في المسجد فأي مانع من تكرارها ولم ترد فيه آية ولا رواية مع ان تكرار الخير خير وان كـانت حجتهم في منع التكرار انه لم يكن على عهد النبي (ص) والخلفاء فمع وجوده (ص) من الذي يأتم بغيره ومع وجود خليفة المسلمين لا ينبغي الائتمام بغيره فلا يقاس بذلك هذا الزمان فظهر بطـلان قـولـه ان الـداخلين الى الحرم كـالمارين على المكـاسين والقبـوريين لوضوح الفرق بين المكس وغيره كما ذكرنا مع ان قيـاسـه البنـاء على القبـور بـالمقـامـات الأربعة ايضاً باطل لأن البناء على القبـور اتفق على فعلـه قبل الـوهـابيـة جميع طـوائف المسلمين بدون استثناء وأما المقامات الأربعة فاختص بفعلهـا جل طـوائف المسلمين لا كلها (قوله) فان حسن الظن بالمسلمين أهل الـدين والتأويل لهم مـا امكن واجب. اذا كان يعترف بوجوب حسن الظن بالمسلمين والتأويل لهم مهما امكن فما بالـه يسيء الظن بهم في استشفاعهم او استغاثتهم بالأنبياء والصالحين وغيرها ويكفرهم ويشركهم بذلك ويجعل شركهم شركا اصلياً ويستحل بذلك دماءهـم وامـوالهم واعـراضهم مع ان التأويل لهم ممكن هين واضح حتى في مثل ارزقني وعاف مريضي بارادة طلب الشفاعـة وسـؤال الدعاء كما فصلناه فيما مضى ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

ثم انهم في هذه الفتوى المنسوبة لعلماء المدينة عللوا الإجماع بصحـة الأحـاديث وهـو تعليل عليل لأن صحة الحديث في نظرهم ودلالته عندهم وخلوه من المعارض لا توجب ذلك في نظر غيرهم فكيف يدعي الإجماع لدعوى صحة الحديث مع انك ستعرف عـدم صحته وعدم دلالته فان ارادوا ان الإجماع واقع وعلة.وقوعـه صحـة الأحـاديث فـالعلماء اجمعوا لما رأوا صحة الأحـاديث فهـو تخرص وتهجم على الغيب بغير دليل وكيف يـدعى اجماع العلماء وقـد تـوالت الأحقـاب والأجيـال على بنـاء القبـور من جميع المسلمين على

تفاوت طبقاتهم ونحلهم ومذاهبهم بدون منكر ومعارض الا من شذ ممن سبقته السيرة ولحقته كما عرفت آنفا فلو كان ذلك مجمعا عليه لما وقعت السيرة التي هي اقوى من الإجماع على خلافه (قولهم) ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه ولم يفتوا كلهم بوجوب هدمه ما هذا التناقض والتهافت في هذه الفتوى الواهية (الثاني) من ادلتهم حديث ابي الهياج المتكرر ذكره في كلمات الوهابية والمتقدم ذكره في الفتوى المنسوبة لعلماء المدينة (والجواب) عنه القدح فيه سنداً ومتنا (اما سنده) ففيه وكيع وهو مع كثرة ما مدحوه به قال في حقه احمد بن حنبل انه اخطأ في خمسمائة حديث حكاه الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (١) عن عبد الله بن احمد عن ابيه وقال في آخر ترجمته (٢) قال محمد بن نصر المروزي كان يحدث بآخره من حفظه فيغير الفاظ الحديث كأنه كان يحدث بالمعنى ولم يكن من اهل اللسان انتهى (وفي سنده) سفيان الثوري وهو مع كثرة ما مدحوه به ايضاً نقل في حقه ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣) عن ابن المبارك قال حدث سفيان بحديث فجئته وهو يدلسه فلما رآني استحيى وقال نرويه عنك وذكر في ترجمة يحيى القطان (٤) قال ابو بكر سمعت يحيى يقول جهد الثوري ان يدلس علي رجلا ضعيفا فما امكنه قال مرة حدثنا أبو سهل عن الشعبي فقلت له ابو سهل محمد بن سالم فقال يا يحيى ما رأيت مثلك لا يذهب عليك شيء (وفي سنده) حبيب بن ابي ثابت وهو مع توثيقهم له قال ابن حجر في تهذيب التهذيب(٥) قال ابن حبان كان مدلسا وقال العقيلي غمزه ابن عون وقال القطان له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست بمحفوظة (الى ان قال) وقال ابن خزيمة في صحيحه كان مدلساً وقال ابن جعفر النحاس كان يقول اذا حدثني رجل عنك بحديث ثم حدثت به عنك كنت صادقا (٦) قال ونقل العقيلي عن القطان قال حديثه عن عطاء ليس بمحفوظ قال العقيلي وله عن عطاء احاديث لا يتابع عليها (وفي سنده) ابو وائل وهو الأسدي شقيق بن سلمة الكوفي بدليل رواية حبيب بن ابي ثابت عنه فقد ذكره ابن حجر في تهذيب

---

(١) الجزء ١١ صفحة ١٢٥ . (٢) ج١١ صفحة ١٣٠ . (٣) ج٤ صفحة ١١٥ .
(٤) ج١١ صفحة ٢١٨ طبع الهند. (٥) ج ٣ صفحة ١٧٩ .
(٦) هذا هو التدليس وهو ان يروي عن رجل لم يلقه وبينه وبينه واسطة فلا يذكر الواسطة (المؤلف).

التهذيب انه ممن يروي عنه وليس هو القاص عبد الله بن بحير. وكان ابو وائل هذا منحرفا عن علي (ع) مبغضا له وقد قال رسول الله (ص) لعلي (ع) لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة(١) ومنهم (اي المنحرفين عن علي (ع)) ابو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانيا يقع في علي (ع) ويقال انه كان يرى رأي الخوارج ولم يختلف في انه خرج معهم وانه عاد الى علي (ع) منيبا مقلعا روى خلف بن خليفة قال ابو وائل خرجنا اربعة آلاف فخرج الينا علي فما زال يكلمنا حتى رجع منا الفان وروى صاحب كتاب الغارات عن عثمان بن ابي شيبة عن الفضل بن دكين عن سفيان الثوري قال سمعت أبا وائل يقول شهدت صفين وبئس الصفين كانت قال وروى ابو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال كان ابو وائل عثمانيا انتهى ويؤيد انحرافه عن علي (ع) ما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب(٢) انه قال عاصم بن بهدلة قيل لأبي وائل ايهما أحب اليك علي او عثمان قال كان علي أحب الي ثم صار عثمان انتهى . هذا شأن سند الحديث .

واما متنه ففيه (أولا) انه شاذ انفرد به ابو الهياج بل قال السيوطي في شرح سنن النسائي (٣) انه ليس لأبي الهياج في الكتب الا هذا الحديث الواحد انتهى (ثانيا) انه لا دلالة فيه على شيء مما زعموه من عدم جواز البناء على القبور بل هو وارد في الأمر بالتسطيح والنهي عن التسنيم فان المشرف وان كان معناه العالي الا ان التسنيم نوع من العلو أو معنى من معانيه (ففي القاموس) الشرف محركة العلو ومن البعير سنامه اهـ فالمشرف يشمل باطلاقه أو بوضعه العالي بالتسنيم وبغيره الا ان قوله الا سويته قرينة علي ارادة التسنيم من الإشراف لأن التسوية التعديل (ففي المصباح المنير) استوى المكان اعتدل وسويته عدلته (وفي القاموس) سواه جعله سويا اهـ فقوله الا سويته يعين ان المراد من الإشراف ما يقابل التسوية وليس هو الا التسنيم فان مطلق العلو لا يقابل التسوية لجواز ان يكون عاليا مستويا فلا يناسب مقابلة العالي بالمستوي بل اللازم ان يقوله ألا جعلته لاطئا او نحو ذلك وارادة الهدم من التسوية غير صحيحه ولا يساعد

---

(١) ج١ صفحة ٣٧٠ طبع مصر. (٢) ج٤ صفحة ٣٦٢. (٣) صفحة ٢٨٦ ج ل.

عليها عرف ولا لغة لأن التسوية ليس معناها الهدم ولا تستعمل فيه الا بأن يقال سويته بالأرض او نحو ذلك مع ان التسوية بالأرض ليست من السنة بالاتفاق للاتفاق على استحباب رفع القبر عن الأرض في الجملة وعلى كل حال فلا دلالة فيه على عدم جواز البناء على القبور ولا ربط له بذلك فيجعل علو القبر نحو شبر ويجعل عليه حجرة أو قبة (والحاصل) انه سواء جعلنا معنى قوله ولا قبراً مشرفا الا سويته ولا قبراً مسنماً الا سطحته وأزلت سنامه كما هو الظاهر. أو ولا قبراً عاليا الا وطيته لا ربط لذلك بالبناء على القبور (وما ذكرناه) في معنى الحديث هو الذي فهمه منه العلماء وأئمة الحديث (روى) مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز(١) بسنده عن ثمامة قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها ثم روى حديث ابي الهياج ومن الواضح ان قوله فأمر فضالة بقبره فسوى أي سطح ولم يجعله مسنما وكذا قوله سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها أي تسطيحها وليس المراد انه امر به فهدم لأنه لم يكن مبنياً ولا المراد انه امر به فسوي مع الأرض لأن ذلك خلاف السنة للاتفاق على استحباب تعليتها عن الأرض في الجملة كما عرفت فتعين ان يراد به التسطيح فكذا خبر ابي الهياج الذي عقبه به مسلم وساقه مع هذا الحديث في مساق واحد وذلك دليل على انه حمل قوله ولا قبراً مشرفا الا سويته على معنى ولا قبراً مسنما الا سطحته (وقال النووي) في الشرح قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الأخرى ولا قبراً مشرفا الا سويته فيه ان السنة ان القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه انتهى فحمل التسوية على التسطيح وعدم رفع القبر كثيراً كما ترى (ومن العجيب) ان بعض الوهابيين في رسالته المسماة بالفواكه العذاب احدى رسائل الهدية السنية الحاوية لمناظرة مؤلفها النجدي مع علماء الحرم الشريف بزعمه في عهد الشريف غالب سنة ١٢١١ استدل على عدم جواز البناء على القبور بحديثي فضالة وابي الهياج المذكورين مع انهما كما عرفت واردان في التسطيح ولا مساس لهما بعدم جواز البناء حتى لو سلمنا ان

---

(١) ج٤ صفحة ٣١٢ بهامش ارشاد الساري.

حديث ابي الهياج يدل على عدم الرفع كثيراً كما فهمه النووي في كلامه السابق فلا دلالة له على عدم جواز البناء على القبور فلو جعل علو القبر نحو شبر وبني عليه حجرة لم يكن ذلك منافيا للحديث المذكور كما عرفت ولكن هؤلاء يسردون الأحاديث ويجعلونها دالة على مرادهم بالسيف ومن أبى كفر واشرك (معزا ولو طارت) (وقال القسطلاني) في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري (١): روى ابو داود باسناد صحيح ان القاسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت على عائشة فقلت لها اكشفي لي عن قبر النبي (ص) وصاحبيه فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء أي لا مرتفعة ولا لاصقة بالأرض كما بينه في آخر الحديث انتهى (ثم قال القسطلاني) ولا يؤثر في افضلية التسطيح كونه صار شعار الروافض لأن السنة لا تترك بموافقة اهل البدع فيها ولا يخالف ذلك قول علي رضي الله عنه امرني رسول الله (ص) ان لا ادع قبراً مشرفا الا سويته لأنه لم يرد تسويته بالأرض وانما أراد تسطيحه جمعا بين الأخبار نقله في المجموع عن الأصحاب (انتهى) (وقال) الترمذي: (باب ما جاء في تسوية القبور) ولم يقل في هدم القبور ثم أورد حديث ابي الهياج وظاهر انه لم يحمل التسوية فيه الا على التسطيح لأن ذلك هو معناها لغة وعرفا ولا ربط له بعدم جواز البناء عليها مع ان الوهابيين في الرسالة الانفة الذكر(٢) أوردوا هذا الذي ذكره الترمذي دليلا على عدم جواز البناء.

(الثالث) من ادلتهم ما اشار اليه ابن بليهد في سؤاله الموجه لعلماء المدينة من قوله واذا كان البناء في مسبلة كالبقيع الخ (وفيه) ان تسبيلها أي وقفها في سبيل الله مقبرة للمسلمين دعوى بلا دليل اذ لم ينقل ناقل ان احداً وقفها لذلك فهي باقية على الإباحة الأصلية ولو فرض وقفها مقبرة فليس على وجه التقييد بعدم جواز الانتفاع بها الا بقدر الدفن وعدم جواز البناء زيادة على ذلك حتى على قبر عظيم عند الله يصون البناء قبره عما لا يليق وينتفع به الزائرون لقبره ويتظلون به من الحر والقر عند زيارته وقراءة القرآن والصلاة والدعاء لله تعالى عند قبره الثابت رجحانه كما ستعرف ذلك كلا في محله ولا أقل

(١) ج٢ صفحة ٤٦٨. (٢) صفحة ٨٤.

من الشك في كيفية الوقف لو فرض محالا حصوله فيحمل بناء المسلمين فيه على الصحيح لوجوب حمل افعالهم واقوالهم على الصحة مهما امكن وكذا لو فرض محالا اننا علمنا انها كانت مملوكة فلا مناص لنا عن حمل البناء فيها على الوجه الصحيح الذي هو ممكن لا يعارضه شيء وحينئذ فيكون هدمها ظلما محرما وتصرفا في مال الغير بغير رضاه وقد وقفها البانون وجعلوها مسبلة لانتفاع المسلمين الزائرين واستظلالهم بها وعمل البر فيها من الدعاء والصلاة وغيرها فهدمها ظلم للبانين والمسلمين ومنع لهم عن حقهم فما اوردوه دليل لهم هو دليل عليهم على ان كتب التواريخ والاثار دالة على ان ارض البقيع كانت مباحة او مملوكة لا مسبلة (ففي وفاء الوفا) للسمهودي(١) روى ابن زبالة عن قدامة بن موسى ان اول من دفن رسول الله(ص) بالبقيع عثمان بن مظعون (قال) وروى ابو غسان عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه لما توفي ابراهيم ابن رسول الله (ص) امر ان يدفن عند عثمان بن مظعون فرغب الناس في البقيع وقطعوا الشجر فاختارت كل قبيلة ناحية فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها (قال) وروى ابن ابي شبة عن قدامة بن موسى كان البقيع غرقداً (٢) فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عنه انتهى فهذا نص على ان البقيع كان مواتا مملؤا بشجر الغرقد فاتخذه المسلمون مدافن لموتاهم ورغبوا فيه حين دفن النبي (ص) ولده ابراهيم فيه فاما ان تكون كل قبيلة ملكت قسما منه بالحيازة أو بقي على اصل الإباحة فاين التسبيل والوقف (وفيه) ايضاً(٣) قال ابن شبة فيما نقله عن ابي غسان قال عبد العزيز دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في اول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل (انتهى) فدل على ان قبر العباس وقبور ائمة اهل البيت كانت في دار عقيل فاين التسبيل والوقف وأي شيء سوغ التخريب والهدم وما قيمة هذه الفتوى المزيفة المبنية على هذا السؤال (وفيه) ايضاً (٤) روى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير انه رأى قبر ابراهيم عند الزوراء قال عبد العزيز بن محمد وهي الدار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي انتهى وذلك يدل على ان هذه الدار كانت مملوكة (وفيه) أيضاً(٥) عن ابن شبة عن عبد العزيز ان

---

(١) ج ٢ ص ٨٤. (٢) شجر مخصوص ولذلك قيل بقيع الغرقد (المؤلف). (٣) صفحة ٩٦ ج٢.
(٤) صفحة ٨٥ ج٢. (٤) صفحة ١٠٠ ج٢.

سعد بن معاذ دفنه رسول الله (ص) في طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الأسود وهوالمقداد بن عمرو وانما تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري وهي الدار التي يقال لها دار ابن افلح في اقصى البقيع عليها جنبذة انتهى (وفي القاموس) الجنبذة وقد تفتح الباء او هو لحن كالقبة انتهى وهذا صريح في انها كانت داراً مملوكة وكان عليها قبة وسيأتي في فصل الكتابة على القبور ان عقيلا لما حفر في داره بئراً وجد حجراً مكتوبا فيه هذا قبر ام حبيبة بنت صخر بن حرب وفي رواية اخرى انه وجده في دار علي بن ابي طالب فدل على ان محل قبرها كان مملوكا وكل هذه الأخبار مع دلالتها على الملك تدل على جواز البناء حول القبور والدفن في محل البناء وان سيرة المسلمين على ذلك.

(الرابع) من أدلتهم الأحاديث الناهية عن البناء على القبور (روى مسلم) عن ابي بكر بن ابي شيبة عن حفص بن غياث عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله (ص) ان يجصص القبر وان يبنى عليه(١) (وروى الترمذي) عن عبد الرحمن بن الأسود عن محمد بن ربيعة عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله (ص) ان تجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطأ (وروى ابو داود) من حديث جابر ان رسول الله (ص) نهى ان يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه (وروى ايضاً) عن احمد بن حنبل عن عبد الرزاق عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر عن النبي (ص) نهىٰ ان يقعد على القبر وان يجصص وان يبنى عليها (وروى ابن ماجة) عن زهير بن مروان عن عبد الرزاق عن ايوب عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله (ص) عن تجصيص القبور (وروى ايضاً) عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الله الرقاشي عن وهب عن عبد الرحمن بن زيد عن القاسم بن مخيمرة عن ابي سعيد ان النبي (ص) نهى ان يبنى على القبور (وروى النسائي) عن هارون بن اسحق عن حفص عن ابن جريح عن سليمان بن موسى وابي الزبير عن جابر نهى رسول الله (ص) ان يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص زاد سليمان بن موسى او يكتب عليه (وروى ايضاً) عن

---

(١) زاد بعض الوهابية في رسالة الفواكه العذاب (وان يكتب عليه) راجع صفحة ٨٣ من الهدية السنية طبع المنار بمصر وليست هذه الزيادة في الرواية راجع صحيح مسلم بهامش ارشاد الساري جزء ٤ صفحة ٣١٤ (المؤلف).

يوسف بن سعيد عن حجاج عن ابن جـريح عن ابي الـزبير عن جـابـر نهى رسـول الله (ص) عن تقصيص القبور (١) أو يبنى عليها أو يجلس عليها احد (ويحكى) عن عمـر انه رأى قبة على قبر ميت فقال نحوها عنه وخلوا بينه وبين عملـه يظلـه او دعـوه يظلـه عمله.

والجواب (اولا) انها ضعيفة السند (فحفص بن غياث) وان وثقوه لكنهم قـدحـوا في حفظه وقالوا انه مدلس (ففي تهذيب التهذيب) لابن حجـر قـال يعقـوب ثقـة ثبت اذا حدث من كتابه ويتقى بعض حفظه. وقال ابو زرعة ساء حفظه بعدمـا استقضي وقـال داود بن رشيد حفص كثير الغلط وقال ابن عمار كـان لا يحفظ حسنـا وذكـر الأشرم عن احمد بن حنبل ان حفصا كان يدلس وقال ابن سعد كان ثقة مأمونا كثير الحديث يدلس وقال ابو عبيد الاجري عن ابي داود كان حفص بآخره دخله نسيـان انتهى وكيف يكـون ثقة مأمونا من يدلس (وابن جريح) وان مدحوه فقد قدحوا في روايته وحفظه وقالـوا انـه مدلس قال ابن حجر في تهذيب التهذيب في حقه؛ قال ابو بكر بن خـلاد عن يحيى بن سعيد كنا نسمي كتب ابن جريح كتب الأمانة وان لم يحدثك بها ابن جريح من كتابـه لم ينتفع به وقال الأثرم عن أحمد اذا قال ابن جريح قـال فـلان وقـال فـلان وأخبرت جـاء بمناكير واذا قال أخبرني وسمعت فحسبك به وقال المخراقي عن مالك كان ابن جـريح حـاطب ليل وقـال عثمان الـدارمي عن اسماعيل بن داود عن ابن معين ليس بشيء في الزهري وقال جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد كان ابن جريح صدوقا فاذا قـال حدثني فهو سماع واذا قـال أخبرني فهـو قـراءة واذا قـال قـال فهـو شبـه الـريح وقـال الدارقطني تجنب تدليس ابن جريح فـانـه قبيح التـدليس لا يـدلس الا فيما سمعـه من مجروح (٢) مثل ابراهيم بن يحيى وموسى بن عبيدة وغيرهما وقال ابن حبان كـان يـدلس انتهى (وابو الزبير) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: قـال عبـد الله بن احمد قـال ابي كان أيوب يقول حدثنا أبو الزبير وابو الزبير ابو الزبير قلت لأبي يضعفه قـال نعم وقـال

---

(١) تقصيصها تشنيدها بالقصة وهي الجص (المؤلف).

(٢) فيترك ذكر المجروح فيخيل لأخذ الحديث انه صحيح وهو ضعيف (المؤلف).

نعيم بن حماد سمعت ابن عينية يقول حدثنا أبو الزبير وهو ابو الزبير أي كأنه يضعفه وقال هشام بن عمار عن سويد بن عبد العزيز قال لي شعبة تأخذ عن ابي الزبير وهو لا يحسن ان يصلي وقال نعيم بن حماد سمعت هشيما يقول سمعت من أبي الزبير فأخذ شعبة كتابي فمزقه وقال محمود بن غيلان عن ابي داود قال شعبة ما كان أحد احب الي ان القاه بمكة من ابي الزبير حتى لقيته ثم سكت وروى احمد بن سعيد الرباطي عن ابي داود الطيالسي قال قال شعبة لم يكن في الدنيا أحب الي من رجل يقدم فأسأله عن ابي الزبير فقدمت مكة فسمعت منه فبينا انا جالس عنده اذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فرد عليه فافترى عليه فقلت له يا أبا الزبير تفتري على رجل مسلم قال انه أغضبني قلت ومن يغضبك تفتري عليه لا رويت عنك شيئا وقال محمد بن جعفر المدائني عن ورقاء قلت لشعبة مالك تركت حديث ابي الزبير قال رأيته يزن ويسترجح في الميزان وقال يوسف بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول ابو الزبير يحتاج الى دعامة وقال ابن ابي حاتم سألت ابي عن ابي الزبير فقال يكتب حديثه ولا يحتج به قال وسألت أبا زرعة عن ابي الزبير فقال روى عنه الناس قلت يحتج بحديثه قال انما يحتج بحديث الثقات وقال ابن عيينة كان ابو الزبير عندنا بمنزلة خبز الشعير اذا لم نجد عم وبن دينار ذهبنا اليه (وعبد الرحمن بن الأسود) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ولم يوثقه (ومحمد بن ربيعة) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب قال الساجي فيه لين وتبعه الأزدي نقل عن عثمان بن أبي شيبة قال جاءنا محمد بن ربيعة فطلب الينا ان نكتب عنه فقلنا نحن لا ندخل في حديثنا الكذابين انتهى (وعبد الرزاق) في حديث ابي داود المراد به الصنعاني بقرينة روايته عن ابن جريح وهو مع مبالغتهم في مدحه وتوثيقه رموه بالتشيع والكذب حكاه في تهذيب التهذيب (وحديث ابن ماجة الأول) رواته قبل ابي الزبير مجاهيل وابو الزبير قد علمت حاله (والثاني) في سنده وهب وهو مجهول (وعبد الرحمن بن زيد) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: قال ابو طالب عن أحمد ضعيف وقال ابو حاتم عن احمد انه ضجع (١) في عبد الرحمن وقال الميموني عن أحمد انه ضعف

---

(١) في الصحاح التضجيع في الأمر التقصير فيه (المؤلف).

أمر عبد الرحمن قليلا وقال روى حديثاً منكراً وقال الدوري عن ابن معين ليس حديثه بشيء وقال البخاري وابو حاتم ضعفه علي ابن المديني جداً وقال ابو داود أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف وقال ايضا انا لا احدث عن عبد الرحمن وقال النسائي ضعيف وقال ابن عبد الحكيم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لمالك حديثا منقطعا فقال اذهب الى عبد الرحمن ابن زيد يحدثك عن ابيه عن نوح وقال خالد بن خداش قال لي الدواردي ومعن وعامة اهل المدينة لا ترد عبد الرحمن انه كان لا يدري ما يقول وقال ابو زرعة ضعيف وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث وقال ابن حبان كان يقلب الأخبار فاستحق الترك وقال ابن سعد كان ضعيفا جداً وقال ابن خزيمة ليس هو ممن يحتج اهل العلم بحديثه لسوء حفظه وقال الساجى عن الربيع عن الشافعي قيل لعبد الرحمن بن زيد حدثك ابوك عن جدك ان رسول الله (ص) قال ان سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين قال نعم قال الساجي وهو منكر الحديث وقال الصحاوي حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف وقال الجوزجاني اولاد زيد ضعفاء وقال الحاكم وابو نعيم روى عن ابيه أحاديث موضوعه وقال ابن الجوزي اجمعوا على ضعفه انتهى (وحديثا) النسائي مع مشاركتهما في ضعف السند الذي فصلناه لباقي الأحاديث المشتركة معهما في رجال السند في سند الثاني منهما حجاج وهو حجاج بن محمد الأعور بقرينة روايته عن ابن جريح ففي تهذيب التهذيب انه يروي عنه وهو وإن وثقه بعضهم لكن ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب انه خلط في آخر عمره وذكر ما يدل على انه حدث في حال اختلاطه قال وذكره ابو العرب القيراوني في الضعفاء بسبب الاختلاط.

(ثانيا) انها مضطربة المتن مع اشتراك روايات مسلم والنسائي والترمذي في ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر ورواية ابي داود معها في جابر القاضي بأنها رواية واحدة (ووجه الاضطراب) ان في بعضها الاقتصار على التجصيص وفي بعضها زيادة البناء عليه وفي آخر التجصيص والكتابة والوطىء وفي ثالث التجصيص والكتابة والزيادة عليه وفي آخر البناء عليه بدل الكتابة وفي بعضها البناء والزيادة والتجصيص والكتابة وفي بعضها القعود والتجصيص والبناء وفي بعضها الاقتصار على الكتابة كما يأتي في الفصل العاشر وفي بعضها التقصيص والبناء والجلوس ثم انه تارة عبر بالجلوس عليها

وتارة بالقعود وتارة بأن توطأ والقعود عليها لا يخلو من اجمال (قال السندي) في حاشية سنن النسائي قيل أراد القعود لقضاء الحاجة او للإحداد والحزن بأن يلازمه ولا يرجع عنه أو اراد احترام الميت وتهويل الأمر في القعود عليه تهاونا بالميت والموت اقوال (وروي) أنه رأى متكئا على قبر فقال لا تؤذ صاحب القبر قال الطيبي هو نهي عن الجلوس عليه لما فيه من الاستخفاف بحق أخيه وحمله مالك على الحدث لما روي ان علياً كان يقعد عليه انتهى (وكذلك) الزيادة عليها لا تخلو من اجمال لعدم ظهور المراد بالزيادة قال السندي في حاشية سنن النسائي (أو يزاد عليه) بأن يزاد على التراب الذي خرج منه او بأن يزاد طولا وعرضا عن قدر جسد الميت انتهى (والعجب) ان صاحب رسالة الفواكه العذاب قال: ونهى (ص) ان يزاد عليها غير ترابها وانتم تزيدون التابوت والجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص انتهى ولم يعلم ان النهي عن زيادة التراب لا يدل على النهي عن وضع التابوت والجوخ وعمل القبة عند من يفهم معاني الألفاظ سيما عند من يبالغ في الاقتصار على مدلول الألفاظ كالوهابية في بعض حالاتهم مع ان النهي عن زيادة التراب هو للكراهة كما ستعرف ولا يعلم سره ولا حكمته ولا يشمل ذلك وضع التابوت والجوخ وبناء القبة لا لغة ولا عرفا فان الزيادة على الشيء تكون من جنسه وسنخه فلو قال المولى لعبده لا تزد على هذا السمن او الزيت او اللبن فلا يفهم منه انك لا تضع فوقه صندوقا او ماعونا او ثوبا او لا تبن فوقه بيتاً او لا تنصب خيمة لأن ذلك لا يعد زيادة عليه لغة ولا عرفا فعمل الصندوق ووضع الجوخ وعقد القبة كلها من احترام القبر الذي ثبت ان له حرمة وشرفا بمن حل فيه فهو راجح لا محذور فيه.

(ثالثا) ان النهي أعم من الكراهة والتحريم وهب أنه ظاهر في التحريم لكن كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة مضافا الى فهم العلماء منه الكراهة هنا يضعف هذا الظهور (قال النووي) في شرح صحيح مسلم في هذا الحديث كراهة تجصيص القبر والبناء عليه وتحريم القعود هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء (الى ان قال) قال اصحابنا تجصيص القبر مكروه والقعود عليه حرام وكذا الاستناد اليه والاتكاء عليه واما البناء فان كان في ملك الباني فمكروه وان كان في مقبرة مسبلة فحرام نص عليه الشافعي والأصحاب قال الشافعي في الأم رأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما بني ويؤيد الهدم قوله ولا قبراً مشرفا الا سويته انتهى (والحق) الكراهة في الكل كما هو مذهب ائمة اهل

البيت وفقائهم لعدم ظهور النهي في مثل هذه المقامات في التحريم مع كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة (هذا) اذا لم يترتب على بناء القبر منفعة ولم يكن تعظيمه من تعظيم شعائر الدين لكونه قبر نبي او ولي او نحو ذلك لما ستعرف من توافق المسلمين من عهد الصحابة الى اليوم على تعمير قبور الأنبياء والأولياء ومنها قبر النبي (ص) وحجرته التي دفن فيها وكراهة البناء والتجصيص مذهب الشافعي كما عرفت الا ان يكون البناء في مقبرة مسبلة مع ان بعضهم قال ان الحكمة في النهي عن التجصيص كون الجص احرق بالنار وحينئذ فلا بأس بالتطيين كما نص عليه الشافعي انتهى نقله السندي في حاشية سنن النسائي وذلك يناسب الكراهة لكن الشافعي حرم القعود مع انه مسوق مع البناء والتجصيص في هذه الأخبار بسياق واحد فالأولى فيه الكراهة ويدل عليها ما مر من الرواية عن علي انه كان يقعد على القبر وكذلك حمل الشافعي عدم زيادة التراب وعدم رفع القبر كثيراً على الاستحباب قال السيوطي في شرح سنن النسائي: قال الشافعي والأصحاب يستحب ان لا يزاد القبر على التراب الذي اخرج منه لهذا الحديث (يعني حديث او يزاد عليه) لئلا يرتفع القبر ارتفاعا كثيراً انتهى (اما) ما حكاه عن الأئمة انه رآهم بمكة يأمرون بهدم ما يبنى فلعله لزعمهم انها مسبلة وقد عرفت في جواب الدليل الثالث انه لا دليل على الوقف والتسبيل وانه يجب حمل البانين على الصحة حتى يعلم الفساد ولم يعلم وحينئذ فيكون الهدم محرما لأنه تصرف في مال الغير بغير اذنه اما ما ايد به النووي من قوله ولا قبراً مشرفا الا سويته فلا تأييد فيه لما عرفت من ان المراد به النهي عن التسنيم وعدم جواز ارادة الهدم من التسوية ومن ذلك يظهر ان استشهاد بعض الوهابيين في رسالة الفواكه العذاب بقول النووي قال الشافعي في الأم الخ شاهد عليه لا له فان الشافعي يقول بكراهة البناء اذا كان في ملكه والوهابيون يحرمونه مطلقا وقد استشهد صاحب الرسالة أيضا بكلام الأذرعي وابن كج الذي لا يرجع الى دليل غير مجلد التهويل بقوله انه مضاهاة للجبابر والكفار وأي فائدة في قال فلان وقال فلان (ومما) مر ويأتي يظهر الجواب عن المحكي عن عمر من أمره بتنحية القبة (اي الخيمة) عن القبر وقوله دعوه يظله عمله فانه بعد تسليم ثبوته وحجيته محمول على الكراهة او صورة عدم النفع فيكون تضييعا للمال كما يرشد اليه قوله دعوه يظله عمله أي لا نفع له في ذلك وانما ينفعه عمله ويعارضه ما مر في الباب الثاني ويأتي في فصل اتخاذ المساجد

من رواية البخاري انه لم مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته القبة على قبره سنة.

(رابعا) ان هذه الأحاديث مع الغض عن ضعف اسانيدها ودلالتها واضطراب متنها منصرفة الى غير ما يكون تعميره وتشييده والبناء فوقه من تعظيم شعائر الله وحرماته لكون صاحبه نبيا أو وليا او صالحا ولكونها بنيت لمصالح في الدين مهمة (منها) ان تكون علامة ومناراً للقبر الذي ندب الشرع الى زيارته كما يأتي في فصل الزيارة وحفظا له عن الاندراس (وقد) علم رسول الله (ص) قبر عثمان بن مظعون بصخرة وضعها عليه (روى) ابن ماجة (١) بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله (ص) أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة (قال السندي) في الحاشية اي وضع عليه الصخرة ليتبين بها وفي الزوائد هذا اسناد حسن وله شاهد من حديث المطلب بن ابي وداعة رواه ابو داود (انتهى) وفي وفاء الوفا(٢) روى ابو داود باسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن بعض الصحابة لما مات عثمان بن مظعون ودفن أمر النبي (ص) رجلا ان يأتي بحجر فلم يستطع حمله فقام اليه رسول الله(ص) وحسر عن ذراعيه (قال الراوي) كأني انظر الى بياض ذراعي رسول الله (ص) حين حسر عنهما ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال أتعلم به قبر اخي وادفن اليه من مات من اهلي (قال) ورواه ابن شبة وابن ماجة وابن غدي عن انس والحاكم عن ابي رافع وروى قبل ذلك عن محمد بن قدامة عن ابيه عن جده لما دفن النبي (ص) عثمان امر بحجر فوضع عند رأسه (الحديث) ثم حكى عن عبد العزيز بن عمران انه قال سمعت بعض الناس يقول كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران (وهو) يرشد الى جواز فعل كل ما يكون علامة ومناراً للقبر (قال) وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال كان عثمان بن مظعون اول من مات من المهاجرين فلحد له رسول الله (ص) وفضل حجر من حجارة لحده فحمله رسول الله (ص) فوضعه عند رجليه فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مر على ذلك الحجر فأمر به فرمي به وقال والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به فأتته بنوامية فقالوا بئسما صنعت عمدت الى حجر وضعه النبي (ص) فرميت به بئسما ما عملت فمر به فليرد فقال اما والله اذ

---

(١) صفحة ٢٤٣ ج ل؛ (٢) صفحة ٨٥ ج ٢.

رميت به فلا يرد ثم قال(١) وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره ان رسـول الله (ص) جعل أسفل مهراس (٢) علامة على قبر عثمان بن مظعون ليدفن الناس حـولـه (الى ان قال) فلما استعمل معاوية مـروان بن الحكم على المدينـة حمل المهـراس فجعلـه على قبر عثمان انتهى (وكفى) بهذا الفعل دليلا على ما كان عليه مـروان من الاستهـانـة بـالـدين وكأن الوهابية في هدمهم قبور الأئمة والصحابة والصالحين ارادوا الاقتداء به (ويأتي) في فصل الزيارة رواية ان فاطمة بنت رسول الله (ص) كانت تزور قبر حمزة تـرمـه وتصلحـه وقد تعلمته بحجر وذلك يدل على استحباب مرمة القبر وحفظه من الاندراس وعمل ما يكون علامة ودليلا عليـه فـاذا ثبت استحبـاب ذلك فكلما كـان ابلغ في حفظـه وعـدم اندراسه كبناء القبة عليه كان أولى بالاستحباب فان هذا بمنزلة العلـة المنصـوصـة ومنـه يعمل ان القبور يمتاز بعضها عن بعض بامتياز اصحابها في الدين وعـدم بنـاء القبـاب ونحـوهـا في ذلك العصر للعسر الحاصل للمسلمين واحتيـاجهم الى صرف الأمـوال ان وجدت فيها هو اهم من الجهاد واعاشة المسلمين فلا يقاس به العصر المتأخـر عن ذلك الذي اتسعت فيه أحوال المسلمين (وكما) كان النبي (ص) واصحابه يقنعون من العيش بالبلغة وبيوتهم لاطئة مبنيـة بـاللبن وسعف النخل ومسجـده المعظم عـريش كعـريش موسى وخطبته في الجمعة والعيد اولا الى جذع ثم عمل له منبر ولم يكن المنبر يمتاز كثيراً عن الجذع بغير الهيئة فلما قويت شوكة الإسلام واتسعت حـال المسلمين واستـولـوا على كنـــوز كسرى وقيصر تغيرت حـــالهم في اللبـــاس والمأكل والمشرب والمسكـن ووسعـــوا المسجدين النبوي والمكي وأجادوا بناءهما وبنـاء الحجـرة الشريفـة وسـائر المسـاجـد ولم يكونوا بشيء من ذلك عاصين ولا مبدعين كـذلك بنـوا على قبـور عظماء الـدين تعظيما لشأنهم كما فهموه من أحكـام دينهم تصريحا وتلـويحا . ولـو سلمت الكـراهـة في سـائر القبور لا تسلم في قبور الأنبياء وعظماء الشهداء كحمزة سيد الشهداء (ومنها) ان تكـون حفظا للقبر الذي ثبتت حرمته في الشرع عن دخول الدواب والكلاب ووقوع القاذورات عليه (والقبور) الشريفة اليوم في البقيع وغيره بعدما ارتكبه الوهابيون من الأعمال الوحشية

---

(١) صفحة ١٠٠ ج٢ . (٢) في القاموس المهراس حجر منقور يتوضأ منه (المؤلف).

في حقها معرض لذلك كله .

(ومنها) استظلال الزائرين بها من الحر والقر عند ارادة الزيارة والصلاة بجانبها التي ثبت رجحانها بشرف المكان والدعاء عندها وقراءة القرآن الذي ثبت انه ارجى للإجابة وأوفر في الثواب ببركتها وبركة من حل فيها والتدريس فيها والقاء المواعظ وغير ذلك من الفوائد فهي بهذا الاعتبار داخلة في المواضع المعدة للطاعات كالمساجد والمدارس والرباطات (ومنها) ان في بنائها وتشييدها تعظيما لشعائر الإسلام وارغاما لمنكريه .

(خامسا) انها مع الغض عما ذكر مهجورة متروكة لم يعمل بها أحد من المسلمين قبل الوهابية ومن ضارعهم من عهد الصحابة الى يومنا هذا وما هذا حاله من الأحاديث لا يعمل به ولا يعول عليه ولو فرض صحة سنده باعتراف الوهابية فضلا عن غيرهم ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية المنسوبة لعبد العزيز بن محمد بن سعود (١) ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به فانهم قالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به اذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة (انتهى) وأي شذوذ عن قواعد الشرع أعظم من مخالفة عمل المسلمين من الصدر الأول الى اليوم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وسائر المسلمين وأي علة اكبر من ذلك ومن عمل بها أو ببعضها لم يحملها الا على الكراهة او خصها بما لا يكون تعميره من اقامة شعائر الدين كقبور الأنبياء والأولياء والصالحين (أما عدم العمل بها) فمن وجوه (أحدها) ان الكتابة المشتمل عليها بعضها لم يعمل بها أحد كما ستعرف في فصلها (ثانيها) ان قبور الأنبياء التي حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام في القدس وقبور ابراهيم وبنيه اسحق ويعقوب ويوسف الذي نقله موسى من مصر الى بيت المقدس عليهم السلام في بلد الخليل كلها مبنية مشيدة قد بني عليها بالحجارة العادية العظيمة من قبل الاسلام وبقي ذلك بعد الفتح الإسلامي الى اليوم (فعن) ابن تيمية في كتابه الصراط المستقيم ان البناء الذي على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة الا انه قال كان باب ذلك البناء مسدوداً الى سنة الأربعمائة انتهى ولا شك ان عمر لما

---

(١) صفحة ٣١ طبع المنار بمصر.

فتح بيت المقدس رأى ذلك البناء ومع ذلك لم يهدمه وسواء صح قول ابن تيمية انه كان مسدوداً الى الأربعمائة أو لم يصح لا يضرنا لأنه يدل على عدم حرمة البناء على القبور وقد مضت على هذا البناء الأعصار والدهور وتوالت عليه القرون ودول الاسلام ولم يسمع عن أحد من العلماء والصلحاء وأهل الدين وغيرهم قبل الوهابية انه أنكر ذلك أو أمر بهدمه او حرمه او فاه في ذلك ببنت شفة على كثرة ما يرد من الزوار والمترددين من جميع أقطار المعمورة. وبذلك يظهر بطلان زعم الوهابية ان البناء على القبور حدث بعد عصد التابعين وقول ابن بليهد انه حدث بعد القرون الخمسة ويكذبه أيضاً مضافا الى ما يأتي في بناء الحجرة الشريفة النبوية ما سيأتي في فصل اتخاذ المساجد على القبور من وجود المسجد على قبر حمزة في المائة الثانية وما مر في هذا الفصل عند رد دليلهم الثالث من ان قبر العباس وأئمة اهل البيت كانت في دار عقيل مع عدم الفرق بين البناء الحادث والمستمر وان قبر ابراهيم ابن رسول الله (ص) كان في دار محمد بن زيد بن علي وان قبر سعد بن معاذ في دار ابن افلح وان عليه جنبذة اي قبة في زمن عبد العزيز بن محمد الذي هو من اهل المائة الثانية بتصريح السمهودي كما يأتي في فصل اتخاذ المساجد على القبور (ثالثها) انها قد بنيت الأبنية على القبور في عهد الصحابة ومن بعدهم قبل لمائة الخامسة وأولها قبر النبي (ص) فانه قد دفن في حجرة مبنية ودفن فيها صاحباه. ويظهر من السيرة النبوية لأحمد بن زيني دحلان ان ذلك كان بشبه وصية منه (ص) حيث قال (١) واختلفوا في موضع دفنه (ص) فقال ابو بكر (رض) سمعت رسول الله (ص) يقول ما مات نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال علي وانا ايضاً سمعته رواه الترمذي وابن ماجة وفي رواية الموطأ ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه انتهى ولو كان البناء على القبور محرماً وواجب الهدم لهدمها الصحابة قبل دفنه (ص) فيها أو دفنوه (ص) في مكان لا بناء فيه اذ لا يتصور فرق بين البناء السابق واللاحق ولم يقل أحد بالفرق ولو كانت بمنزلة الأصنام كما يزعم الوهابيون لم يكن فرق بين البناء السابق واللاحق مع انهم قد بنوها لاحقاً بنى عليها عمر بن الخطاب حائطا وهو اول من

(١) صفحة ٤٠٠ ج٣ بهامش السيرة الحلبية طبع عام ١٣٢٠ بمصر.

بناها وبنت عائشة حائطا بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلي فيها قبل الحائط وبعده وبذلك يبطل قولهم بعدم جواز الصلاة عند القبور وبناها عبد الله بن الزبير ثم سقط حائطها فبناه عمر بن عبد العزيز ثم لما وسع المسجد في خلافة الوليد بنى على البيت حظارا وفي رواية أنه هدم البيت الأول ثم بناه وبنى حظارا محيطا به وتولى ذلك عمر بن عبد العزيز وأزر الحجرة بالرخام ثم اعيد تأزيرها في زمن المتوكل الخليفة العباسي ثم جدد في زمن المقتفي ثم عمل في زمنه للحجرة مشبك من خشب الصندل والأبنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز ثم لما سقط حائط الحجرة في دولة المستضيء اعيد بناؤه ثم لما احترق الحرم الشريف سنة ٦٥٤ شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم آخر ملوك بني العباس واكمل تعميرها من آلات وصلت من مصر في عهد الملك المنصور ايبك الصالحي واخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر ثم اكمل تعميرها في ايام الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب مصر فعملت او قبة على الحجرة الشريفة وهي القبة الزرقاء بناها احمد بن عبد القوي ناظر قوص سنة ٦٧٨ ثم جددت في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ثم في أيام الملك الأشرف سنة ٧٦٥ ثم جددت في دولة الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ ثم جدد بناء الحجرة الشريفة سنة ٨٨١ في دولة الملك الأشرف قاتباي صاحب مصر وعمل عليها قبة سفلية تحت القبة الزرقاء ثم لما احترق الحرم الشريف ثانيا سنة ٨٨٦ اعيد بناء الحجرة الشريفة وعمل عليها قبة عظيمة بدل القبة الزرقاء والتي تحتها وذلك في دول الملك الأشرف قاتباي ثم جدد بناؤها سنة ٨٩١ في دولة الملك الأشرف ولم يزل ملوك بني العباس يجددون ما انهدم منها وكذلك ملوك بني عثمان وقد جددت في عهد السلطان عبد المجيد منهم كما سيأتي تفصيل ذلك كله.

(ومما بني في عهد الصحابة) وبعده قبل المائة الخامسة ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا كما سيأتي في فصل الكتابة على القبور ان عقيلا لما حفر بئراً في داره وجد حجراً مكتوبا عليه هذا قبر ام حبيبة فدفن البئر وبنى عليه بيتا وان ابن السائب قال دخلت البيت فرأيت القبر (وبنى) الرشيد قبة على قبر امير المؤمنين علي (ع) كما عن عمدة الطالب وغيره وكان الرشيد في المائة الثانية ثم تتابع البانون في بنائها الى اليوم وفيها يقول الحسين بن الحجاج الشاعر الفكاهي المشهور المتوفى سنة ٣٩١ في مطلع قصيدة.

يا صاحب القبة البيضا على النجف ... من زار قبرك واستشفى لديك شفي

وعن الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان الكاظم عليه السلام دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وانواع الالات والفرش ما لا يحد انتهى فيدل على وجود قبة عند دفن الكاظم عليه السلام وهو سنة ١٨٣ وعلى وجود مشهد في عصر الخطيب المولود سنة ٣٩٢ ولا بد ان يكون حدوثه قبل عصره (وذكر) المؤرخون وعلماء الأثر وجل من كتب في التراجم ان الأئمة زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام دفنوا في قبة الحسن عليه السلام والعباس رضوان الله عليه بالبقيع وكانت وفاة زين العابدين (ع) سنة ٥٩ ووفاة الباقر عليه السلام في اوائل المائة الثانية في العشر الثاني منها ووفاة الصادق (ع) سنة ١٤٨ كما ذكروا بناء القباب والمشاهد على جملة من القبور قبل المائة الخامسة (مثل) ان الامام علي بن موسى الرضا دفن في القبة التي دفن فيها هارون الرشيد بطوس في دار حميد بن قحطبة الطائي ويظهر ان الذي بنى تلك القبة على الرشيد هو ولده المأمون وكان كما عن السيوطي أماراً بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء انتهى وكان عصره حافلا بالعلماء وائمة الدين منهم الإمام علي بن موسى الرضا امام اهل البيت ووارث علوم جده وآبائه الذي كان يصدر المأمون عن رأيه وعمل له الرسالة الذهبية ومسائله له مشهورة في مشكلات علوم الدين ولما رآه يتوضأ والغلام يصب على يديه الماء قال له يا أمير المؤمنين لا تشرك بعبادة ربك احداً فصرف الغلام فلو كان البناء على القبور محرما لنهاه عن بناء القبة على قبر الرشيد مع انه لم ينهه بل اوصى ان يدفن في تلك القبة ومنهم الإمامان الشافعي واحمد من ائمة المذاهب الأربعة وسفيان بن عيينة وغيرهم ولم ينقل ان احداً انكر عليه مع انهم انكروا عليه القول بخلق القرآن وصبروا على الحبس والضرب ولم يوافقوه عليه (ومثل) ان نهشل بن حميد الطوسي بنى قبة على قبر ابي تمام حبيب بن اوس الطائي الشاعر المشهور المتوفى ٢٣٠ بالموصل (وانها) بنيت قبة على قبر بوران بنت الحسن بن سهل المتوفاة سنة ٢٧١ وان معز الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٩٣ دفن اولا في داره ثم نقل الى مشهد بني له في مقابر قريش الى غير ذلك ماما يقف عليه المتتبع ويطول الكلام باستقصائه وكل ذلك يكذب ما زعمه الوهابية من ان البناء على القبور حدث بعد المائة الخامسة ويبين انهم يرسلون الكلام على عواهنه ويكيلون الدعاوى جزافا ويدل على مبلغهم من العلم

وجهلهم بالتاريخ .

وعن تاريخ الخلفاء للسيوطي ان المتوكل في ٢٣٦ أمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وخرب وبقي صحراء وكان المتوكل معروفا بالنصب فتألم المسلمون من ذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فمما قيل في ذلك .

تالله ان كانت امية قد اتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد اتاه بنو أبيه بمثله   هذا لعمري قبره مهدوما

اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما

وعن المسعودي ان المتوكل أمر في سنة ٢٣٦ المعروف بالديزج بالمسير الى قبر الحسين بن علي وهدمه وازالة اثره وان يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن يقدم على ذلك فكل خشي عقوبة الله فأحجم فتناول الديزج مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين فحينئذ اقدم الفعلة على العمل ولم يزل الأمر على ذلك حتى استخلف المنتصر انتهى (وهذا) صريح في ان قبر الحسين (ع) كان مبنياً بناء عاليا مشيداً لقوله فهدم أعالي القبر وان هدم قبور عظماء الدين كان معلوما عند المسلمين قبحه ومغروساً ذلك في نفوسهم فلذلك لم يقدم الناس على هدم قبر الحسين (ع) مع بذل الرغائب ولذلك قبح جميع المسلمين فعل المتوكل وكتبوا هجاءه على الحيطان وعد فعله هذا من قبائحه الشنيعة وذمه بذلك كل من كتب في التاريخ فالوهابية اقتدوا في اعمالهم بالمتوكل المعروف بالنصب الذي ساء جميع المسلمين بعمله هذا كما ساؤا هم جميع المسلمين بعملهم ثم أخذه الله تعالى اخذ عزيز مقتدر فسلط عليه الأتراك فقتلوه برأي ولده المنتصر شر قتلة .

ومن ذلك كله يعلم ان البناء على القبور لاحقا وسابقاً غير محرم وانه راجح اذا كان على قبر نبي او ولي او عالم او عابد او غيرهم ممن يكون تعظيمه من تعظيم شعائر الله تعالى وهذا الوجه مما يهدم كل اساس بنى عليه الوهابية شبهاتهم ولا يرتاب فيه الا مكابر معاند فانك اذا احطت علما بما سردناه عليك من تاريخ بناء الحجرة الشريفة النبوية من مبدأ امرها الى يومنا هذا وما بني على قبور الصحابة والأئمة والأولياء والصلحاء والشعراء والأمراء وبعض النساء وغيرهم علمت ان المسلمين عموما من الصدر الأول الى اليوم من جميع النحل والمذاهب الإسلامية متفقون على جواز البناء على

القبور وعقد القباب عليها عدا الوهابية فانهم مخالفون لما عليه الأمة الإسلامية جمعاء ولمذهب السلف الذين يتغنون دائما بانهم متبعون له حيث علمت ان الصحابة جميعا ومنه الخلفاء الأربعة اتفقوا على دفنه (ص) في بيته وحجرته التي كان يسكنها مع زوجته عائشة وهي مبنية مسقفة ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفي على الصحابة عموما ولو حرم ابتداء لحرم استدامة ثم دفن ابو بكر وعمر مع النبي (ص) في تلك الحجرة وعد ذلك اعظم منقبة لهما ثم بنت عائشة حائطا في تلك الحجرة بينها وبين القبر الشريف وقد رويتم انه (ص) قال خذوا ثلثي دينكم عن عائشة ثم جدد بناء الحجرة الشريفة عمر بن الخطاب وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز صالح بني امية وعادلهم وزاهدهم ومعيد رونق الخلافة بعدما صارت ملكا عضوضا ورافع السب عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وراد فدك الى اولاد فاطمة تورعا ثم تتابع ملوك الإسلام وامراؤهم في بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن وعصراً بعد عصر وخلفا عن سلف متقربين بذلك الى الله راجين ثوابه مفتخرين به امام رعاياهم وكان في أعصارهم وفي المدينة المنورة من العلماء والصلحاء وأهل الفضل والدين مالا يحصى عددهم ولم يسمع من احد انه لامهم على هذا الفعل او خطأهم فيه او منعهم منه من العلماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عند الملوك والأمراء وليس ترك ذلك شيئا مخلا بسلطنتهم وسياستهم للملك حتى يخافهم العلماء فيه بل هو امر ديني محض لا يخالفهم فيه ملك ولا امير ولا يخرج قصد الملوك والأمراء في ذلك عن أحد امرين طلب الثواب منه تعالى والفخر عند الناس وكل ذلك لا يتم لهم مع نهي العلماء عنه وتحريمه فاذا لم يكن هذا الأمر الذي اتفق عليه الصحابة من صدر الإسلام والتابعون وتابعو التابعين وعلماء المسلمين وعامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل قطعيا ولا اجماعيا ففي اي حكم في الشريعة يمكن دعوى القطع والإجماع واذا لم يكن السلف قدوة في مثل هذا ففي اي شيء يقتدى بهم ويقول المرء عن نفسه انه سلفي على عادة الوهابيين.

(رابعها) ان حرمة قبور الأنبياء والصلحاء بل كل مسلم وفضلها وشرفها وبركتها ملحق بالضروريات عند الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين لا يرتاب في ذلك أحد كما سيأتي في الفصل الثالث عشر واذا كان لها حرمة ومنزلة وشرف وبركة عند الله

تعالى وجب أو رجح فعل كل ما يوجب احترامها وتعظيمها من زيارتها والبناء عليها وحفظها عن دوس الأقدام وروث الدواب والكلاب وغير ذلك لأن ذلك من تعظيم شعائر الله وحرماته وحرم كل ما يوجب اهانتها واحتقارها وامتهانها من هدمها وهدم حجرها وقبابها وجعلها معرضا لوطىء الأقدام وروث الدواب والكلاب ووقوع القاذورات فان ذلك كله لا شك انه اهانة لها ولأهلها فاذا ثبت ذلك وجب طرح كل حديث ناه عن البناء على القبور او أمر بهدمها لو فرض وجوده او تخصيصه بغير قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء لأن ذلك اهانة لهم وقد دل العقل والنقل على حرمة اهانتهم ووجوب تعظيمهم احياء واموتا (لا يقال) انما يكون تعظيم تلك القبور راجح لو لم يكن كفرا وشركا بكونه عبادة لها كعبادة الأصنام (لأنا نقول) بعد ما ثبت ان لها شرفا وحرمة عند الله تعالى بما بيناه لا يكون تعظيمها عبادة لها ولا كفراً ولا شركا بل تعظيمها تعظيم لله تعالى وعبادة له كتعظيم الكعبة والحرم والحجر الأسود والمساجد والمقام وكل شيء امر الله بتعظيمه من المخلوقات وقياس ذلك بعبادة الأصنام التي لم يجعل الله لها حرمة بوجه من الوجوه قياس فاسد كما أوضحناه مراراً (لا يقال) انما يكون بناؤها والبناء عليها تعظيما لها لو لم يرد النهي الموجب لكونه محرما ولا تعظيم بمحرم وانما يكون هدمها وهدم ما بني عليها اهانة لو لم يرد الأمر به الموجب لكونه طاعة وهو عين الاحترام لها ولأصحابها بتنفيذ ما امر الله به فيها (لأنا نقول) كون بنائها والبناء عليها في نفسه احتراما لها ولأصحابها وهدمها وهدم ما بني عليها في نفسه اهانة لها ولأصحابها عرفا مع قطع النظر عن ورود النهي والأمر مما لا يشك فيه احد وبعدما ثبت بالدليل القطعي السابق وجوب احترامها وحرمة اهانتها لا يمكن ان يكون النهي عن البناء والأمر بالهدم شاملا لها بل هو اما مطروح أو خاص بغيرها او مصروفا اليه لأن الظن لا يعارض اليقين.

(خامسها) ان وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام واحترامها وحرمة اهانتهم احياء وامواتا مما نطق بها الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى﴾ وفسرت الاية مع ظهورها في نفسها السنة النبوية بأن المراد بالقربى هم اهل البيت الطاهر النبوي مما لا يسع المقام ذكره فلا ينافي ذلك تمحلات ابن تيمية وتأويلاته على عادته في الاجتهاد في محو كل فضيلة ومنقبة لأهل البيت الطاهر اما بانكار

الحديث ولو استفاض واشتهر او تواتر اوبتأويله او بدفعه بالاستبعادات(١) ونطقت بها السنة الطاهرة كما في حديث الثقلين وغيره مما ليس هذا محل ذكره ومن مودتهم واحترامهم احترام قبورهم وحفظها بالبناء عليها عن ان تداس بالأقدام اوتكون معرضاً لدخول الدواب والكلاب اليها وتوسيخها وتنجيسها ووقوع القاذورات عليها وعدم اهانتهم بهدم قبورهم وقبابهم المشيدة فان هدم قبر النبي أو الولي يعد في العرف اهانة له وأي اهانة واحترام المؤمن فضلا عن النبي واجب حيا وميتا ومن احترامه ميت النهي عن الجلوس على قبره والاتكاء عليه والاستناد اليه ووطئه بالأقدام كما مر في هذا الفصل وفي وفاء الوفا (٢) روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن ابي حازم ونوفل بن عمارة قالوا كانت عائشة تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله (ص) قالوا وما عمل علي مصراعي داره الا بالمناصع (٣) توقياً لذلك (وقال) قبل ذلك ان عمر قال ان مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات وقال ابو بكر لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا انتهى ولا يخفى تبدل العناوين بحسب الزمان والمكان والأشخاص فتتبدل لذلك الأحكام (فالأخبار) المتوهم دلالتها على خلاف ذلك مهجورة متروكة عند جميع المسلمين أو مصروفة الى غير قبورهم الشريفة وقبابهم المنيفة والأسئلة التي أوردناها على الوجه الرابع يمكن ان تورد هنا والجواب الجواب .

---

(١) كما دفع حديث «ان قتل علي لعمرو بن عبد ود يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين» تارة بتضعيف سنده وانه موضوع وتارة بأنه كيف يكون قتل كافر افضل من عبادة الثقلين ومنهم الأنبياء واخرى بان عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة (ورده) صاحب السيرة الحلبية بان قتله كان فيه نصرة الدين وخذلان الكافرين وبأن عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً فلما كان يوم الخندق خرج معلما جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه انتهى وأي عمل من الأعمال يعادل ضربته لعمرو بن عبد ود يوم الخندق حين عبر الخندق معلما يطلب البراز فجبن عنه الناس كلهم الا علي وأي خذلان كان يقع على الإسلام لو لم يقتل علي عمرا فتلك الضربة أعز الإسلام وقويت شوكته واشتد ساعده وابن تيمية يوهن امرها ويصغره (انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) ـ المؤلف .

(٢) صفحة ٣٩٨ ج ل .

(٣) في القاموس النصع مثلثة جلد ابيض أو ثوب انتهى وليس فيه ما يناسب المقام غير هذا (المؤلف) .

بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية
(من ابتداء أمرها الى اليوم)

اما ما وعدنا به من شرح وتفصيل بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية من ابتداء امرها الى يومنا هذا فنقول :

كانت الحجرة الشريفة التي دفن فيها رسول الله (ص) هي البيت الذي كانت تسكنه عائشة ام المؤمنين قال السمهودي في وفاء الوفا (١) كان من لبن وجريد النخل ثم حكى عن عمران بن ابي أنس ان بيوت النبي (ص) كانت اربعة بلبن لها حجر من جريد (قال) وبيت عائشة أحد الأربعة ثم حكى عن رواية ابن سعد انه لم يكن عليه حائط زمن النبي (ص) وان اول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب (قال) وليحمل على ان حجرة الجريد التي كانت مضافة له ابدلها عمر بجدر جمعا بين الروايات (انتهى) وبقيت عائشة ساكنة في ذلك البيت بعد دفن النبي (ص) ودفن ابي بكر وعمر فلما دفن عمر بنت بينها وبين القبور جداراً فكان عمر أول من بنى جدار الحجرة الشريفة وثنته عائشة (قال السمهودي) في وفاء الوفا (٢) روى ابن زبالة عن عائشة (رض) انها قالت ما زلت اضع خماري وأتفضل في ثيابي حتى دفن عمر فلم ازل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً (قال) وعن المطلب كانوا يأخذون من تراب القبر فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم وكانت في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسدت (قال) وقال ابن سعد في طبقاته بسنده عن مالك بن انس قسم بيت عائشة باثنين قسم كان فيه القبر وقسم تكون فيه عائشة وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا فلما دفن عمر لم تدخله الا وهي جامعة عليها ثيابها (ثم قال) قال عبيد الله بن ابي يزيد كان جداره قصيراً بناه عبد الله بن الزبير انتهى فهؤلاء هم السلف الذين يزعم الوهابية انهم قدوتهم ويسمون انفسهم السلفية وهؤلاء أصحاب رسول الله (ص) الذي يزعم الوهابية انهم على طريقتهم عملا بقوله (ص) ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة الا واحدة وهي من كان على مثل ما هو عليه وأصحابه (ثم

---

(١) صفحة ٣٨٣ ـ ٣٩٠ ج ل طبع مصر. (٢) ج ل صفحة ٣٨٥.

قال السمهودي) قال الأقشهري قال ابو زيد بن شبة قال ابو غسان ابن يحيى بن علي بن عبد الحميد وكان عالما باخبار المدينة ومن بيت كتابة وعلم: لم يزل بيت النبي (ص) الذي دفن فيه هو وأبو بكر وعمر ظاهراً حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار المزور الذي هو عليه اليوم حين بنى المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك وانما جعله مزوراً كراهة ان يشبه تربيعه تربيع الكعبة وان يتخذ قبلة فيصلى اليه (أقول) وذلك انه جعل الحظار بهيئة التربيع ولما انتهى الى الزاويتين اللتين من جهة الشمال اخذ منهما خطين مائلين حتى التقيا في جهة الشمال وحدث منهما زاوية خامسة وذكر هذا الحظار النووي فيما سيأتي عنه في الفصل الحادي عشر (ثم) حكى السمهودي (١) عن رواية ابن سعد انه انهدم الجدار الذي على قبر النبي (ص) في زمان عمر بن عبد العزيز فأمر بعمارته (وعن) رواية ابن زبالة انه جاف بيت النبي (ص) من شرقيه فأمر عمر بن عبد العزيز ابن ورد ان ان يكشف عن الأساس فظهر قدمان فقال له عبيدالله بن عبد الله بن عمر أيها الأمير لا يرو عنك فتانك قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له في الأساس (وفي رواية البخاري) من حديث هشام بن عروة ان القائل لهم ذلك هو عروة (قال السمهودي) وروي عن المطلب انه لما سقط الجدار من شق موضع الجنائز امرعمر (يعني ابن عبد العزيز) بقباطي فخيطت ثم ستر بها وأمر ابا حفصة وناسا معه فبنوا الجدار (وفي رواية) ان عمر بن عبد العزيز دعا ورد ان البناء فبناه بعدما ستر بالقباطي ومزاحم مولى عمر يناوله قال (٢) ويستفاد من ذلك ان السبب في هذا البناء سقوط الجدار ولعله بسبب المطر كما يشيد اليه بعض الروايات (ويدل) بعض الروايات التي نقلها ان سبب البناء ان الناس كانوا يصلون (٣) الى القبر فأمر به عمر بن عبد العزيز فهدم الحائط ورفع حتى لا يصل عليه أحد وبعضها ان الوليد ابن عبد الملك لما اشترى حجر أزواج النبي (ص) كتب الى عمر بن عبد العزيز ان اهدمها ووسع بها المسجد فهدمها فلما ان بنى البيت على القبر وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة (أقول) والظهار ان عمر بن عبد العزيز لما انهدم حائط الحجرة الشريفة بناه ثم لما وسع

---

(١) صفحة ٣٨٦ ج ل. (٢) صفحة ٣٨٨ ج ل. (٣) من الوصول (المؤلف).

المسجد أزال بناء الحجرة كله وبناها جديداً وجعل لها حظاراً (قال) السمهودي (١) وهذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقا بل فوقه شباك من خشب متصل بسقف المسجد. قال (٢) وروى ابن زبالة عن محمد بن هلال وعن غير واحد من اهل العلم ان بيت رسول الله (ص) الذي فيه قبره وهو بيت عائشة الذي كانت تسكنه وانه مربع مبني بحجارة سود وقصة (أي جص) وبابه مسدود بحجارة سود وقصة ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر (وقال) السمهودي (٣) انه لم ير للبيت عند انكشافه في العمارة التي ادركها بابا ولا موضع باب وراه مربعا مبنيا بالأحجار السود المنحوتة (وحكى السمهودي) عن بعض العلماء في سبب ستر القبور ما وقع من وصية الحسن (ع) ان تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبي (ص) فظن طائفة ان الحسين (ع) يريد دفنه في الحجرة فمنعوه وقاتلوه فلما كان عبد الملك أو غيره سدوا وستروا (ثم قال) وفيما قدمناه إشعار بأن موضع القبور كان مسقفا تحت سقف المسجد كما يأتي التصريح به ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر والحجرة ولم يروا جوف الحجرة ثم استدل له بحديث جعل الكوة من قبر النبي (ص) الى السماء حتى لا يكون بينهما سقف وقد تقدم (الى ان قال) ثم اطلعنا في العمارة التي ادركناها على وجود سقف جعل بعد الحريق وعلى آثار السقف الذي كان قبله (ثم) حكى (٤) عمارة ابي البختري والي المدينة لهارون الرشيد التي كشف فيها سقف المسجد مما يلي الحجرة الشريفة فوق القبر في جمادى الأولى سنة ١٩٣ فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة فأدخل مكانها خشباً صحاحا اهـ فهذه ايضا تصلح ان تعد من جملة عمارة الحجرة باعتبار انها افوقها (ثم) حكى (٥) عن ابن النجار انه قال ان المتوكل في خلافته امر اسحق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله ان يؤزر الحجرة بالرخام ففعل وكانت خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ وتوفي سنة ٢٤٧ (وقال السمهودي) ان تأزير الحجرة بالرخام له ذكر في كلام يحيى بن عباد وذكر الخبر عن حجر كان في بيت فاطمة كان رسول الله (ص) يصلي اليه اذا دخل على فاطمة وكانت فاطمة عليها السلام تصلي اليه

---

(١) صفحة ٤٠٤ ج ل. (٢) صفحة ٣٨٨ ج ل. (٣) صفحة ٤٠١ ج ل.
(٤) صفحة ٣٩٨ـ٣٩٩ ج ل. (٥) صفحة ٤٠٨ ج ل.

وولدت الحسنين عليهما السلام عليه وسيأتي في الفصل الرابع عشر (قال راوي الحديث) ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ففقدناه عندم أزر القبر بالرخام وكان الحجر لاصقا بجدار القبر قريباً من المربعة (قال السمهودي) قال بعض رواة كتاب يحيى : الصانع هذا هو اسحق بن سلمة كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة انتهى (وحكى) السمهودي (١) عن ابن النجار انه في خلافة المقتفي سنة ٥٤٨ جدد ذلك جمال الدين وزير بني زنكي وجعل الرخام حول الحجرة الشريفة قامة وبسطه (وحكى) في موضع آخر (٢) عن ابن النجار ان جمال الدين الأصفهاني الوزير المذكور عمل للحجرة الشريفة مشبكا من خشب الصندل والأبنوس وأداره حولها مما يلي السقف أي على رأس الجدار الذي بناه عمر بن عبد العزيز فانه لم يبلغ السقف كما مر انتهى (وحكى ايضا) (٣) عن ابن النجار انه قال في كتابه الدرة الثمينة : في سنة ٥٤٨ سمعوا صوت هدة في الحجرة فأخبروا امير المدينة القاسم بن مهنى الحسيني فقال ينزل من يرى هذه الهدة فاختاروا عمر النسائي شيخ شيوخ الصوفية بالموصل فوجد ردما اما من السقف أو من الحيطان فأزاله (قال) وقال انه من سنة ٥٥٤ الى زمانه لم يقع دخول الى الحجرة وقد توفي سنة ٦٤٣ (ولكن) حكى السمهودي عن الأقشهري بسنده عن الرجال احمد بن عاث انهم منذ قريب اربعين سنة سمعوا بالمدينة هدة في الحجرة الشريفة فكتب في ذلك الى الخليفة فاستشار الفقهاء فأفتوا ان يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد فاختاروا بدر الضعيف وهو شيخ فاضل من بني العباس يصوم النهار ويقوم الليل فدلي فوجد الحائط الغربي قد سقط وهو حائط دون الحائط الظاهر فصنع له لبن من تراب المسجد فبناه وكانت رحلته سنة ٦١٣ وقد قال قريباً من اربعين سنة فيكون ذلك في حدود سنة ٥٧٠ ويكون في دولة المستضيء .

ثم احترق الحرم الشريف النبوي على ما ذكره السمهودي (٤) نقلا عن المؤرخين ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة ٦٥٤ بسبب ان احد الفراشين دخل الى حاصل المسجد ومعه نار فعلقت في بعض الالات وأعجزه طفيها واحترق الحاصل والفراش والمسجد

(١) صفحة ٤٠٨ ج ل. (٢) صفحة ٤٠٥ ج ل. (٣) صفحة ٤٠٦ ج ل. (٤) صفحة ٤٢٧ ـ ٤٣٢ ج ل.

كله ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ لحفظ ذخائر الحرم لكونها بوسط صحن المسجد وبقيت سواري المسجد قائمة كأنها جذوع النخل اذا هبت الرياح تتمايل وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي (ص) فوقعا جميعاً في الحجرة الشريفة وكتبوا بذلك للخليفة المستعصم بالله ابي احمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان فوصلت الالات والصناع مع ركب العراق في الموسم وابتدىء بالعمارة اول سنة ٦٥٥ وأرادوا ازالة ما وقع من السقوف على الحجرة الشريفة فلم يجسروا واتفق رأي امير المدينة منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنىء الحسيني وأكابر هل الحرم ان يطالع الخليفة المستعصم بذلك فكتبوا اليه فلم يأت الجواب للاشتغال بفتنة التتر فتركوا الردم بحاله واعادوا سقفا محكما فوقه على الحجرة الشريفة من الواح ثخينة جداً من الساج الهندي وسمروا بعضها الى بعض على قوائم من خشب وجعلوه اربع قطع كل قطعة كالباب العظيم وجعلوا عند ملتقى كل قطعتين مقصات من حديد وكلبوا بعضها الى بعض تكليبا محكما وجعلوا تحته ثلاث جزم من الساج الهندي تحمله ولم يجعلوا في تلك الألواح دهونا ولا نقوشا ولا كتابة غير ان النجار كتب اسمه على طرف السقف نقرا وكذلك سقف المسجد المحاذي للحجرة الشريفة مما يلي هذا السقف جميعه من الساج النقي ليس عليه دهان ولا نقوش فسقفوا في سنة ٦٥٥ الحجرة الشريفة وبعض المسجد ثم دخلت سنة ٦٥٦ فكان في المحرم منها استيلاء التتار على بغداد وقتل الخليفة فوصلت الالات من مصر والمتولي عليها يومئذ الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز عز الدين ايبك الصالحي ووصلت آلات وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور بن عمر بن علي بن رسول فعملوا الى باب السلام ثم عزل صاحب مصر آخر سنة ٦٥٧ وتولى مكانه مملوك ابيه الملك المظفر وقتل بعد نحو احد عشر شهراً ولم تتم عمارة المسجد وتولى مكانه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي البندقداري فكمل في ايامه سقف المسجد (وقال السمهودي) ان السلطان المذكور لما حج سنة ٦٦٧ أراد ان يجعل على الحجرة الشريفة مقصورة فعملها وأرسلها سنة ٦٦٨ وعمل لها ابواباً وكانت نحو القامتين فزاد عليها الملك العادل زين الدين كتبغا في سنة ٦٩٤ شباكا دائراً عليها حتى وصلها بسقف المسجد وقد صارت هذه

المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة وأبوابها وقناديلها بأبواب الحجرة وقناديلها .

ثم عملت القبه الزرقاء وهي (اول قبة) عملت على الحجرة الشريفة (قال السمهودي) في وفاء الوفا (١) لم يكن قبل حريق المسجد الأول وما بعده على الحجرة الشريفة قبة بل كان حول ما يوازي الحجرة النبوية في سطح المسجد حظير مقدار نصف قامة مبنياً بالاجر تميزاً للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد واستمر ذلك الى سنة ٦٧٨ في ايام الملك المنصور قلاوون الصالحي فعملت (القبة الزرقاء) وهي مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب اقيمت على رؤوس السواري وسمر عليها الواح من خشب ومن فوقها الواح الرصاص وفيها طاقة يرى المبصر منها سقف المسجد الأسفل وحولها على سقف المسجد ألواح رصاص ويحيط بها وبالقبة درابزين خشب مكان الحظير الاجر (قال) ورأيت في الطالع السعيد الجامع اسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد في ترجمة الكمال احمد بن البرهان عبد القوي الربعي ناظر قوص انه بنى على الضريح النبوي هذه القبة المذكورة قال وقصد خيراً وتحصيل ثواب انتهى (أقول) ولم ينقل عن احد من اهل العلم والدين الذين كانوا في زمانه انهم انكروا ذلك لكون البناء على القبور وعقد القباب عليها شركا او محرما وكانت البلاد الإسلامية سيما الحرمين الشريفين غاصة بالعلماء (اما) ما حكاه السمهودي في وفاء الوفا من قول بعضهم انه اساء الأدب بعلو النجارين ودق الخشب فخارج عن المقام ان لم يكن مؤيداً لما نقوله من وجوب احترام قبر النبي (ص) ومخالفا لما تقوله الوهابية أو هو لازم قولهم من سقوط حرمة قبره (ص) مع ان هذا القول جمود وغباوة من قائله لأن علو النجارين ودق الخشب ليس فيه قلة احترام للمرقد الشريف لأنه مقدمة وواسطة لإعلاء شأنه ورفع مناره فهو عين الإعظام والاحترام مع ان الضرورات تبيح المحذورات فما هو الا كصعود امير المؤمنين علي عليه السلام على منكب النبي (ص) يوم فتح مكة لإلقاء الأصنام عن ظهر الكعبة ولو كان ذلك منافيا للأدب لما أوصى الصاحبان ان يدفنا بجنب النبي (ص) ولما نفذ الصحابة هذه الوصية مع استلزامها الضرب بالمساحي والمعاول والدق

---

(١) صفحة ٤٣٥ ج ل.

والعنيف بجنب القبر الشريف مع ان ام المؤمنين كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله (ص) كما مر في هذا الفصل وسيأتي عن كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ان باني هذه القبة قلاوون الصالحي ولعل الاشتباه حصل من بنائها في ايامه (قال السمهودي) وقد جددت في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فاختلت الألواح الرصاص عن وضعها فخشوا من كثرة الأمطار فجددت واحكمت في ايام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة ٧٦٥ وقال قبل ذلك انه حصل خلل في سقف الروضة الشريفة وسقف المسجد في دولة الظاهر جقمق فجدد ذلك في سنة ٨٥٣ وما قبلها على يد الأمير برد بك الناصر المعمار وغيره (قال) وظهر في بعض أخشابها خلل سنة ٨٨١ فعضدها متولي العمارة الشمسي بن الزمن بأخشاب سمرت معها وقلع ما حولها من الواح الرصاص التي على أعلى السطح بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره فوجدوا الأخشاب تحتها قد تأكلت فأصلحوها واعادوا الألواح واضافوا اليها كثيراً من الرصاص وجددوا الدرابزين وكانت مياه الأمطار تتسرب من بين تلك الألواح وتصل الى سقف الحجرة الشريفة وأثرت في الشباك الذي بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز فتأكل بعضه فأصلحه وفي الستارة التي على سقف الحجرة الشريفة فتأكل بعضها (وذكر) السمهودي ايضاً في وفاء الوفا(١) ما يستفاد منه : انه لما ورد شاهين الجمالي المدينة المنورة منصرفه من جدة أروه الحائز المخمس على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم فتقرر انه ليس بضروري لأنه شق قديم في طول الحائط لا في عرضه مملوء بالجص والحائط ليس عليه سقف ثم في سنة ٨٨١ وردت المراسيم من الملك الأشرف قاتباي صاحب مصر بتفويض امر العمارة للجناب الشمسي بن الزمن (الى ان قال) ثم كان ما تقدم من نقض الرخام المؤزر به جدار الحجرة الظاهر وتجديده فظهر الشق المتقدم ذكره وهو انشقاق قديم سد الأقدمون خلله بكسر الآجر وافرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة فانشق البياض من رأس وزرة الرخام الى رأس الجدار فقشروا البياض واخرجوا ما في خلله من الجص والاجر فظهر بناء

---

(١) صفحة ٤٤٢ ـ ٤٥٣ ج ١ .

الحجرة المربع الذي هـو جـوف البنـاء المخمس المذكـور وظهـر شق في جـدار الحجـرة الداخل تدخل اليد فيه فعقدوا لذلك مجلساً حضره العلماء والقضـاة والمشـائخ والخدام وشيخهم وقر رأيهم على الهدم والبناء فشرعوا في الهدم والتنظيف وظهر من وصف البنـاء الداخل ما قدمناه من كونه مربعا بأحجار منحوتة ولا باب فيه ولا موضع باب وتبين مـا في الجدار الداخل من الانشقاق في موضعين فعزم متولي العمارة على هدم جدار الحجـرة الداخل من جهة الشام بأجمعه فبدأ بـرفع السقف الـذي وجـد على الحجـرة نفسهـا ثم عزموا على عقد قبة سفلية (أي تحت القبة الـزرقـاء المقـدم ذكـرهـا) على جـدار الحجـرة الداخل رعاية للإتقان والإحكـام فشرعـوا في هـدم الجدار الشـامي والشرقي من البنـاء الداخل فوجدوا في بعض الجدر لبناً غير مشوي طـول اللبنـة ارجح من ذراع وعـرضهـا نصف ذراع وسمكها ربع ذراع وطول بعضه وعرضـه وسمكـه واحـد وهـو نصف ذراع (قال) وظهر لي ان السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالأحجار لقصد الإحكام والبقاء وكان ما عدى الأساس منها مبنيـاً بـاللبن في عهـده (ص) وضعـوا في البنـاء بعض اللبن بين الأحجار للبركة والعجب ان الشق لم يظهر الا في الجهة الخالية من اللبن والذي يظهر ان تلك الجهـة سقطت واعيـدت لاختـلاف البنـائين حتى ان الجدار الشرقي لم يكن مبنيـا بالحجارة الموجهة الا من داخله دون خارجه وكتبوا محضراً وارسلوه الى ملك مصر بصـورة الحال ثم هدموا من الجدار القبلي مما يلي المشرق جانبا نحـو اربعـة اذرع حتى بلغـوا بـه ارض الحجرة وهدموا من الجدار الغربي مما يلي الشـام نحـو خمسـة اذرع حتى بلغـوا بـه الأرض وذلك ليتأتى لهم احكـام القبـة التي عـزمـوا عليهـا ولم يبق من اركـان الحجـرة الشريفة سوى مجمع جداري القبلة والمغرب ثم هـدمـوا من علـو مـا بقي من الجدارين المذكورين نحو خمسة اذرع فلم يبق من بناء الحجرة الا ما فضل منهما وراموا تربيع القبـة فعقدوا قبوا على نحو ثلث الحجرة من جهة الشرق لأنها من تلك الجهـة اطـول وعقـدوا القبة على ما بقي من الحجرة بالأحجار المنحوتة من الحجر الأسـود وكملـوهـا بـالأبيض وارتفاعها من داخل ارض الحجرة الشريفة الى اعلاها المغروز فيه هلالها اثنـا عشر ذراعـا بذراع العمل وارتفاع حائطها عن طرف القبو الـذي بني عليـه الحائط ذراعـان الا ثلث بذراع العمل وبيضوا تلك القبة وجميع جدرانها من خارجها بـالجص ونصبـوا بأعـلاهـا هلالا من نحاس وهو قريب من سقف المسجد الأول فان هـذه القبـة تحتـه فصـار على

القبر الشريف قبتان هذه القبة والقبة الزرقاء التي فوقها وكان شروعهم في هدم الحجرة الشريفة في الحادي عشر او الرابع عشر من شهر شعبان سنة ٨٨١ وشروعهم في اعادة بناء الحجرة في السابع عشر منه من السنة المذكورة وفراغهم من بناء الحجرة والقبة سابع شوال من تلك السنة ثم احترق ذلك كله في حريق المسجد الثاني انتهى ما يستفاد من كلام السمهودي.

الحريق الثاني في المسجد النبوي الشريف
(وعمل القبة البيضاء)

قال السمهودي(١) ما حاصله: انه في الثلث الأخير من سنة ٨٨٦ ليلة الثالث عشر من شهر رمضان احترق مسجد النبي (ص) في المدينة المنورة وسبب ذلك ان رئيس المؤذنين شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلل حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالريسية وصعد المؤذنون بقية المنائر وقد تراكم الغيم فحصل رعد قاصف ايقظ النائمين وسقطت صاعقة اصاب بعضها هلال المنارة المذكورة فأودت بحياة الرئيس ومات لحينه صعقاً وسقطت في المسجد ولها لهيب كالنار فأصابت سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبته ثقباً كالترس وعلقت النار فيه وفي السقف الأسفل ونودي بالحريق في المسجد فاجتمع أمير المدينة الشريف زين الدين فيصل الجمازي وأهلها وصعد اهل النجدة بالمياه لاطفائها فعجزوا عن ذلك فحاولوا قطعها بهدم بعض ما امامها فسبقتهم ومات بسبب ذلك بضعة عشر نفسا واحترقت المنارة الرئيسية واحترقت ثياب الرئيس بعد موته وصار المسجد كالتنور واستولى الحريق على جميع سقفه وحواصله وما فيه من خزائن الكتب الا اليسير الذي امكنهم اخراجه ولما اشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التي بسقف المسجد الأعلى واحترقت أخشابها وما يحاذيها من السقف الأسفل والشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز وسقط ما سقط من ذلك على القبة السفلى فلما أصبحوا بدؤا بإطفاء ما

(١) صفحة ٥٤٤ ج ل.

سقط على القبة المذكورة فسلمت وسقط من المسجد مائة وبضع وعشرون اسطوانا وما بقي اثرت فيه النار وسلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة واحترقت المقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر وغير ذلك وكتبوا الى سلطان مصر الملك الأشرف قاتباي بذلك ونظفوا ما حول الحجرة الشريفة وأداروا عليها جدارا من الاجر في موضع المقصورة المحترقة وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وأبوابها (ولما) وصل الرسول الى مصر وعلم سلطانها بذلك عظم عليه وامر بتنظيف المسجد واهتم في امر العمارة وأمر بابطال عمائره المكية وبتوجه القيم عليها الأمير سنقر الجمالي صحبة الحاج الأول بما يزيد عن مائة صانع مع كثير من الدواب والجمال وصحبته وصحبة اخيه الشجاعي شاهين والأمير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف عشرون الف دينار وشرع السلطان في تجهيز الالات والمؤن حتى كثرت في الطور وينبع والمدينة الشريفة وجهز شمس الدين بن الزمن متولي العمارة الأولى في ربيع الأول سنة ٨٨٧ ومعه اكثر من مائتي جمل ومائة دابة وأزيد من ثلثمائة صانع وشرعوا في الهدم والتعمير فعمروا المسجد وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد وعقود من الاجر وهي (القبة البيضاء) بدلا عن القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق (والظاهر انهم بنوها من الحجر او الاجر لا من الخشب) وكانت تلك على رؤوس السواري وجعلوا تلك الدعائم في موازاة الأساطين التي كان بينها درابزين المقصورة واحدثوا اسطواناً في جانب مثلث الحجرة من بناء عمر بن عبد العزيز ليشتد به العقد الذي عليه القبة في تلك الناحية وزادوا دعامتين وعقداً الى جانب الأسطوانتين اللتين في جهة الوجه الشريف خشية من سقوط القبة وأبدلوا بعض الأساطين بدعائم وأضافوا الى بعضها اسطوانة اخرى وعقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق والشام وجعلوها قبوا بدل السقف واعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وأزالوا البناء الذي عمله اهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة وأبدلوا ما يلي القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزرد وجعلوا لبقيتها مما يلي الشام مشبكا مشاجراً من الحديد وفاصلا عن يمين مثلث الحجرة ويساره فيه بابان وكمل تعمير المسجد في اواخر شهر رمضان عام ٨٨٨ ثم ان القبة تشققت من اعاليها فرممت ثم تشققت ولم يفد فيها الترميم فأرسل الملك الأشرف ـ الشجاعي شاهين الجمالي لما اشتمل عليه من الفضل

والنبل واصابة الرأي وفوض اليه النظر في امرها فورد المدينة الشريفة في موسم عـام ٨٩١ فاقتضى الحال هدم اعالي القبة فاتخذوا في الطاقات المحيطـة بجـوانبهـا سقفـاً يمنع من سقوط ما يهدم منها الى ارض الحجرة الشريفة ثم شرع في هدمها واعادتها بحيث لم يـرفع كسوة الحجرة الشريفة فجاءت القبة حسنة مع الإتقان حتى انـه استصحب الجبس من مصر واستعمله في البناء وكملت في عام ٨٩٢ ثم حكى عن ابن النجار انه قال ولم يـزل الخلفاء من بني العباس ينفذون الأمراء على المدينة الشريفة ويمدونهم بالأموال لتجديـد ما ينهدم من المسجد النبوي (ولا شك ان الحجرة الشريفـة وقبتهـا من جملـة ذلك) فلم يزل ذلك متصلا الى ايام الناصر لدين الله أي الخليفة في زمنه فانه ينفـذ في كل سنـة من الذهب العين الإمامي الف دينار لعمارة المسجد وينفذ من الصناع عدة لكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف وينفذ من الحديد والـرصـاص والالات شيئا كثيراً (قال) ولما انتقل امر المدينة الشريفة الى ملوك مصر لم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف انتهى ما اقتطفناه من كلام السمهودي في وفاء الـوفـا الـذي كـان عمل القبة البيضاء بدل الزرقاء في عصره ولم يـزل ملـوك بني عثمان الـذين كـانت اليهم الخلافة الإسلامية يبعثون بالأموال الكثيرة لعمارة قبر النبي (ص) وحجرته وقبته ومسجده وقد جدد عمارة المسجد والقبـة الشريفـة النبـويـة بـالبنـاء المحكم الموجـود اليـوم منهم السلطان عبد المجيد وابتدأ بذلك سنة ١٢٧٠ واستمر في تعميره نحو اربع سنين والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان قاتباي سلطـان مصر وأمـر ببنـاء قبـة ائمـة البقيع بعين البناء الذي تبنى به قبة جدهم صلى الله عليه وعليهم وسلم فعارض في ذلك اهل المدينة ومنعوا من بناء قبة أئمـه البقيع وتغييرهـا واعتلـوا بـان حـولها قبـور آبـائهم واجـدادهم ويصيبها ضرر بواسطة الهدم والتعمير كما انه لما عمل في زماننا شباك لضريحهم الشريف باصفهان من الفولاذ الدقيق الصنعة وبأعـاليـه الاسماء الحسنى بـالخط الجميل المذهب واستأذنت الدولة الإيرانية من الدولة العثمانية في وضعه على ضريحهم المقدس فأذنت لها ولما جـاء بـه السيـد علي القطب رحمه الله الى جـدة عـارض اهل المدينـة في وضعـه على الضرائح المقدسة فبقي في جدة ثلاثة اعوام حتى بذل الإيـرانيـون مبلغـا عظيما من المال لأهل المدينة فرضوا بنقله ووضعه ولما حمل الى المدينة المنورة ارادوا إزالة الصنـدوق الخشب الموضـوع على القبـور الشريفـة ووضعـه مكـانـه فمنع اهل المدينـة من ذلك بحجـة ان

الصندوق الخشب وقف لا يجوز تغييره فاضطروا الى وضعه خارج الصندوق فنقصت الواحه الفولاذية بسبب ذلك فاضطروا الى اكماله بقطعة من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه والكتابة عليها وقد رأيت القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصرة عنه في الرونق عند تشرفي بزيارة المدينة المنورة بعد الحج عام ١٣٢١ وبعد ذلك عند تشرفي بزيارتها من دمشق عام ١٣٣٠ وبقي هذا الشباك حتى ازاله الوهابية عام ١٣٤٣ حين استيلائهم على المدينة المنورة وهدمهم لقبة أئمة البقيع وقبورهم المقدسة وتشويههم لمحاسن تلك البقعة الشريفة في التاريخ المتقدم وبما بيناه وأوضحناه من ان بناء الحجرة الشريفة كان قبل موت النبي (ص) وفهم مما رووه عنه ايصاؤه بدفنه فيها وتتابع الصحابة والتابعون وتابعوهم والمسلمون الى يومنا هذا في بنائها وبناء القباب عليها ظهر لك بطلان ما ذكره محمد بن اسماعيل اليماني في رساته تطهير الاعتقاد بقوله: فان قلت هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة عظيمة انفقت فيها الأموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فان هذه القبة ليس بناؤها منه (ص) ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء امته وأئمة ملته بل هذه القبة من أبنية بعض ملوك مضر المتأخرين وهو قلاوون الصلاحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ذكره في تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة فهذه امور دولية لا دليلية يتبع فيها الاخر الأول انتهى وذلك ان هذه القبة وان بناها قلاوون الصلاحي الا انه تبع في بنائه أصحاب النبي (ص) الذين دفنوه في حجرة مبنية ثم بنتها عائشها وعمر وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وتتابع المسلمون في بنائها وفيهم التابعون وتابعوا التابعين وعلماء الأمة وأئمة الملة وكانوا يستشيرون العلماء والأئمة في ذلك بل تكتب اليهم العلماء وتطلب منهم ذلك كما عرفته في تضاعيف ما ذكرناه من تاريخ بناء الحجرة من مبدئه الى منتهاه وبذلك تعلم انها امور دليلية لا دولية كما زعم (فتحصل) من مجموع ما ذكرناه ان تعظيم قبر النبي (ص) وقبور سائر الأنبياء ببناء القباب عليها وعمل الشباك والكسوة وغير ذلك مما يأتي راجح شرعا لا مانع منه ولا يعد عبادة لها كما توهمه الوهابية لأنها مما أمر الله بتعظيمه فتعظيمها عبادة لله وطاعة له كما بيناه في فصل مطلق تعظيم القبور (أما) باقي ما اشتملت عليه الفتوى من اتخاذ القبور مساجد واسراجها والتمسح والطواف بها وتقبيلها فسيأتي الكلام عليها في الفصول الخاصة بها واما الذبح والنذر ودعاء اهلها فقد مر الكلام عليها كل في

فصله الخاص به واما التوجه الى حجرة النبي (ص) عند الدعاء فمر الكلام عليه في آخر فصل التوسل واما التذكير والترحيم في الأوقات المذكورة فمر الكلام عليه في الباب الأول.

الفصل العاشر

في الكتابة على القبور

وهذا مما منعه الوهابية محتجين بما رواه ابن ماجة عن عبد الله بن سعيد عن حفص بن غياث عن ابن جريح عن سليمان بن موسى عن جابر نهى رسول الله (ص) ان يكتب على القبور شيء وبما مر في الفصل التاسع من رواية الترمذي نهى رسول الله (ص) ان تجصص القبور وان يكتب عليها ورواية ابي داود انه (ص) نهى ان يجصص القبر او يكتب عليه ورواية النسائي نهى رسول الله (ص) ان يبنى على القبر الى قوله او يكتب عليه.

والجواب (اولا) بضعف السند فحديث ابن ماجة في سنده حفص بن غياث وابن جريح وقد علمت حالهما في الفصل التاسع وفيه سليمان بن موسى عن جابر وهو مرسل (قال ابن حجر) في تهذيب التهذيب ارسل سليمان بن موسى عن جابر وقال ابن معين سليمان بن موسى عن جابر مرسل وقال ابو حاتم في حديثه بعض الاضطراب وقال البخاري عنده مناكير وقال النسائي ليس بالقوي في الحديث وقال في حديثه شيء انتهى وباقي الأحاديث قد عرفت حالها في الفصل التاسع والحاكم وان صحح بعضها كما ستعرف فالجرح مقدم على التعديل فهذا حال الأحاديث التي يعتمد عليها الوهابية في مخالفة سيرة المسلمين وتضليلهم (ثانيا) انها محمولة على الكراهة في صورة لا يكون للكتابة فائدةاما مع الفائدة ليعرف فيتعاهد بالزيارة والاستغفار واهداء ثواب القراءة وغير ذلك فلا وقرينة الكراهة جمعها مع غيرها مما ثبتت كراهته كما مر في الفصل التاسع ويمكن حمل الكتابة على كتابة الايات القرآنية واسماء الله تعالى خوفا عليها من الإهانة (ثالثاً) انه لم يعمل بها أحد من المسلمين وعملهم مخالفا لها وما هذا حاله من الأخبار لاحجة فيه باعتراف الوهابية لاشتراطهم في حجية الخبر عدم الشذوذ والعلة كما مر في

الفصل التاسع وكفى بها ذكر شذوذاً وعلة (قال) محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي في حاشية سنن النسائي (١) عند قوله أو يكتب عليه؛ قال الحاكم بعد تخريج هذا الحديث في المستدرك الإسناد صحيح وليس العمل عليه فان أئمة المسلمين من الشرق والغرب يكتبون على قبورهم وهو شيء اخذه الخلف عن السلف وتعقبه الذهبي في مختصره بأنه محدث ولم يبلغهم النهي انتهى وهذا الاعتذار الذي ذكره الذهبي ليس بصحيح اذ من اين لنا العلم بأنه لم يكن في الزمن الأول مع انه يكفي اتفاقهم عليه في عصر من الأعصار لأنه يصير بذلك اجماعا فكيف باتفاقهم اعصاراً وقرونا متعددة وقوله لم يبلغهم النهى مقطوع بفساده فهذا النهي كان معلوما عند العلماء ولولاهم لم يصل الينا (ويدل) على استمرار السيرة على الكتابة على القبور من عهد بعيد ما في وفاء الوفا عن المسعودي في مروج الذهب ان ابا عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين توفي سنة ثمان واربعين ومائة ودفن بالبقيع مع ابيه وجده قال وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي وعلي بن الحسين بن علي وقبر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام) انتهى وذكر ما يقتضي انه حين ذكر هذا كان في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفيه) عن ابن شبة عن زيد بن السائب عن جده قال لما حفر عقيل بن ابي طالب في داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه هذا قبر ام حبيبة بنت صخر بن حرب فدفن عقيل البئر وبنى عليه بيتاً قال ابن السائب فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر (ثم قال السمهودي) روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال سمعت من يذكر ان قبر ام سلمة (رض) بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي وانه كان حفر فوجد على ثمانية اذرع حجرا مكسورا مكتوبا في بعضه ام سلمة زوج النبي (ص) فبذلك عرف انه قبرها وامر محمد بن زيد بن علي اهله ان يدفنوه في ذلك القبر بعينه (قال) وروى ابن زبالة عن ابراهيم بن علي بن حسن الرافعي قال حفر لسالم البانكي مولى محمد بن علي فاخرجوا حجرا طويلا فاذا فيه

---

(١) صفحة ٢٨٥ ج ل.

مكتوب هذا قبر ام سلمة زوج النبي (ص) فأهيل عليه التراب وحفر لسالم في موضع آخر (قال) وعن حسن ابن علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي انه هدم منزله في دار علي بن ابي طالب قال فأخرجنا حجرا مكتوبا فيه هذا قبر رملة بنت صخر فسألنا عنه فائدا مولى عبادل فقال هذا قبر ام حبيبة بنت ابي سفيان قال ويخالفه ما تقدم من ان قبرها في دار عقيل ولعله تصحف بعلي انتهى ويتضح من ذلك جليا ان الكتابة على القبور سيرة المسلمين من عهد الصحابة وما بعدهم فعقيل من الصحابة وقد وجد الحجر المكتوب على قبر ام حبيبة ومحمد بن زيد وجده على قبر ام سلمة.

الفصل الحادي عشر

(في اتخاذ المساجد على القبور واتخاذها مساجد)

اعلم انه قد ورد في بعض الأخبار ما يفيد النهي عن ذلك (روى النسائي) اخبرنا قتيبة حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (وروى ابن ماجة) حدثنا ازهر بن مروان ثنا عبد الوارث ثنا محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس لعن رسول الله (ص) زوارات القبور (ورواه) ابن ماجة بأسانيده عن سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن ابيه مثله. حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ابو نصر ثنا محمد ابن طالب ثنا ابو عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة مثله (ورواه ابو داود) بلفظ زوارات القبور على ما نقله ابن تيمية في رسالة زيارة القبور وكذا ابن ماجة كما سمعت (وفي صحيح البخاري) باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور لما مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رفعت ثم ذكر حديث عائشة عن النبي (ص) لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مسجداً قالت ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير اني أخشى ان يتخذ مسجداً (ورواه مسلم) الا انه قال مساجد فلو لا ذلك لأبرزقبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً (ورواه مسلم) والنسائي ايضاً الى قوله قالت وفي بعضها يحذر مثل ذلك (وفي رواية) لمسلم قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وفي رواية له) الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور

مساجد اني انهاكم عن ذلك (وروى النسائي) بسند فيه قتادة عن سعيد بن المسيب (١) لعن الله قوما اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وبسنده) لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وروى) البخاري ان ام سلمة وام حبيبة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة اسمها مارية فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فقال رسول الله (ص) اولئك اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شر الخلق عند الله (ورواه) مسلم والنسائي نحوه وقالا فيها تصاويد وقالا عند الله يوم القيامة (وعن الموطأ) وغيره عنه (ص) اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وأول) من فتح باب اتخاذ القبور مساجد للوهابية هو ابن تيمية ككثير من معتقداتهم فانه بعدما أورد في رسالة زيارة القبور (٢) روايات الموطأ ومسلم وابي داود وغيرها مما مر قال ولهذا قال علماؤنا لا يجوز بناء المسجد على القبور ثم قال ان الايات والأخبار الواردة في المساجد لم يرد مثلها في المشاهد بل ورد النهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك انتهى ويأتي تمامه في الفصل الثالث عشر ولا يخفى ان تشدد ابن تيمية في امر المشاهد انما هو حنق منه على الشيعة الذي لا يألو جهداً في التعصب عليهم بالباطل فان الرجل لا يقف به تعصبه عند حد وقد بلغ به حنقه على اتباع أئمة اهل البيت الطاهر ان أنكر جملة من مناقب امير المؤمنين (ع) وفضائله المتواترة حتى فضل ضربته يوم الخندق كما فصلناه في فصل البناء على القبور وجاء في كتابه الذي سماه منهاج السنة بالغرائب ومما جاء فيه بشأن المشاهد قوله: الرافضة بدلوا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمؤمنين ومر له كلام آخر بشأن المشاهد في اواخر الباب الثاني. والله تعالى وعباده يعلمون انه غير صادق في ذلك فالشيعة وحدها لم تعمر المشاهد بل شاركها في ذلك جميع المسلمين حتى

---

(١) قتادة رمي بالقدر وبأنه حاطب ليل يأخذ عن كل احد وبأنه حدث عن ثلاثين رجلا لم يسمع منهم الى غير ذلك مما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب ثم قال: قال اسماعيل القاضي في احكام القرآن: سمعت علي بن المديني يضعف احاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفا شديداً وقال احسب ان اكثر ما بين قتادة وسعيد فيها رجال انتهى ولعلنا لو بحثنا عن باقي اسانيد هذه الأخبار نجد فيها أمثال هذا كثيراً لكن لم يتسع لنا الوقت للبحث عن جميعها (المؤلف).

(٢) صفحة ١٥٩ ـ ١٠٦ طبع المنار بمصر.

الناصبة امثال ابن تيمية وذلك معلوم مشاهد لا يشك فيه احد والشيعة لم تعطل المساجد هذه بلادهم ومدنهم وقراهم مساجدها معمورة تقام فيها الصلوات والجماعات في جميع اقطار المعمورة (ثم) انه يظهر من مجموع كلماته هذه انه يحمل جعل القبور مساجد على ما يعم الصلاة عندها وفي مشاهدها وبناء مسجد عليها ويحمل على الأخير النهي عن اتخاذ المساجد عليها كما يظهر من قوله ولهذا قال علماؤنا الخ وتبعه على ذلك تلميذه ابن القيم الجوزية فانه قال في كتابه زاد المعاد (١) على ما حكي عنه ما ملخصه ان النبي (ص) حرق مسجد الضرار وأمر بهدمه فكذلك مشاهد الشرك احق بذلك وأوجب والوقف لا يصح على غير بر ولا قربة فيهدم المسجد اذا بني على قبر كما ينبش الميت اذا دفن في المسجد فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر بل ايهما طرأ على الاخر منع منه وكان الحكم للسابق انتهى.

واعتماداً على هذه الأحاديث هدم الوهابية المسجد الذي عند قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحد بعدما هدموا القبة التي على القبر وأزالوا تلك الاثار الجليلة ومحوا ذلك المسجد العظيم الواسع فلا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم الا اثر قبر على تل من التراب لاعتقادهم ان ذلك محرم بل شرك وكفر واستندوا في فتواهم المنسوبة الى علماء المدينة بعدم جواز اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها المتقدمة في الفصل التاسع الى الحديث الأول من هذه الأحاديث كما عرفت ولم يبينوا ما هو مرادهم من اتخاذها مساجد ولعل مرادهم ما يظهر من ابن تيمية كما تقدم فانه قدوتهم واول باذر لبذور مذهبهم (والجواب) عن الحديث المذكور الذي استندوا في فتواهم اليه ومنه يعلم الجواب عن الباقي (اولا) بعدم صحة السند على رواية النسائي (فعبد الوارث) وان وثقوه لكن رموه بأنه كان يرى القدر (اي الاعتزال) ويظهره وانه ذم لبدعته وانه لولا الرأي لم يكن به بأس وان الحسن بن الربيع قال كنا نأتي عبد الوارث بن سعيد فاذا حضرت الصلاة تركناه وخرجنا وان ابا علي الموصلي قال قلما جلسنا الى حماد بن زيد الا نهانا عن عبد الوارث نقل ذلك كله ابن حجر في تهذيب التهذيب (وابو

---

(١) صفحة ١٦ ج ٢.

صالح) مردد بين ميزان البصري وبين باذام مولى ام هاني بنت ابي طالب (والثاني) مقدوح فيه ففي تهذيب التهذيب في ترجمة ميزان البصري ابي صالح روى الترمذي في كتاب الجنائز من طريق عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس وذكر الحديث ثم قال فجزم ابن حبان ان اسم ابي صالح هذا ميزان ولم يذكر المزي ميزان هذا لأنه مبني على ان ابا صالح المذكور في الحديث هو مولى ام هاني كما صرح بذلك في الإطراف ويؤيده ان علي بن مسلم الطوسي روى هذا الحديث عن شعيب عن محمد بن جحادة سمعت ابا صالح مولى ام هاني فذكر هذا الحديث وجزم بكونه مولى ام هاني الحاكم وعبد الحق في الأحكام وابن القطان وابن عساكر والمنذري وابن دحية وغيرهم انتهى وقال في ترجمة باذام ابي صالح مولى ام هاني: قال احمد كان ابن مهدي ترك حديث ابي صالح وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن عدي لم اعلم احدا من المتقدمين رضيه وقال ابن المديني عن القطان عن الثوري قال الكلبي قال لي ابو صالح كلما حدثتك كذب وقال العقيلي ان المغيرة يعجب ممن يروي عنه وقال عبد الحق في الأحكام ان ابا صالح ضعيف جداوقال الجوز قاني انه متروك ونقل ابن الجوزي عن الأزدي انه قال كذاب وقال الجوزجاني كان يقال له ذو رأي غير محمود وقال ابو احمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وقال ابن حبان يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه انتهى ولا يفيد مع هذا قول ابن حجر في تهذيب التهذيب وثقه العجلي وحده لأن الجرح مقدم على التعديل (هذا) على رواية النسائي واما على رواية ابن ماجة الثانية (فعبد الله بن عثمان) وان وثقه بعضهم قال النسائي مرة ليس بالقوي وقال ابن حبان كان يخطىء وعن ابن معين احاديثه ليست بالقوية وعن علي بن المديني منكر الحديث ذكر ذلك كله ابن حجر في تهذيب التهذيب (وابن بهمان) وان ذكره ابن حبان في الثقات الا ان ابن المديني قال لا نعرفه كذا في تهذيب التهذيب (واما) على رواية ابن ماجة الثالثة ففي ميزان الاعتدال للذهبي محمد بن طالب عن ابي عوانة الوضاح لا يعرف روى عنه محمد بن خلف العسقلاني فقط انتهى (فهذه) حال الروايات التي يستند اليها الوهابية في فتاواهم ويكفرون بها المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم واعراضهم ويدعون انهم هم الموحدون وغيرهم المشركون فتأملوا ذلك ايها المنصفون (ثانيا) باضطراب المتن مع وحدة السند في الكل الدال على انه رواية واحدة فهو على

رواية النسائي زائرات القبور بصيغة اسم فاعل والمتخذين عليها المساجد والسرج وعلى رواية ابن ماجة زوارات القبور بصيغة المبالغة وبدون تلك الزيادة واي اضطراب في المتن اعظم من ذلك (ثالثا) بعدم الدلالة على ما توهموه من عدم جواز الصلاة عند القبور وفي مشاهدها وبناء مسجد عليها اذ الظاهر انه اشارة الى ما في رواية كنيسة الحبشة من قوله اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شر الخلق عند الله فاللام في قوله والمتخذين عليها المساجد للعهد ولما كان سبب الذم في رواية كنيسة الحبشة هو اتخاذهم قبور انبيائهم مساجد بتلك الحالة وهي تصويرهم الصورة وعبادتها والصلاة والسجود اليها او اليها والى القبر كما يصلى الى الوثن ويسجد له على ما هو الظاهر من تلك الرواية كان سببه في رواية والمتخذين عليها المساجد هو هذا وكما تكون رواية كنيسة الحبشة مفسرة للروايات التي اطلق فيها لعن اليهود وغيرهم على اتخاذ قبور انبيائهم مساجد تكون مفسرة لهذه الرواية اذ الروايات يفسر بعضها بعضا ويرشد الى ذلك قوله في رواية مسلم المتقدمة ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد الافلا تتخذوا القبور مساجد الخ فعقب النهي عن اتخاذها مساجد لما حكاه عمن كان قبلهم فدل باجلى دلالة على ان المنهي عنه من اتخذها مساجد هو ما كان من هذا السنخ ويرشد اليه ايضا ما في رواية الموطأ من تعقيبه ذم من اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لقوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد الدال على ان المراد من اتخاذها مساجد الصلاة اليها والسجود لها كما يصلى الى الأوثان ويسجد لها ويدل عليه قوله في رواية البخاري ومسلم ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير اني اخشى او غير انه خشي ان يتخذ مسجدا لظهوره في ان معنى اتخاذه مسجدا السجود اليه لا اتخاذ المسجد حوله وبذلك يظهر عدم صحة الاستدلال على ما زعموه برواية كنيسة الحبشة ولا بالروايات الأخر اذ الظاهر ان المراد في الجميع واحد وهو النهي عما كان يفعله السابقون من الصلاة الى قبر الأنبياء والصلحاء وصورها الموضوعة في قبلة المصلي والسجود لها كما يصلى الى الوثن ويسجد له وهذا لا يفعله احد من المسلمين ولا يجيزه اما الصلاة لله تعالى عند قبر او في مشهد طلبا لزيادة الثواب بشرف المكان الذي ثبت شرفه فلا مانع منه ولو لم يكن راجحا لم يكن محرما ولا تتناوله هذه الأخبار ولا تدل عليه كما لا تتناول مجرد وجود القبر في قبلة المصلي من دون قصد الصلاة اليه او الصلاة فوق قبر نعم هو مكروه كما يشير اليه

عنوان البخاري المتقدم واستشهاده بضرب القبة على قبر الحسن ويمكن حمل جعل المساجد على القبور على السجود عليها فانه مكروه كما عرفت وكما يفهم من عنوان البخاري السابق ولا ينافيه اللعن فانه لتشديد الكراهة اذ هو لغة الطرد وفاعل المكروه مطرود عن الثواب الحاصل له بتركه امتثالا لأمره تعالى وقد ورد لعن المسافر وحده والاكل طعامه وحده والنائم في البيت وحده وورد لعن الله المحلل والمحلل له وتسمية المحلل بالتيس المستعار رواه ابن ماجة (١) بأسانيده عن ابن عباس وعلي وعقبة بن عامر عنه (ص) قال السندي في حاشية سنن ابن ماجه المحلل من تزوج مطلقة الغير ثلاثا لتحل له والمحلل له هو المطلق والجمهور على ان النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة واجاب من يقول بصحته ان اللعن قد يكون لخسة الفعل فلعل اللعن هاهنا لأنه هتك مروءة وقلة حمية وخسة نفس اما بالنسبة الى المحلل له فظاهر واما المحلل فانه كالتيس يعير نفسه بالوطىء لعرض الغير وتسميته محللا يؤيد القول بالصحة انتهى ونسبته الى الجمهور ان النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة منظور فيه (قال) الخطيب الشربيني في الاقناع (٢) على مذهب الشافعي لو نكح بشرط انه اذا وطىء طلقها او فلا نكاح بينهما وشرط ذلك في صلب العقد لم يصح النكاح (الى ان قال) ولو تواطىء العاقدان على ذلك قبل العقد ثم عقدا بذلك القصد بلا شرط كره (وفي الحاشية) قوله لم يصح النكاح وعليه حمل حديث لعن الله المحلل والمحلل له وهذا عندنا (اي الشافعية) وأما عند المالكية فعلى ظاهره فلا يصح التحليل مطلقا بهذا الشرط سواء وقع في صلب العقد أو قبله انتهى وأنت ترى ان ذلك كله مع التصريح بالاشتراط لا مجرد النية كما فهم من كلام السندي مع ان الرواية مطلقة ولا دليل على التقييد ونظيره اطلاق الكفر على جملة من المعاصي مع انه ليست كذلك كما مر في المقدمات (قال القسطلاني) في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري انما صور اوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويتذكروا افعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور

---

(١) صفحة ٣٠٥ ج ل. (٢) صفحة ١٤٨ ج ٢.

ويعظمونها فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك (الى ان قال) وهو (أي قوله بنوا على قبره مسجدا) مؤل على مذمة من اتخذ القبر مسجداً ومقتضاه التحريم لا سيما وقد ثبت اللعن عليه لكن صرح الشافعي وأصحابه بالكراهة وقال البندينجي المراد ان يسوى القبر مسجداً فيصلى فيه وقال انه يكره ان يبنى عنده مسجد فيصلي فيه الى القبر واما المقبرة الداثرة اذا بني فيهامسجد ليصلى فيه فلم أر فيه بأساً لأن المقابر وقف وكذا المسجد فمعناهما واحد قال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا منع المسلمين من مثل ذلك فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه اليه فلا يدخل في الوعيد المذكور انتهى (وقال السندي) في حاشيه سنن النسائي: اتخذوا قبور انبيائهم مساجد أي قبلة للصلاة يصلون اليها أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها ولعل وجه الكراهة انه قد يفضي الى عبادة نفس القبر سيما في الأنبياء والأخيار وقال في موضع آخر مراده بذلك ان يحذر امته ان يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور انبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد اما بالسجود اليها تعظيما لها أو بجعلها قبلة يتوجهون في الصلاة اليها قيل ومجرد اتخاذ مسجد في جوار صالح غير ممنوع انتهى وقال النووي في شرح صحيح مسلم قال العلماء انما نهى النبي (ص) عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما ادى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والتابعون الى زيادة في مسجد رسول الله (ص) حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة الى ان دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة (رض) مدفن رسول الله (ص) وصاحبيه بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي اليه العوام ويؤدي الى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ولهذا قال في الحديث ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً انتهى (اقول) وكل هذه الكلمات متوافقة على ان المحرم من اتخاذ القبور مساجد هو السجود اليها تعظيما أو جعلها قبلة او نحو ذلك كما يدل عليه قول عائشة فلولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً والمراد بابراز قبره هدم الحجرة الشريفة التي عليه وجعله بارزاً ظاهرا يراه

الناس. وان الصلاة الى القبر لا بهذا القصد مكروهة وان اتخاذ مسجد بجوار صالح لا محذور فيه وان اخبار كنيسة الحبشة ظاهرة في ذمهم على تصوير الصور وعبادتها كما هو المألوف عند النصارى (وقول) النووي انهم لما احتاجوا الى زيادة في المسجد بنوا على القبر حيطانا مرتفعة الخ الظاهر انه اشارة الى الحظار الذي بناه عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة وجعله مزوراً من جهة الشمال بالصفة التي ذكرها النووي لأن حيطان الحجرة كانت محيطة بالقبر الشريف من أول الأمر كما مر في الفصل التاسع فقوله ثم بنوا جدارين اي بعد الفراغ من عمل الحظار المربع.

ومما يدل على ان النهي في هذه الأخبار مراد به الكراهة ذكر زائرات القبور أو زوارات القبور وتخصيص اللعن بهن دون الزائرين المحمول على الكراهة كما ستعرف تفصيل الكلام فيه في فصل الزيارة وهذا دليل اخر على جواز اللعن من الشارع على فعل المكروه فتحصل من ذلك ان هذه الأخبار بعد تسليم صحة أسانيدها لا ربط لها بما يحاوله الوهابية من عدم جواز البناء حول قبور الأنبياء وعقد القباب فوقها ووجوب هدمها (اولا) لأنه ليس احد من المسلمين يجعل ذلك مسجداً (ثانياً) لو فرض فلا دلالة لتلك الأخبار على عدم جوازه كما عرفت بل ولا على كراهته اذ المسجد يكون خارجا عن محل القبر ومحل القبر لا يصلى عليه ولا يجعل مسجداً وجعل المسجد بجوار قبر نبي او صالح لا مانع منه كما عرفت من تصريح علماء المسلمين بذلك والممنوع منه الصلاة اليه تعظيما له او السجود له ولا يفعل ذلك احد من ا لمسلمين انما يسجدون لله تعالى ويصلون الى القبلة (ومما يدل) بأقوى دلالة لا يمكن لأحد دفعها على ان اتخاذ مسجد حول القبر جائز ومستحب ما فعله المسلمون وتتابعوا عليه في سائر الأعصار من توسيع مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار قبره الشريف وحجرته المنيفة في وسط المسجد بعدما كانت بجانبه الشرقي فأصبح المسجد محيطا بها وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك وبقي كذلك الى اليوم بمرأى من علماء الأمة وصلحائها في كل عصر وكان المتولي لتوسيعه عمر بن عبد العزيز صالح بني امية وفاضلهم وعادلهم الذي قال في حقه ابن سعد صاحب الطبقات كان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثاً كثيراً وكان إمام عدل حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب وقال في تهذيب التهذيب: قال ميمون ابن مهران ما كانت العلماء عند عمر الا تلامذة وقال نوح بن قيس سمعت ايوب يقول

لا نعلم أحداً ممن ادركنا كان آخذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه وقال أنس ما رأيت احداً اشبه صلاة برسول الله (ص) من هذا الفتى الى غير ذلك من المدح العظيم الذي مدحه به حتى انه قال: قال ضمرة عن السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة خرج عمر بن عبد العزيز الى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده فسألته عنه فقال رأيته قلت نعم قال ما احسبك الارجلا صالحا ذلك اخي الخضر أتاني فاعلمني اني سألي امر هذه الأمة واني ساعدك فيه انتهى ولم يسمع ان أحدا من العلماء والفقهاء نهاه عن ذلك ولا افتى بتحريمه ولا جعله شركا وكفراً لا في عصره ولا بعد عصره الى اليوم قبل الوهابية وبذلك يعلم كذب قول ابن القيم السابق انه لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر الخ فان فيه رداً على اجلاء الصحابة الذين هم اعلم بسنة رسول الله (ص) منه ومن قدوته والذين يتغنى دائما هو وقدوته واتباعهما بانهم أتباعهم في دعواهم انهم سلفيون والذين يعتقد انهم كالنجوم بأيهم اقتدى اهتدى في جعلهم قبره (ص) في وسط المسجد بعد توسيعه وعلى جميع المسلمين الى اليوم الذين رضوا بذلك وأقروه فيلزم تخطئة الأمة جمعاء من عصر الصحابة الى اليوم وتصويب الوهابية وحدهم وما بال الوهابية لم يهدموا المسجد الذي حول قبر النبي (ص) ويجعلوا قبره الشريف خارجا عن المسجد وأقروا هذا المحرم المؤدي الى الشرك والكفر وقد صار الحجاز بأيديهم ولهم فيه الحول والطول واكتفوا باقامة بعض جنودهم حول الضريح المقدس بأيديهم عصي الخيزران يمنعون الناس من الدنو الى القبر الشريف ولمسه وتقبيله ومن لم يمتنع قرعوه بالخيزران وربما قرعوا بالخيزران على القبر الشريف اعلاما للزائر الغير الملتفت ان لا يدنو من القبر كما حدثنا بذلك جملة من الزوار ولا يمكنون احداً من الدنو الا ببذل بعض القطع الفضية فيشيرون اليه من طرف خفي اذا لم يرهم أحد فان كان المانع لهم خوف هياج الرأي العام الإسلامي فقد هاج عليهم بهدمهم لمشاهد أئمة المسلمين ولم يبالوا ولا بد انهم يوما ما فاعلوا ذلك اذا بقي الحجاز بأيديهم.

ومما يدل على جواز بناء المساجد عند قبور الصالحين أو على قبورهم تبركا بهم قوله تعالى: ﴿وقال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ في الكشاف: (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم انتهى ونحوه عن تفسير

الجلالين وعن البغوي في معالم التنزيل قال المسلمون نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لرب العالمين انتهى وعن ابن عباس قال المسلمون نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا انتهى وعن النيشابوري في غرائب القرآن ﴿الذين غلبوا على أمرهم﴾ وملكهم المسلم لأنهم بنوا عليهم مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم انتهى وفي مجمع البيان: (قال الذين غلبوا) يعني الملك المؤمن وأصحابه وقيل أولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد عن الجبائي (لنتخذن عليه مسجداً) متعبداً وموضعا للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه تبركا بهم ودل ذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين انتهى فقد حكى الله تعالى مقالة المسلمين من غير رد عليهم ولا انكار بل لعله ذكرها في معرض المدح فيكون ذلك تقريراً لها وإنما حكى الله تعالى قصص الماضين لتعتبر بها هذه الأمة وتقتدي بالحسن منه وتتجنب القبيح (ومن الغرائب) ما يحكى عن شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب انه قال بعد ذكر الاية هذا دليل على ان الذي غلبوا هم الكفار اذ لو كانوا مؤمنين ما أرادوا ان يتخذوا على قبور الصالحين مسجدا لأن النبي (ص) لعن فاعل ذلك انتهى فكأن معتقدات الوهابية عن هذا الرجل وحي منزل فلذلك تكون ناسخة للقرآن الكريم ويجب حمله عليها ولا يجوز تطبيقها عليه وهل يلتفت الى هذا الاحتمال السخيف بعد اطباق المفسرين على خلافه ومنه ابن عباس ترجمان القرآن وإمام المفسرين ومخالفته لظاهر الاية وسياقها كما يفهم مما مر مع ان ظاهر قوله تعالى: ﴿اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ ان الجميع كانوا متفقين على البناء الذي يحرمه الوهابية وانما كان التنازع في كيفيته فالوهابيون بمنعهم البناء على القبور قد خالفوا المسلمين والكافرين وقد نجى الله ذلك الملك المسلم ورعيته المسلمين في حياتهم فلم يكن في زمانهم وهابية والا لكفر وهم بعد اسلامهم وشركوهم بعد توحيدهم لبنائهم مسجداً على أهل الكهف وتبركهم بهم لكنهم لم يسلموا من الوهابيين بعد موتهم وبعد ان مضى على موتهم الوف مؤلفة من السنين فكفر وهم بعدما صاروا ترابا في قبورهم.

ومما يدل على جواز بناء المساجد على القبور ما في وفاء الوفا للسمهودي (١) عن ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران بسنده الى محمد بن علي بن ابي طالب في حديث ذكر فيه وفاة فاطمة بنت أسد ام علي بن ابي طالب (الى ان قال) فلما توفيت خرج رسول الله (ص) فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة (الحديث) قال السمهودي وقوله في موضع المسجد الخ يقتضي انه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان انتهى (وقوله) في موضع المسجد الخ الظاهر انه من كلام ابن الحنفية المتوفى سنة ٨١ فيكون المسجد قبل ذلك وفي وفاء الوفا (٢) قال عبد العزيز الغالب عندنا ان مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزة انتهى وقال قبل ذلك(٣) سيأتي عن عبد العزيز بن عمران انه كان على قبر حمزة قديما مسجد وذلك في المائة الثانية انتهى.

الفصل الثاني عشر

(في الإسراج على القبور)

وهذا مما منعه الوهابية محتجين بالحديث المتقدم في الفصل السابق (لعن الله زوارات القبور أو زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) واستناداً الى هذه الرواية منع الوهابيون اضاءة قبر النبي (ص) هذه السنة اعني سنة ١٣٤٦ بعدما كانوا يضيئونه في العام الماضي على ما اخبرنا به الحجاج (والجواب) عن هذا الحديث بضعف السند كما بيناه في الفصل السابق ومع تسليم السند فهو محمول على صورة عدم المنفعة لانصرافه الى ذلك فيكون تضييعاً للمال او على غير قبور الأنبياء والأولياء الذين دل الشرع على رجحان تعظيمهم احياء وأمواتا اما اسراجها لقراءة القرآن والأدعية والصلاة وانتفاع الزائرين والبائتين فيها فليس مكروها ولا محرما للنفع الظاهر في ذلك فيكون من التعاون على البر والتقوى المأمور به في الكتاب المجيد ويكون نظير ما حكي عن الترمذي انه روى عن ابن عباس ان النبي (ص) دخل قبرا ليلا فأسرج له سراج قال العزيزي في شرح

---

(١) صفحة ٨٨ ج ٢. (٢) صفحة ١١٥ ج ٢. (٣) صفحة ١٠٥ ج ٢.

الجامع الصغير (١) في شرح قوله (والسرج): محل ذلك حيث لا ينتفع بها الأحياء (الى ان قال) فان كان هناك من ينتفع بـه صح ذلك انتهى وقـال السنـدي في حـاشيـة سنن النسائي: والنهي عنه لأنه تضييع مال بلا نفع انتهى فدل على انـه لا نهي حيث يكـون هناك نفع (وقال) الشيخ الحفني في حاشية الجامع الصغير يحرم اسراج القنـديل على قبر الـولي ونحـوه حيث لم يكن ثم من ينتفع بـه لما فيـه من اضـاعـة المال لا لغـرض شرعي انتهى.

الفصل الثالث عشر

(في الدعاء والصلاة عند القبر الشريف وغيره) والتوجه اليه عند الدعاء

وهذا أيضاً مما منعه الوهابية وجعلوه شركا وكفراً (وقال) قدوتهم ابن تيمية في رسـالـة زيارة القبور (٢) ان الصحابة كانوا اذا جاؤوا عنـد قبر النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم يسلمون عليـه فـاذا أرادوا الـدعـاء لم يـدعـوا الله مستقبلي القبر الشريف بل ينحـرفـون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده كما في سائر البقاع (اي لا يتـوسلـون بـالنبي ص) (الى ان قال) ولهذا لم يذكر احد من أئمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشـاهـدهـا مستحبة ولا ان الصلاة والـدعـاء هنـاك افضل منهما في غيرهـا بل اتفقـوا كلهم على ان الصلاة في المساجد والبيوت افضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين سميت مشاهد او لم تسم ثم ذكر بعض الايات والأخبار الواردة في المساجد كقوله تعالى انما يعمر مسـاجـد الله وقوله (ص) من بنى لله مسجدا بنى الله لـه بيتـا في الجنـة وقـال انـه لم يـرد مثلهـا في المشاهد انتهى. (ونقول) يدل على جواز الصلاة والـدعـاء عنـد قبر النبي (ص) وقبـور سائر الأنبياء والصالحين عموم واطلاق ما دل على جواز الصلاة والدعـاء في كل مكـان ويدل على رجحان ذلك ما فهم من الشرع من رجحان الصلاة والدعاء ومطلق العبـادة في كل مكان ثبت شرفه في الشرع ولا شك في تشرف المكـان بـالمكين الموجب لتشرف قبر رسول الله (ص) بحلول جسده الشريف فيه ويدل عليه عمل المسلمين خلفا عن سلف

---

(١) صفحة ١٩٨ ج٣. (٢) صفحة ١٥٩ ـ ١٦٠.

ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبي (ص) قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الاية الشامل لحالتي الحياة والموت وان حرمته (ص) ميتاً كحرمته حياً كما قاله مالك للمنصور على ما مر في التوسل وذكر جميع علماء المسلمين من اهل المذاهب له في كتب المناسك وذكرهم الدعاء المشتمل على الاستشهاد بالاية المذكورة كما مر ولنعم ما قال شمس الدين الجزري في الحصن الحصين على ما حكي عنه ان لم يجب الدعاء عند النبي (ص) ففي اي موضع يستجاب انتهى وسيأتي في فصل زيارة القبور ان فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة في كل جمعة فتصلي وتبكي عنده (وفي رواية) انها كانت تزور قبور الشهداء بأحد بين اليومين والثلاثة فتصلي هناك وتدعو وتبكي وابن تيمية يقول لم يذكر احد من ائمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشاهدها مستحبة (واما استقباله (ص) عند الدعاء) فلا مانع منه لقوله تعالى اينما تولوا فثم وجه الله بل هو راجح بقصد التبرك بمواجهته المرجو معها استجابة الدعاء وبقصد التوسل والتشفع به الثابت رجحانه كما بيناه في تضاعيف ما مر بل يدل قول الإمام مالك للمنصور المتقدم في فصل التوسل على ان استقباله (ص) افضل من استقبال القبلة او مساوله ولا ينافي ذلك ما دل على ان افضل الجهات جهة القلبة لأن العام يخصص والمطلق يقيد وفي قول المنصور لمالك استقبل القبلة وادعوا ام استقبل رسول الله (ص) دلالة واضحة على ان الدعاء عند القبر الشريف كان مشهورا معروفا لا يشك احد في رجحانه وانما الذي توقف فيه المنصور ان استقبال القبلة حال الدعاء افضل ام استقبال القبر (أما) قول ابن تيمية لم يقل احد من أئمة المسلمين ان الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدها افضل منها في غيرها فيكذبه خبر مالك إمام دار الهجرة مع المنصور المشار اليه واما كون الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدها أفضل منهما في غيرهما فيكفي فيه ما دل على شرف تلك البقاع بشرف من دفن فيها الذي صار ملحقا بالضروريات في شرع الإسلام كما شرف جلد الشاة بكونه جلداً للمصحف وما الذي يمنع من الصلاة لله عندها والأرض كلها لله تعالى وقد قال النبي (ص) جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا والصلاة جائزة في كل بقاع الأرض سيما الشريفة منها بعد ان تكون لله تعالى والممنوع منه الصلاة الى القبر تعظيما له او السجود له كما مر في فصل اتخاذ المساجد على القبور اما الصلاة بقربه تبركا بالمكان المدفون فيه فلا مانع منها لثبوت شرف المكان بالمكين ضرورة

كما تكرر ذكره والعبادة لله لا للقبر كما ان الصلاة لله في المسجد طلبا لشرف المكان مستحبة وليست عبادة للمسجد فالمسلمون يصلون عند قبور شرفت بمن دفن فيها لتنالهم بركة اصحابها الذين جعلهم الله مباركين كما يصلون عند المقام الذي هو حجر شرف بملامسة رجل ابراهيم الخليل (ع) لقوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ الذي يفهم منه ان سبب اتخاذ المصلى عنده تبركه بقيامه عليه ويدعون الله عندها لشرفها أيضاً بمن دفن فيها فيكون دعاؤهم عندها ارجى للإجابة كالدعاء في المسجد او الكعبة او احد الأمكنة او الأزمنة التي شرفها الله ولكن ابن تيمية تعود سرد الدعاوى المنفية بلا دليل بل مصادمة للضرورة وتتابع ادوات النفي لترويج مدعياته كما ان دعواه اتفاق أئمة السلف كلهم على ان الصلاة في البيوت افضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين دعوى مجردة عن الدليل فمن هو الذي صرح بذلك من ائمة السلف فضلا عن كلهم فليأتنا بواحد منهم ان كان من الصادقين (وعن الخصائص الكبرى للسيوطي) في قصة المعراج عن النبي (ص) قال فركبت ومعي جبرئيل فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل ففعلت فقال أتدري اين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى انتهى ومنه يفهم ان محل ولادة عيسى ينبغي الصلاة فيه كطيبة وطور سيناء لفضله وبركته بولادة عيسىٰ فيه أفلا يكون المكان الذي بورك بوجود جسد النبي (ص) فيه مباركا مستحقاً لاستحباب الصلاة وعبادة الله تعالى فيه ولا يكون مكان ولادة النبي (ص) مستحقاً لأن يتبرك به بل مستحقا للهدم والمحو كما فعلته الوهابية به (وقال ابن القيم) تلميذ ابن تيمية في كتابه زاد المعاد على ما حكي عنه: ان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم الى ذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطىء اقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة انتهى فاذا كانت آثار اسماعيل وهاجر لأجل ما مسهما من الأذى مستحقة لجعلها مناسك ومتعبدات فآثار أفضل المرسلين الذي قال ما اوذي نبي قط كما اوذيت لا تستحق ان يعبد الله فيها وتكون عبادة الله عندها والتبرك بها شركا وكفراً. وقد كانت عائشة ساكنة في الحجرة التي دفن النبي (ص) وبقيت ساكنة فيها بعد دفنه ودفن صاحبيه وكانت تصلي فيها وذلك يبطل قول الوهابية بعدم جواز الصلاة عند القبور كما مر في فصل البناء على القبور.

الفصل الرابع عشر

(في تعظيم القبور وأصحابها والتبرك بها) بما لم ينص الشرع على تحريمه

(من لمس وتقبيل لها ولأعتاب مشاهدها وتمسح بها وطواف حولها ونحو ذلك)

وهذا مما منعه الوهابية وكفروا به المسلمين وأشركوهم وسموهم القبوريين وعباد القبور ونحو ذلك صرح به الصنعاني في كلامه السابق في الباب الأول حيث عد الطواف بالقبور والتبرك والتمسح بها من موجبات الشرك وانه كفعل أهل الجاهلية للأصنام والأوثان والوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك حيث جعلوا تعظيم قبور الأنبياء والأولياء ببناء القباب والإسراج والصلاة عندها وغير ذلك من الشرك وعبادة الأوثان وصرح بذلك ايضا غير من ذكر.

(ونقول) تعظيم قبور الأنبياء والصلحاء بل وسائر المؤمنين واصحابها احياء وامواتا بما لم ينص الشرع على تحريمه (١) راجح عقلا وشرعا لا مانع منه ولا محذور فيه لأنه من تعظيم شعائر الدين (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ولم يدل دليل على تحريمه فيبقى داخلا في العموم مع حكم العقل بحسن تعظيم كل قريب الى الله حيا وميتا ولا يعد ذلك عبادة لها كما توهمه الوهابية لأنه ليس كل تعظيم او خضوع او تذلل بقيام أو غيره يكون عبادة ويوجب شركا وكفراً او يكون محرما فقد عرفت في المقدمات ان العبادة المنهي عنها لغير الله والتي توجب الشرك والكفر ليست العبادة اللغوية قطعا التي تشمل مطلق التعظيم والخضوع وان تعظيم القبور ومن فيها والقيام والخضوع عندها لا يدخل في ذلك بل تعظيمها عبادة وطاعة لله تعالى لأن تعظيم من عظمه الله طاعة لله وعبادة وتعظيم له وخضوع له كما مر في المقدمات وليس عبادة للمعظم موجبة للشرك والكفر (أما) ان الأنبياء والصلحاء ممن يستحق التعظيم عنده تعالى وان لهم حرمة وشأنا وشرفاً وفضلا وبركة احياء وامواتا فلأنهم انبياء الله ورسله الذين اختارهم واجتباهم برسالته وميزهم على جميع خلقه وجعلهم امناء شرعه ودينه والصالحون هم

---

(١) مثل السجود لها والصلاة اليها كما يصلى الى الوثن (المؤلف).

احباء الله المطيعون لأمره ونهيه فحرمتهم احياء وامواتا لا يشك فيها مسلم وهو عند المسلمين ملحق بالضروريات فالنبي والصالح لا تسقط حرمته بموته وقد قال الإمام مالك للمنصور كما مر في فصل التوسل ان حرمة النبي (ص) ميتا كحرمته حيا واعترف الوهابية في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية بأن رتبة النبي (ص) أعلى مراتب المخلوقين وانه حي في قبره حياة برزخية وان من انفق نفيس اوقاته بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدارين وان كان المنقول عنهم كما مر انهم يقولون النبي طارش وعصا أحدنا انفع له منه الا ان ضرورة دين الإسلام تقضي بخلاف هذا وان المكان يتشرف بالمكين وينال به الفضل والبركة واذا ثبتت حرمة الأنبياء والصالحين احياء وامواتا فبدفنهم في مكان يكتسب ذلك المكان شرفا وفضلا وبركة ويستحق التعظيم كما يستحق جلد الشاة التعظيم بجعله جلداً للمصحف وينال البركة والفضل بمجاورة المصحف فيجب تعظيمه وتحرم اهانته وتنجيسه وكما ان من احترام المصحف احترام جلده فمن احترام الأنبياء والصلحاء احترام قبورهم المتشرفة بأجسادهم الشريفة فتعظيم هذه القبور واحترامها هو بأمر الله الذي جعلها محترمة معظمة لأنها قبور أنبيائه ورسله الذين أمر باحترامهم وتعظيمهم فيكون عبادة لله تعالى لأن كلما كان عن امر الله فهو طاعة وعبادة لله وذلك كتعظيم الأخ في الله واحترامه والأبوين وخفض جناح الذل لهما والمسجد والكعبة والحرم والمقام والحجر بكسر الحاء والحجر الأسود وغيرها (والحجر) هو منزل اسماعيل وأمه عليهما السلام ومدفنهما فان ابراهيم عليه السلام لما ذهب بهاجر واسماعيل الى مكة عمد بها الى موضع الحجر وأمرها ان تتخذ فيه عريشا ولما ماتت دفنها اسماعيل في الحجر فلما مات اسماعيل وعمره مائة وثلاثون عاما دفن مع امه في الحجر ذكر ذلك قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة نقلا عن الأزرقي (١) وقد أوجب الله احترام النبي (ص) غاية الاحترام فقال يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض (ولو كان) احترام قبور الأنبياء والصلحاء عبادة لها وشركا لكان تعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الأسود وتقبيله والحجر والمقام

---

(١) راجع صفحة ٢٢ و٢٧ من تاريخ مكة بهامش خلاصة الكلام.

والمساجد والمشاعر والأبوين وإطاعتهما وخفض جناح الذل لهما وغض الأصوات عند رسول الله (ص) وخفضه جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وسجود الملائكة لآدم وسجود اخوة يوسف وأبويه له وتعظيم الجنود لأمرائهم والصحابة للنبي (ص) وللخلفاء والأنبياء لابائهم وامهاتهم وقيامهم وخضوعهم لهم والوهابية للسلطان ابن سعود وغير ذلك كله عبادة لغير الله وشركا ولم يسلم من الشرك نبي فمن دونه (لا يقال) التعظيم الذي نص الشرع عليه وأمر به لا كلام لنا فيه انما الكلام فيما لم ينص عليه الشرع (لأنا نقول) اذا فرض ان كل تعظيم عبادة وكل عبادة لغير الله شرك يكون الله تعالى قد أمر بالشرك ورضيه وأحبه وذلك باطل لقبح الشرك عقلا ونقلا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ولا يمكن ان يرخص الله تعالى في الشرك وورود الأمر به لا يرفع الشركية لأن ما هو شرك قبل الأمر لا يصير توحيداً بالأمر به اذا الحكم لا يغير الموضوع كما مر في المقدمات مع انه كما يقال بورود الشرع بتعظيم هذه المذكورات يقال بوروده بتعظيم قبور الأنبياء والصالحين لما عرفت من ان فضلها وبركتها الموجب لتعظيمها ثابت بضرورة الشرع وكيف أمر الله بتعظيم المقام وما هو الاصخرة تشرفت بقيام ابراهيم عليه السلام عليها حين بناء البيت وبأثر قدمه ولم تكن وثنا معبوداً ولا معظمها كافراً ولا مشركا وكان معظم قبر ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وقبر محمد (ص) سيد ولد آدم اللذين حويا جسديهما الشريفين كافراً ومشركا سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم وتوهم ورود النهي عن تعظيم القبور بينا فساده في محاله (ويكفي) في حرمة القبور وشرفها وفضلها وبركتها ايصاء الصاحبين ان يدفنا مع النبي (ص) وقد عد دفنهما معه أعظم منقبة لهما ولو كانت القبور ليس لها حرمة وشرف ولا ترجى بركتها وبركة جوارها فما الموجب لذلك ولما أراد بنو هاشم تجديد العهد بالحسن بن علي (ع) بجده (ص) وظن بنو امية وأعوانهم انه يريدون دفنه عند جده لبسوا السلاح ومنعوهم أشد المنع قائلين أيدفن عثمان في اقصى البقيع ويدفن الحسين عند حده واذا لم يكن للقبر حرمة ولا شرف ولا بركة ترجى فلماذا يأتي بنو هاشم بجنازة الحسن ليجددوا به عهداً بجده (ص) بوصية منه وهل هذا الا عين التوسل والتبرك بالنبي (ص) وبقبره بعد الموت الذي انكره الوهابية وجعلوه شركا وهل اشرك الحسن (ع) وبنو هاشم بفعلهم هذا وجهلوا معنى التوحيد الذي عرفه اعراب نجد واذا لم يكن للقبور شرف وحرمة فلماذا يتأسف بنو امية لدفن عثمان في اقصى البقيع

ويمنعون من دفن الحسن عند جده كل ذلك دال على شرف البقعة وفضلها عند عموم المسلمين بشرف من فيها وان الدفن فيها طلبا لشرفها وبركتها امر راجح مطلوب محبوب تراق دونه الدماء وتزهق النفوس (وحينئذ) فقياسهم تعظيم قبور الأنبياء والصالحين بتعظيم الأصنام والأوثان التي لم يجعل الله لها حرمة ونهى عن تعظيمها سواء كانت صور قوم صالحين او غيرها قياس فاسد وجهل فاضح (وقال) صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) ما معناه: ان تعظيم القبور تعظيما دينياً من اعمال الشرك (ثم قال) حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذي كان اعقل رجل في شرفاء مكة انه رأى رجلا في مسجد ابن عباس بالطائف يصلي مستقبل القبر مستدبر القبلة فظنه أعمى وجاء ليحوله الى القبلة فرآه بصيراً وأبى ان يتحول فأمر باخراجه (الى ان قال) ما حاصله: ان تعظيم القبور تعظيما دينيا كان سبباً لمنكرات كثيرة وان استحلال المجمع عليه والمعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة انتهى.

وقد عرفت بما بيناه واوضحناه ان تعظيم قبور الأنبياء والصالحين تعظيما دينيا من الأمور المندوب اليها في الشرع كتعظيم نفس الأنبياء والصالحين وان حرمتهم امواتا كحرمتهم احياء وانه كتعظيم جلد الشاة المعمول جلداً للمصحف لا يشك في ذلك الا جاهل أو معاند وما حكاه عن هذا الشريف لم نسمع بمثله في شيء من بلاد الإسلام لا من الخواص ولا من اجهل العوام ولا نظنه الا فرية وان فرض صدقه لا يوجب ان يكون كل تعظيم شركا وكفراً فهل اذا عظمت السبائية عليا(ع) واوصلته الى درجة الألوهية يكون كل تعظيم له شركا. ويدخل في حكمه على استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة بأنه كفر وخروج من الملة تعظيم قبر النبي (ص) والتبرك به فان المسلمين قد أجمعوا على ذلك في جميع الأعصار والأمصار قولا وعملا حتى وصل الى حد الضرورة ولم يخالف فيه غير الطائفة الوهابية.

واما التبرك بقبر النبي (ص) وغيره بلمس وتقبيل وتمسح به وطواف حوله ونحو ذلك فالحق جوازه ورجحانه لما ستعرف من الأدلة الكثيرة الدالة عليه (أما) علماء اهل السنة فاختلفوا في جوازه واستحبابه وكراهته ولكن من كرهه انما كرهه بزعم منافاته للأدب كما

ستعرف قال السمهودي في وفاء الوفا (١) قال النووي لا يجوز ان يطاف بقبره (ص) ويكره الصاق البطن والظهر بجدار القبر قاله الحليمي وغيره قال ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب ان يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته هذا هو الصواب الذي اطبق عليه العلماء ومن خطر بباله ان المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة انما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء وفي الإحياء مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود وقال الزعفراني وضع اليد على القبرومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعا وروي ان أنس بن مالك رأى رجلا وضع يده على قبر النبي (ص) فنهاه وقال ماكنا نعرف هذا على عهد رسول الله (ص) وقد انكره مالك والشافعي واحمد اشد الإنكار وقال بعض العلماء ان قصد بوضع اليد مصافحة الميت يرجى ان لا يكون به حرج ومتابعة الجمهور احق وفي تحفة ابن عساكر ليس من السنة ان يمس جدار القبر المقدس ولا ان يقبله ولا يطوف كما يفعل الجهال بل يكره ذلك ولا (٢) يجوز والوقوف من بعد اقرب الى الاحترام ثم روى من طريق ابي نعيم بسنده ان ابن عمر كان يكره ان يكثر مس قبر النبي (ص) قال البرهان بن فرحون بعد ذكره وهذا تقييد لما تقدم وهو عن ابن عمر في القبر نفسه فالجدر الظاهرة اخف اذا لم يكثر منه وعن تأليف ابن تيمية قيل لأحمد ابن حنبل انهم يلصقون بطونهم بجدار القبر وأهل العلم من اهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية ويسلمون فقال نعم هكذا كان ابن عمر يفعل وقال ابو بكر الأثرم قلت لأحمد بن حنبل قبر النبي (ص) يلمس ويتمسح به قال لا أعرف هذا قلت فالمنبر قال اما المنبر فنعم قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن ابي فديك عن ابن ابي ذئب عن ابن عمر انه مسح المنبر ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة اي رمانة المنبر قبل احتراقه ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك انه حيث اراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسن(٣) ذلك قال السروجي الحنفي لا يلصق بطنه بالجدار ولا يمسه بيده وعن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به

---

(١) صفحة ٤٤٢ ـ ٤٤٥ ج٢. (٢) اولا (ظ).

(٣) يحتمل رجوع الضمير في استحسن الى مالك ويحتمل الى ابن حنبل (المؤلف).

ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وقال ابن قدامة من الحنابلة لا يستحب التمسح بحائط قبر النبي (ص) ولا يقبله وحكى العز بن جماعة عن كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن احمد بن حنبل سألت ابي عن الرجل يمس منبر رسول الله (ص) ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى قال لا بأس قال العز بن جماعة هذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع وقال السبكي في الرد على ابن تيمية ان عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه فقد روى ابو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر في اخبار المدينة عن عمر بن خالد عن ابي نباته عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب اقبل مروان بن الحكم فاذا رجل ملتزم القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال هل تدري ما تصنع فقال نعم اني لم آت الحجر ولم آت اللبن انما جئت رسول الله (ص) سمعت رسول الله (ص) يقول لا تبكوا على الدين اذا وليه اهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير اهله قال المطلب وذلك الرجل ابو ايوب الأنصاري وقال السمهودي في مقام آخر (١) رواه احمد بسند حسن عن عبد الملك بن عمرو عن كثير بن زيد عن داود بن ابي صالح وذكر مثله الا انه لم يذكر واللبن (قال) ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وتقدم في المبحث الثاني تمريغ بلال وجهه على القبر لما جاء لزيارته (ص) (قال) وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسيني عن ابيه عن جده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي قال لما رمس رسول الله (ص) جاءت فاطمة فوقفت على قبره واخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينها وبكت وانشأت تقول:

ماذا على من شم تربة احمد ... ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو انها ... صبت على الأيام عدن لياليا

قال وذكر الخطيب ابن حملة ان ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف وان بلالا وضع خده عليه (الى ان قال) ولا شك ان الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته فأناس حين يرونه لا يملكون انفسهم بل يبادرون اليه وأناس

---

(١) صفحة ٤١٠ ج٢.

فيهم اناة والكل محل خير وقال الحافظ ابن حجر استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره (الى ان قال) ونقل عن ابن ابي الصيف اليماني احد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف واجزاء الحديث وقبور الصالحين ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري انه يجوز تقبيل القبر ومسه قال وعليه عمل العلماء الصالحين وانشد:

امر على الديار ديار ليلى   اقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

وعن ابي خيثمة عن مصعب بن عبد الله عن اسماعيل بن يعقوب التيمي كان ابن المنكدر يصيبه الصمات فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي (ص) فعوتب في ذلك فقال انه يصيبني خطرة فاذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي (ص) وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع فقيل له في ذلك فقال ابي رأيت النبي (ص) في هذا الموضع اراه قال في النوم انتهى ما اردنا نقله من وفاء الوفا وبذلك ظهر ان جملة ممن كره الصاق البطن والظهر والمسح باليد أو اكثاره والتقبيل واطالة الوقوف انما قال به لمنافاته الأدب والاحترام بزعمه كما يدل عليه قول الحليمي بل الأدب ان يبعد منه الخ وقول ابن عساكر والوقوف من بعد اقرب الى الاحترام وما حكي عن ابن عمر من كراهته اكثار المس لا اصل المس فكأنه رأى ان في اكثار المس سوء ادب وكذا اطالة الوقوف التي في كتاب الهندي لا لكونه عبادة وكيف يتوهم فيما جعل منافيا للاحترام انه عبادة وبعضهم كرهه لزعم انه بدعة كما في كلام الزعفراني ويدل عليه قول مالك ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله (ص) وقول ابن عساكر ليس من السنة وقول احمد هكذا كان ابن عمر يفعل وقول الغزالي انه عادة النصارى واليهود وغير ذلك من كلماتهم وكذلك منع الطواف به لزعم انه بدعة او لشبهه بالطواف بالكعبة المشرفة وكيف كان فليس في شيء من كلماتهم انه عبادة للقبر كما تزعمه الوهابية (والتحقيق) انه لا كراهة ولا تحريم في شيء من ذلك اذ لا يقصد به سوى التبرك وهو جائز وراجح اذ لا يشك مسلم بان القبر الذي حوى جسد النبي (ص) مبارك قد نالته بركة جسده الشريف سيما اذا قلنا بحياته البرزخية في قبره التي لا تنكرها الوهابية كما مر في المقدمات واذا كان كذلك فلا مانع من التبرك بقبره الشريف بجميع انواع التبرك من تقبيل ولمس

وإلصاق بدن وطواف حوله وغير ذلك (قال) قاضي القضاة تقي الدين ابو الحسن السبكي في محكي كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام الذي يرد به على ابن تيمية: نحن نقطع ببطلان كلامه (أي ابن تيمية) وان المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين ومن ادعى ان قبور الأنبياء وغيرهم من الموتى المسلمين سواء فقد أتى امراً عظيما نقطع ببطلانه وخطائه وفيه حط لرتبة النبي (ص) الى درجة غيره من المؤمنين وذلك كفر بيقين فان من حط رتبة النبي (ص) عما يجب له فقد كفر (فان قال) ان هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له (قلت) هذا جهل وسوء ادب ونحن نقطع بان النبي (ص) يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب في ذلك من في قلبه شيء من الإيمان انتهى (وتوهم) ان ذلك او بعضه بدعة توهم فاسد لما عرفت في المقدمات من انه يكفي في كون الشيء سنة دخوله في عمومات ادلة الشرع وفحاويها ولا يلزم النص عليه بخصوصه وقد فهم ضرورة من الشرع ان في القبر الذي ضم جسد سيد ولد آدم وأشرف المخلوقات بركة وأن له فضلا وذلك كاف في جواز التبرك به بجميع انواع التبرك التي يرجى بها نيل بركته وما مر عن احمد من انه كان ينكره اشد الإنكار معارض بما مر من حكاية ولده عنه الترخيص فيه وقوله هكذا كان ابن عمر يفعل لا يدل على ترجيحه لفعله ولا يبعد ان يكون ترك ابن عمر له لظنه ان غيره اقرب الى الأدب مع انه معارض بما مر من انه كان يضع يده على القبر وانه كره اكثار المس لا اصله وكراهته الإكثار لظن منافاته الأدب ومعارض بما مر من التزام ابي ايوب الأنصاري للقبر ورده على مروان ذلك الرد ومن تمريغ بلال وجهه ووضع خده عليه ووضع الزهراء ترابه على عينها واستشفاء ابن المنكدر به بوضع خده عليه وبالموضع الذي رآه فيه في النوم بتمرغه واضطجاعه فيه والاستشفاء اعظم من التبرك ولذلك اجازه ابو الصيف احد علماء مكة والمحب الطبري وقال ان عليه عمل العلماء كما مر مع ان ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد شيخ مالك تبركوا بمسح المنبر كما مر الذي نال البركة بجلوس رسول الله (ص) عليه برهة من الزمان فكيف بقبره الذي بورك بوجود جسده الشريف على ممر الدهور والأعوام ولذلك استنبط بعض العلماء من تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره وقد قال عمر اني لأقبلك واني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

ولو لا اني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ما قبلتك رواه ابن ماجة ولذلك جوز احد علماء مكة تقبيل المصحف واجزاء الحديث كما مر وتقبيل المصحف عليه عمل المسلمين كلهم جيلا بعد جيل وروي ان النبي (ص) طاف راكبا وكان يستلم الركن بمحجنه ويقبل المحجن (١) رواه مسلم (٢) وابن ماجة (٣) واذا جاز تقبيل المحجن لملامسة الركن افلا يجوز تقبيل قبر حلّ فيه رسول الله (ص) (لا يقال) انما يجوز تقبيل المحجن اقتداء بفعل رسول الله (ص) ولو رأيناه يقبل القبر ما توقفنا في جوازه والعبادة مبناها على الاتباع (لأنا نقول) استفدنا من تقبيله المحجن الذي تبرك بملامسة الركن جواز تقبيل كل مستحق للتعظيم على نحو ما استفاد ذلك بعض العلماء من تقبيل الحجر الأسود كما مر وحكى القسطلاني في ارشاد الساري (٤) عن اصحاب المذاهب استلامه باليد وتقبيلها والإشارة اليه باليدين وتقبيلها (ولو) كان تقبيل قبر النبي (ص) عبادة له او للقبر لكان تقبيل يده او بدنه الشريف في حياته وبعد موته عبادة له لعدم تصور الفرق مع انه قد روى احمد بن حنبل في مسنده (٥) بسنده عن ابن عمر انه قبل يد النبي (ص) (وقد) قبل سواد بن غزية بطن رسول الله (ص) في غزوة بدر نقله في السيرة الحلبية (٦) واقره (ص) على ذلك وقبل كشحه سواد بن عمرو ولم ينهه رواه ابو داود كما في السيرة الحلبية (وفيها أيضاً) عن الخصائص الصغرى: ومن خصائصه (ص) انه ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار (اقول) وليس ذلك الا ببركة بدنه الشريف فمن التصق بقبره الذي بورك بالتصاقه ببدنه الشريف يرجى له ذلك (وأخرج) ابن ماجة في سننه ان ابا بكر قبل النبي (ص) وهو ميت (وعن) كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب ومطالب المؤمنين وخزانة الرواية ما هذا لفظه: لا بأس بتقبيل قبر الوالدين لأن رجلا جاء الى النبي (ص) فقال يا رسول الله اني حلفت ان اقبل عتبة باب الجنة وجبهة حور العين فأمره ان يقبل رجل الأم وجبهة الأب قال يا رسول الله ان لم يكن ابواي حيين قال قبل قبرهما قال فان لم أعرف قبرهما قال خط خطين انو أحدهما قبر الأم والاخر قبر الأب فقبلهما فلا تحنث في يمينك

---

(١) بكسر الميم وسكون الحاء المهملة ونون عصا محنية الرأس (المؤلف).

(٢) صفحة ٣٨٠ ج٥ بهامش ارشاد الساري. (٣) صفحة ١١٥ ج ٢.

(٤) صفحة ١٦١ ج ٢. (٥) صفحة ٢٣ ج٢. (٦) صفحة ١٧١ ج ٢ طبع عام ١٣٢٠.

(ومر) في فصل الدعاء والاستغاثة تمسح الناس بالعباس لما استسقى به عمر فسقوا (وعن القاضي عياض) في شرح الشفا انه رؤي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي (ص) من المنبر ثم وضعها على جبهته أفيجوز التبرك بمقعد النبي (ص) من المنبر ولا يجوز التبرك بقبره الذي ضم جسده الشريف (أما قول الغزالي) ان مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود فيرده ما سمعت من انه عادة المسلمين ايضا اكابرهم وأصاغرهم وكونه عادة النصارى واليهود لا يصير دليلا على منعه بعد ان ثبت من الشرع جوازه كما عرفت (اما) توهم ان اللمس او كثرته و إلصاق البطن والظهر و إطالة الوقوف منافية للاداب فتوهم فاسد لأن فعل ذلك بقصد التبرك من تمام الأدب والاحترام وكذا اكثاره و إطالة الوقوف طلبا لزيادة البركة والثواب ليس فيه شيء من منافيات الاداب (اما الطواف بالقبر) فان اريد به انه مأمور به بخصوصه وانه عبادة خاصة كالطواف بالكعبة فهو تشريع محرم لكن هذا لا يقصده احد وانما يقصد الطائف حصول البركة بل المبالغة في حصولها حتى لا يبقى جانب من القبر الا وتناله بركته شبيها بالطواف بالكعبة لا يوجب حرمته فانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى وليس كل شبيه بالعبادة يكون ممنوعا والا لحرم تقبيل الادمي رحمة وتقبيل الميت لمشابهته تقبيل الحجر الأسود ولا يقول به احد (وفي تاريخ مكة المكرمة) المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي (١) عن قصص الأنبياء ان ابراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده اسماعيل بمكة جاءته زوجة اسماعيل بحجر وهو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت شقيه الأيمن والأيسر وأفاضت الماء على رأسه وبدنه وانصرف فلما جاء اسماعيل وجد رائحة ابيه فسأل زوجته فأخبرته وقالت هذا موضع قدميه فقبل موضع قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى ان بنى عليه فيما بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة انتهى فهل كفر أيها الوهابيون اسماعيل بتقبيله موضع قدم ابيه وتبركه بحجر وقف عليه ابوه وهل هذا الحجر بوقوف ابراهيم (ع) عليه صار اشرف من بقعة ضمت جسد سيد الأنبياء محمد(ص) التي جعلتم تقبيلها والتبرك بها شركا

(١) صفحة ٢٤ بهامش خلاصة الكلام طبع مصر.

وكفراً (والعجب) ان الوهابيين منعوا الناس من التبرك بالبناء الذي على مقام ابراهيم عليه السلام ومن لمسه وتقبيله واخبرنا في هذه السنة ان بعض الحجاج لمس القفل الذي على باب المقام فضربوه ضربا مبرحا أدى به الى قذف الدم والخطر على الحياة فالمقام الذي بلغ من فضله عند الله تعالى ببركة وقوف خليله ابراهيم عليه ان أمر بأن يتخذ مصلى بقوله (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) لا يستحق ان يتبرك بما جاوره عند الوهابيين لقد ردوا بفعلهم هذا على الله وحادوه وعملوا بضد ما أمر به (وروى) السمهودي في وفاء الوفا (١) عن يحيى بن عباد انه روى ان بيت فاطمة الزهراء لما اخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث حسن ابنه جعفر وكان اسن ولده وقال انظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا هل يدخلونه في بنيانهم فرصدهم حتى رفعوا الأساس واخرجوا الحجر فأخبر اباه فخر ساجداً وقال ذلك حجر كان رسول الله (ص) يصلي اليه اذا دخل الى فاطمة او كانت فاطمة تصلي اليه الشك من يحيى وقال علي بن موسى الرضا ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين(ع) على ذلك الحجر قال يحيى ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم ارفينا رجلا افضل منه اذا اشتكى شيئا من جسده كشف الحصى عن الحجر فيتمسح به الحديث ومر تمامه في الفصل التاسع في تفصيل بناء الحجرة الشريفة فاذا كانت هذه حرمة حجر نال البركة بولادة الزهراء ولديها الحسنين عليه وبصلاتها او صلاة ابيها (ص) اليه وهذه حال خيار السلف الذي يدعي الوهابية الاقتداء بهم بالنسبة اليه وهم في قرنه أو القريب منه الذي رووا انه خير القرون فكيف بتربة ضمت جسد ابيها وجسدها الشريفين ألا يحق التبرك والتمسح والاستشفاء بها وطلب الحوائج من الله عندها ايها الاخوان؟ (وكان) الصحابة يتبركون بالماء الذي يغسل رسول الله (ص) به يديه وببصاقه وما يسقط من شعره ولم ينههم عن ذلك ولم يعده عبادة ولا شركا ولا يزيد عن ذلك التبرك بقبره الشريف (ففي) السيرة الحلبية (٢) ان عروة بن مسعود الثقفي قام من عند رسول الله (ص) عام الحديبية وقد رأى ما يصنع به اصحابه لا يتوضأ او يغسل

---

(١) صفحة ٤٠٨ ج ل. (٢) صفحة ١٧ ج٣ طبع عام ١٣٢٠ بمصر.

يديه الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه الحديث (وروى البخاري في باب صفة النبي (ص) (١) بسنده عن ابي جحيفة خرج رسول الله (ص) بالهاجرة الى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين (٢) الى ان قال وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوهم فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك (وروى) في اواخر هذا الباب بسنده عنه الى ان قال فاخرج بلال فضل وضوء رسول الله (ص) فوقع عليه الناس يأخذون منه (وروى) في باب استعمال فضل وضوء الناس (٣) بسنده عن ابي جحيفة خرج علينا رسول الله (ص) بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به (ورواه) في الصلاة نحوه قال فجعل الناس يتمسحون بوضوئه قال القسطلاني واستنبط منه التبرك بما يلامس أجساد الصالحين (وروى) مسلم في الصلاة بسنده عن ابي جحيفة (٤) اتيت النبي (ص) بمكة وهو بالأبطح فخرج بلال بوضوئه فمن نائل وناضح الحديث قال النووي معناه فمنهم من ينال منه شيئا ومنهم من ينضح عليه غيره شيئا مما ناله ويرش عليه بللا مما حصل له (وبسنده) عنه في حديث قال ورأيت بلالا اخرج وضوءا فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن اصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منه اخذ من بلل يد صاحبه (وفي رواية لمسلم) فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه (قال النووي) ففيه التبرك بآثار الصالحين واستعمال فضل طهورهم وطعامهم وشرابهم ولباسهم انتهى واذا جاز التبرك والتمسح بيد النبي (ص) وببصاقه وشعره وبالماء الذي لا مس جسده ولم يكن ذلك شركا ولا عبادة له جاز التبرك بالقبر الذي حوى جميع جسده الشريف على سبيل الدوام أم تقولون ايها الإخوان ان الصحابة اشركوا

---

(١) صفحة ٢٧ ج ٦ من ارشاد الساري.

(٢) فيه دلالة على ان قصر الصلاة في السفر لا يختص بحال السير لأن القسطلاني في الشرح قال ان ذلك كان بمكة وفي رواية مسلم ثم لم يزل يصلي ركعتين حتى رجع الى المدينة وفي سنن النسائي اقام خمس عشرة يوما يصلي ركعتين ركعتين (المؤلف).

(٣) صفحة ٢٦٤ ج١ من ارشاد الساري.

(٤) صفحة ١٥٥ ـ ١٥٨ ج٣ بهامش ارشاد الساري.

بفعلهم هذا وأقرهم النبي (ص) على شركهم ومما يدل على جواز التبرك بقبر النبي (ص) والتمسح به ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا (١) نقلا عن ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران في حديث انه لما توفيت فاطمة بنت اسد نزل النبي (ص) فاضطجع في اللحد وقرأ فيه القرآن ثم نزع قميصه فأمر ان تكفن فيه وقال ما اعفي احد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت اسد قيل يا رسول الله ولا القاسم قال ولا ابراهيم وكان ابراهيم اصغرهما (قال) وروى ابن شبة عن جابر ابن عبد الله انه لما اخبر (ص) بوفاتها نزع قميصه فقال اذا غسلتموها فاشعروها اياه تحت اكفانها وانه تمعك في اللحد فقيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما نزعك قميصك وتمعكك في اللحد قال اما قميصي فأريد ان لا تمسها النار ابداً انشاء الله تعالى واما تمعكي في اللحد فأردت ان يوسع الله عليها في قبرها (قال) وروى ابن عبد البر عن ابن عباس انها لما ماتت ألبسها رسول الله (ص) قميصه واضطجع معها في قبرها فقالوا ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه فقال انه لم يكن بعد ابي طالب ابر لي منها انما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها انتهى فهذا صريح في حصول البركة لقبرها رضوان الله عليها باضطجاعه (ص) وتمعكه فيه بحيث صار ذلك موجبا لرفع ضغطة القبر عنها التي لم يسلم منها ولد رسول الله (ص) الرضيع وفي حصول البركة للقميص بمماسة جسد رسول الله (ص) بحيث تفيد مماسته لبدنها نجاتها من النار واللبس من حلل الجنة فكيف ينكر بعد هذا ان لمس قبره الذي تبرك وتشرف بملامسة جسده المبارك الشريف ومجاورته موجب للبركة ونيل خير الدنيا والاخرة ويجعل كفرا وشركا لولا الخذلان والحرمان. وفي وفاء الوفا (٢) عن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف انه أوصى ان يدفن عند عثمان بن مظعون فدفن هناك (وفيه) أنه روى ابن سعد في طبقاته عن ابي عبيدة بن عبد الله ان ابن مسعود قال ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون انتهى وذلك قصداً الى التبرك بجواره ولأن النبي امر بدفن ابنه ابراهيم عنده كما في وفاء الوفا.

وذكر السمهودي في وفاء الوفا (٣) فصلا في الاستشفاء بتراب المدينة وبتمرها

---

(١) صفحة ٨٨ ج ٢. (٢) صفحة ٨٩ ج ٢. (٣) صفحة ٤٧ ج ل.

(كرواية) غبار المدينة شفاء من الجذام (وقوله ص) والذي نفسي بيده ان في غبارها شفاء من كل داء (وفي رواية) ومن الجذام والبرص (وفي رواية) عجوة المدينة شفاء من السقم وغبارها شفاء من الجذام (وفي رواية) والذي نفسي بيده ان تربتها لمؤمنة وانها شفاء من الجذام (وفي رواية) غبار المدينة يطفيء الجذام الى غير ذلك مثل ما رواه في الاستشفاء من الحمى بتراب صعيب وهو وادي بطحان (وحديث) من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي رواه مسلم وحديث من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر روي في الصحيحين ورواه احمد برجال الصحيح بلفظ من أكل سبع تمرات عجوة مما بين لابتي المدينة على الريق لم يضره يومه ذلك شيء حتى يمسي قال الراوي وأظنه قال وان اكلها حين يمسي لم يضره شيء حتى يصبح (وفي رواية) من تصبح بسبع تمرات من العجوة لا اعلمه الا قال من العالية لم يضره يومئذ سم ولا سحر (وحديث) ان في عجوة العالية شفاء او انها ترياق اول البكرة رواه مسلم الى غير ذلك مما اورده السمهودي ويقال ان العجوة مما غرسه النبي (ص) بيده بالمدينة حكى ذلك السمهودي (١) عن ابن الأثير والبزار قال فلعل الأوداء التي كاتب سلمان الفارسي اهله عليها وغرسها (ص) بيده الشريفة بالفقير او غيره من العالية كانت عجوة والعجوة توجد بالفقير الى يومنا هذا انتهى ومعلوم ان تراب المدينة المنورة وعجوتها انما نالا البركة بوجود النبي (ص) في المدينة حياً وميتا وبغرسه نخل العجوة أفلا يكون قبره الشريف اولى بالبركة ويكون من يتبرك ويستشفي به كافراً مشركا كعبدة الأصنام.

قال السمهودي في وفاء الوفا (٢) انعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة وأجمعوا على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد واختلفوا ايهما افضل فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن انس واكثر المدنيين الى تفضيل المدينة واحسن بعضهم فقال الخلاف في غير الكعبة فهي افضل من المدينة ما عدى ما ضم الأعضاء الشريفة اجماعا قال وحكاية الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة نقله القاضي عياض والقاضي ابو الوليد الباجي قبله كما قال الخطيب بن جملة

---

(١) صفحة ٥٠ ج١ من وفاء الوفا. (٢) صفحة ١٩ ج ١.

ونقله ابو اليمن بن عساكر وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة ونقل التاج الفاكهي نفي الخلاف عن ذلك انتهى وهل نالت المدينة المنورة هذا الفضل العظيم حتى صارت افضل من مكة او ما عدى الكعبة الا بوجود النبي (ص) فيها حيا وميتا واذا كان محل القبر الشريف صار يفضل على الكعبة المعظمة ويدعى على ذلك الإجماع افلا يستحق ان يعظم ويتبرك به ويكون تعظيمه والتبرك به شركا وكفراً كعبادة الأصنام (وعقد السمهودي) عدة فصول اورد فيها ما روي في الحث على حفظ اهلها واكرامهم وانهم جيرانه (ص) والتحريض على الموت بها والدعاء بذلك وعلى المجاورة بها والدعاء لها ولأهلها وعصمتها من الدجال والطاعون والأحاديث الواردة في تحريمها وغير ذلك وغير خفي انها انما حازت كل هذه الفضائل بتشرفها بهجرته (ص) اليها وسكناه بها حيا وميتا والا كانت كسائر البلاد فاذا كانت انما حازت هذا الشرف به (ص) وقبره الشريف افلا يسوغ ان يتبرك بقبر من هذه بركته وهذه حرمته عند الله تعالى ويكون التبرك به شركا وكفراً (وعن) الصديق حسن الحنبلي عن الإمام مالك انه مع ضعفه وكبر سنه لم يركب قط في ارض المدينة وكان يقول لا اركب في مدينة فيها جثة رسول الله (ص) مدفونة انتهى ومع كل هذا يجعل الوهابيون التبرك بقبر رسول الله (ص) شركا وكفراً.

ومن ذلك يظهر ان قول بعض الوهابيين في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية خطابا لأهل مكة: من جمع بين سنة رسول الله (ص) في القبور وما امر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما انتم عليه اليوم من فعلكم مع قبر ابي طالب والمحجوب وغيرهما وجد احدهما مضاداً للاخر مناقضا له الى آخر ما قال ـ احق بان يقلب عليه فيقال: من جمع بين منعكم من تعظيم قبر النبي (ص) والتبرك والتمسح به وبين ما قدمناه مما اثر عن النبي (ص) وأصحابه وجد احدهما مضادا للاخر مناقضا له (واما) استشهاد الوهابيين بخبر يغوث ويعوق ونسر التي هي اسماء قوم صالحين فلا شاهد فيه لأن الذم ليس على التبرك بهؤلاء الصالحين وبقبورهم بل على عبادة صورهم فقد ذكر المفسرون ان الاباء تبركت بهم والأبناء عبدت صورهم فالذم للابناء على العبادة لا للاباء على التبرك.

الفصل الخامس عشر

في اتخاذ الخدمة والسدنة لقبور الأنبياء والأولياء (والصلحاء واتخاذها اعياداً)

وهذا مما منعه الوهابية وصرحوا في كتابهم لشيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني بأن اتخاذها اعياداً وجعل السدنة لها شرك وكفر وعبادة للقبور لزعمهم ان كل تعظيم لها فهو عبادة وانها صارت بذلك اصناما وأوثانا وان جعل الخدمة والسدنة لها كما كان يجعل المشركون السدنة لأوثانهم وهذا جهل منهم لما بيناه مراراً في الفصول السابقة وفي تضاعيف كلماتنا من ان تعظيم من يستحق التعظيم واحترام من هو اهل للاحترام ليس عبادة له ما لم يعظم بشيء من خواص الربوبية كالسجود ونحوه وان تعظيم المشركين لأصنامهم بجعل السدنة لها وغيره تعظيم لغير من عظمه الله ولمن نهى الله عن تعظيمه ولم يجعل له حرمة لكونه حجراً أو شجراً ونحو ذلك سواء كان على صورة نبي او صالح او لا اما قبور الأنبياء والصلحاء فقد شرفها الله وأوجب تعظيمها بتضمنها لجسد وليه ونبيه فمن عظمها فقد عظم الله تعالى واطاع امره ومن تعظيمها جعل السدنة والخدمة لها ليحفظوها من وقوع القاذورات والأوساخ عليها ويعينوا زوارها على حوائجهم ويسرجوا حولها ويفرشوا لمن اراد عبادة الله عندها بصلاة او قراءة قرآن او دعاء او ذكر او غير ذلك مما امر الله به وشرعه في كل زمان ومكان سيما الأمكنة الشريفة كمشاهد الأنبياء والصلحاء (واما) اتخاذها اعياداً فقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور (١): وفي السنن عنه (ص) انه قال لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني (اقول) وأورد هذا الحديث السمهودي في وفاء الوفا (٢) هكذا لا تخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً الحديث (وفي رواية) له بدل وصلوا علي الخ فان تسليمكم يبلغني اينما كنتم (وفي رواية) لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم مقابر ثم قال ما انتم ومن بالأندلس الاسواء. ومع تسليم سند هذا الحديث نقوله لا تتخذوا قبري عيداً لا يخلو من اجمال قال السمهودي: قال الحافظ المنذري يحتمل ان يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره

---

(١) صفحة ١٥٩. (٢) صفحة ٤١٦ ج ٢.

(ص) وان لا يهمل حتى يكون كالعيد الذي لا يأتي في العام الا مرتين قال ويؤيده قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا أي لا تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلى فيها. قال السبكي ويحتمل لا تتخذوا له وقت مخصوصاً ويحتمل لا تتخذوه كالعيد في الزينة والاجتماع وغير ذلك بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء انتهى (وروى) السمهودي في وفاء الوفا ان رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي (ص) ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فقال ما يحملك على هذا قال احب التسليم علي النبي (ص) فقال اخبرني ابي عن جدي ان رسول الله (ص) قال لا تجعلوا قبري عيداً الحديث (قال) فهذا يبين ان ذلك الرجل زاد في الحد فيكون علي بن الحسن موافقا لمالك في كراهة الإكثار من الوقوف بالقبر وليس انكاراً لأصل الزيارة او انه أراد تعليمه ان السلام يبلغه مع الغيبة لما رآه يتكلف الإكثار من الحضور انتهى واما جعل التذكار لمواليد الأنبياء والأولياء الذي يسميه الوهابية بالأعياد والمواسم باظهار الفرح والزينة في مثل يوم ولادتهم التي كان نعمة من الله على خلقه وقراءة حديث ولادتهم كما يتعارف قراءة حديث مولد النبي (ص) وطلب المنزلة والرفعة من الله لهم وتكرار الصلوات والتسليم على الأنبياء والترحم على الصلحاء فليس فيه مانع عقلي ولا شرعي اذا لم يشتمل على محرم خارجي كغناء أو فساد أو استعمال آلات اللهو او غير ذلك كما يفعل جميع العقلاء وأهل الملل في مثل ايام ولادة عظمائهم وانبيائهم وتبوء ملوكهم عروش الملك وكل ذلك نوع من التعظيم الذي ان كان صاحبه اهلا للتعظيم كان طاعة وعبادة لله تعالى وليس كل تعظيم عبادة للمعظم كما بيناه مراراً فقياس ذلك بفعل المشركين مع اصنامهم قياس فاسد.

الفصل السادس عشر

(في تزيين المشاهد بالذهب والفضة والمعلقات والحلي) والكسوة ونحو ذلك

وهذا ايضا مما منعه الوهابية ولذلك نهبوا جميع ذخائر الحجرة الشريفة النبوية وجواهرها عند استيلائهم على المدينة المنورة سنة ١٢٢١ كما مر في الفصل الثاني في

المقدمة الأولى ونقلنا هناك عن تاريخ الجبرتي بيان انواع الجواهر التي نهبوها من الحجرة الشريفة وقدرها. وقد صوب الجبرتي في تاريخه نهبهم لها وقال انها وضعها ضعفاء العقول من الأغنياء والملوك الأعاجم وغيرهم ثم بين انها لا ينبغي ان تكون للنبي (ص) لزهده في الدنيا وانه بعث ليكون نبيا لا ملكا وذكر احاديث واردة في عرض الدنيا عليه وابائه (ص) وفي زهده وانها ان كانت صدقة فهي محرمة عليه وعلى آله وانها لا نفع فيها مع بقائها على حالها فالأرجح صرفها على المحاويج الى غير ذلك من التلفيقات ومثله ما يحكى من احتجاج الوهابية على منعها بانها لغو وعبث وانها مما لا ينتفع به الميت واحتجوا في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية على عدم جواز كسوة القبور بان رسول الله (ص) نهى ان يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون التابوت ولباس الجوخ الخ وفحاوى كلامهم دالة على ان ذلك كفر وشرك لأنهم يجعلونه مثل ما كان يعمل مع الأصنام (والجواب) ان فعل ذلك نوع من تعظيم هذه القبور الشريفة واحترامها التي ثبت رجحان تعظيمها واحترامها من تضاعيف ما تقدم ثبوتا لا شك فيه وتوهم الوهابية ان ذلك شرك وعبادة توهم فاسد لما بيناه مراراً وتكراراً من انه ليس كل احترام وتعظيم عبادة ودعوى ان ذلك لم يكن في عهد الصحابة والتابعين مدفوع بانه ليس كلما لم يكن في عهدهم يكون محرما لإصالة الإباحة في كل ما لم ينص الشرع على تحريمه كما قرر في الأصول ولا يخفى ان الأزمان مختلفة والعادات فيها متفاوتة ففي مبدأ الإسلام كانت احوال المسلمين ضيقة فكانت الحال تقتضي استعمال الملابس الخشنة والمآكل الجشبة وعدم رفع البناء واتقانه وتزيينه وبناء المساجد باللبن والجذوع وسعف النخل كما بنى النبي (ص) مسجده الشريف بالمدينة ولما انتشر الإسلام واتسعت امور الناس واستعمل الأكثر من الخلفاء اطيب المأكول وأحسن الملبوس واتقن الناس بناء الدور وزينوها كان من الراجح المستحسن اتقان بناء المساجد كما فعله المسلمون واستمروا عليه الى اليوم ومنهاالمسجد الشريف النبوي والمسجد الحرام والمسجد الأقصى فان في ذلك اعلاء لشأن الإسلام وتعظيماً لشعائر الدين ورفعا لمقام بيوت الله تعالى عن ان تكون دون بيوت خلقه وليس لأحد ان يقول بناء مسجده (ص) على الحالة التي هو عليها اليوم محرم لأنه لم يكن في زمانه (ص) للوجه الذي قدمناه كذلك حجرته الشريفة كانت اولا باللبن والجذوع وجريد النخل ثم بنيت بالحجارة والقصة ثم صار بناؤها يحسن ويزين بحسب

اختلاف الأزمان والأحوال لأنه صار تحسينها وتزيينها نوعا من احترامها وتعظيمها ولم يكن الزمان الأول مقتضيا لذلك لما كانت عليه احوال الناس ودعوى ان ذلك اسراف بلا فائدة لا للميت ولا لغيره يدفعه ان الإسراف مالا يترتب عليه منفعة والمنفعة هنا حاصلة وهي احترام الميت وتعظيمه واعزاز الإسلام وتعظيم شعائره وكبت معانديه وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي لا يعادلها شيء ويرخص في جنبها كل غال وتصويب الجبر تي نهبهم لها جهل محض فان هذه الذخائر موقوفة لتوضع بالحجرة الشريفة وتكون زينة لها وليست ملكا له (ع) ولا صدقة وزهد النبي (ص) في الدنيا لا ربط له بالمقام فان قال قائل ان وقفها على الحجرة النبوية غير جائز قلنا بل هو جائز لجريان سيرة المسلمين بل جميع اهل الأديان على ذلك ولأن في وقفها تعظيما لشعائر الدين فلا يكون سفهاً بل هو امر راجح مطلوب شرعا له فائدة عظيمة (مع) انه ثبت ذلك في حق الكعبة المعظمة قبل الإسلام واستمر ذلك بعد الإسلام الى اليوم فليثبت مثله في حق الحجرة النبوية ومشاهد الأنبياء والأئمة فان العلة في الجميع واحدة والجهة واحدة من دعوى الإسراف واللغوية وعدم الفائدة (فعن المسعودي) في مروج الذهب كانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالا وجواهر في الزمان الأول وكان ابن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيراً الى الكعبة (وفي مقدمة ابن خلدون) (١) قد كانت الأمم منذ عهد الجاهلية تعظم البيت والملوك تبعث اليه بالأموال والذخائر كسرى وغيره وقصة الأسياف وغزالي الذهب الذي وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة وقد وجد رسول الله (ص) حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمأتي قنطار وزنا وقال له علي بن ابي طالب يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه هكذا قال الأزرقي (وفي البخاري) بسنده الى ابي وائل قال جلست الى شيبة بن عثمان وقال جلس الي عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال ولم قلت فلم يفعله صاحباك فقال هما

---

(١) صفحة ٤١٨ .

اللذان يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجة وأقام ذلك المال الى ان كانت فتنة الأفطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين حين غلب على مكة سنة ١٩٩ فأخذ ما في خزائن الكعبة وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ انتهى (وقال القسطلاني في ارشاد الساري (١) حكى الفاكهي انه (ص) وجد فيها يوم الفتح ستين اوقية انتهى (وفي) وفاء الوفا (٢) تكلم السبكي في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التي حول الحجرة الشريفة وألف في ذلك كتابا فأورد حديث البخاري وغيره في كنز الكعبة وما تضمنه من اقرار النبي (ص) له بمحله ثم ابي بكر بعده ورجوع عمر لذلك لما ذكره به ابن شيبة وقال هما المرآن يقتدى بهما قال فهذا الحديث عمدة في مال الكعبة وهو ما يهدى اليها او ينذر لها وما يوجد فيها من الأموال قال ابن بطال انما ترك لأنه يجري مجرى الأوقاف وفي ذلك تعظيم للإسلام وترهيب للعدو وقال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون النبي (ص) انما تركه رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد ابراهيم ويؤيده مارواه مسلم عن عائشة لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض انتهى وفاء الوفا وعلى كل حال يثبت المطلوب من جواز الإبقاء ان لم يكن واجباً واذا كان النبي (ص) تركه رعاية لقلوب قريش أفلا يلزم الوهابية ان يتركوا ذخائر الحجرة النبوية ومشاهد ائمة المسلمين وذخائرها رعاية لقلوب ثلاثمائة وستين مليون مسلم ان كانوا ممن يقتدي به (ص) كما يزعمون (وفي) وفاء الوفا (٣) حيث تركه النبي (ص) لهذه العلة ثم تركه ابو بكر ثم عمر بعدالهم به ورجوعه عن ذلك ثم من بعده فهو اجماع على تركه فلا نتعرض له لما يترتب عليه من الشناعة انتهى (وقال) قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة المكرمة (٤): قال الشريفة التقي الفاسي في شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي أول من علق في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل عن الأزرقي في اشياء أُهديت للكعبة منها ان عمر بن الخطاب لما فتح مدائن كسرى كان

---

(١) صفحة ١٥٢ ج ٣. (٢) صفحة ٤٢٢ ج ل.
(٣) صفحة ٤٢٣ ج ل. (٤) صفحة ٤١ بهامش خلاصة الكلام طبع مصر.

مما بعث اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما في الكعبة وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت في الكعبة والمأمون بالياقوتة التي تعلق في كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت في وجه الكعبة وبعث المتوكل بشمسيه من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب في وجه البيت في كل موسم وأهدى المعتصم قفلا لباب الكعبة فيه الف مثقال ذهبا في سنة ٢١٩ (الى ان قال) وذكر الفاكهي ان مما اهدي الى الكعبة طوقا من ذهب مكللا بالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء ارسله ملك الهند لما اسلم سنة ٢٥٩ فعرض امره على المعتمد فأمر بتعليقها في البيت الشريف فعلقت قال التقي الفاسي ومما علق بعد الأزرقي قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر ابن أمير المؤمنين المعتمد على الله وبيعة ابي احمد الموفق بالله ابن اخي المعتمد وقدم بها الفضل بن العباس في موسم سنة ٢٦١ وكان وزن الفضة ٣٦٠ درهما وعليها ثلاثة ازرار بثلاث سلاسل من فضة فعلقت مع تعاليق الكعبة (الى ان قال) ثم لما وقعت الفتن بمكة اخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك (قال) وكانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة وقد وصل سنة ٩٨٤ من السلطان مراد بن سليم العثماني ثلاثة قناديل ذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف الكعبة المعظمة والثالث في الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف فعلقت انتهى (وأما) كسوة الكعبة المعظمة (ففي) تاريخ مكة لقطب الدين الحنفي (١) ذكر الأزرقي وابن جريح ان اول من كسى الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيما لها واسمه أسعد رأى في منامه انه يكسوها فكساها الأنطاع ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق انتهى (وفي ارشاد الساري) قيل اول من كساها تبع الحميري الخصف والمعافر والملاء والوصائل وذكر ابن قتيبة انه كان قبل الإسلام بتسعمائة سنة وفي تاريخ ابن ابي شيبة اول من كساها عدنان بن داود وزعم الزبير ان أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وعند اسحق عن ليث بن سليم كانت كسوة الكعبة على عهد رسول الله(ص) الأنطاع والمسوح وروى الواقدي انه كسي البيت في الجاهلية الأنطاع ثم

---

(١) صفحة ٤٥ بهامش خلاصة الكلام.

كساه النبي (ص) الثياب اليمانية ثم كساه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان القباطي ثم كساه الحجاج الديباج وروى ابو عروبة في الأوائل لـه عن الحسن اول من ألبس الكعبـة القباطي النبي (ص) وذكر الأزرقي فيمن كساها ابا بكـر وكسـاهـا معـاويـة الـديبـاج والقباطي والحبرات فكانت تكسى الـديبـاج يـوم عـاشـورا والقبـاطي في آخـر رمضـان وكساها يزيد بن معـاويـة الـديبـاج الخسر واني والمأمـون الـديبـاج الأحمر يـوم الترويـة والقباطي اول رجب والديباج الأبيض في سبع وعشرين من رمضان وهكذا كانت تكسى في زمن المتوكل وكسيت زمن الناصر العبـاسي السـواد من الحبرات فهي تكسى ذلك الى اليوم ولم تزل الملوك تتداول كسوتها الى ان وقف عليها الصالـح اسماعيل ابن النـاصر محمد بن قلاوون سنة نيف وخمسين وسبعمائة قرية تسمى بيسوس وأول من كساهـا من ملـوك الترك الظاهر بيبرس صاحب مصر انتهى (وفي تـاريخ مكـة) لقطب الـدين الحنفي عن الأزرقي بسنده عن ابن مليكة قال كان يهدٰى للكعبة هدايا شتى فاذا بلي منهاشيء جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء وكانت قريش في الجاهلية ترافـد في كسـوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كـلاب حتى نشأ ابـو ربيعـة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مثرياً يتجـر في المال فقـال لقـريش انـا اكسـو الكعبـة وحدي سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العـدل لأنـه عدل قريشاً وحده في كسوة البيت وقيل لبنيه بنو العدل (وقال ايضـا) اخبرني محمـد بن يحيى عن الـواقـدي عن اسماعيل بن ابـراهيم بن ابي حبيشـة عن ابيـه قـال كسى النبي (ص) البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان القباطي وكان يكسى كل سنة كسوتين اولا الديباج يوم التروية والثانية القباطي يـوم السـابع والعشرين من شهـر رمضـان فلما كانت خلافة المأمون امر ان تكسى ثلاث مرات الديباج الأحمر يوم التروية والقباطي اول رجب والديباج الأبيض في عيد الفطر واستمر الحال على هذا كل دولـة بني العبـاس ثم صارت كسوة الكعبة تأتي تارة من سلاطين مصر وتارة من سلاطين اليمن الى ان اشترى الملك الصالـح ابن الملك الناصر قلاوون قـريتين بمصر ووقفهما على كسـوة الكعبـة وهما بيسوس وسندبيس واستمرت سلاطين مصر ترسل كسوة الكعبة في كل عام وعنـد تجدد كل سلطان يرسل مع الكسوة السوداء كسوة حمراء لداخل البيت وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية مكتوب على الكل كلمة الشهادتين فلمافتح السلطان سليم مصر والشام

جهزت كسوة المدينة على العادة وأمر باستمرار كسوة الكعبة على المعتاد ثم خربت القريتان الموقوفتان على كسوة الكعبة ولم يف ريعهما بها فأمر ان تكمل من الخزائن السلطانية ثم أضاف الى القريتين قرى اخرى ووقفهها انتهى.

وأما كسوة الحجرة الشريفة النبوية ففي وفاء الوفا للسمهودي بعدما ذكر تأزيرها بالرخام وعمل الشباك المتخذ من خشب الصندل بأعلى جدارها حكى عن ابن النجار انه قال ولم تزل على ذلك حتى عمل لها الحسين ابن ابي الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين ستارة من الديبقي الأبيض وعليها الطروز والجامعات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر ونيطها وأدار عليها زناراً من الحرير الأحمر مكتوبا عليه سورة يس وغرم عليها مبلغا عظيما فمنعه امير المدينة قاسم بن مهنى من تعليقها حتى يستأذن المستضيء العباسي فلما جاء الإذن علقها نحو العامين ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة وعلى دوران جاماتها اسماء الخلفاء الأربعة وعلى طرازها اسم المستضيء فبعثت الأولى الى مشهد علي ووضعت هذه مكانها ثم ارسل الإمام الناصر ستارة من الإبريسم الأسود وطرزها وجاماتها من الإبريسم الأبيض فعلقت فوقها وبعد ان حجت ام الخليفة ارسلت ستارة من الإبريسم الأسود على شكل الأولى فعلقت فوقها فصارت ثلاثا انتهى ما حكاه عن ابن النجار قال وهو يقتضي ان ابن ابي الهيجاء أول من كسى الحجرة وفي كلام رزين انه لما حج الرشيد ومعه الخيزران امرت بتخليق مسجد النبي (ص) وتخليق القبر وكسته الزنانير وشبائك الحرير.

وأما قناديل الذهب والفضة وغيرها التي تعلق حول الحجرة الشريفة ففي وفاء الوفا انه لم ير في كلام احد ابتداء حدوث ذلك قال الا ان ابن النجار قال وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار اذا وقفوا معلق نيف واربعون قنديلا كباراً وصغاراً من الفضة المنقوشة والساذجة واثنان بلورو واحد ذهب وفيها قمر من فضة مغموس في الذهب وهذه تنفذ من الملوك وأرباب الحشمة والأموال قال السمهودي واستمر عمل الملوك وأرباب الحشمة الى زماننا هذا على الإهداء الى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة ثم ذكر السمهودي حال ما يهدى من القناديل وعدده وما جرى له مفصلا مما يطول بذكره الكلام وان بعض امراء المدينة لما أراد اخذ شيء منه اقام الناس عليه النكير (وقال ايضا) واما حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق والقائم

الذي بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها ثم نقل عن السبكي انه قال وأما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها امر معتاد من زمان ولا شك انها أولى بذلك من غيرها وكم من عالم وصالح قد اتى للزيارة ولم يحصل من احد انكار لذلك فهذا وحده كاف في جواز ذلك واستقراء الأدلة فلم يوجد فيها ما يدل على المنع ولم نر أحداً قال بالمنع فما وقف من ذلك اكراما لذلك المكان صح وقفه وان اقتصر على اهدائه صح ايضا كالمهدى للكعبة وكذا المنذور له انتهى.

الفصل السابع عشر

في زيارة القبور

وقد منع ابن تيمية من زيارة النبي (ص) وحرمها مطلقا مع شد الرحال وبدونه فضلا عن زيارة غيره حكى ذلك عنه القسطلاني في ارشاد الساري وابن حجر الهيتمي في الجوهر المنظم وقال بل زعم حرمة السفر لها اجماعا وانه لا تقصر فية الصلاة وسيأتي نقل كلامهما وبعض الوهابيين حرم شد الرحال اليها وحينئذ فيقع الكلام فيها في مبحثين اصل مشروعيتها وشد الرحال اليها.

(المبحث الأول في اصل مشروعية زيارة القبور وفيه مقامان)

(المقام الأول في زيارة قبر النبي ص)

وتدل على مشروعيتها ادلة الشرع الأربعة (الأول الكتاب العزيز) وهو قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فان الزيارة هي الحضور الذي هو عبارة عن المجيء اليه (ص) سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه والتسليم لا يدخل في معناها واذا ثبت رجحان ذلك في حال حياته ثبت بعد مماته لما دل على حياته البرزخية وسماعه تسليم من يسلم عليه وعرض الأعمال عليه كما مر في المقدمات قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي في وفاء الوفا (١):

---

(١) صفحة ٤١١ ج٢.

والعلماء فهموا من الاية العموم لحالتي الموت والحياة واستحبوا لمن اتى القبر ان يتلوها قال وحكاية الأعرابي في ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو ادرك ابن عيينة وروى عنه وهي مشهورة حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من ادب الزائر وذكرها ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وغيرهما بأسانيدهم الى محمد بن حرب الهلالي قال دخلت المدينة فأتيت قبر النبي (ص) فزرته وجلست بحذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الاية الى آخر ما في فصل التوسل ثم ذكر السمهودي هذه القصة بطريقين آخرين عن علي (ع) لانطيل بذكرهما فليطلبهما من ارادهما.

(الثاني السنة) والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة نقلها السمهودي في وفاء الوفا (١) ونقلها غيره ونحن ننقلها منه وربما نترك بعض اسانيدها وقد تكلم هو على اسانيدها بما فيه كفاية.

(١) الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي وغيرهما بالأسانيد من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله (ص) من زار قبري وجبت له شفاعتي.

(٢) البزار من طريق عبد الله بن ابراهيم الغفاري عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر عن النبي (ص) من زار قبري حلت له شفاعتي.

(٣) الطبراني في الكبير والأوسط والدارقطني في اماليه وأبو بكر بن المقرىء في معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهني عن عبيد الله ابن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال رسول الله (ص) من جاءني زائراً لا تحمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم القيامة (قال) والذي في معجم ابن المقري من جاءني زائراً كان له حقا على الله عز وجل (١) ان اكون له شفيعاً يوم القيامة (قال) وأورد الحافظ ابن السكن هذا

---

(١) صفحة ٣٩٤-٤٠٢ ج٢.

(٢) فيه ثبوت الحق للعبد على الله عز وجل الذي انكره الوهابية كما مر في الفصل الرابع وفاتنا ذكره هناك (المؤلف).

الحديث في باب ثواب من زار قبر النبي (ص) من كتابه السنن الصحاح المأثورة ومقتضى ما شرطه في خطبته ان يكون هذا الحديث مما اجمع على صحته انتهى وهو بإطلاقه شامل للزيارة في الحياة وبعد الموت .

(٤) الدارقطني والطبراني في الكبير والأوسط وغيرهما من طريق حفص بن داود القاري عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال رسول الله (ص) من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي قال ورواه ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن بسنده وزاد وصحبني ورواه ابن عدي في كامله بسنده بهذه الزيادة ورواه ابو يعلى بسنده بدون الزيادة وفي بعض الروايات من حج فزارني في حياتي ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال رسول الله (ص) من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي (أقول) ورواه بلفظه الأول السيوطي في الجامع الصغير عن احمد في مسنده وابي داود والترمذي والنسائي عن الحارث .

(٥) ابن عدي في الكامل من طريق محمد بن محمد بن النعمان عن جده عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله (ص) من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني قال السبكي وذكر ابن الجوزي له في الموضوعات سرف منه .

(٦) الدارقطني في السنن من طريق موسى بن هارون عن محمد بن الحسن الجيلي عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله (ص) من زارني الى المدينة كنت له شهيداً وشفيعا .

(٧) ابو داود الطيالسي عن سوار بن ميمون ابي الجراح العبدي عن رجل من آل عمر عن عمر سمعت رسول الله (ص) يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا أو شهيداً الحديث .

(٨) ابو جعفر العقيلي من رواية سوار بن ميمون عن رجل من آل الخطاب عن النبي (ص) من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة الحديث .

(٩) الدارقطني وغيره من طريق هارون بن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال رسول الله (ص) من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي الحديث .

(١٠) ابو الفتح الأزدي من طريق عمار بن محمد عن خاله سفيان عن منصور عن

ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال رسول الله (ص) من حج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه .

(١١) ابو الفتوح بسنده من طريق خالد بن يزيد عن عبد الله بن عمر العمري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال رسول الله (ص) من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي ومن زارني كنت له شهيداً او شفيعا يوم القيامة .

(١٢) ابن ابي الدنيا من طريق اسماعيل بن ابي فديك عن سليمان ابن يزيد الكعبي عن انس بن مالك ان رسول الله (ص) قال من زارني بالمدينة كنت له شفيعا وشهيداً يوم القيامة وفي رواية كنت له شهيداً او شفيعا يوم القيامة ورواه البيهقي بهذا الطريق ولفظه من زراني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة .

(١٣) ابن النجار في اخبار المدينة بسنده عن أنس قال رسول الله (ص) من زارني ميتا فكأنما زارني حيا ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر.

(١٤) ابو جعفر العقيلي بسنده عن ابن عباس قال رسول الله (ص) من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي الى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيعا .

(١٥) بعض الحفاظ في زمن ابن منده بسنده عن ابن عباس قال رسول الله (ص) من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان قال والحديث في مسند الفردوس .

(١٦) يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني في أخبار المدينة بسنده عن علي (ع) قال رسول الله (ص) من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني وروى ابن عساكر بسنده عن علي من زار قبر رسول الله (ص) كان في جوار رسول الله (ص) .

(١٧) يحيى ايضا بسنده عن رجل عن بكر بن عبد الله عن النبي (ص) من اتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة الحديث (انتهت) الأحاديث التي أوردها السمهودي وهي مع كثرتها يعضد بعضها بعضا وتعضدها الأحاديث الاتية في تضاعيف ما يأتي مع انه لا حاجة لنا الى الاستدلال بها للسيرة القطعية وعمل المسلمين البالغ حد

الضرورة.

وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ان الأحاديث التي رواها الدارقطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة منهم ابن الصلاح وابن الجوزي وابن عبد البر وأبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين وغيرهم ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية اهل السنن والأئمة كلهم يروون بخلافه وأجل حديث روي في هذا الباب حديث ابي بكر البزار ومحمد بن عساكر حكاه اهل المعرفة بمصطلح الحديث كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما (أقول) دعوى ان هذه الأحاديث على كثرتها كلها مكذوبة دعوى كاذبة لا يعضدها دليل وابن الجوزي وان اورد بعضها في الموضوعات فقد اورد البعض الاخر في كتابه مثير الغرام الساكن واعتمد عليه كما مر في الحديث الرابع مع ان الحديث الخامس الذي جعله موضوعا تعقبه الإمام السبكي فيه وقال ان ذكره له في الموضوعات سرف منه كما مر كما تعقبه غيره في جملة من الأحاديث التي عدها في الموضوعات وباقي من نقل عنهم لعلهم كابن الجوزي ان صح نقله واما قدوته الشيخ تقي الدين بن تيمية فحاله معلوم في التعصب لأرائه واهوائه ومصادمته الضرورة في نصرها وتكذيب الأحاديث المشهورة التي يعضدها العقل والنقل تبعا لشهوة نفسه وأوضح برهان على ذلك تكذيبه حديث ضربة علي يوم الخندق بالاستبعادات والدعاوى الباطلة حتى تعقبه في ذلك صاحب السيرة الحلبية كما فصلناه في بعض حواشي فصل البناء على القبور مع انه لم يعلم دعواه الوضع في جميعها (قوله) ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل يكذبه ما عرفت في الحديث الثالث انه اورده الحافظ ابن السكن في كتابه السنن الصحاح المأثورة الذي ذكر في خطبته انه لا يذكر فيه الا ما اجمع على صحته (قوله) تفرد بها الدارقطني عن بقية اهل السنن يكذبه انه روى جملة منها غير الدارقطني من اهل السنن وغيرهم كالبيهقي والبزار والطبراني وابو بكر بن المقرىء والحافظ ابن السكن وابن عدي وأبو يعلى والإمام احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن الجوزي والعقيلي والأزدي وأبو الفتوح وابن ابي الدنيا وابن النجار ويحيى بن الحسن كما عرفت وابن عساكر باعتراف الوهابية (وإذا) كان تفرد الراوي بالرواية يوجب طرحها فما بال الوهابية لم يطرحوا حديث ابي الهياج وقد تفرد به رواية على ما عرفته في فصل البناء على

القبور ولكن الحديث المؤدي الى استحلال دماء المسلمين وأموالهم لا يطرح ولو تفرد به رواية اما الأحاديث الكثيرة الدالة على تعظيم النبي (ص) واستحباب زيارته الثابتة بالعقل والنقل واجماع المسلمين البالغ حد الضرورة فتستحق الطرح بدعوى تفرد الدارقطني بها ويلتمس لها الوجوه والتأويلات لطرحها عند الوهابية لأنهم يعظم عليهم تعظيم من عظمه الله ومخالفة قول قدوتهم ابن تيمية وابن عبد الوهاب (قوله) والأئمة كلهم يروون بخلافه هذه دعوى كاذبة كالأولى فمن هم الأئمة الذين رووا ان زيارة النبي (ص) لا تستحب او لا يستحب شد الرحال اليها غير ما توهمه الوهابية من أحاديث شد الرحال التي ستعرف في هذا الفصل سخافة توهمهم فيها وقد عرفت ان الأئمة رووا هذه الأحاديث كما رواها الدارقطني ولم يرووا بخلافه وفيهم اجلاء ائمة الحديث كابن حنبل وأبي داود والترمذي والنسائي والطبراني والبيهقي وغيرهم (وقد) رويت في ذلك احاديث كثيرة تكاد تبلغ حد التواتر عن ائمة اهل البيت الطاهر رواها عنهم أصحابهم وثقاتهم بالأسانيد المتصلة الصحيحة موجودة في مظانها (وتدل) عليه ايضاً الأحاديث الدالة على ان النبي (ص) يرد سلام من يسلم عليه التي اعترف بها الوهابية وقدوتهم ابن تيمية ومر طرف منها في المقدمات في حياة النبي (ص) بعد موته قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي في وفاء الوفا (١) بعد ذكر ما يدل على انه (ص) يسمع من يسلم عليه عند قبره ويرد عليه عالما بحضوره عند قبره: وكفى بهذا فضلا حقيقاً بأن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل اليه من اقطار الأرض انتهى ومنه يعلم صحة الاستدلال به على شد الرحال.

(الثالث الإجماع) من المسلمين خلفاً عن سلف من عهد النبي (ص) والصحابة الى يومنا هذا عدا الوهابية قولا وعملا بل ان استحباب زيارة قبور الأنبياء والصالحين بل وسائر المؤمنين ومشروعيتها ملحق بالضروريات عند المسلمين فضلا عن الإجماع وسيرتهم مستمرة عليها من عهد النبي (ص) والصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين في كل عصر وفي كل صقع عالمهم وجاهلهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم

---

(١) صفحة ٤٠٤ ج ٢.

وانكار ذلك مصادمة للبديهة وانكار للضروري . قال السمهودي في وفاء الوفا (١) نقلا عن السبكي : قال عياض زيارة قبره (ص) سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغوب فيها انتهى قال السبكي وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي بل قال بعض الظاهرية بوجوبها واختلفوا في النساء وامتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به ولهذا اقول انه لا فرق بين الرجال والنساء وقال الجمال الريمي يستثنى اي من محل الخلاف قبر النبي (ص) وصاحبيه فان زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم في الحج يستحب لمن حج ان يزور قبر النبي (ص) وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهوري الكبير وأضاف اليه قبور الأنبياء والصالحين والشهداء انتهى وفي وفاء الوفا (٢) كيف يتخيل في احد من السلف المنع من زيارة المصطفى (ص) وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى فضلا عن زيارته (ص) انتهى وصنف قاضي القضاة الشيخ تقي الدين ابو الحسن السبكي الذي تشهد مؤلفاته بغزارة علمه في القرن الثامن كتابا في فضل الزيارة وشد الرحال اليها رداً على ابن تيمية سماه شفاء السقام في زيارة خير الأنام ونقل عنه السمهودي في وفاء الوفا شيئا كثيراً ونقل عنه غيره ونقلها عنه بواسطة السمهودي وغيره (ومما) السبكي في مقدمته على ما حكي عنه ان من اعظم القرب الى رب العالمين زيارةسيد المرسلين والسفر اليها من اقطار الأرضين كما هو معروف بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على ممر السنين وان مما القى الشيطان في هذا الزمان على لسان بعض المخذولين التشكيك في ذلك وهيهات ان يدخل ذلك في قلوب الموحدين وانما هي نزغة من مخذول لا يرجع وبالها الا عليه ولا يترتب عليها الا ما القى بيده اليه شريعة الله محكمة ظاهرة وشبه الباطل على شفا جرف هائرة انتهى ومر في الباب الأول ما يدل على ان مراده ابن تيمية (وعن منتهى المقال) في شرح حديث لا تشد الرحال للمفتي صدر الدين انه قال فيه ؛ قال الشيخ الإمام الحبر الهمام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه اتحاف اهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان : وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله بعدله وادعى ان السفر لزيارة قبر النبي (ص) حرام

(١) صفحة ٤١٢ ج٢. (٢) صفحة ٤١٧ ج٢.

وان الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به واطال في ذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع وقد عاد شؤم كلامه عليه (الى ان قال) وخالف الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة فسقط من اعين علماء الأمة وصار مثلة بين العوام فضلا عن الأئمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته وبينوا قبائح اوهامه وغلطاته انتهى ومر بعض كلامه في حقه في الباب الأول وعن شهاب الدين احمد الخفاجي المصري في نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض انه قال بعد ذكر حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد: اعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه زيارة قبر النبي (ص) وشد الرحال اليه وهو كما قيل:

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب　　　وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل انتهى.

وعن الملا علي القاري في المجلد الثاني من شرح الشفا انه قال: قد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي (ص) كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني اقرب الى الصواب لأن تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب انتهى.

وقال احمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم على ما حكي عنه وقد ذكره صاحب كشف الظنون قال فيه بعدما استدل على مشروعية زيارة قبر النبي (ص) بعدة أدلة منها الإجماع ما لفظه (١) فان قلت كيف تحكي الإجماع على مشروعية الزيارة والسفر اليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رآه السبكي في خطه وقد أطال ابن تيمية في

---

(١) صفحة ١٣ طبع عام ١٢٧٩ بمصر.

الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع بل زعم حرمة السفر لها اجماعا وانه لا تقصر فيه الصلاة وان جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنه من اهل مذهبه (قلت) من هو ابن تيمية حتى ينظر اليه او يعول في شيء من امور الدين عليه وهل هو الا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته وقبائح اوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة ـ عبد اظله الله تعالى وأغواه والبسه رداء الخزي وارداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما اعقبه الهوان وأوجب له الحرمان ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب (ثم قال) هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وان كان عثرة لا تقال ابداً ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً ليس بعجيب فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه انه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما دري المحروم انه اتى بأقبح المعائب اذ خالف اجماعهم في مسائل كثيرة وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتى تجاوز الى الجناب الأقدس المنزه سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال انفس فنسب اليه الكبائر والعظائم وخرق سياج عظمته بما اظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قام عليه علماء عصره والزموا السلطان بقتله او حبسه وقهره فحبسه الى ان مات وخمدت تلك البدع وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأسا ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأسا بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون انتهى (اما المنقول) من فعل الصحابة فسيأتي في المبحث الثاني ان عمر لما قدم المدينة من فتوح الشام كان اول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله (ص). وفي وفاء الوفا للسمهودي (١) روى عبد الرزاق باسناد صحيح ان ابن عمر كان اذا قدم من سفر اتى قبر النبي (ص) فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه

---

(١) صفحة ٤٠٩ ج ٢.

(قال) وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى ان ابن عمر كان يقف على قبر النبي (ص) فيصلي (فيسلم ظ) على النبي (ص) وعلى ابي بكر وعمر وعن ابن عون سأل رجل نافعا هل كان ابن عمر يسلم على القبر قال نعم لقد رأيته مائة مرة او اكثر من مائة كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وفي مسند ابي حنيفة عن ابن عمر من السنة ان تأتي قبر النبي (ص) في قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته. اخرجه الحافظ طلحة بن محمد في مسنده عن صالح بن احمد عن عثمان بن سعيد عن ابي عبد الرحمن المقري عن ابي حنيفة عن نافع عن ابن عمر انتهى (أما المنقول) من فعل سائر المسلمين ففي وفاء الوفا (١) ذكر المؤرخون والمحدثون منهم ابن عبد البر والبلاذري وابن عبد ربه ان زياد ابن ابيه اراد الحج فأتاه ابو بكرة اخوه وهو لا يكلمه فأخذ ابنه فأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زياداً فقال ان اباك فعل وفعل وانه يريد الحج وام حبيبة زوج النبي (ص) هناك فان اذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله (ص) وان حجبته فأعظم بها حجة عليه فقال زياد ما تدع النصيحة لأخيك وترك الحج فيما قاله البلاذري وقيل حج ولم يزر من اجل قول ابي بكرة وقيل أراد الدخول عليها فذكر قول ابي بكرة فانصرف وقيل انها حجبته (قال السبكي) والقصة على كل تقدير تشهد لأن زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت والا فكان يمكنه الحج من غير طريق المدينة بل هي اقرب اليه لأنه كان بالعراق ولكن كان إتيان المدينة عندهم امراً لا يترك انتهى (لا يقال) نحن نسلم بأن اتيان المدينة امر راجح مستحب ولكن بقصد الصلاة في المسجد والزيارة تبع والذي نمنعه أتيانها بقصد الزيارة (لأنا نقول) المعروف بين المسلمين من عهد الصحابة الى اليوم اتيام المدينة بقصد الزيارة هذا الذي جرت عليه سيرتهم وعملهم لا يخطر ببالهم غيره ولا يدور في خلدهم سواه واما قصد المسجد وكون الزيارة تبعا فشيء لم يكن يعرفه احد قبل الوهابية ولو كان لحرمة قصد الزيارة بالسفر اصل في الشرع لشاعت وذاعت وعرفها جميع المسلمين وكانت وصلت الى حد الضرورة

---

(١) صفحة ٤١٠ ج ٢.

لاحتياج الجميع الى معرفتها ولكانت قامت بها الخطباء والوعاظ وبينتها العلماء وحذروا الناس منها لئلا يقصدوا بسفرهم الزيارة فيقعوا في الحرام الموجب للعقاب من حيث قصدوا الثواب ولكان بينها أصحاب كتب المناسك الذين لم يهملوا شيئا يتعلق بالحج والزيارة من المستحبات فضلا عن هذا الأمر المهم الموقع في الحرام (اما المنقول) عن ائمة المذاهب الأربعة ففي وفاء الوفا (١) بعدما ذكر اختلاف السلف في ان الأفضل البدأة بالمدينة او بمكة حكى عن الإمام ابي حنيفة ان الأحسن البدأة بمكة وان بدأ بالمدينة جاز فيأتي قريبا من قبر رسول الله (ص) فيقوم بين القبر والقبلة انتهى واما ما يحكى عن مالك انه كره ان يقال زرنا قبر النبي (ص) فهو على فرض صحته محمول على كراهة التلفظ بهذا اللفظ لبعض الوجوه التي ذكروها مما لا نطيل بنقله لا لكراهة اصل الزيارة مع ان العلماء ناقشوه في كراهة هذا اللفظ كالسبكي وابن رشد على ما في وفاء الوفا وذكر السمهودي في وفاء الوفا (٢) أقوال الشافعية في استحباب زيارة النبي (ص) ثم قال والحنفية قالوا ان زيارة قبر النبي (ص) من افضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات قال وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة وأوضح السبكي نقولهم في كتابه في الزيارة انتهى.

(الرابع) دليل العقل فانه يحكم بحسن تعظيم من عظمه الله تعالى والزيارة نوع من التعظيم وفي تعظيمه (ص) بالزيارة وغيرها تعظيم لشعائر الإسلام وارغام لمنكريه وقد ثبت رجحان زيارته (ص) في حياته والوصول الى خدمته فكذلك بعد مماته خصوصا بعد الالتفات الى ما ورد من حياته البرزخية وقد مضى في فصل التوسل قول مالك امام دار الهجرة للمنصور ان حرمة النبي (ص) ميتا كحرمته حيا وليس في العقل شيء يمنع من الزيارة او يوجب قبحها بل فيه ما يحسنها من تعظيم من عظمه الله واحترام من هدى الناس الى سبيل الرشاد وكان سبب سعادتهم في الدارين.

---

(١) صفحة ٤١١ ج ٢

(٢) صفحة ٤١٥ ج ٢.

المقام الثاني في زيارة سائر القبور

قد ثبت ان النبي (ص) كان يزور اهل البقيع وشهداء احد (وروى) ابن ماجة(١) بسنده عنه (ص) زوروا القبور فانها تذكركم الاخرة (وبسنده) عن عائشة انه (ص) رخص في زيارة القبور (وفي) حاشية السندي عن الزوائد ان رجال اسناده ثقات (وبسنده) عنه (ص) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة (ورواه) مسلم (٢) الى قوله فزوروها (وروى) النسائي ونهيتكم عن زيارة القبور فمن اراد ان يزور فليزر (وزار) النبي (ص) قبر أمه وهي مشركة بزعم الخصم (روى) مسلم في صحيحه (٣) وابن ماجة (٤) والنسائي (٥) بأسانيدهم عن ابي هريرة زار النبي (ص) قبرامه فبكى وأبكى من حوله فقال (ص) استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في ان ازور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت (قال) النووي في شرح صحيح مسلم هو حديث صحيح بلا شك (وروى) مسلم (٦) انه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله (ص) يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون) وعلم (ص) عائشة حين قالت له كيف اقول لهم يا رسول الله قال قولي (السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين) الحديث رواه مسلم (وعن بريدة) كان رسول الله (ص) يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر فكان قائلهم يقول السلام على اهل الديار وفي رواية السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات الحديث رواه مسلم (وقد) مر في المقام الأول زيارة ابن عمر لقبر الشيخين مراراً كثيرة (وحكى) السمهودي في وفاء الوفا (٧) عن الحافظ زين الدين الحسيني الدمياطي ان زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المؤمنين للبركة اثر معروف قال وقد قال حجة الإسلام الغزالي كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض انتهى (الى ان قال) وقد روي عن النبي (ص) انه قال آنس ما يكون الميت في قبره اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وعن ابن

---

(١) صفحة ٢٤٥ ج ل. (٢) صفحة ٣٢٥ ج٤ بهامش ارشاد الساري.
(٣) صفحة ٣٢٥ ج ٤ بهامش ارشاد الساري (٤) صفحة ٢٤٥ ج ل.
(٥) صفحة ٢٨٦ ج ل. (٦) صفحة ٣١٨ ج ٤ بهامش ارشاد الساري. (٧) صفحة ٤١٣ ج ٢.

عباس ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وروي من زار قبر ابويه في كل جمعة او احدهما كتب بارا وان كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقا انتهى وسيأتي في آخر هذا الفصل احاديث زيارة فاطمة عليها السلام قبر حمزة وشهداء احد كل جمعة أو بين اليومين والثلاثة وكفى بفعلها عليها السلام دليلا وحجة .

المبحث الثاني في شد الرحال الى زيارة القبور

وقد منع الوهابية من شد الرحال الى زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن غيره وقد عرفت ان ابن تيمية في مقام تشنيعه على الإمامية قال انهم يحجون الى المشاهد كما يحج الحاج الى البيت العتيق وما هو حجهم الا قصدهم زيارتها فسماه حجا ارادة لزيادة التهويل والتشنيع كما هي عادته (وفي) الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ؛ وتسن زيارة النبي (ص) الا انه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس انتهى (واحتج) الوهابية لذلك برواية البخاري عن ابي هريرة عن النبي (ص) لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول(ص) ومسجد الأقصى (ورواه) مسلم في الحج والصلاة الآ انه قال مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى (ورواه) النسائي في سننه مثله الا انه قدم مسجد الحرام (ورواه) ابو داود في الحج (وفي رواية) لمسلم تشد الرحال الى ثلاثة مساجد وفي رواية له انما يسافر الى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد ايليا .

(والجواب) عن هذه الأخبار ان الحصر فيها اضافي لا حقيقي اي لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد الا الى هذه الثلاثة لأن هذا الاستثناء مفرغ قد حذف فيه المستثنى منه وكما يمكن تقديره لا تشد الرحال الى مكان يمكن تقديره الى مسجد لكن الثاني هو المتعين لأن ذلك هو المفهوم عرفا من أمثال هذه العبارة وللاتفاق على جواز السفر وشد الرحال الى اي مكان كان للتجارة وطلب العلم والجهاد وزيارة العلماء والصلحاء والتداوي والنزهة والولاية والقضاء وغير ذلك مما لا يحصى ولو قيل ان هذا خصص بالدليل للزم تخصيص الأكثر وهو غير جائز كما تقرر في الأصول (والحاصل) انه لا يشك من عنده ادنى معرفة في ان المراد بقوله لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد أو انما

يسافر الى ثلاثة مساجد انه لا يسافر الى غيرها من المساجد لا انه لا يسافر الى مكان مطلقا على انه لا يفهم من هذه الأحاديث حرمة السفر الى باقي المساجد بل هي ظاهرة في افضلية هذه المساجد على ما عداها بحيث بلغ من فضلها ان تستحق شد الرحال والسفر اليها للصلاة فيها فانها لا تشد الرحال وتركب الأسفار وتتحمل المشاق الا للأمور المهمة لا ان من سافر للصلاة في مسجد طلبا لإحراز فضيلة الصلاة فيه يكون عاصيا وآثما وكيف يكون آثما من يسافر الى ما هو طاعة وعبادة فالمسجد ببعده لم يخرج عن المسجدية والصلاة فيه لم تخرج عن كونها طاعة وعبادة اذ هو مسجد لكل احد فكيف يعقل ان يكون السفر للصلاة فيه اثما ومعصية فالسفر للطاعة لا يكون الا طاعة كما ان السفر للمعصية لا يكون الا معصية وكيف تكون مقدمة المستحب محرمة ويدل على ذلك ان النبي (ص) والصحابة كانوا يذهبون كل سبت الى مسجد قبا وبينه وبين المدينة ثلاثة أميال أو ميلان ركبانا ومشاة لقصد الصلاة فيه ولا فرق في السفر بين الطويل والقصير لعموم النهي لو كان روى البخاري في صحيحه (١) ان النبي (ص) كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا وان ابن عمر كان يفعل كذلك (وفي رواية) كان رسول الله (ص) يزوره راكبا وماشيا (وروى) النسائي في سننه انه كان رسول الله (ص) يأتي قبا راكبا وماشيا وانه قال من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قبا فصلى فيه كان له عدل عمرة وفي ارشاد الساري عن ابن ابي شيبة في اخبار المدينة باسناد صحيح عن سعد بن ابي وقاص لأن اصلي في مسجد قبا ركعتين احب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين لو يعلمون ما في قبا لضربوا اليه اكباد الإبل وهذا نص من سعد على استحباب ضرب اكباد الإبل اليه الذي لا يكون الا بالسفر اليه من مكان بعيد (وروى) الطبراني من توضأ فأسبغ الوضوء ثم غدا الى مسجد قبا لا يريد غيره ولا يحمله على الغدو الا الصلاة في مسجد قبا فصلى فيه أربع ركعات كان له اجر المعتمر الى بيت الله نقله في ارشاد الساري وسيأتي في آخر هذا الفصل احاديث ان فاطمة (ع) كانت تزور قبر عمها حمزة بين اليومين والثلاثة وكل جمعة وفيه دلالة على جواز السفر للزيارة

---

(١) صفحة ٣٣٢ ج٢ ارشاد الساري.

واستحبابه لعدم تعقل الفرق بين السفر الطويل والقصير وبين احد والمدينة نحو مما بينها وبين قبا أو ازيد ويدل على شد الرحال الحديث الخامس المتقدم من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني والزيارة بعد الحج لا تكون الا بشد الرحال وأظهر فيما قلناه الحديث الاخر لمسلم تشد الرحال الى ثلاثة مساجد بصيغة الاثبات أي ان هذه المساجد الثلاثة تستحق وتستأهل شد الرحال اليها لعظم فضلها فهي حقيقة وجديرة بذلك وشاد الرحال اليها لا يكون عناؤه ضائعا وتعبه خائبا أو فائدته قليلة بل يحصل من الثواب على ما يقابل تعبه وزيادة (قال القسطلاني) في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري (١) في شرح قوله لا تشد الرحال اي الى مسجد للصلاة فيه ثم قال وقد بطل بما مر من التقدير المعتضد بحديث ابي سعيد المروي في مسند احمد باسناد حسن مرفوعا لا ينبغي للمطي ان تشد رحاله الى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والأقصى ومسجدي هذا ـ قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبي (ص) وهو من أبشع المسائل المنقولة عنه ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الإجماع على مشروعية زيارة النبي (ص) ما نقل عن مالك انه كره ان يقول زرت قبر النبي (ص) وأجاب عنه المحققون من اصحابه انه كره اللفظ ادبا لا اصل الزيارة فانها من افضل الأعمال واجل القرب الموصلة الى ذي الجلال وان مشروعيتها محل اجماع بلا نزاع قال فشد الرحال للزيارة او نحوها كطلب علم ليس الى المكان بل الى من فيه وقد التبس ذلك على بعضهم كما قاله المحقق التقي السبكي فزعم ان شد الرحال الى الزيارة في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ كما مر لأن المستثنى انما يكون من جنس المستثنى منه كما اذا قلت ما رأيت الا زيداً أي ما رأيت رجلا واحداً الا زيداً لا ما رأيت شيئا او حيوانا الا زيداً انتهى وقال القسطلاني في موضع آخر(٢) الاستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال الى موضع ولازمه منع السفر الى كل موضع غيرها كزيارة صالح او قريب او صاحب او طلب علم او تجارة او نزهة لأن المستثنى منه في المفرغ يقدر بأعم العام لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد انتهى (وقال النووي) في شرح صحيح مسلم في شرح قوله لا تشد الرحال الخ

---

(١) صفحة ٣٢٩ ج٢. (٢) صفحة ٣٣٣ ج٢.

(١) فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولفضل الصلاة فيها (الى ان قال) واختلف العلماء في شد الرحال و إعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى قبور الصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ ابو محمد الجويني من اصحابنا هو حرام وهو الذي اشار القاضي عياض الى اختياره والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره امام الحرمين والمحققون انه لا يحرم ولا يكره قالوا والمراد ان الفضيلة التامة انما هي في شد الرحال الى هذه الثلاثة خاصة وقال في موضع آخر (٢) في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال اليها لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة في شد الرحال الى مسجد غيرها وقال الشيخ ابو محمد الجويني من اصحابنا يحرم شد الرحال الى غيرها وهو غلط انتهى (وقال السندي) في حاشية سنن النسائي ان السفر للعلم وزيارة العلماء والصلحاء وللتجارة غير داخل في حيز المنع انتهى وقال السمهودي في وفاء الوفا (٣) ويستدل بقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية على مشروعية السفر للزيارة بشموله المجيء من قرب ومن بعد وبعموم من زار قبري وقوله في الحديث الذي صححه ابن السكن من جاءني زائراً واذا ثبت ان الزيارة قربة فالسفر اليها كذلك وقد ثبت خروج النبي (ص) من المدينة لزيارة قبور الشهداء فاذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد وقبره (ص) أولى وقد انعقد الإجماع على ذلك لإطباق السلف والخلف عليه واما حديث لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد فمعناه لا تشدوا الرحال الى مسجد الا الى المساجد الثلاثة اذ شد الرحال الى عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه وغير ذلك وأجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا وقد روى ابن شبة بسند حسن ان ابا سعيد يعني الخدري ذكر عنده الصلاة في الطوز فقال قال رسول الله (ص) لا ينبغي للمطي ان تشد رحالها الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى فهذا الحديث صريح فيما

---

(١) صفحة ٣٧ ج٦ بهامش ارشاد الساري. (٢) صفحة ١١١ ج ٦ بهامش ارشاد الساري.
(٢) صفحة ٤١٤ ج٢.

ذكرناه على ان في شد الرحال لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب نقل إمام الحرمين عن شيخه انه افتى بالمنع قال وربما كان يقول يكره وربما كان يقول يحرم وقال الشيخ ابو علي لا يكره ولا يحرم (الى ان قال) وقال الماردي من اصحابنا (يعني الشافعية) عند ذكر من يلي أمر الحج فاذا قضى الناس حجهم سار بهم على طريق مدينة رسول الله (ص) رعاية لحرمته وقياما بحقوق طاعته وذلك وان لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة وقال القاضي الحسين اذا فرغ من الحج فالسنة ان يأتي المدينة ويزور قبر النبي (ص) وقال القاضي أبو الطيب ويستحب أن يزور النبي (ص) بعد أن يحج ويعتمر وقال المحاملي في التجريد ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبي (ص) وقال ابو حنيفة اذا قضى الحاج نسكه مر بالمدينة (الى ان قال) وفي كتاب تهذيب المطالب لعبد الحق سئل الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع ان يزور قال يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة وقال في موضع آخر (١) وممن سافر الى زيارة النبي (ص) من الشام الى قبره (ع) بالمدينة بلال ابن رباح مؤذن رسول الله (ص) كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن ابي الدرداء قال لما رحل عمر بن الخطاب من فتح بيت المقدس فصار الى جابية سأله بلال ان يقره بالشام ففعل قال ثم ان بلالا رأى في منامه النبي (ص) وهو يقول ما هذه الجفوة يا بلال اما آن لك ان تزورني يا بلال فانتبه حزيناً وجلا خائفا فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي (ص) فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له يا بلال نشتهي ان نسمع اذانك فلما قال الله اكبر ارتجت المدينة فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ازدادت رجتها فلما قال اشهد ان محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا بعث رسول الله (ص) فما رؤي بالمدينة بعده (ص) أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم قال وقال الحافظ عبد الغني وغيره لم يؤذن بلال بعد النبي (ص) الا مرة واحدة في قدومه المدينة لزيارة قبر النبي (ص) وقال قال السبكي ليس اعتمادنا على رؤيا المنام فقط بل على فعل بلال سيما في خلافة عمر

---

(١) صفحة ٤٠٨ ج ٢.

والصحابة متوافرون ولا تخفى عنهم هذه القصة ورؤيا بلال النبي (ص) مؤكدة لذلك (قال) وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز انه كان يبرد البريد من الشام يقول سلم لي على رسول الله (ص) وذلك في زمن صدر التابعين وممن ذكر ذلك عنه الإمام ابو بكر بن عمرو بن عاصم النبيل ووفاته في المائة الثالثة قال في مناسكه وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام الى المدينة ليقرىء النبي (ص) السلام ثم يرجع قال وفي فتوح الشام ان عمر لما صالح اهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار واسلم وفرح بإسلامه قال له هل لك ان تسير معي الى المدينة وتزور قبر النبي (ص) وتتمتع بزيارته فقال نعم ولما قدم عمر المدينة كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله (ص) وقال في موضع آخر (١) كانت الصحابة يقصدون النبي (ص) قبل وفاته للزيارة وهو (ص) حي في الدارين بل روى احمد بإسنادين احدهما برجال الصحيح عن يعلى بن مرة من حديث قال فيه ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام النبي (ص) فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ ذكرت له فقال هي شجرة استأذنت ربها عز وجل ان تسلم على رسول الله فأذن لها فاذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبي الكريم الممتلىء بالشوق اليه وحديث حنين الجذع ذكر في محله انتهى ومر قول الغزالي يجوز شد الرحال لزيارة من يتبرك به بعد موته .

بقي الكلام في ان جواز زيارة القبور مخصوص بالرجال او عام لهم وللنساء . قد عرفت في الفصل الحادي عشر ورود بعض الروايات في لعن زائرات القبور او زوارات القبور وهذه الأخبار بعد تسليمها فقد عرفت القدح في سندها بالضعف وفي متنها بالاضطراب في ذلك الفصل محمولة على الكراهة لتخصيص اللعن فيها بالزائرات او الزوارات دون الزائرين فان زيارة القبور جائزة عند الوهابية بدون شد الرحال كما عرفت فلم يبق وجه لتخصيص اللعن بالزائرات الا الكراهة لمنافاتها لكمال الستر المطلوب في المرأة سيما على رواية زوارات بصيغة المبالغة الدالة على ان المنهي عنه كثرة الزيارة التي لا تناسب شدة طلب الستر في النساء ولو حمل على ان ذلك كان قبل نسخ النهي عن زيارة

---

(١) صفحة ٤١٧ ج٢ .

القبور على ما مر كما توهم بعضهم لنافاه التعبير بالزائرات اوالزوارات لأن النسخ ان كان ففي الرجال والنساء واحتمال بقائهن تحت النهي كما حكاه السندي في حاشية سنن النسائي لقلة صبرهن واستقر به هو بعيد جداً مناف للسيرة وعمل المسلمين وقاعدة الاشتراك بين الرجال والنساء في الأحكام.

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير (١) عند شرح قوله (ص) (لعن الله زوارات القبور) قال العلقمي قال الدميري قال صاحب المهذب والبيان من اصحابنا لا يجوز للنساء زيارةالقبور لظاهر هذا النهي قال النووي وقولها شاذ في المذهب والذي قطع به الجمهور انها مكروها كراهة تنزيه انتهى ويدل على جواز زيارة النساء للقبور بل استحباب زيارتهن قبور الأنبياء والشهداء ما في وفاء الوفا (٢) روى ابن ابي شبة عن ابي جعفر ان فاطمة بنت رسول الله (ص) كانت تزور قبر حمزة ترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر (وروى) رزين عنه ان فاطمة كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة (ورواه) يحيى بنحوه عن ابي جعفر عن ابيه علي بن الحسين وزاد فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت (وروى) الحاكم عن علي ان فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده انتهى وفاء الوفا (ويظهر) ان الوهابية بعدما اباحوا للنساء زيارة القبور في العام الماضي منعوهن منها في هذا العام فقد اخبرنا الحجاج ان النساء منعت من الدخول الى البقيع في هذا العام بدون استثناء وكأنهم بنوا على هذا الاحتمال الضعيف الذي ذكره السندي وقال به صاحب المهذب والبيان من بقائهن تحت النهي فظهرت لهم صحته هذا العام بعد ما خفيت عنهم في العام الأول «يمحو الوهابية ما يشاؤن ويثبتون وعندهم ام الكتاب» لسنا نعارضهم في اجتهادهم اخطأوا فيه أم اصابوا ولكننا نسألهم ما الذي سوغ لهم حمل المسلمين على اتباع اجتهادهم المحتمل الخطأ والصواب بل هو الى الخطأ اقرب لمخالفته لما قطع به الجمهور ولم يقل به الا الشاذ كما سمعت والأمور الاجتهادية لا يجوز المعارضة فيها كما بيناه في المقدمات وما بالهم يسلبون المسلمين حرية مذاهبهم في الأمور الاجتهادية ويحملونهم على اتباع معتقداتهم فيها

---

(١) صفحة ١٩٨ ج٣. (٢) صفحة ١١٢ ج٢.

بالسوط والسيف (كما) زادوا في طنبور تعنتهم هـذه السنـة نغمات فعـاقبـوا النـاس على البكاء عند زيـارة قبر النبي (ص) أو احـد القبـور ومنعـوهم منـه والبكـاء امـر قهـري اضطراري لا يعاقب الله عليـه ولا يتعلق بـه تكليف لاشتراط التكليف بـالقـدرة عقـلا ونقلا ومنعوا من القراءة في كتاب حال الزيارة ومن إطالة الوقوف فمن رأوا في يده كتـاب زيارة اخذوه منه ومزقوه او احرقوه وضربوا صاحبه واهانوه ومن اطـال الـوقـوف طـردوه وضربوه (حدثني) بعض الحجاج الثقات انه تحيل لقراءة الزيارة من الكتـاب بأن فصل أوراقاً منه وجعلها في القرآن وجلس يظهر قراءة القـرآن ويـزور فـاتفق انـه اشـار غفلـة بالسلام نحو قبر النبي (ص) فدفعوه حتى اخرجـوه من المسجـد وأخـذوا تلك الأوراق ومزقوها وأمثال هذا مما صدر منهم في حق الحجاج في مسجدي مكة والمدينـة ومسجـد الخيف البقيع وغيرها مما سمعناه متواتراً من الحجاج كثير يطول الكلام بنقله .

استدراك

لما فاتنا ذكره في محله من هذا الكتاب ولم نعثر عليه الا بعد الطبع فـذكـرنـاه هنـا على ترتيب مواضعه في الكتاب .

(١)

مما يتعلق بحياة الشهداء والمؤمنين ما في وفاء الوفا (١) انه ذكـر ابن تيميـة في اقتفـاء الصراط المستقيم كما نقله ابنْ عبـد الهادي ان الشهـداء بل كل المؤمنين اذا زارهم المسلم وسلم عليهم عرفوا به وردوا عليه السلام انتهى .

(٢)

مما يتعلق برد من قال من الوهابيين ان المراد بنجد المذمومة في الأخبار هي العراق قول نوح بن جرير الخطفي ذكره في معجم البلدان .

فذا العرش لا تجعل ببغداد ميتيَ ... ولكن بنجد حبذا بلدا نجد

بلاد نأت عنها الراغيث والتقى ... بها العين والأرام والعفر والربد

---

(١) صفحة ٤٠٥ ج٣ .

وقول اعرابي كما في معجم البلدان

الا هل لمحزون ببغداد نازح اذا ما بكى جهد البكاء مجيب

كأني ببغداد وان كنت آمنا طريد دم نائي المحل غريب

فيا لأئمي في حب نجد وأهله أصابك بالأمر المهم مصيب

فدل كلام هذين الشاعرين ان بغداد التي هي عاصمة العراق ليست من نجد وان نجداً ليست هي العراق.

(٣)

مما يتعلق بأحوال نجد والنجديين ما ارشدنا اليه بعض كبار العلماء اكثر الله في المسلمين امثاله في كتابه كتبه الينا مع تفصيلنا في الحاشية بعض ما أجمله وترك الباقي لعدم عثورنا على تفصيله لبعدنا عن مكتبتنا قال حفظه الله.

ان اقطار البلاد العربية اخرجت ملوكا وعلماء في الجاهلية والإسلام ما خلا نجد فانها لم تخرج في الجاهلية الا كبار اللصوص وفساق العشاق (١) ومنها اتى الضلال للعرب فانهم لما كانوا قرة عين ابليس وأشد البشر شبها به لم يتقمص الا صورة احدهم فأغوى عمر و بن لحي (٢) وأغراه بعبادة الأصنام وهو في صورة نجدي كما ان بعد ذلك حاول اغواء قريش لما حكموا النبي (ص) في وضع الحجر الأسود قبل النبوة وهو في نحو تلك الصورة وأيضاً كان فيها لما ساعدهم في دار الندوة على المكر بالرسول وشبه الشيء منجذب اليه (٣) ثم ان اهل نجد كانوا اشد العرب غطرسة وكبرا وجهلا وكانوا ابعد

---

(١) امثال عروة بن حزام الذي يقول: جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شفياني

(٢) هو اول من احدث عبادة الأصنام في العرب (المؤلف).

(٣) في سيرة ابن هشام ما حاصله انه لما اجتمع قريش ليتشاوروا في امر رسول الله (ص) وقصدوا دار الندوة اعترضهم ابليس في هيئة شيخ جليل عليه بتلة فوقف على باب الدار قالوا من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم وعسى ان لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا اجل فدخل معهم وتشاوروا في امر النبي (ص) فقال قائل منهم احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما اصاب قبله الشعراء اشباهه من الموت فقال الشيخ النجدي ما هذا برأي لئن حبستموه ليخرجن أمره الى اصحابه فيثبون عليكم فينتزعونه من ايديكم وقال آخر ننفيه من بلادنا فقال الشيخ النجدي ما هذا برأي لو فعلتم ذلك ما امنتم ان يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بحسن حديثه وحلاوة منطقه ثم يسير بهم اليكم فقال ابو جهل أرى ان نأخذ من كل قبيلة شابا جليداً ثم نعطي كلا منهم سيفا صارما فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب القبائل فيرضون بالدية فقال الشيخ النجدي هذا هو الرأي (المؤلف).

الخلق من قبول الهداية لقساوة قلوبهم وجساوتها وغلظ طباعهم ولـذلك تكـرر غـدرهم بمن بعثه النبي (ص) لهدايتهم (١) وكانوا اشر العرب واكبرهم ايذاء له (ص) وأشدهم عليه وكانوا اخبث الناس جوابا له نفسي له الفداء لما عرض نفسه على القبائل (٢) ثم لما اتى دور الكذبة تمخضت الدنيا عن كذاب واحـد وهـو الأسـود العنسي وانطفت فتنتـه سريعا (٣) لعدم صلاحية اليمن لغير الإيمان ولكن نجداً لخصوبتها بـالكـذب وكـونها مطلع الفتن ومنبتها اخرجت دفعة واحدة مسيلمة وطليحة وسجاح وقد لقي الصحابـة منهم شراً لم يلقـوا عشره من غيرهم ثم كـان اول محكم من الخوارج من عنيـزة من نجــد ومنهم ذو الخويصرة اللعين ونجد معدن الخوارج ومنها القرامطة ومذهب نجـد منـذ ذر قرن الخوارج منها الى الآن واحد في جـوهـره لم يتغير وان تغيرت الأسماء لأنـه تكفير جميع المسلمين غيرهم واستحلال الدماء والأموال انتهى.

(٤)

في بعض ما يحكى عن ابن تيمية من المعتقدات التي فاتنا ذكرها عند ذكر معتقـده في صدر الباب الأول.

ففي كتاب دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة من الحنابلة لأبي الفرج عبـد الـرحمن ابن الجوزي الواعظ المشهور عند ذكر الايات التي ظاهرها التجسيم (قال) ومنهـا قـولـه تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ الى ان قال: قال ابن حامد (٤) الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد القعود وقد ذهبت طائفة من اصحابنا الى ان الله تعالى على عرشـه مـا مـلأه

(١) في سيرة ابن هشام وغيرها انه قدم ابو البراء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله (ص) وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبـوا لك فقـال (ص) اني اخشى عليهم اهل نجد قال انا لهم جار فبعث رسول الله (ص) اربعين رجلا من اصحابه فساروا حتى نزلوا بئر معونة فبعثوا احـدهم بكتـاب رسول الله (ص) الى عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه وقتله واستصرخ عليهم قبائل العرب فقتلوهم (المؤلف).

(٢) في سيرة ابن هشام ان رسول الله (ص) اتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن احد من العرب اقبح عليه رداً منهم انتهى وبنو حنيفة هم اصحاب مسيلمة الكذاب وكانوا في نجد (المؤلف).

(٣) فانه ادعى النبوة بعد حجة الوداع وقتل في حياته (ص) ذكره ابن الأثير (المؤلف).

(٤) في حاشية الكتاب هو شيخ الحنـابلـة الحسن بن حـامـد بن علي البغـدادي الـوراق المتـوفى سنـة ٤٠٣ كـان من اكبر مصنفيهم له شرح اصول الدين فيه طامات اهـ (المؤلف).

وانه يقعد نبيه على العرش وفي الحاشية (١) ما لفظه؛ قال الجلال الدواني في شرح العضدية: وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به اي بالقدم النوعي في العرش اهـ وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه؛ وذلك ان ابن تيمية كان من الحنابلة الاخذين بظواهر الايات والأحاديث القائلين بان الله استوى على العرش جلوساً فلما اورد عليه انه يلزم ان يكون العرش ازلياً لما ان الله ازلي فمكانه ازلي وأزلية العرش خلاف مذهبه قال انه قديم بالنوع اي ان الله لا يزال يعدم عرشا ويحدث آخر من الأزل الى الأبد حتى يكون له الاستواء ازلا وابداً ولننظر اين يكون الله بين الإعدام والإيجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به ازلا فسبحان الله ما اجهل الإنسان وما اشنع ما يرضى به لنفسه انتهى المنقول في الحاشية فانظر الى قول الجنابلة سلف ابن تيميه الذين يدين بمذهبهم ان الله مستوى على العرش استواء مماسة وقعود وانه ما ملأ العرش بل العرش اكبر منه وانه يجلس معه نبيه على العرش تشبيها بالملك الذي يجلس معه وزيره على السرير والى قول ابن تيمية ان العرش قديم بالنوع حادث بالشخص تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (وفي كتاب دفع شبه التشبيه) ايضا عند ذكر الأحاديث التي ظاهرها التجسيم (٢) الحديث التاسع عشر روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي (ص) ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجيب له (قال ابن حامد): هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله ومنهم من قال يتحرك اذا نزل وما يدري ان الحركة لا تجوز على الله وقد حكوا عن الإمام احمد ذلك وهو كذب عليه انتهى (وفي الحاشية) حكى ذلك ابو يعلى في طبقاته عن احمد بطريق ابي العباس الأصطخري وعجيب من (ابن تيمية) كتبه في معقوله غير منكر ما يرويه حرب بن اسماعيل الكرماني صاحب محمد بن كرام في مسائله عن احمد وغيره في حقه سبحانه انه يتكلم ويتحرك ونقل ايضا (يعني ابن تيمية) عن نقض الدارمي ساكتاً او مقراً ـ الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم

---

(١) صفحة ١٩ طبع دمشق. (٢) صفحة ٤٦ طبع دمشق.

ويجلس اذا شاء لأن امارة ما بين الحي والميت التحرك وكل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة بل يروى عنه نفسه (يعني ابن تيمية) انه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال: ينزل الله كنزولي هذا على ما اثبته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة: ذكروا انه ذكر (اي ابن تيمية) حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال كنزولي هذا فنسب الى التجسيم اهـ.

(٥)

مما يتعلق بالاستغاثة ما عن الاستيعاب انها وقعت مشاجرة بين بني عامر في البصرة فبعث عثمان ابا موسى الأشعري اليهم فلما طلع عليهم صاحوا يا آل عامر فلما سمع النابغة الجعدي برز مع قومه فقال ابو موسى ماشأنك قال سمعت دعوة قومي فأجبتها فعزره ابو موسى بسياط فقال النابغة أبياتا من جملتها.

فيا قبر النبي وصاحبيه الا يا غوثنا لو تسمعونا
الا صلى الهكم عليكم ولا صلى على الأمراء فينا

والنابغة من الصحابة ولما قال

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال له النبي (ص) الى اين قال الى الجنة بك يا رسول الله ودعا له النبي (ص) فقال لا فض فوك فلم تسقط له سن حتى مات.

ومما يتعلق بالاستغاثة ما جاء في قصة قارون انه لما خسف به استغاث بموسى (ع) فلم يغثه وقال يا ارض ابلعيه فعاتبه الله حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لأغثته.

(٦)

مما يتعلق بالتوسل ما عن السيوطي ان النبي (ص) استسقى فلما نزل الغيث قام رجل من كنانة فقال:

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة اليه وأشخص منه البصر
اغاث به الله عليا مضر وهذا العيان لذاك الخبر
وكان كما قاله عمه ابو طالب أبيض ذو غرر

فلم تك ا لا ككف الرداء او اسرع حتى رأينا الدرر
به قد سقى الله صوب الغمام ومن يكفر الله يلقى الغرر

فقال النبي (ص) ان يك شاعر يحسن فقد احسنت (فقوله) سقينا بوجه النبي المطر (وقوله) اغاث به اللهعليا مضر (وقوله) وكان كما قاله عمه الخ الذي هو اشارة الى قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه (وقوله) به قد سقى الله صوب الغمام كلها دالة على حسن التوسل والاستغاثة بالنبي (ص) لأنه سمعها ولم ينكرها بل استحسنها.

(٧)

مما يتعلق بالإقسام على الله بمخلوق ما ذكره ابن خلكان في تاريخه قال حكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال كنا بفناء الكعبة انا وابن عمر وابن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان وذكر دعاء كل منهم ان يعطى متمناه فأعطيه فكان من دعاء عبد الله بن الزبير (اسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه السلام).

(٨)

مما يتعلق بالنذر رداً على استشهاد الصنعاني بحديث ان النذر لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل ما رواه صاحب الكشاف والبيضاوي وغيرهما في تفسير قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ الاية عن ابن عباس ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا (الحديث) قالا ما حاصله ان عليا (ع) استقرض ثلاثة اصواع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزته فجاءهم عند الإفطار مسكين فآثروه وجاءهم في اليوم الثاني يتيم فآثروه وفي اليوم الثالث أسير فآثروه فنزل جبرئيل وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك فأقرأه السورة انتهى.

(٩)

مما يتعلق بالتبرك بمنبر النبي (ص) وبآثاره ما ذكره السمهودي في وفاء الوفـا(١) عن الأقشهري عن يزيد بن عبد الله بن قسيط رأيت رجالا من اصحاب رسول الله (ص) اذا خلا المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التي كان رسول الله (ص) يمسكهـا بيـده ثم يستقبلون القبلة ويدعون (قـال) وفي الشفـاء لعيـاض عن ابي قسيط والعتبي رحمهما الله كـان أصحـاب رسـول الله (ص) اذا خـلا المسجـد حبسـوا رمـانـة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون انتهى .

(١) صفحة ٤٤١ ج٢ .

خاتمة

(في متفرقات من مقالات الوهابية واعتقاداتهم وتشدداتهم)

(ومقالات مروجي دعوتهم وردها)

(الأول) توقفهم في (التلغراف) وفتواهم في شيعة الأحساء والعراق وفي المكوس.

فمن الطرائف ما نقلته جريد الرأي العام الصادرة بدمشق وقبلها بعض الجرائد المصرية من توقف علماء الوهابية في جواز استعمال التلغراف لأنه امر حادث وإفتائهم بعدم جواز معارضة السلطان ابن سعود في اخذ المكوس مع فتواهم بأنها من المحرمات الظاهرة. قالت جريدة الرأي العام في العدد ٤٠٦١ الصادرة في ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ : ورد على جلالة السلطان ابن سعود من بعض الوهابيين اسئلة تتعلق بالمحمل والهاتف والضرائب وغيرها فاستفتى علماء نجد فورد عليه منهم الأجوبة الاتية ننشرها ليطلع عليها الرأي العام الإسلامي وهي موقعة من نحو من اربعة عشر رجلا من علماء نجد منهم محمد بن عبد اللطيف وسعد بن عتيق وسليمان بن سمحان وغيرهم قالوا اما بعد فقد ورد على الإمام سلمه الله تعالى سؤال من بعض الإخوان عن مسائل فطلب منا الجواب عنها فأجبناه بما نصه.

اما مسألة البرق «التلغراف» فهو امر حادث في آخر هذا الزمان ولا نعلم حقيقته ولا رأينا فيه كلاما لأحد من اهل العلم فتوقفنا في مسألته ولا نقول على الله ورسوله بغير علم والجزم بالإباحة والتحريم يحتاج الى الوقوف على حقيقته (واما) مسجد حمزة وابي رشيد فأفتينا الإمام وفقه الله بهدمهما على القوم (الى ان قالوا) واما الرافضة: فأفتينا الإمام ان يلزمهم البيعة على الإسلام ويمنعهم من اظهار شعائر دينهم الباطل وعليه ان يلزم نائبه على الأحساء إن يحضرهم عند الشيخ ابن بشر ويبايعونه على دين الله ورسوله وترك الشرك من دعاء الصالحين من اهل البيت وغيرهم وعلى ترك سائر البدع في اجتماعهم على مآتمهم وغيرها مما يقمون به شعائر مذهبهم الباطل ويمنعون من زيارة المشاهد

ويلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ويرتب الإمام فيهم ائمة ومؤذنين ونواباً من اهل السنة ويلزمون بتعليم الثلاثة الأصول (١) وتهدم المحال المبنية لإقامة البدع فيها(٢) ويمنعون من اقامة البدع (٣) في المساجد وغيرها ومن ابى قبول ما ذكر ينفى عن بلاد المسلمين (واما رافضة القطيف) فيلزم الإمام ايده الله الشيخ ابن بشر ان يسافر اليهم ويلزمهم بما ذكرنا (واما البوادي والقرى) التي دخلت في ولاية المسلمين فأفتينا الإمام بان يبعث اليه دعاة ومعلمين ويلزم نوابه بمساعدة الدعاة على الزامهم بشرائع الإسلام (واما رافضة العراق) الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين فافتينا الإمام بكفهم عن الدخول في مواطن المسلمين وارضهم (واما المكوس) فأفتينا انها من المحرمات الظاهرة فان تركها فهو الواجب عليه وان امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من اجلها.

حرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ اهـ.

فهذا نموذج من فتاوى الوهابية فليتأمل فيه العاقل المنصف وليقايس بين تشددهم واستشكالهم في التلغراف خوفا من القول على الله ورسوله بغير علم وبين تساهلهم في المحرمات الظاهرة كالمكوس و إرخائهم العنان فيها لآخذها خوفا من شق عصا المسلمين بزعمهم وهل اعوان الإمام غير الوهابية فأين شق عصا المسلمين (اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) ولماذا لم يفتوا بعدم هدم قبور أئمة المسلمين وعظمائهم خوفا من شق عصا المسلمين ولماذا هدموها والحقوا الإهانة بأهلها فأوغروا قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حتى صار كل فرد منهم يتمنى خروجهم من الحجاز ولا يتأخر عن مقاومتهم في أول فرصة تمكنه أليس في هذا شق لعصا المسلمين وتفريق لكلمتهم ولكنهم اذا اعتقدوا ان لا مسلم غيرهم كانوا قد شقوا بذلك عصا غير المسلمين بزعمهم (واذا) كانوا يستشكلون ويتوقفون في حكم التلغراف لأنه حادث لا يعلمون حقيقته

(١) التي في رسالة محمد بن عبد الوهاب. (٢) كالحسينيات.
(٣) مثل قراءة التعزية ـ (المؤلف).

فهلا توقفوا في كل حادث كالبندقية والمدفع والأتوموبيل الذي لا يعلمون حقيقته وكيف يسير بلا مسير ظاهر ويركب فيه السلطان ابن سعود وأتباعه وكثير من الوهابية وهو احدث من التلغراف الى غير ذلك فكانوا بذلك كالخوارج الذين استشكلوا في قتل الخنزير الشارد في البر وقالوا أنه فساد في الأرض ولم يستشكلوا في قتل الصحابي المسلم الصائم في شهر رمضان وفي عنقه القرآن لأنه لم يوافقهم على تكفير علي بن ابي طالب وقتل زوجته معه وهي حامل وبقر بطنها (واذا) كانوا بكل هذا الورع في التوقف عن حكم التلغراف فهلا توقفوا عن استباحة دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم واخافة السبيل وكفروهم تقليداً لرجل يجوز عليه الخطأ وتكفير المسلم عظيم كاستباحة ماله ودمه وعرضه واستندوا في ذلك الى امور اجتهادية يكثر فيها الخطأ وادلة واخبارظنية قابلة للصدق والكذب فلو كانوا اهل ورع حقيقة كما يزعمون للزمهم ان يفاوضوا علماء المسلمين المنتشرين في اقطار الأرض ويباحثوهم ويجادلوهم بالإنصاف لا بالبنادق ويعقدوا مجتمعاً عاما اسلاميا ويبسطوا المسائل المتنازع فيها على بساط البحث ويحكموا بينهم الكتاب والسنة المسلمة بين الكل حتى ينظروا لمن يكون الفلج لا ان ينحازوا في بادية نجد بين اعطان الإبل ويصدروا الفتاوى استناداً الى اقوال تلقوها من اسلافهم الذين يجوز عليهم الخطأ يتوارثها اللاحق من السابق ولا يحيد عنها قيد شبر ثم يجبروا الناس على اتباعها بالسيف والسنان شاؤوا او ابوا اعتقدوا او لا (ما هكذا تورد يا سعد الإبل) واذا لم يريدوا ذلك فليتركوا للناس اجتهادهم فان مسائلهم التي خالفوا فيها المسلمين ليست ضرورية بل اجتهادية للبحث فيها والتأويل مجال ولم ينزل عليهم بها وحي ولا شافههم بها نبي وانما اخذوها من اشياء زعموا دلالتها وعند غيرهم ما ينفيها ويمنع دلالتها.

وكذلك فتاواهم الجزافية في حق اتباع اهل البيت الطاهر الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً الذين دخلوا مدينة العلم النبوي من بابها وتمسكوا بالثقلين كما امرهم نبيهم ونبزهم بالرافضة من شيعة الأحساء والقطيف من رعايا سلطانهم وشيعة العراق الذين يدخلون بلاد نجد لمخالفتهم لهم في امور اجتهادية يشاركهم في اكثرها سائر المسلمين ويحتمل في حق كل احد فيها الإصابة والخطأ فالمصيب مأجور والمخطىء مع عدم تقصيره معذور مثل دعاء الصالحين واقامة المآتم وزيارة المشاهد وليست من

ضروريات الدين كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج فكيف يجبرون على البيعة على الإسلام وهم مسلمون يقرون لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة ويلتزمون بجميع ما جاء به من عند ربه مما اتفق عليه جميع المسلمين ويرجعون فيما اختلفوا فيه الى اقوال ائمة اهل البيت الذين ان لم يكونوا فوق الأئمة الأربعة وفوق ابن عبد الوهاب في العلم فليسوا دونهم وكيف يمنعون من اظهار شعائر دينهم فان كان ذلك في الضروريات فهم يوافقون المسلمين عليها وان كان في الاجتهادات فباب الاجتهاد عندكم مفتوح فكيف جاز لكم الاجتهاد ومنع منه غيركم بالسيف والنفي من بلاد المسلمين وكيف يجوز الزامهم بالصلاة خلف من قد يعتقدون ببطلان صلاته لترك البسملة التي هي جزء السورة عندهم او غير ذلك من الأمور الاجتهادية وكيف يمنعون من الأذان وهو شعار الإسلام ويجعل لهم مؤذن من غيرهم والى اي دليل استندتم في هذه الفتوى. وبأي عدل والى اي دليل استندتم في منع شيعة العراق عن الدخول الى بادية نجد والأرض لله تعالى لا لكم والناس كلهم عبيده وهلا أفتيتم الإمام بمنع الشيعة وباقي المسلمين المشركين بزعمكم عن حج بيت الله الحرام والله تعالى يقول: ﴿انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وكيف ان حكومتكم النجدية تبذل كل ما في وسعها لترغيب الناس في الحج لتعيش وتعيشون في الحجاز القاحلة لولا الحجاج.

(الثاني في حكم الوهابية بوجوب اتلاف كتب المنطق وروض الرياحين ودلائل الخيرات وغيرها.

قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية الخمس ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء على انا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل «يعني دلائل الخيرات» وهو كتاب مشهور معظم يشتمل على ادعية وأوراد (قال) وما اتفق لبعض البدو من اتلاف بعض كتب أهل الطائف انما صدر من بعض الجهلة وقد زجروا عن مثل ذلك.

(ونقول) اما روض الرياحين فلا نعرفه لنبدي رأينا فيه واما علم المنطق الذي امر بتعريبه من اليونانية المأمون العباسي ككثير من كتب العلوم العقلية والرياضية وكان له

بذلك الفضل والذكر الجميل الخالد وتداوله المسلمون والفوا فيه كثيراً ودرسوه من ذلك العصر الى اليوم ولم يترك درسه متسم بالعلم فقد ابتلي هذا العلم النفيس الذي يشحذ الأذهان ويفيد قوة الحجة من طرف الوهابية بما ابتليت به قبور الأنبياء والصلحاء فله اسوة بها ودليلهم على وجوب اتلاف كتبه انه يحصل بسببه خلل في العقائد وانه حرمه جمع من العلماء فليذكروا لنا من هو الذي اختلت عقيدته بسبب علم المنطق وهل يكون تحريم جمع من العلماء ان صح النقل مجوزاً لإتلاف كتبه المملوكة للغير بغير اذنه على اننا لم نسمع تحريمه عمن يصح ان يعتمد على علمه سوى ما حكاه صاحب السلم عن بعض الجامدين بقوله .

فابن الصلاح والنواوي حرما وقال قوم ينبغي ان يعلما

واعتذار صاحب المنار في الحاشية بقوله انما حرموا بعض كتب المنطق القديم الممزوجة بالفلسفة اليونانية الباطلة دون ما الفه المسلمون غير مجد لأن الكتب القديمة لا وجود لها حتى نشغل انفسنا بتحريمها وتحليلها وكلام صاحب السلم كالصريح في عدم هذا التقييد والاعتذار عن اتلاف كتب أهل الطائف المساكين كالاعتذار عن قتل نفوسهم البرية ونهبهم وسلبهم وتعذيبهم بانه وقع من البدو الجاهلين فهو كالذي وقع من خالد بن الوليد وقال (ص) اللهم اني ابرأ اليك مما فعله خالد وهؤلاء البدو هم الذين تسمونهم غزو الموحدين وهذه افعالهم مع المسلمين وما يفيد زجركم لهم بعد خراب البصرة وذهاب النفوس والأموال بأيدي غزو الموحدين واذا كان هذا فعلهم في كتب لا يعلمون ما هي ولا نفع لهم فيها فما حال النفوس والأموال التي وقعت في مخالبهم .

(الثالث) في كتاب (القديم والحديث) للكاتب الشهير محمد كرد علي الدمشقي من جملة مقال له في الوهابيين (١) مالفظه : ورسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهدة عدل على انه بريء من تلك الافتراء آت التي افتروها على عقائده وعقائد ابيه وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل وان مذهبه عين مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين وتلك الرسالة منقولة في اتحاف النبلاء من

(١) صفحة ١٦٦ طبع مصر.

شاء الاطلاع عليها فليرجع اليها (الى ان قال) قال احمد سعيد البغدادي في كتابه نديم الأدب حقيقة هذه الطائفة انها حنبلية المذهب وجميع ما ذكره المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليها بتأمل لأن غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الأفرنجية فان كان المنقول عنه صاحب دراية مصدق تجد ان من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الأصل وان كان غير صادق الرواية فمن باب اولى ومن اراد ان يعرف جلياً اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الإمام احمد بن حنبل (رض) فانه مذهبهم انتهى.

ونقول الرسالة المشار اليها هي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية وقد نسب فيها الى المسلمين الشرك وانواع الشرك وانهم من اقبح المشركين واجهلهم وانهم مصرون على الإشراك والشرك الأكبر الذي يهدر الدم ويبيح المال وجعل قبور الصالحين اصناما وطواغيت تعبد وان الخلاف بين الوهابية وبين الناس في اخلاص التوحيد وأنهم لما دخلوا مكة عُبِد الله وحده وأن الناس قبل ذلك لم تكن تعرف التوحيد والشرك وان من بلغته دعوتهم ولم يتبعهم فهو كافر الى غير ذلك في نحو من عشرين موضعاً والرسالة لا تزيد على ١٥ صفحة وصرح فيها بانهم يوجبون اتلاف كتب المنطق كما مر في الأمر الثاني وانهم يجعلون قول يا رسول الله اسألك الشفاعة شركا موجبا لحلية الدم والمال مع اعترافهم بان له الشفاعة يوم القيامة وقد نقلنا جملة من اقواله في تلك الرسالة في تضاعيف هذا الكتاب (فما) قول الأستاذ في هذه الشاهدة العدل التي استشهد بها على صحة عقائد ابن عبد الوهاب وابنه وبراءتهما من الافتراءات التي افتروها على عقائدهما وبنوا عليها الزلازل والقلاقل وهل مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين تكفير جميع المسلمين واباحة دمائهم واموالهم ووجوب اتلاف كتب المنطق. والهدية السنية التي هذه الرسالة احدى رسائلها طبعت مراراً بمطبعة المنار بمصر فليرجع اليها فهي شاهدة عدل على ان ما نسب الى عقائده، وعقائد ابيه هو عين ما يصرحان به ليس فيه كذب ولا افتراء عليهما (اما) ما نقله عن كتاب نديم الأدب (ففيه) انه لم يبق حاجة (والحمد لله) في معرفة عقائد الوهابية الى اخذها من الكتب الأفرنجية ولا من ترجمتها فكتب الوهابية المتضمنة عقائدهم مطبوعة منتشرة يوزعونها مجانا وبذلك قد مزقوا اعذار من يبتغي الاعتذار عنهم واما ان مذهبهم مذهب الإمام احمد بن حنبل فهم وان انتسبوا

اليه لكنهم يصرحون كما عرفته في الباب الأول بأنهم لا يلتزمون بمذهبه ولا بغيره اذا بان لهم دليل على خلافه كما انهم يصرحون على ما عرفت بكفر جميع من يخالفهم من المسلمين واستحلال دمه وماله والإمام احمد بن حنبل بريء من ذلك .

قال بعض اعاظم العلماء في كتاب كتبه الينا ما صورته : قال لي بمصر بعض من يدعي العلم بالحديث : ان كتب الحنابلة هي كتب الوهابية فما تنكر منها وليس لك ان تؤآخذهم إلا بما تجده صريحا في كتبهم ولا عبرة بنقل الخصم (١) فقلت ما تقول في القرامطة قال كفار ملاحدة قلت انهم يزعمون ان مذهبهم مذهب اهل البيت وان كتبهم كتبهم فهل تجد في كتب اهل البيت الا الحق والنور قال ان القرامطة كذبوا وهؤلاء نقلة التاريخ يثبتون كفر القرامطة وزورهم قلت وهل ترى قيام الحجة بنقل اهل التاريخ قال نعم فان الشافعي صرح في الرسالة بان نقلهم جماعة عن جماعة احب اليه من نقل اهل الحديث واحداً عن واحد قلت اذا يجب ان تقبل مني من نقل المؤرخين المشاهدين للوهابية ما هو صريح في كفرهم فسكت فقلت له فعل المرء حجة ودليل عليه وان كذبه لسانه فالقرامطة لما استحلوا دماء المسلمين واموالهم لم تبق شبهة في كفرهم وكذلك سادتك فغضب ولم يدر ما يقول فقلت ما تقول فيما ورد في الخوارج ومروقهم وانهم كلاب النار وشر قتلى تحت اديم السماء وغير ذلك قال ان المجموع يفيد العلم القطعي بمروق الخوارج واستحقاقهم غضب الله ولكنهم هم الذين قتلهم علي بالنهروان وليس الوهابية منهم قلت بم استحق اولئك غضب الله ابكونهم يحقر الصحابة صلاتهم في جنب صلاتهم وصيامهم في جنب صيامهم قال لا قلت ابسبب زهدهم وتقشفهم قال لا قلت بقولهم من قول خير البرية وبقراءتهم القرآن يقومونه كالقدح قال لا قلت اذا فبماذا فتلعثم فقلت ما ذاك الا باستحلالهم دماء المسلمين واموالهم وتكفيرهم لهم مع ادعائهم انهم هم المسلمون وحدهم ولا شك ان من اتصف بها اتصفوا به يستحق ما استحقوا بتلك الصفة انتهى .

وقد ظهر بذلك ايضاً فساد اقوال من يريدون تبرير اعمال الوهابية وانكار فظائعهم

---

(١) بعدما بيناه فيما سلف نقلا عن كتبهم المطبوعة من تكفيرهم جميع المسلمين وقول بعضهم ان كفرهم اصلي واستحلالهم دماءهم واموالهم بل واعراضهم لا يبقى مجال لهذا الكلام ولا احتياج الى الجواب (المؤلف) .

بان الحامل لأهل عصرهم على نقل ما نقلوه عنهم وعلى ذمهم هو السياسة والانتصار لدولة الترك وأشراف مكة فنسبوا اليهم الفظائع في مكة والمدينة وكربلا وغيرها لينفروا الناس منهم فانك قد عرفت فيما ذكرناه في تاريخهم وغيره من هذا الكتاب ان فظائعهم وأعمالهم في تلك الأماكن اصبحت معروفة متواترة كتواتر وجود مكة والمدينة وكربلا والوهابية وليست قابلة للشك والإنكار وكذا تكفيرهم المسلمين واستحلالهم اموالهم ودماءهم وجعلهم غزوهم جهاداً في سبيل الله وبلادهم دار حرب اصبح غير قابل للاعتذار بعد تصريحهم به فيما نشروه من كتبهم المطبوعة التي نقلنا عباراتها واشرنا الى صفحاتها فيما مر.

(الرابع) في بعض تمويهات صاحب المنار في انتصاره للوهابية.

قال في مقالاته (الوهابيون والحجاز) تحت عنوان (شهادة التاريخ للوهابية): نكتفي بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلا عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية.

الشهادة الأولى

ذكر الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢٧ نقلا عن بعض أكابر جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز انه قال له بعض اكابرهم ممن يدعي الصلاح والتورع اين لنا بالنصر واكثر عساكرنا على غير الملة او من لا يتدين بدين ومعنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عسكرنا اذان ولا تقام فيه فريضة والقوم اذا دخل الوقت اذن المؤذنون واصطفوا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع واذا حضرت الصلاة والحرب قائم اذنوا وصلوا صلاة الخوف وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته وينادون هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور التاركين للصلاة الاكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين المحرمات وكشفوا عن قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين انتهى.

وهذه الشهادة التاريخية التي تبجح بها صاحب المنار لا تزيد عن شهادة النبي (ص) للخوارج امام الصحابةبانهم يحقرون صلاتهم مع صلاة الخوارج وباسوداد جباههم من كثرة السجود مع كونهم من كلاب النار وقتلاهم شر القتلى تحت أديم السماء وحال الوهابية مع عسكر مصر التي شهد بها التاريخ لا تزيد عن حال الخوارج مع اهل الشام

التي شهد بها التاريخ ايضا حين قال لهم الخوارج ما تقولون في القرآن قالوا نضعه في الجوالق قالوا فما تقولون في اليتيم قالوا نأكل ماله ونفجر بأمه فهل نفعت هذه الشهادة التاريخية الخوارج حتى تنفع الوهابية قال:

الشهادة الثانية

ما جاء في كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للشيخ احمد الناصري السلاوي وخلاصته انه في سنة ١٢٢٦ انفذ السلطان المولى سليمان سلطان فاس ولده المولى ابراهيم لأداء فريضة الحج وأرسل معه جواب كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي فكان سببا لتسهيل الأمر عليهم وانهم حجوا وزاروا على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين ومضايقتهم لحجاج الافاق في امور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم وانه حدث جماعة ممن حج مع المولى ابراهيم انهم ما رأوا من ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وانما شاهدوا منه ومن اتباعه القيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر وتنقية الحرمين من القاذورات والاثام التي كانت تفعل وان حاله كحال آحاد الناس في زيه ومركوبه ولباسه وانه اظهر التعظيم للمولى ابراهيم الواجب لأهل البيت وجلس معه كجلوس احد اصحابه وكان المتولي للكلام معه القاضي فقال له القاضي بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي فقال معاذ الله انما نقول كما قال مالك (الإستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة) قالوا وبهذا نقول نحن قال له وبلغنا انكم تقولون بعدم حياة النبي وباقي الأنبياء في قبورهم فارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال معاذ الله انما نقول انه حي في قبره وكذا باقي الأنبياء حياة فوق الشهداء قال وبلغنا انكم تمنعون من زيارته وزيارة الأموات مع ثبوتها في الصحاح فقال معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم انتم لما عرفنا انكم تعرفون كيفيتها وآدابها وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية ويطلبون من الأموات قضاء أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى يسأل الله المنفرد بالإعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به هذا قول إمامنا احمد بن حنبل ولما

كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سداً للذريعة انتهى.

(ونقول) هذه الشهادة كالتي قبلها لا تنفع الوهابيين شيئا كما لم ينفع ما هو اعظم منها الخوارج على ما عرفت وما تنفع الصلاة والطهارة والصيام والنهي عن المنكر وتنقية الحرمين مع استحلال دماء المسلمين وأموالهم واخافتهم لسؤالهم الشفاعة ممن اعطاه الله الشفاعة بقولهم نسألك الشفاعة يا رسول الله كما لم تنفع الخوارج صلاتهم التي يحقر الصحابة صلاتهم عندها وطهارتهم التي ادت بنسائهم الى الوسواس وسجودهم الذي اسودت له جباههم وتلاوتهم للقرآن ومحافظتهم على احكام الشرع وهم يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم واعراضهم حتى مرقوا بذلك من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولو تأمل صاحب المنار لعرف ان فيما نقله شهادة على الوهابيين لا لهم من تعذر الحج والزيارة وعدم استيفائهما على ما ينبغي لمضايقة الوهابية لحجاج الافاق في امور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم وما الذي سوغ لهم مضايقة المسلمين في امور اجتهادية نظرية ليست من ضروريات الدين ولا اجماعياته ان لم يكن الضرورة والإجماع فيها على خلاف ما عليه الوهابيون (واما) قوله في الاستواء بما نسب الى مالك وموافقة المغاربة له فقد عرفت في الباب الأول انه لا يكاد يصح لأنه اما قول بالتجسيم او المحال وأما حصره سبيل الزيارة في الاعتبار بحال الموتى والدعاء بالمغفرة فهو في غير زيارة الأنبياء الذين في زيارتهم اكرامهم وإداء حقهم (واما) قوله ويستشفع به الى الله يسأل الله بجاه ذلك الميت الخ وان ذلك مذهب الإمام احمد فهو مناقض لما عليه الوهابية من ان الاستشفاع به وسؤال الله بجاهه كفر وشرك فهو اما تدليس او رجوع عما هم عليه يحلونه عاما ويحرمونه عاما وهو كإنكار عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تكفير الوهابية لجميع المسلمين كما عرفت في الباب الأول وقد اعترف بذلك صاحب المنار بقوله: وما نقله من كلام الأمير الوهابي في مسألة الاستشفاع معزواً الى الإمام احمد يظهر انه لم ينقل بحروفه فانه لا يعرف عنه ولا عن الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم انتهى.

(وأقول) الإمام احمد في علمه وفضله لا بد ان يكون قائلا بهذا اما الأمير الوهابي فنطق بالحق من حيث لا يشعر ودعوى التحريف غير مسموعة.

واعلم ان صاحب المنار كان مولعا في مجلته بذم السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والدعاية لشرفاء مكة ولعقد المؤتمرات في مكة المكرمة كما يعلم من مراجعة اعداد

مجلته في ذلك العهد ومولعاً بالدعاية الى اتحاد المسلمين وان تنتقد كل طـائفـة منهم وكل أهل مذهب طائفتهم واهل مذهبهم خاصة ولكنه لم يوافق قولـه فعلـه فما عتم ان نشر في مجلته المقالات السيئة في حق الشيعة في العراق وغيرها الموجبة لإيغـار الصـدور وتفـريق كلمة المسلمين مثل ان علماء النجف يجدون في اضلال العباد ونسبـة قبـائح كثيرة اليهم هم منها براء الأمر الذي دعانا يومئذ الى تأليف رسالة سميناها (الحصون المنيعة) في رد ما جاء في المنار في حق الشيعة ولما طبعت كان الاقبال عليها شديـداً في جميع الأقطـار ولما وصلته لم يأت في ردها بدليل ولا برهان ولم يزد على قوله جدل بتمحل ومراء ظاهر وامثال هذه من عباراته المنمقة التي لا ترجع الى محصل نعم نشر في مجلته مقـالـة بعنـوان البـدع والخرافات عند الشيعة وسرد فيها ما شاء من أقاويل واباطيل وقال انها رسالة جاءتـه من سائح في البحرين وانه كان عزمه على عدم نشرهـا لمنافـاتها مـا يتـوخـاه من التأليف بين المسلمين لكن لما جاءته الحصون المنيعة نشرها اي حمله حب التشفي على نشرهـا مخالفـا طريقته المثلى وقد اجبناه عنها برسالة سميناها (الشيعة والمنار(١) ثم لما اعطاه الله مـا اراد من خلع السلطان عبد الحميد وقبض الاتحاديين على زمام الحكم صار يشنع عليهم ولما اعطي امنيته في قيام شريف مكة ضد الدولة العثمانية في الحرب العامة وخـروج الحجـاز من يدها واقامة الشريف ملكا عليه كان في جملة اتباع الشريف واعوانه في مكة المكـرمـة ومن اعظم المسبحين بحمده والذي يحرقون له بخور الثناء كما قيل عنـه ثم اتى سـوريـة وكان في رحاب الأمير فيصل ومن اعظم المقربين لديه حتى جعله رئيسا للمؤتمر السوري المعقود بدمشق ولم يزل على ذلك حتى اقيم الأمير فيصل ملكا على سورية وكانت وقعـة ميسلون المشهورة التي انتهت بخروج الملك فيصل من سورية وخروج الأستاذ صـاحب المنار منها الى مقـره في مصر وسفـره الى العـواصم الأوربيـة وتأليفـه الجمعيـات وعقـده المؤتمرات ثم قلب للملك حسين واولاده ظهر المجن وصـار ينشيء المقـالات الطـويلـة العريضة في الأهرام والمنار وكوكب الشرق وغيرها في ذم الملك حسين واولاده بأقبح الـذم بما اوتيه من ذلاقة لسان وفصاحة بيان ويصفه بالظلم وانه ليس اهـلا للخـلافـة ويطيل

(١) ثم عززناهما بثالثة وهي القول الصادق في رد ما جاء في مجلة الحقائق ـ (المؤلف).

ويطنب في الاستدلال على ذلك ويدعو الى الإمام يحيى ويبرهن على انه هو الحقيق بالخلافة الإسلامية والجدير بها دون الملك حسين ولم يكن في ذلك الحين يأتي على ذكر السلطان ابن سعود بحرف واحد ثم لما دخل الوهابية مكة صار يدعو الى السلطان عبد العزيز بن سعود بما عنده من قوة جنان وفصاحة لسان وذهب الى مكة المكرمة بعد اخذ الوهابيين لها ثم قرأنا في الجرائد السورية ان السلطان ابن سعود امره بمغادرة الحجاز ثم انخرط في سلك الحزب السوري بمصر ثم تخالف مع اعضاء الحزب وصار يشنع عليهم ويشنعون عليه كل ذلك مما يوضح ما طبع عليه الأستاذ من التقلب والتلون ولا يمكن ان يعتذر عنه بأنه ظهر له فيمن قلب لهم ظهر المجن خلاف ما كان يعتقده فيهم لأنه عاشرهم وصحبهم اعواماً يمكنه فيها معرفة خيرهم وشرهم وسرهم وجهرهم مع ما اوتيه من فطانة وكياسة وحنكة ودربة ولم يكن ليظهر له وهو بعيد عنهم ما خفي عليه وهو قريب منهم والله تعالى وحده العالم بالسرائر المطلع على الضمائر والحاكم بين عباده يوم فصل الخطاب.

***

ولنقطع الكلام على هذا القدر من الرد حامدين المولى تعالى على توفيقه لإكمال هذا الكتاب وكان الفراغ من تسويده في اواخر شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٦ من الهجرة بقرية شقرا من جبل عامل ووقع الفراغ من تبييضه واعادة النظر فيه في اواسط ربيع الأول سنة ١٣٤٧ بمدينة دمشق المحمية والحمد لله وحده وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم.

وتم طبعه في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٧ هـ بمطبعة ابن زيدون بدمشق والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم.

العقود الدرية

في رد شبهات الوهابية

نظم العلامة

السيد محسن الامين الحسني العاملي

صاحب كتاب (كشف الارتياب) في اتباع محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين (وبعد) فهذه القصيدة المسماة (بالعقود الدرية في رد شبهات الوهابية) نظم الفقير الى عفو ربه الغني محسن الحسيني العاملي تجاوز الله عن سيئاته .

اشجاك ربع عند برقة ثهمد اقوى فبت مسهداً لم ترقد

لعب الزمان به وبان قطينه من رائح منهم وآخر مغتدي

ام هل شجيت بذي الأراك لساجع فوق الغصون من الأراك مغرد

ام هل حننت الى نوازل بالحمى رقدوا وبت لهم بليل الأرمد

غادين قد زموا المطي لواغبا حتى اناخوها بأعلى الأثمد

وبقيت بعدهم لذكر فراقهم تبكي بدمع للخدود مخدد

ام هل بكيت على الشباب وعصره ام هل صبوت الى الحسان الخرد

مثل الغصون بها القدود تمايلت ولها الثياب كأنها الورق الندي

ترمي لواحظها المريضة في الحشا عن قوس حاجبها سهام مسدد

وتسل من بين الجفون صوارما مشحوذة تزري بكل مهند

ما عاد دمع العاشقين موردا الا لحمرة خدها المتورد

باتت بليلة نائم ما مسها سهد وبت لها بليل مسهد

من كل واضحة الجبين اسيلة الـ خدين خود بضة المتجرد

بيض نواعم كالغصون اوانس عين نوافر كالظباء الشرد

حملت من الأرداف احقافا ومن اعطافها مثل الغصون الميد

ما كان حظ الصب يوم وداعها بالرمل الا لمحة المتزود

دع ذكر ايام الصبا ومواقفا لك عند رسم المنزل المتأبد

واهجر احاديث الغرام وصبوة بعد المشيب لذات قد املد

ينهاك ناهي الشيب ان تصبوا الى ذي مقلة حورا وقد اغيد

من ناهز السبعين اعلمه الحجى قبح الرنو الى الحسان النهد

قم وابك منتحبا لما قد حل بالـ إسلام من وهن وفرط تبدد

ابناؤه متشاكسون عراهم محلولة ما بينهم لم تعقد

زرعوا وكان الغير حاصد زرعهم يا ويح ايد زرعها لم تحصد

وملوكه امسى يقوض ملكهم ابداً بسيف عنهم لم يغمد

فرحون باسم مملك لكنه ... لسواه كالمملوك والمستعبد
ويقوم فيهم من يسمى مصلحا ... بين البرية وهو عين المفسد
او مرشداً هو احوج الأقوام لو ... عقل الأمور الى اتباع المرشد
معبوده اما هوى او درهم ... فسوى الدراهم والهوى لم يعبد
او من يذم مقلداً لكنه ... لو كان يعلم ليس غير مقلد
او من يقلد دينه فيهم الى ... شخص لآثام الورى متقلد
او من يثير ضغائنا ما بينهم ... كادت تماث كأنها لم توجد
ويقوم باسم الدين يوقد نارها ... بغيا ولولا بغيه لم توقد
يقلي أخاه به ويظهر بغضه ... ويقوم مفتريا عليه ويعتدي
او من يروج في الأنام ضلالة ... ويخالها رشداً وان لم يرشد
في كل شارقة عرين يستبا ... ح لهم على الاساد من مستأسد
في كل غاربة لهم حصن يخر ... ب بعد حصن بالخراب مهدد
في كل ناحية لهم شمل يبد ... د بعد شمل قبل ذاك مبدد
في كل يوم نحوهم سهم يسد ... د إثر سهم للنحور مسدد
قد اصبحوا ما بين ثاو خامل ... دان وآخر في البلاد مشرد
يمسي ويصبح دهره من حيرة ... والطرف بين مصوب ومصعد
اين الأولى فتحوا الحصون وقلدوا ... بالسيف طوق الذل كل مقلد
من كل قرم للكفاح معاود ... بشبا الصفاح على القراع معود
يمشي الى الهيجاء مشية مسرع ... (عجلان ذا زاد وغير مزود)
لم يكف ما قد حل بالاسلام من ... ضيم تذوب له صخور الجلمد
وتقسم المستعمرين بلاده ... ووقوف سطوتهم له بالمرصد
وتتابع الحملات من اطرافه ... قصداً لهدم أساسه المتوطد
حتى اتت أعراب نجد تبتغي ... نكأ القروح وفعل ما لم يحمد
جاءت مجددة لدين محمد ... زعمت وتنفي عنه كل مجدد
جاءت لتهدي الناس وهابية ... كلا وهل يهديك غير المهتدي
من عصبة فيها الجمود سجية ... لم يلف فيها قط من لم يجمد

لولا المساعي الاجنبية ما اغتدى ... في الناس لابن سعودها من سمعد
لولا سيوف الغرب لم يك نجمه ... في الشرق يوما طالعا بالأسعد

فرغت من التوطيد للإسلام لم ... تترك من الإسلام غير موطد
قد مهدت شرع النبي ولم تدع ... في الأرض شيئا منه غير ممهد
وبها طريق الدين صار معبدا ... لم يبق منه قط غير معبد
لم يبق في الأقطار من متمجس ... من فضل دعوتها ولا متهود
ما ان ترى بين الورى من فاجر ... عاص ولا من شارب ومعربد
ردت عن الإسلام كل معاند ... وحمته من باغ عليه ومعتدي
ومحت من الإسلام كل ضلالة ... او بدعة او شبهة من ملحد
شنت على المستعمرين جميعهم ... غاراتها في كل قفر فدفد
شهرت بمصر والعراق وجلق ... والهند اسيافا له لم تغمد
في المغرب الأدنى علت راياته ... والمشرق الأدنى كذا في الأبعد
فتحت اقاصي ارض اشبيلية ... وتخوم اندلس حوتها باليد
قد حررت شرق البلاد وغربها ... بسيوفها من غاصب مستعبد
طردت عن الإسلام كل محاول ... فتح البلاد وغيره لم تطرد
قد جردت في الفاتحين سيوفها ... لا يقطع الهندي غير مجرد
لم تبق من مستعمر في ارضه ... او فاتح لبلاده متمرد
ينسى بها عهد الفتوح وما جرى ... فيه فمثل فتوحها لم يعهد
ردت الى العرب الكرام فخارهم ... ولهم اعادت كل مجد أتلد
وعلى سواهم وجهت حملاتها ... وعليهم في دارهم لم تعتدي
هذا الحجاز جميعه في كفها ... بجباله ورماله والأنجد
ولها القصيم وحائل ومرابع الد ... هناء تقتل من تشاء ولا تدي

لم يبق غير قبور آل محمد ... شيدت ضلالا في بقيع الغرقد
وقبور آباء النبي وصحبه ... بوجودها الإسلام لم يتمهد

فـاذا محت مـا شيـد مـن بنيـانها ... لم يبـق في الإسـلام غير مشيـد
امسى بها التـوحيـد مفقـوداً فمـذ ... هـدمـت فما في الكـون غير مـوحـد
فعـدت عليهـا كـالـوحـوش ضـواريا ... وغـداً ستتبعهـا بقبر محمـد
مـا قبر احمد عنـدهـا امسى سـوى ... صنـم لقـد ضلـت ولما تهتـد
كـلا لعمـر الله هـدم قبـورهـم ... هـدمٌ لصرح بـالفخـار ممـرد
قـد حـاولـت والله مكمـل نـوره ... اطفـاء نـور سـاطع لم يخمـد
جـرت على الإسـلام اعظـم ذلـة ... بفعـالها وأتـت بكـل تمرد
سـاءت جميـع المسلمين بفعلهـا ... ورمـت قلـوبهم بحـر مـوقـد
سـاءت امـام المسلمين محمـداً ... واليـه في قـربـاه لم تتـودد
سـاءت الـه العـرش فيهـا فـاغتـدت ... منـه بمنـزلـه القصي المبعـد
لم يكـف مـا صنعـت بهم اعـداؤهـم ... بحيـاتهم مـن كـل فعـل أنكـد
حتـى غـدت بعـد الممات خـوارج ... في الظلـم بـالماضين منهـم تقتـدي
لم تحفـظ المختـار في اولاده ... وسـواهـم مـن أحمد لم يـولـد
وهـم الأئمـة للـورى والعترة الـ ... ـهـادون حقـا قـدوة للمقتـدي
لم تحفـظ المختـار في آبـائه ... مـن أصيـد متفـرع مـن أصيـد
لم تحفـظ المختـار في أعمامـه ... مـن كـل قـرم بـالعلى متفـرد
لم تحفـظ المختـار في اصحـابـه ... وهـم الـذيـن بهم غـدونـا نقتـدي
لم تحفـظ المختـار في ازواجـه ... ولهن منـه حـرمـة لم تجحـد
هـدمت قبـابـا فـوقهم قـد شيـدت ... معقـودة مـن فـوق اشرف مـرقـد
فـوق الإمـام السيـد الحسن الـزكي ... ابـن النبـي ابـن الإمـام السيـد
والعـابـد السجـاد زين العـابـديـ ... ـن بـن الحسين الـراكع المتهجـد
والبـاقـر العلم ابنـه والصـادق الـ ... ـقـول المفضـل جعفـر بـن محمـد
والسيـد العبـاس عـم محمـد ... رب المفـاخـر والعلى والسـؤدد
والحبر عبـد الله حبر الأمـة الـ ... ـبحـر الخضـم ومـرشـد المسترشـد
وصحـابـة الهادي الـذيـن بنصرهـم ... للـدين قـد فـازوا بـأعـذب مـورد
والنـاصر المختـار والـد طـالـب ... عـم النبـي وحمزة المستشهـد

والمطعم الحجاج عفواً سيد الـــ ـبطحاء معطي الرفد للمسترفد
وخـــديجة الغـــراء ام المؤمنيـــ ـن ومن سمت شرفا مقام الفرقد
والطهـــر آمنـــة وعبـــد الله يـــا لله لليـــوم الفظيـــع الأســـود
وإمام طيبة مالك وضريح اسـ ـماعيل نجل الصادق المتعبد
قـــوم لهم اسمـــى مقـــام ادركـــوا قصب السباق بـــه بـــرغم الحسـد
سبقوا البرية في الفضائل من مسو د قـــد غـــدا مـــا بينهم ومســـود
ولهم من النسب الصراح صراحـه شرف قـد اشتركـوا بـه في القعـدد
من كل فـذ مـالـه من مشبـه او كل نـدب في الفضائل مفرد
ولأمهـات المؤمنين مكـانـة حكمت ببر في الـورى وتـودد
وبقبر حـــواء وهـــدم ضريحه بـاب المذمـة عنهم لم يـوصد
ام الأنـام تعـق بعـد وفـاتها من فعل ابنـاء عليهـا تعتـدي
سـاءوا بـذلك نسل آدم كلـه ولآدم جـاءوا بما لم يحمـد

يـا قبـة بشـرى البقيع منيعـة شأت الفـراقـد والسهى في مصعد
ولقبـة الأفـلاك دون منـالها شأو الضليع غـدا وسير المجهـد
شعـت بها انـوار آل محمـد بسنـا على طـول الـزمـان مخلـد
من كل فـذ في البريـة مغتـذ در النبـوة بـالإمـامـة مـرتـدي
في بقعـة ودت نجـوم سمائهـا في الأرض من حصبائها لـو تغتدي
والشمس ترمقها بناظر حاسد ويرد عنها البدر مقلة ارمد
كف الثريا قاصر عن نيلها ابـداً وعنهـا الشمس قـاصرة اليـد
تعتـز بـالفضـل العظيـم المعتلي وتطـول بـالشرف القـديم الأتلـد
عـاثت بشـامخهـا اكـف جفـاتهم يـا لـلإبـا والـدين عيث المفسـد
هـدمت معـاولهم رفيع بنـائهـا ومحت محاسنهـا بـذاك المعهـد
عجبـا لأحـداث الـزمـان ومـا اتت فـذئابـه داست عـرينـة ملبـد
أمعـالم الإسـلام تمحـى جهـرة والمسلمـون بمنظـر وبمشهـد
قـد نـال قبر السبط شبـه فعـالهم في القبح من متـوكـل متمـرد

ولما تقــدم مــن قبيــح فعــالهم / في كــربــلاء زمــانــه لم يبعــد

أبقــى لـــــــه ولهم مخازي جمة / مهما يطــل زمــن بها تتجــــدد

زعمت بأن الـذيـن اوجـب هـدمهـا / لـروايــة جــاءت بمسنــد احمد

يـدعـو ابـا الهيــاج حيـدر إنني / لك بـاعث فـانهض بأمـري واجهـد

كـــان النبي بمثـل ذلـك بـــاعثي / وبــذي الـوصيــة آمـري ومــزودي

لا تبـق قبراً مشرفــا الا وقـــد / ســويتــه فــاقصــد لــذلك واعمـد

لــو انــه قــد صح اسنــاد لها / ليســت تعــارض سيرة لم تجحــد

انى وليس طــريقهــا بمصحـح / وبـــواضح التــوثيـق لم تتــأيــد

فيـه المدلس والــذي كثـر الخطـا / منــه ومن بغض ابـن عـم محمـد(١)

وبها ابــو الهيـــاج منفــرد وليـــ / ــس لــه سـوى هــذا الحديث المفـرد

ســويتـه معنـاه مستــويـا لقــد / صيرتـــه لاذا سنـــام يغتـــدي

هـــذا هـــو المعنــى اذا متعلـق / لم يـــذكــروه لـــه بغير تلـــدد

في الـذكـر سـواهـا وسـوى قـد اتى / ابــداً ســوى هـــذا بــه لم يقصـد

فمفـــاده نهي عـن التسنيم بـالتـــ / ـسطيح امـر فــاتبعــه تــرشــد

وعليــــه اورده دليـــــلا مسلـم / بصحيحـــه فبمثلــه فــاستشهــد

وبــذلـك النـــووي فسره كــــذا / ك القسطـــلاني الامــام الأوحـــدي

ســويتـه مـا ان يفيـد هـدمتـه / في العـــرف الاعنـــد ذي فهـم ردي

كـلا ولا ســويتـــه بــالأرض بفــ / ـهـم منـــه ذو فهـم صحيـح جيــد

مــع ان هـــذا لم يقلــه مسلـم / والـرفـع بــالإجماع سنــة مهتـدي

مع انــه لــو تـم ليس بشــامـل / للقبـــة المعـــلاة فــوق المشهـــد

اذ كــان مخصــوصــاً بنفس القبر لم / يشمـل بنــاء حــولـه في الأجــود

هيهـــات هـــدم قبــور عترة احمد / يـــا ويلهـــا عــن احمد لم يسنــد

---

(١) يعلم تفسيره وتفسير غيره مما فصلناه في كشف الارتياب فراجع

يــا للــرجــال لهول خطب فــادح ‏ ‏ اذكــى القلــوب بغلــة لم تبرد
اعــراب نجــد تبتغي تعليمنــا ‏ ‏ وتقــوم فينــا في مقــام المرشــد
جهلـت لعمــر الله سنــة احمد ‏ ‏ والى مــدينــة علمــه لم تقصــد
كـم قــد روى الـراوون عنــه روايــة ‏ ‏ كــذبــا ولم يخشــوا عقــاب الموعــد
فلــذاك قــام بهم خطيبــا قــائلا ‏ ‏ للنــاس قــول تهدد وتــوعــد
كثـرت علي من الــورى كــذابــة ‏ ‏ عصـت الإلــه وللهــدى لم تنقــد
يــا قــوم مـن يكــذب علي تعمــداً ‏ ‏ فليتخــذ في النــار اسـوأ مقعــد
ولكـم رأوا لفـظ العمــوم ومــادروا ‏ ‏ لفظ الخصـوص ولا اهتـدوا للمقصد
كم قـدرووا من مـات فهـو معـذب ‏ ‏ ببكــاء مــن يبكـي ولم يتجلــد
عمــر رواه وخطــأتــه امــه ‏ ‏ في ذاك لم تشكــك ولم تتردد
كــم مجمــل ومبين ومعمــم ‏ ‏ ومخصــص او مطلــق ومقيــد
كـم مـن مجاز للحقيقــة مشبــه ‏ ‏ او من صريح كــالكنــايــة يغتـدي
كم شــابــه المنـدوب محتـومــا ومن ‏ ‏ مكــروهــه المحظــور لم يتجــرد
كم سنــة في النــاس تحسب بــدعـة ‏ ‏ او بــدعــة وتخال سنــة مقتــدي
مــا كـل مــا لم يحونصــا بــدعــة ‏ ‏ مــا النـص شرط في خصــوص المورد
وتفــاوت الأفهــام فيها قــد روى الـر ‏ ‏ اوون في الأخبــار غير محدد
تخذ الإلــه هــواه في القــرآن قــد ‏ ‏ جــاءت وتلـك حقيقــة لم تقصــد
عبــد الــذي اصغـى الى متكـلـم ‏ ‏ متكلما لكنــه لم يعبــد
والكفــر اطلـق في معــاصي جمة ‏ ‏ مــا كفـرت كــاءبــاق عبـد انكــد

او ليـس امــة احمد اجماعهــا ‏ ‏ فيــه الصــواب وحجــة لم تــردد
وعلى ضــلال كلهــا لم تجتمـع ‏ ‏ فيما رويتـم في الحديــث المسنــد
مضت القـرون وذي القبــاب مشيـدة ‏ ‏ والنــاس بين مــؤسـس ومجدد
في كـل عصر فيــه اهـل الحل والــ ‏ ‏ ـعقــد الــذيـن بغيرهـم لم يعقــد
لم ينكــروا ابــداً على مـن شــادهــا ‏ ‏ شيــدت ولا مـن منكــر ومفنــد

من قبل ان تلد ابنها تيمية ... او يخلق الوهاب بعض الأعبد

افأي اجماع لكم اقوى على ... امثاله من مورد لم يورد

فبسيرة للمسلمين تتابعت ... في كل عصر نستدل ونقتدي

اقوى من الإجماع سيرتهم ومن ... قد حاد عنها فهو غير مسدد

هيهات ليس نبياً ابن بليهد ... في الناس لم يخطىء ولم يتعمد

كلا ولا العلماء قد حصرت به ... هي في بقاع الأرض ذات تعدد

كلا ولا من وافقوه لخوفهم ... او جهلهم من خائف ومقلد

والجل من علماء طيبة ساكت ... للخوف مكفوف اللسان مع اليد

دفن النبي المصطفى في حجرة ... شأت الكواكب في العلى والسؤدد

والمسلمون تجد في تعظيمها ... ما بين بان منهم ومشيد

من ذلك العهد القديم ليومنا ... تعظيمهم لضريحه لم ينفد

لم يهدم الأصحاب حجرة احمد ... وهم الهداة وقدوة للمقتدي

بل لم تزل مبنية وبناؤها ... في كل عصر لم يزل بتجدد

ان لم يجز فوق القبور بناؤنا ... لم لم تهدم قبل حجرة احمد

ما كان ممنوعا لنا احداثه ... ابقاؤه عن ذاك غير مجرد

مع انهم قد احدثوا بنيانها ... متتابعا من بعد دفن محمد

زوج النبي بنت عليها حائطا ... بين القبور وبينها لم يعهد

وابن الزبير لها بنى وكذلك الـ ... فاروق ثم سميه فلنقتد

يروي فتى سمهود ذلك عنهم ... بوفائه فعلى الوفاء تعود

جهلوا تراهم ما علمتم ام غدوا ... متساهلين وانتم بتشدد

وتتابع البانون في بنيانها ... وغدت لأهل الدين اعظم مقصد

لضريح احمد حرمة ماردها ... غير الجهول وغير ذي الطبع الردي

من في الورى يا صاح يجحد قدره ... هيهات شامخ قدره لم يجحد

انى ودفن الصاحبين بجنبه ... قد جاوراه كلاهما في ملحد

قــد عـــده اعظـم رتبــة وفضيلــة ... في الكــون يــومــا مثلهـــا لم يعــدد
وبنـو اميــة قــد ابت دفن ابنــه الـــ ... حسـن الــزكـي بجنبــه في مــرقــد
قــالـت أيــدفـن ثــالـث الخلفـاء في ... أقصى البقيـع وفي مكـــان مبعـــد
والسبط يــدفـن عنــد تــربــة جــده ... لنقـــاتلـن بـــذابـل ومهنـــد
وتجمعـــوا مع مــن يلــف لفيفهــم ... مـن مبرق يبغي القتــال ومــرعــد
ويقــول مــروان ايــدفـن هـــا هنــا ... حسـن وهــذا السيف تحمله يــدي
لــو لم يكـن شرف القبــور فما الــذي ... يــدعـــو الى هـــذا المقيم المقعـــد
وكـــذا ضرائح آلـــه فلهـــا الـــذي ... لضريـح جــدهـم بــرغـم الحســد

قــد كــان بــالثقلين احمد مــوصيــا ... فيما رواه احمد في المسنـــــــــد
وهما كتـــاب الله ثــم العترة الـــــ ... ـهــادون حقـــا للطــريــق الأرشـــد
فهما هما تـــالله لــن يتفـــرقـــا ... حتـــى ورود الحوض يـــوم المورد
وهما هما قـــد ضـل مـن لا يهتـــدي ... بهما ومـــن بهداهما لا يقتـــــدي
ان احترامهما على كـــل الـــــورى ... فـــرض بهذا النــص لم يتقيـــد
اجــر الــرســالـــة ود قــربــى احمد ... مـــا ذاك فعــل المخلـص المتــودد
والله الـــــزمنـــــا احترام نبيـــــه ... وذوي المكـــانـــة والمقـــام الأمجد
زمـــن الحيـــــاة وفي المهات كليهما ... في غـــابـــر الأزمـــان والمتجـــدد
لا تـــرفعـــوا اصـــواتكم عـن صـوتـه ... لا تجهـــروا بـــالقــول في ذاك النــدي
في عهـــد ام المؤمنين كــــرامـــة ... وتـــد بـــدار حـــولــه لم يـــوتـــد
كـــانت تقــول لهم فــلا تــؤذوا رســو ... ل الله مـن وتـــد بـــدار مـــوتـــد
عقــد القبــاب على قبــور ذوي الهدى ... فيـــه احترام ذوي القبـــور الهمــد
وكـــذلكـم هــدم القبــاب اهـــانـــة ... لهم غـــــدا في رأي كــل مســـدد
والله يغضــب والنبـــي لفعــــل مـــن ... يبغـي اهـــانتهــم بـأمــس او غــد
والفعـــل مهما يختلــف عنـــوانــــه ... فـــالحكــم مختلــف بغير تـــردد
ليـس الـــذي سمـى المعظـم سيـــداً ... بمعنـف في قــولــه يـــا سيـــدي

والمصطفى قد قال سيدنا وسيـ … ـدكم لسعد ذي المقام الأسعد
ما اسقط الرحمن حرمة مؤمن … بعد المات ولا شريف اوحد
ان المعظم في الحياة معظم … بعد المات وفضله لم يفقد
هل اذ يموت المرء يعدم فضله … فلم الصلاة على النبي محمد
تعظيم قبر معظم لا منع فيـ … ـه وجعل خدام تروح وتغتدي
يعتز ساكنه بحفاد له … بين الورى ويهان ان لم يحفد

زعموا البناء محرما اذ انها … ارض مسبلة لكل موسد
من كان شاهد منكم تسبيلها … او وقفها بين الورى فليشهد
هذا افتراء منكم وتحكم … ان قد تم فطنا به لم يتقد
بل ان ما يروى نفى تسبيلها … عنها وأبطل شاهد المستشهد
دفن ابن مظعون بها من بعدما … كانت مواتا طبقت بالغرقد
من بعده الهادي بها دفن ابنه … من غير ما وقف وبالهادي اقتدي
والناس قد دفنوا بها من بعده … من غير تسبيل ولا وقف بدي
قطعوا بها ما كان من شجر وما … وقفوا لأجل الدفن وقف مؤبد
هب انهم وقفوا فلم يك وقفهم … بالمنع عما قلتم بمقيد
لكن ما هدمتموه مسبل … في الاثم هادمه يروح ويغتدي

عبد القبور المسلمون بزعمكم … كلا فغير الهنا لم نعبد
ان احترام القبر تعظيم لمن … في القبر من مولى عظيم المجد
قستم بها الأصنام ان قياسكم … يا قوم بالأصنام غير مسدد
فاؤلائكم عبدوا الحجارة كي تقر … بهم ونحن لغيره لم نعبد
سجدوا مع الباري لها وتعبدوا … جهلا ولم نسجد ولم نتعبد
ليس احترام ذوي القبور عبادة … لذوي القبور ولا لها في مورد
كل احترام لو يكون عبادة … في الخلق عم الشرك كل موحد

والله الـزمنـا احترام مسـاجـد افهل يكـون عبـادة للمسجـد
كم حـرمـة لمقـام رجل خليلـه جعل الإلـه لصخـرة من جلمـد
والشرع جـاء محسنـا تقبيلنـا للبيت والحجـر الأصـم الأسـود
واطـاعـة الأبـوين فـرض لازم كإطـاعـة البـاري القـديم الموجـد
لهما جنـاح الـذل فـاخفض لا تقل أف وبـالـغ في الإطـاعـة واجهـد
ولآدم سجـد الملائك كلهـم دون الخبيث فـذم من لم يسجـد
وليـوسف يعقـوب مع ابنـائه سجـدوا لـه قـدمـاً سجـود تعمـد
مـا كـان شركـاً لا يكـون نـزاهـة النـص اورد فيـه او لم يـورد
او كـان تـوحيـداً فليس بكـائن شركـا فـانقص من مقـالـك او زد
الحكـم للمـوضـوع ليس مغيرا بـالحكـم لم ينقص ولما يـزدد

الله فـاضـل بين مخلـوقـاتـه ليس التراب مسـاويـا للعسجـد
شهـر الصيـام على الشهـور مفضل فيـه قبـول عبـادة المتعبـد
وكـذلـك الأسبـوع يفضل بعضـه بعضا كـذا السـاعـات فـاكفف واهتـد
والشمس فضلهـا الإلـه على السهى والبـدر ليس مسـاويـاً للفـرقـد
والليث ليس بـه يسـاوى ارنـب والصقـر ليس ممـاثـلا للهـدهـد
والأرض في شرف البقـاع تفـاوتت هـل مكـة امست تعـد كصرخـد
والمسجـد الأقصى المبـارك حـولـه كسـواه ام هـل حـانـة كـالمعبـد
ان القبـوركمن حـوتـه تفـاوتت في الفضل والشرف القـديم الا تلـد

ذم الاولى اتخذوا القبـور مسـاجـدا مـن ذي التنصر قبـل والمتهـود
معنـاه نهي عـن سجـود فـوقهـا او جعلهـا لـك قبلـة في المسجـد
فبـذاك اضحت وهي غير المدعى وعلى الكـراهـة حملهـا لم يبعـد

او عن عبادتهم لصورة صالح ... بكنيسة في قبلة المتعبد
قد كن ازواج النبي رأينها ... يوما لدى الأحباش فانظر تهتد
وكذاك متخذاً عليها مسجدا ... منه الكراهة قط لم تستبعد
كرهت على القبور الصلاة لدى جميـ ... ـع المسلمين ففوقه لا تسجد
وعلى القبور اذا بنينا مسجدا ... منا الصلاة على المقابر تغتدي
وبجمعه مع زائرات للقبو ... رترى الكراهة فيه ذات تؤيد
اما البناء لمسجد من حولها ... قصد الصلاة فما له من مفسد
من فوق اهل الكهف قد تخذ الاؤلى ... غلبوا عليهم مسجداً لم يعهد
والمسلمون بحول قبر محمد ... قد ما بنوا للناس افضل مسجد
وبيوت ازواج النبي به لقد ... دخلت لدى توسيعه المتجدد
والنهي عن اسراجها لوصح فالتـ ... ـنزيه منه ليس بالمستبعد
اذ لا تكون به منافع للورى ... من قارىء او زائر متردد
ولأنه عبث واسراف بلا ... نفع فليزم صرفه في الأفيد
والنهي عن كتب عليها جاء في ... خبر ضعيف نادر لم يعضد

وكذا الصلاة لدى القبور تبركا ... بذوي القبور فليس بالصنع الردي
ان الأئمة من سلالة احمد ... ثقل النبي وقدوة للمقتدي
قالوا الصلاة لدى محل قبورنا ... في الفضل تعدل مثلها في المسجد
عنهم روته لنا الثقات فبالهدى ... منهم اذا شئت الهداية فاقتد
شرف المكان بذي المكان محقق ... واخو الحجى في ذاك لم يتردد
خير عبادة ربنا في مثله ... من غيره فإليه فاعمد واقصد
وكذلكم طلب الحوائج عندها ... من ربنا ارجى لنيل المقصد
ان القبور بساكنيها شرفت ... فلساكنيها منزل لم يجحد
بركاتها ترجى لداع انها ... بركات شخص في الضريح موسد
لا بدع أن كان الدعاء اليه فيـ ... ـها صاعداً وبغيرها لم يصعد

طلب الحوائج عند قبر مفضل — عند الإله وبالفعال مسود
كسؤالها من ربنا في مسجد — او في زمان فاضل لم يردد

والنهي جاء عن الصلاة الى القبو — ر كما رواه احمد في المسند
لكنه ان صح غير المدعى — وكذاك منه حرمة لم تقصد
لكنما منه الكراهة قد بدت — للفهم في النظر الصحيح الجيد

والنهي عن تجديدها لا تبنين — على القبور وفوقها لا تقعد
ان صح كان على الكراهة حمله — متوجها فاحمل عليها ترشد
ذكر القعود على القبور مؤيد — دعوى الكراهة وهو خير مؤيد
لكنها في غير من تعظيمه — تعظيم ربك والنبي محمد
تالله ما فهم الشمول لمثلها — الا الغبي او الغوي المعتدي

حللتم دم كل شخص مسلم — ورميتم بالشرك كل موحد
بل انتم اولى بكفر انكم — قد قلتم في الله قول مجسد
في كل ليلة جمعة هو نازل — فيما زعمتم فوق ظهر المسجد
وبغير تأويل على العرش استوى — والعقل في التأويل لم يتردد
ان الخوارج قبلكم قد كفروا — من كان يوما مثلهم لم يجمد
اشبهتموهم في جميع صفاتكم — حتى رأينا امس يظهر في غد
وفعلتم بالمسلمين كفعلهم — بالصائم المتعبد المجتهد
والمصطفى المختار اخبر عنهم — بمروقهم من دينه بتعمد
وكذلك المختار اخبر عنكم — اذ قال في نص الحديث المسند
في شامنا بارك وفي يمن لنا — يا ربنا والعيش فيها ارغد

في صاعنا بارك وفي مد لنا   وكذا مدينتنا وظلك فامدد
قالوا وفي نجد فعاود قوله   من غير تنقيص وغير تزيد
قالوا وفي نجد فجاوب قائلا   لهم مقال الحانق المتهدد
من نجد الشيطان يطلع قرنه   في ارض نجدكم له من منجد
مأوى الزلازل ارض نجدكم بها   فتن ترى من كل شخص مفسد
هذا مقال المصطفى في نجدكم   هيهات ما ان نجدكم بالأرشد
فالحق يا اخوان ليس بمنجد   والدين والإيمان ليس بمنجد
لو يعلم التوحيد منحصرا بها   لدعا لها بدعائه المتعدد
او يعلم الإشراك حتما كائنا   فيها عداها في الدعا لم يجهد
تالله ليس بهين تكفير من   بالله آمن والنبي محمد
والسفك للدم وانتهاك محارم   منه وجعلك مسلما كالملحد
واخافة للمسلمين وتركهم   ما بين مقتول وبين مصفد
للرأي من شخص خطاه وجهله   بين البرية ليس بالمستبعد
قد قلدته الرأي وهابية   من مرعد ما بينهم او مزبد

قالوا شفاعة احمد حق وان   تسأله اياها بشرك تلحد
من قال في الدنيا له اشفع لي الى الـ   ـباري فهذا الشرك دون تردد
بل قل ايا رباه شفع احمدا   فينا غدا واقبل شفاعة احمد
من يدع احمد للشفاعة فهو من   عباد احمد وهو غير موحد
حيث الدعاء عبادة بل مخها   بنظيره الإنسان لم يتعبد
لا تدع من احد مع الباري ولا   تعبد سوى الباري وربك فاعبد
قلنا الدعاء عبادة فيمن دعا الـ   ـمخلوق مثل الواحد المتفرد
لكن من يدعو المشفع قائلا   يا سيدي اشفع لي له لم يعبد
لا تدع من احد مع الباري به   معنى العموم من الدعا لم يقصد
ليس المعية في الوجود مرادة   كاغفر ذنوبي واغسلن يا ذا يدي

لو كان كل دعا عبادة من دعي ... بين الأنام موحد لم يوجد
من جاء يدعو شافعا لشفاعة ... لم يدع من عبد دعاء السيد
بل كان من قال اسقني هو عابد ... وكذاك قول انصر صديقك واعضد
كيف الشفاعة حقة وسؤالها ... شرك تعجب للجهالة وأزدد
ما كان حقاً لا يكون سؤاله ... شركاً فانقص من مقالك او زد
قالوا وشرك الجاهلية قولهم ... صنما لغير شفاعة لم نعبد
كذبوا فشرك الجاهلية لم يكن ... طلب الشفاعة من شفيع مفرد
بل كذبوا رسل الإله وكتبه ... واتوا بدين غير ذاك مجدد
عبدوهم كي يشفعوا عبدوا وقا ... لوا هم لنا الشفعاء يوم الموعد
العطف والتعليل بينهما قضى ... فيما قضى بتغاير وتعدد
عبدوا الحجارة طالبين شفاعة ... منها وليس لها الشفاعة تغتدي
ان اصبحت صوراً لعبد صالح ... او غيره لشفاعة لم تعدد
لا يقدرون على عبادة ربهم ... زعموا لذا عبدوا المصور باليد
والبعث انكره فريق منهم ... والقول في عيسى شهير المقصد
قالوا دعاء القادرين على الذي ... منهم يراد مجوز لم يردد
لكنما الممنوع ان تدعوهم ... فيما استطاعتهم له لم توجد
كدعاء ميت في القضاء لحاجة ... لم يستطعها غير رب سرمد
كشفا المريض ورد شخص غائب ... ونمو زرع بعد لما يحصد
قلنا فكيف جعلتم من احمد ... طلب الشفاعة مثل فعل الملحد
والله اعطاه الشفاعة فاغتدى ... ذا قدوة وهو المشفع في غد
هذا التناقض لا تناقض مثله ... لنظيره الأسماع لم تتعود
ابمثل هذا الجهل قد حللتمو ... سفك الدماء وما لكم من مسند
ان الذي يأتي لباب مليكه ... متشفعا بوزيره لم يردد
افان تشفعنا باشرف خلقه ... طرا اليه نلم به ونفند
ان الصحابة بالنبي تشفعوا ... ورجوا شفاعته بيوم المورد
هذا سواد قد تشفع واستغا ... ث بقوله في شعره المتردد

كـن لي شفيعـا يـوم مـالي شـافع ... يغنـي فتيـلا لا ولا مـن مسعـد

كفـرتـم مـن يستغيـث بميـت ... ذي منـزل عنـد الإلـه السرمـد
وزعمتـم طلـب الحوائج منهـم ... شركـا بـدا مـن طـالـب مستنجـد
انـى وليـس سـوى التشفـع بـالمقـر ... ب عنـد ربـك في نجـاح المقصـد
طلـب الحوائج ليـس شركـا انها ... تلـك الشفـاعـة فـاتخذهـا تسعـد
حتى الـذي قـد اسنـد الأفعـال للـ ... ـمخلـوق فهـو حقيقـة لم يسنـد
في المسلمين الحال تشهـد انهم ... قصـدوا التجـوز في انتسـاب المسنـد
كبنـى الأمير مـدينـة او انبـت الـ ... ـبقـل الـربيـع بغير ذا لم تشهـد
فـالإستغـاثـة والـدعـاء تشفـع ... بـالمستغـاث وليـس ذا بتعبـد
ثـم التشفـع لا يـراد بـه سـوى ... طلب الـدعـا من صـالح مستنجـد
ان كـان ليس بقـادر في زعمكـم ... فيكـون مثل سـؤال مشي المقعـد
او كـان يقـدر وهـو اصـوب لم يكن ... شركـا وليـس مـريـده بمفنـد
فـالـروح تشفـع عنـد ربـك انها ... مـوجـودة في علمـه لم تفقـد
لا تحسبـن مـن في سبيـل الله قـد ... قتلـوا مـن الموتـى ولا تستبعـد
وتـرد روح محمـد فيرد تسـ ... ـليم امـرىء يهدي السـلام ويبتـدي
بـل لا يمـر على القبـور مسلـم ... فيها رووا وسـلامـه لم يـردد
صلـوا علي واكثـروا فصـلاتكـم ... يـا قـوم تبلغنـي وتـأتي مـرقـدي
وعلي تعـرض دائما اعمالكـم ... بعـد المات وانني في ملحـدي
ان كـان مـن شراكـن مستغفـرا ... لكـم وان خيرا شكـرت وأحمد
فـاذا استغثنـا بـالنبي وآلـه ... في كشـف معضلـة ومـر مجهـد
نسب الضـلال لنـا وهم شفعـاؤنـا ... عنـد الإلـه ونجـدة المستنجـد
مـا سـاغ في دفـع اليسير دعـاؤهـم ... ويسـوغ في دفـع العـذاب السرمـد
هـذا التحكـم لا تحكـم مثلـه ... هـذا مقـال الجاهـل المتعنـد

قالوا التوسل بالعباد محرم ... كذبوا وقد ضلوا سبل المهتدي
هذا الكتاب كتاب ربك ناطق ... ان التوسل من نجاح المقصد
ابداً الى الله الوسيلة فابتغوا ... في الذكر جاءت حجة لم ترددِ
لو انهم جاؤك اذ ظلموا كفت ... عن كل نص او حديث مسند
فازوا بمغفرة الإله لهم وما ... ردوا وانت لدى الدعا لم ترددِ
حال الحياة وفي المات كليهما ... فبواحد من ذاك لم تتقيد
ان التوسل بالنبي لدى الحيا ... ة وفي المات وقبل وقت المولد
جاءت به الأخبار وهي كثيرة ... قد ضل من بضيائها لا يهتدي
فلقد توسل آدم بمحمد ... وبآله ومحمد لم يوجد
وتوسل الأعمى بحق محمد ... فغدا بصيراً وهو لما يفقد
وتوسل الأصحاب بعد محمد ... بمحمد متحقق لم يجحد
سألوه بعد الموت يستسقي لهم ... فسقوا به وكأنه في المشهد
وبكوة بين السماء وقبره ... مطروا بغيث مثله لم يعهد
وقضى ابن عفان عقيب توسل ... بالمصطفى المختار حاجة مجتدي
وبعمه العباس يستسقي لهم ... عمر فكان دعاؤه لم يردد
بالأنبيا وبه(١) توسل احمد ... اذ رام يدفن امه(٢) في ملحد
وبصالح الأعمال قد نقل البخا ... ري التوسل في الحديث المسند(٣)
هذا يسير من كثير قد اتى ... فدع المرا ومن التوسل فازدد
وهو الوسيلة دون كل الأنبيا ... يوم المعاد ونجدة المستنجد
فبه توسل دائما وبآله ... وبخير اصحاب له واستنجد
فهم الوسيلة للإله بما لهم ... عند الإله من المقام الأوحد
وارفض مقالة جاهل ومعاند ... واهجر طريقة جامد ومقلد

---

(١) أي بنفسه بقوله بحق نبيك والأنبياء قبلي اغفر لأمي فاطمة بنت اسد.

(٢) اي فاطمة بنت اسد لأنه (ص) كان يسميها امه.

(٣) في خبر الثلاثة الذين انسد عليهم الغار فتوسل كل بعمل صالح عمله فانفرجت عنهم الصخرة.

قـالـوا قـريـب ربنـا مـن عبـده ... ويجيـب داعيـه ولم يتبعـد
ادنـى اليـه مـن الـوريـد يقـول أد ... عـوني اجبكـم عنكـم لم ابعـد
فلـم التـوسـل والتشفـع بـالـورى ... ادع الإلـه وغيره لا تقصـد
قلنـا فكيـف الله قـال لنـا اطلبـوا ... لكـم الـدعـا مـن غيركـم بتـأكـد
حتـى النبـي محمـد طلـب الـدعـا ... مـن غيره فيها رووا عـن احمد
هل كـان ذلـك يـا تـرى مـن بعـده ... عـن ربـه او انـه لم يبعـد

الحلـف بـالمخلـوق شرك عنـدهـم ... والله نعـم المقتـدى للمقتـدي
فـالله في القـرآن صرح مقسما ... بـالخلـق في قسـم لـه متعـدد
بـالتين والـزيتـون والبلـد الأميـ ... ـن وبـالضحى الضـاحي وليل اربـد
والعـاديـات النـازعـات النـاشطـا ... ت السـابحـات السـابقـات لقصـد
بـالفجـر اقسم والليـالي العشر والشـ ... ـفع الـذي بـالـوتـر اصبح يبتـدي
والمصطفـى وأبيـك قـال بمـورد ... وابيـه ايضـا قـالها في مـورد
وكـذا ببيـت الله اقسـم عمـه ... فـأقـر وهـو بمسمـع وبمشهـد
وأبيـك فـاه بها ابـو بكـر ومـن ... قـالـوا لعمـرك جمعهـم لم يعـدد
واتـى بمخلـوق كـذاك بحقـه ... قسـم على البـاري فـلا تتشـدد
وبقـول مسروق سـألتـك بـالـذي ... في القبر اقنـاع لكـل مفنـد
والنهـي عـن حلـف بغير الله محـ ... ـمول على فصل الخصـومـة يغتـدي
او حلفهـم بـالـلات والعـزى كما ... قـد كـان يفعلـه الجهـول المعتـدي
والحمـل فيـه على الكـراهـة ممكـن ... واللعـن في المكـروه لم يستبعـد

نـدب زيـارة احمد في قبره ... اعظم بنـدب في النصـوص مـؤكـد
فهـو الـوسيلـة في المعـاد وفي الـدنـا ... نعم الشفيع ونعـم جـدوى المجتـدي
مـن زار قبري قـد رووا وجبـت لـه ... منـي الشفـاعـة لـلإلـه ويسعـد

من زار قبري عند حج كالذي ... منه الزيارة في حياتي تغتدي
ولقد جفاني من يحج ولم يكن ... لي زائراً من ابيض او اسود
من زارني والى المدينة جاءني ... كنت الشهيد له شفيعا في غد
من زارني متعمداً جاورته ... يوم القيامة جيرة بتعمد
من حج مكة ثم اصبح قاصداً ... لي بالزيارة زائرا في مسجدي
ثنتان من مبرور حج خالص ... كتبا له لجزاء يوم الموعد
وافى بلال من دمشق لطيبة ... متحملا ليزور قبر محمد
لما رآه في المنام معاتبا ... فأفاق ذا وجل بطرف مسهد
واتى اليه باكيا وممرغا ... وجها عليه بغلة لم تبرد
قد جاء يروي ذلك ابن عساكر ... عنه بإسناد قوي جيد
قد كان صالح آل مروان(١) الذي ... في الأجر من رب السهالم يزهد
يمضي بريداً للسلام على النبي ... لغير ذاك بريده لم يبرد
زار النبي لأمه قبرا ولم ... تسلم بزعم الخصم او تتشهد
نص رواه مسلم بصحيحه ... هل بعد هذا النص من متردد
زورو القبور رواه ايضا مسلم ... عنه فهل من مسلم لا يقتدي
وكذا زيارة غيره من آله ... ومن الصحاب وكل فذ او حدي
وحديث لا تشدد لغير ثلاثة ... رحلا يراد به خصوص المسجد
شد الرحال الى الثلاثة وحدها ... ولغيرها من مسجد لا تشدد
مع ان معناه تأكده لها ... لكنه للغير لم يتأكد
والى قباكم كان يأتي المصطفى ... مشيا وطورا راكبا فبه اقتد
لا فرق في الأسفار بين بعيدها ... لو صح ما قلتم وما لم يبعد
ومضى الى الشهدا بأحد زائرا ... فزر القبور ودع مقال مندد
والبضعة الزهراء كانت دائما ... تأتي لزورة عمها المستشهد

---

(١) عمر بن عبد العزيز.

ندب زيارات القبور مؤكد ... بعدت عن الزوار ام لم تبعد
ندب تأكد للرجال وللنسا ... او للنساء الندب غير مؤكد
وعلى البناء توقفت في الحر وال ... ـبرد الشديد لزائر متردد
لولا البنا درست معالمها وما ... عرفت ولا يوما لوضعها اهتدي
ومقدمات المستحب جميعها ... في الندب عنها حكمه لم يزدد
لعن الرسول لزائرات للقبو ... ر الى حقيقة لفظه لم يقصد
وكذاك متخذ المساجد فوقها ... والسرج في الليل البهيم الأربد
ان صح فهو سوى محل نزاعنا ... منه الكراهة قط لم تستبعد
والنهي مخصوصا غدا بالزائرات ... من النساء لغاية لم تجحد
وهي التستر والحجاب فوجهه التـ ... ـنزيه فاعدل في مقالك واقصد
فشريكه في النهي محمول على التـ ... ـنزيه في الرأي الأصح الأرشد
واللعن في المكروه جاء بكثرة ... وكذا نظائره فلا تستبعد
لعن المحلل والمحلل له ولا ... تحريم فيه على الأصح الاجود

حسن تمسحنا بقبر محمد ... قصد التبرك فاتبعه تحمد
وضعت على العينين فاطم تربه ... وبكته فعل الواله المتوجد
تقبيله حسن وليس محرما ... بل كان تعظيما كتقبيل اليد
شرف الأديم اذا يجاور مصحفا ... ويهان حيث تراه نعلا يغتدي
ما جاور المسك الذكي ذكا به ... منه الأريج قضية لم ترد
ان الكنيف اذا يعمر مسجدا ... يسموا الى شرف سمو المسجد
فالارض ان امست ضرحا للنبي ... او الوصي تنل عظيم السؤدد
واذا يجاورها حديد ثم او ... خشب ففيه الفضل غير محدد
والمنبر المنسوب للهادي يشر ... فه بتشريف له متأكد
ان الصحابة بالنبي تبركوا ... ببصاقه ووضوئه في مشهد
افقبره الحاوي مقدس جسمه ... عن ذاك ينقص لا اذا لم يزدد

مـا كـان يـركـب مـالـك في طيبـة ... قصـداً لتعظيـم النبـي محمـد
في قبر فـاطمـة تمرغ احمد ... كيما يبـارك تـرب ذاك المرقـد
وكـذا بجعـل قميصـه كفنـاً لها ... دفـع العـذاب عـن التـي في الملحـد

وكـذا تـوجهنـا لقبر محمـد ... عنـد الـدعـاء تشفـع بمحمـد
لا منـع فيـه لـذي البصيرة والـذي ... غطـى بصيرتـه العمـى لا يهتـدي
افتـى بـه المنصـور قـدمـا مـالـك ... اذ جـاء يسـألـه ولم يتردد
أستقبل الـوجـه الشريف لـدى الـدعـا ... ام قبلـة جعلـت لكـل مـوحـد
فـأجـابـه لم انـت وجهـك صـارف ... عنـه بـل استقبلـه واسـأل واجهـد
لـك منـه خير وسيلـة كـانـت بـه ... لأبيـك آدم في الـزمـان الأتلـد
قالوا القبـور غـدت لـديكم وهي كـالـ ... أصنـام فـرق بينهـا لم يـوجـد
للقبر نـذركمـو وذبحكمـو لـه ... كـالـذبـح لـلأصنـام مـن متعمـد
كـلا فلـم يـذبـح ولم ينـذر لها ... مـن مسلـم في دينـه متقيـد
لكنها الفقـراء خصهـم بها ... وثـوابها اهـدى لـرب المشهـد

رامـوا مـن البـدع الخلاص فـأوقعـوا ... بـأشـد منهـا في العقـاب وانكـد
ايـاك والإفـراط فـالإفـراط كـالتـ ... فـريـط كـل منهما لم يحمـد
ويـل لمن امسـى يـدخـن بينهـم ... فلـه العقـاب الجم غير مصرد
يـا قـوم ان حـرمتـم التـدخين عـن ... بعـض اجتهـاد منكـم وتشـدد
فلغيركـم فيـه اجتهـاد مثلـه ... في حكمـه الأقـوال لم تتـوحـد
وبـالاجتهـاد غـدا الثـواب مقـررا ... فسـد الـدليـل عليـه او لم يفسـد
فلـم العقـاب عليـه منكـم ايها الـ ... إخـوان والإجماع لما يعقـد
ان جـاز في الشرع اجتهـاد للـورى ... فـالمنـع عنـه خطيئـة لم تحمـد
فـدعـوا اجتهـاد المسلمين فكلهـم ... في ذاك يعـذر عنـد ربـك في غـد

لذوي الإصابة اجرهم متعددا ... للمخطئين الأجر لم يتعدد

ان كان برهان فجيئونا به ... باللين لا ببنادق ومهند

ادع الأنام الى السبيل بحكمة ... وبحسن موعظة ولا تتشدد

الدين لا اكراه فيه فقد بدا ... رشد وغي منه للمسترشد

ان الشريعة سهلة سمحاء ما ... جاءت بعسر لا ولا بتشدد

الحق بالبرهان يظهر للورى ... ان كان لا تحت القنا المتقصد

هب ان تشييد القبور محرم ... وله ادلة ديننا لم تعضد

افليس مصلحة الزمان تجيزه ... فبفاسد قد جاز دفع الأفسد

فدعوا المفيد من الأمور بزعمكم ... لضرورة وتمسكوا بالأفيد

وعن المكوس سكتم من خوفكم ... شق العصا ووقوعكم في المفسد

هلا سكتم عن قبور هدمها ... اذكى القلوب بمضرم لم يخمد

سئتم جميع المسلمين بفعلكم ... فلهم قلوب حرها لم يبرد

والناس حاقدة عليكم كلها ... لم يلف بين الناس من لم يحقد

وسررتم الشيطان في افعالكم ... بتبدد للشمل بعد تبدد

ابهذه الأيام وهي عصيبة ... سود يشيب لهن فود الأمرد

والمسلمون لكل شخص منهم ... مما عراهم عبرة المتنهد

عضدت بمصقول الشبا شجراتهم ... لكن بغير اكفهم لم تعضد

عضدت ولم يوجد لها من عاضد ... واهاً لها معضودة لم تعضد

قمتم بايغار الصدور وجئتم ... تورون نار غضاضة لم تخمد

وملأتم الأقطار من غزواتكم ... في كل عامرة وقف فدفد

وبها يفل الحد من اخوانكم ... بغيا ويشحذ حد سيف الأبعد

وابحتم قتل النفوس تعمدا ... فلكم تحق عقوبة المتعمد

والعـرب انهم هـم الأحـرار قـد ... وضعـت عليهـم ربقـة المستعبـد
قـف بـالحجـاز وعـج على مصر وفي ... سـوريـة انظـر والعـراق لـه اقصـد
تلق الفـواجع احـدقـت في حيث لا ... جلـد لـذي لـب ولا متجلـد
واعطف على اليمن المبـارك هـل تـرى ... بين القبـائل فـديـة للمفتـدي
من كـان يـرجـو الخير لـلاسلام عن ... يـدكـم وللعـرب الكـرام المحتـد
فهـو الغبي وكيف يـرجـو الخير مـن ... اهـل الجمـود سـوى الغبـي الأجمد
والله ليـس بغـافـل عـن فعلكـم ... لكنـه امسـى لكـم بـالمرصـد
فتـوقعـوا عقبـى جنـايتكـم بـدنـ ... ـيـاكـم وفي اخـراكـم فكأن قـد

انـا نـوحـد ربنـا وعلى سـوى التـ ... ـوحيـد فيـه قلـوبنـا لم تعقـد
ننفـي الشريـك وكـل نـدعنـه جـل ... وعـز مـن متفـرد متـوحـد
لم يتخـذ حـاشـاه صـاحبـة ولا ... ولـداً ونشهـد انـه لم يـولـد
ولقـد شهـدنـا بـالنبي المصطفى ... وبغيره مـن بعـده لم نشهـد
ولآلـه الأطهـار والينـا ومـن ... اعـدائهـم نبرا ولم نتردد
وبكـل مـا قـد جـاء آمنـا ولم ... نحفـل بقـول مفنـد ومنـدد
ونعظـم الهادي وكـل معظـم ... حيـا وميتـا بـاللسـان وبـاليـد
ونعظـم القبر الـذي قـد ضمـه ... فبـه تشرف واعتلى للفـرقـد
ونـزوره متبركين بتربـه ... فبـه جـلاء الطـرف لا بـالأثمـد
وبلثمـه وبلمسـه يجلى الصـدا ... عنـد المحب لـه عن القلب الصـدي
زره على رغـم الجهـول فـانـه ... غيث الـورى واليـه رحلك فـاشـدد
وبـه لحط الـذنـب كـن متـوسـلا ... نعـم الـوسيلـة للفقير المجتـدي
وهـو الشفيـع بحيـث كـل الأنبيـا ... لم يشفعـوا عنـد المهيمـن في غـد
واسـأل مـن الـرحمن ربـك عنـد الـ ... ـحـاجـات تعط منـاك فيـه وتسعـد
قـم عنـده لله ربـك داعيـا ... تبكـي بـدمـع للخـدود مخدد
قـل يـا الهي ارحـم بـه وبـآلـه ... واغفـر ذنـوبي ربنـا وتغمـد

والثم ثـــراه فـــانـــه خير الثـــرى ... وانشـق شـــذا مسـك بـــه وتـــزود
خير مـن الـــركـن المقبـل تـــربـــه ... وكـــذا مـن الحجـــر الأصـم الاســـود
ولقـــد تشفعنـــا بـــه وبـــآلـــه ... لله في نيـــل المنـــى والمقصـــد
ولقـــد بـــرئنـــا مـن فعـــال عصـــابـة ... هـــدمت ضرائح آل بيـــت محمـــد
ان كـــان شركـــا فعلنـــا هـــذا فـــلا ... خير بتـــوحيـــد ســـواه مجدد

فهرس الموضوعات

١ ـ « المقدمة الأولى » : في تاريخ الوهابية وفيها فصول ٧
٢ ـ الفصل الأول : إلى من ينسب مذهب الوهابية ٧
٣ ـ الفصل الثاني : في حروب الشريف غالب مع الوهابيين ١٣
٤ ـ الفصل الثالث : في محاربة محمد علي باشا للوهابيين ٣٥
٥ ـ الفصل الرابع : في ما آل إليه أمر نجد وما فعله الوهابيون في الحجاز ٤٦
٦ ـ « المقدمة الثانية » : في أمور مهمة يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية ٦٩
٧ ـ « المقدمة الثالثة » : في شبه الوهابيين بالخوارج وذلك من عدة وجوه .. ٩٦
٨ ـ الباب الأول : في ذكر جميع معتقدات الوهابية ١٠٦
٩ ـ الباب الثاني : في ذكر معتقدات الوهابية ١٣٤
١٠ ـ الباب الثالث : في تفصيل الأمور التي كفر بها الوهابية المسلمين .. ١٩٢
١١ ـ الفصل الأول : في الشفاعة ١٩٢
١٢ ـ الفصل الثاني : في دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعانة به .. ٢١٤
١٣ ـ الفصل الثالث : في التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصلحاء ... ٢٤١
١٤ ـ الفصل الرابع : في الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق ونحوه ٢٦٣
١٥ ـ الفصل الخامس : في الحلف بغير الله تعالى ٢٦٨
١٦ ـ الفصل السادس : في التعبير عن غيره تعالى بالسيد والمولى ونحو ذلك ٢٧٥

١٧ ـ الفصل السابع : في النحر والذبح ٢٧٧
١٨ ـ الفصل الثامن : في النذر لغير الله ٢٨٣
١٩ ـ الفصل التاسع : في بناء القبور والبناء عليها ٢٨٦
٢٠ ـ الفصل العاشر : في الكتابة على القبور ٣٢٦
٢١ ـ الفصل الحادي عشر : في اتخاذ المساجد على القبور واتخاذها مساجد ٣٢٨
٢٢ ـ الفصل الثاني عشر : في الإسراج على القبور ٣٣٨
٢٣ ـ الفصل الثالث عشر : في الدعاء والصلاة عند القبر الشريف وغيره ٣٣٩
٢٤ ـ الفصل الرابع عشر : في تعظيم القبور وأصحابها والتبرك بها ... ٣٤٢
٢٥ ـ الفصل الخامس عشر :في اتخاذ الخدمة والسدنة لقبور الأنبياء والأولياء ٣٥٧
٢٦ ـ الفصل السادس عشر : في تزيين المشاهد بالذهب والفضة
والمعلقات والحلي ٣٥٨
٢٧ ـ الفصل السابع عشر : في زيارة القبور ٣٦٥
٢٨ ـ استدراك ٣٨٤
٢٩ ـ خاتمة ٣٩١
٣٠ ـ الشهادة الأولى ٣٩٨
٣١ ـ الشهادة الثانية ٣٩٩
٣٢ ـ العقود الدرية في رد شبهات الوهابية ٤٠٣

